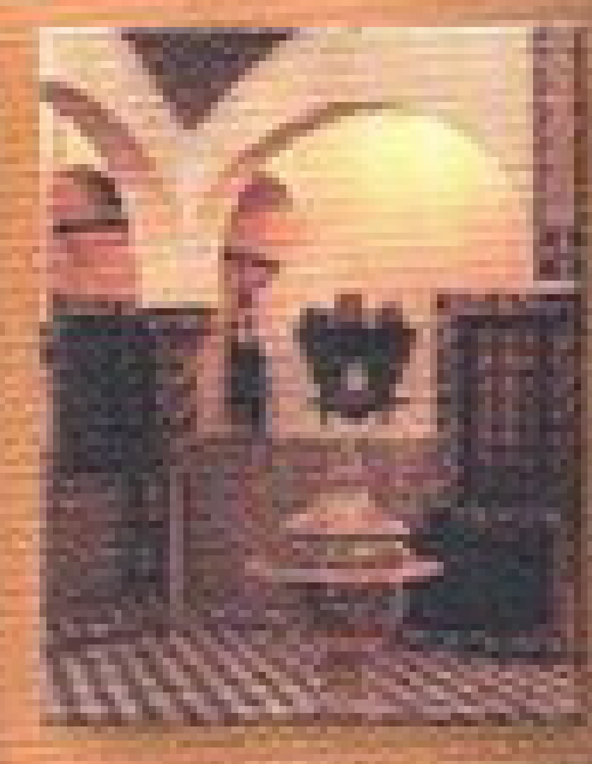
عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي

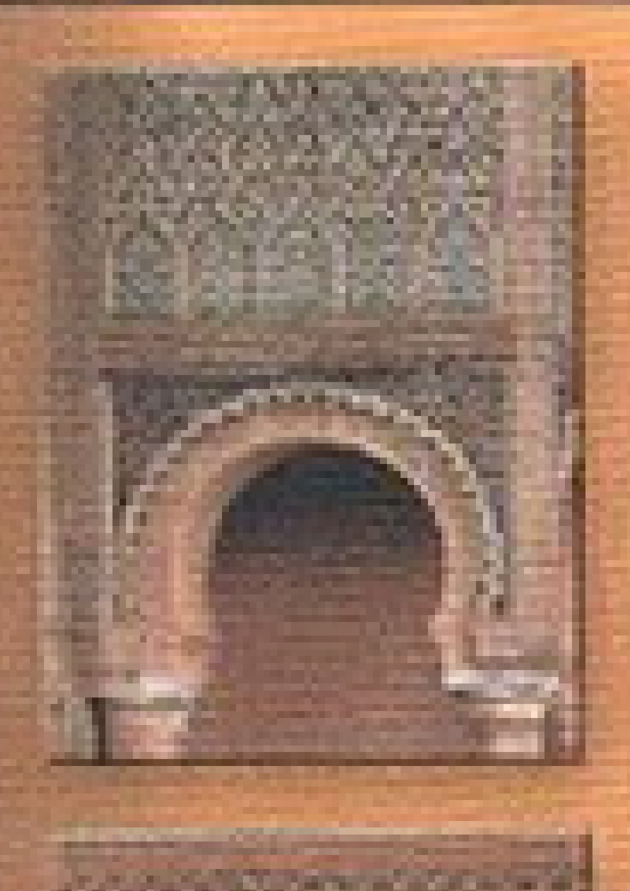
الإرشاد والتطريز

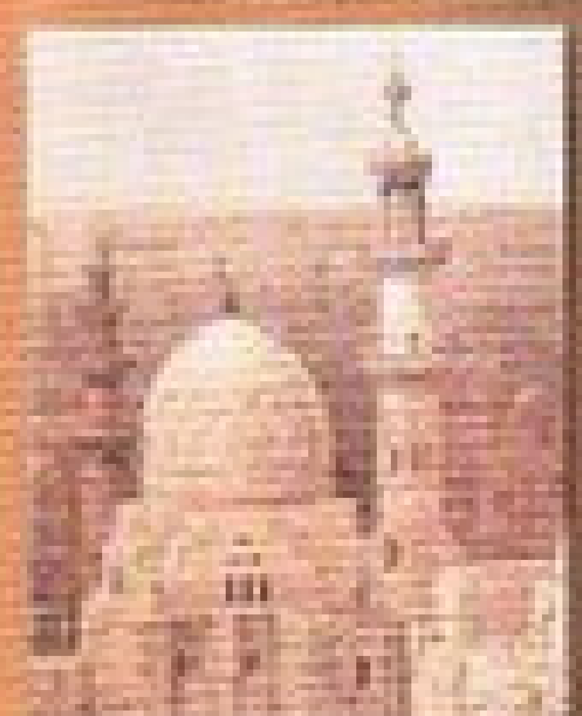
في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز

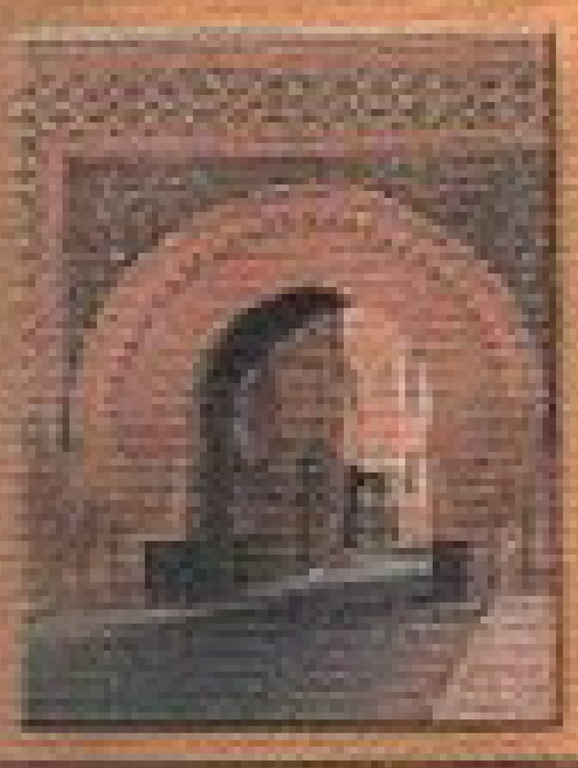
وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين











تحقيق
محمد أديب الجادر

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الإرشاد والتطريز

في فضل ذكر الله

وتلاوة كتابه العزيز

منشورات محمد علي بيضون



الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ١١-٩٤٢٤ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4218-6



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

الإرشاد والتطريز

في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز

وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين

تأليف

عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي

المتوفى ٧٦٨هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم على سيد الذاكرين، وخيرِ مَنْ قرأ كتاب الله العزيز الكريم.

وبعد، فإنَّ محبة الله والقربَ منه كانت دأب الصالحين، وديدنَ الأتقياء العاملين، الذين أجمعوا على أن سلامة العقيدة أولاً ثم الذكر ـ كما علمنا رسولنا ﷺ ـ مُتضمناً التلاوة ثانياً هي طريق العمل الصالح المتقبَّل.

والذكر لا تُجنى ثمرته بتمامها، ولا غلَّتُهُ بكمالها ما لم يكن مشفوعاً بقصص الصالحين، وحكاياتِ المقرَّبين، ففي قصصهم عبرةٌ وآية، ومعجزةٌ ليس لها نهاية، تُريك بلسان الحال كيف نالوا المحبَّةَ والهدى، وخصوا بالقُرب والرِّضا بفضل ذكرهم وعبادتهم، ففي حكاياتهم دعوة لسمو النفس، ونداء لحضرة القدس.

كيف لا وأنت ترى كيف أدمنوا قرع الباب، فتخطَّوا الحجاب، ونالوا الرُّتبَ، فغدوا بمنزلة الصحابة الأحباب.

وهذا كتاب قد جمع فيه صاحبه بطريقةٍ سنية، وحبكةٍ عالية مرضية فضلَ الذكر مع التلاوة، مازجاً بها حكايات القوم رغبةً منه في تقويم السلوك، والنهوضِ إلى خير الخصال المقرِّبة إلى الربِّ المعبود، فحوى بين دفتيه معاني التصوف وخصاله؛ من زهد في الدنيا، وتوكُّلٍ على الله، ورغبةٍ في الطاعات، وتخلقٍ بأخلاق السادة النبلاء.

* * *

ترجمة المؤلف[1]

هو عفيف الدين، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فَلاح اليمني اليافعي الشافعي. ويافع: قبيلة باليمن من قبائل حِمْيَر.

وُلِدَ سنة (٦٩٦) هـ قرب عدن، ونشأ بها، وكان في ذلك السن مُلازماً بيته، تاركاً لما يشتغل به الأطفال من اللعب. فلما رأى والده آثار الفلاح ظاهرة عليه، بعث به إلى عدن، فاشتغل بالعلم حتى برع فيه، وقرأ القرآن على الفقيه الصالح محمد بن أحمد البَصَّال المعروف بالذُّهَيْبي[2].

قال اليافعي: وهو أوَّل من انتفعتُ به، وقرأتُ عليه «التنبيه»، وأَوْلَمَ البَصَّال عند ختمي وليمةً كبيرة، وأطعم جماعة.

وحضر قراءة الفقيه حسنِ بن أبي السُّرور على القاضي أبي بكر بن أحمد الأديب.

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٠٣. طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٥٧٩. طبقاء الأولياء لابن المُلقِّن ٥٥٥. الذيل على العبر لابن العراقي ١/ ٢٢٥. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٥/ ١٠٤. ذيول تذكرة الحفاظ ١٥٢. الدرر الكامنة لابن حجر ٢/ ٢٤٧. المنهل الصافي ٧/ ٧٤. النجوم الزاهرة لابن تغرى بردي ١١/ ٩٣. طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص لأحمد بن أحمد الشرجي ٦٧. تاريخ ثغر عدن لأبي مخرمة ١٤١. مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبري زادة ١/ ٢١٧. الكواكب الدريَّة في تراجم السادة الصوفيّة للمناوي ٣/ ٣٥. كشف الظنون: ٦٨، ٩٠، ١١٧، ٣٤٢، ٧١٩، ٧٤٣، ٧٥١، ٩١٨، ١٥٠١، ١٦٤٧، ١٦٥٩، ١٨٤١، ١٨٤٣، ١٨٨٥، ١٩٤٤، ١٩٥٢، ١٩٦٧، ١٩٨٠، ١٩٩٠. شذرات الذهب ٦/ ٢١٠. البدر الطالع للشوكاني ١/ ٣٧٨. إيضاح المكنون ١/ ١٤٥، ٥٦٩ و ٢/ ٦، ١١٠، ٦١٠. هدية العارفين ١/ ٤٦٥. روضات الجنات للخوانساري ٤٥٧. جامع كرامات الأولياء للنَّبهاني ٢/ ١٢٠. معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة ١٩٥٢. تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٧/ ٨٤. الأعلام ٤/ ٧٢. معجم المؤلفين ٦/ ٣٤.

(٢) ترجمته في تاريخ ثغر عدن لابن أبي مخرمة ص ٢٢٩.

واجتمع بالشيخ عمر الصفَّار في آخر حياته بعدن، ورآه أيضاً بعد مماته فدعا له، فكان من دعائه: أصلحك الله صلاحاً لافساد بعده.

وأخذ العلم في هذه المرحلة عن الشيخ شرف الدين أحمد بن علي الحَرَازي قاضي عدن ومُفتيها[1].

ونشأ على خير وصلاح، وانقطاعٍ عن الناس، ولم يكن في صِباه يشتغل بشيءٍ غيرِ القرآن والعلم.

وحجَّ الفرض سنة ٧١٢ للهجرة، وعاد إلى عدن، وحبَّب الله إليه الخلوة والانقطاع، والسياحة في الجبال، وصُحْبَةَ الفقراء، والصوفيَّة.

قال اليافعي: وأوَّل من ألبسني الخرقة الشيخ مسعود الجاويّ بعدن، وأنا منعزلٌ في مكان، فقال: وقع الليلة لي إشارة أن أُلبِسَك الخرقة. فألبسنيها.

وصحب الشيخ علي بن عبد الله الطواشي، وهو الذي سلَّكه الطريق قال: وترددتُ، هل أنقطعُ إلى العبادة أو العلم؟ وحصل لي من أجل ذلك هَمٌّ كثير، وفِكْر شديد، ففتحت كتاباً على قصد التبرُّك والتفاؤل، فرأيتُ فيه ورقةً لم أرَها فيه قبل ذلك، مع كثرة نظري فيه، وفيها هذه الأبيات:

كـن عـن همـومِـكَ مُعـرضـا	وكِـلِ الأمـورَ إلـى القضـا
فلـرُبَّمـا اتَّسـع المَضيـ	ـقُ وربَّمـا ضـاقَ الفضـا
ولـرُبَّ أَمـرٍ مُتعِـبٍ	لَـكَ فـي عَـواقِبِـهِ رِضـا
اللهُ يفعـلُ مـا يشـا	ءُ فـلا تكـنْ مُتعـرِّضـا

قال: فسكن ما عندي، وشرح الله صدري لملازمة العلم.

ثم عاد إلى مكة سنة (٧١٨) هـ وتزوَّج بها، وجاور مدَّة مُلازماً العلماء، فقرأ «الحاوي الصغير» على القاضي نجم الدين الطبري قاضي مكة، ولمَّا فرغ من قراءته، قال القاضي نجم الدين لحاضري الختم: اشهدوا عليَّ أنَّه شيخي فيه.

---

(١) ترجمته في تاريخ ثغر عدن ص ٣٨.

وقرأ على القاضي نجم الدين أيضاً «مسند الشافعي» و «فضائل القرآن» لأبي عُبيد، و «تاريخ مكة» للأزرقي، وغير ذلك.

وسمع بمكة بقراءته غالباً على الشيخ رضي الدين الطبري الكتب الستة خلا «سنن ابن ماجه» كما سمع «مسند الدارمي» و «مسند الشافعي» و «صحيح ابن حبان» و «سيرة ابن إسحاق» و «عوارف السُّهْرَوَرْدي» و «علوم الحديث» لابن الصلاح.

وكان قد حفظ «الجمل» للزجاجي.

ترك التزوج، وتجرَّد عن الاشتغال والعوائق عشر سنين، وجعل يتردَّدُ في تلك المدة بين الحرمين الشريفين، يُقيم في هذا مدَّةً، وفي ذاك مدَّة.

ورحل إلى الشام سنة (٧٣٤) هـ ودخل دمشق، وزار القدس والخليل، وأقام بالخليل نحو مئة يوم.

ثم قصد الديار المصرية في العام نفسه، مُخفياً أمره، فزار تربة الشافعي، وغيره من المشاهير، وأقام بالقَرَافة بمشهد ذي النون المصري، وحضر عند الشيخ حسين الحاكي في مجلس وعظٍ كان يُقيمه في الجامع الذي يخطب فيه بظاهر القاهرة بالحكر، وعند الشيخ عبد الله المَنُوفي المالكي بالمدرسة الصالحية، وعند الحويزاوي بسعيد السعداء، وكان إذ ذاك شيخَها، واشتهر في تلك الأيام قدومُهُ إلى القاهرة، ولكنَّ اللهَ تعالى حقَّقَ قصده، فلم يعثر عليه أحدٌ ممَّن يُظهر أمره.

وزار الشيخ محمد المرشدي بمُنية مُرشد من الوجه البحري، وبشَّره بأمور، ثم قصد الوجه القِبْلي فسافر إلى الصعيد الأعلى.

عاد إلى الحجاز، وجاور بالمدينة النبويَّة مُدَّة، قال الشرجي صاحب «طبقات الخواص»: يروى عنه أنَّه لمَّا قصد المدينة لزيارة رسول الله ﷺ قال: لا أدخلُ المدينة حتى يأذَنَ لي رسولُ الله ﷺ، قال: فوقفتُ على باب المدينة أربعة عشر يوماً، فرأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فقال لي: يا عبدَ الله، أنا في الدُّنيا نبيُّكَ، وفي الآخرة شفيعُكَ، وفي الجنة رفيقُكَ، واعلم أن في اليمن عشرةَ أنفسٍ، من زارهم فقد زارني، ومن جفاهم فقد جفاني. فقلتُ: ومَنْ هم يارسولَ الله؟ قال: خمسة من الأحياء، وخمسة من الأموات فقلت: من الأحياء؟ فقال: الشيخ علي الطواشي صاحب حلي، والشيخ منصور بن جعدار صاحب

حرض، ومحمد بن عبد الله المؤذن صاحب منصور المهجم، والفقيه عمر بن علي الزيلعي صاحب السلامة، والشيخ محمد بن عمر النهاري صاحب برع. والأموات أبو الغيث بن جميل، والفقيه إسماعيل الحضرمي، والفقيه أحمد بن موسى بن عجيل، والشيخ محمد بن أبي بكر الحكمي، والفقيه محمد بن حسين البجلي قال: فخرجت في طلب القوم، وليس الخبر كالمعاينة، ومَنْ شكَّ فقد أشركَ، فأتيتُ الأحياءَ فحدَّثوني، وأتيتُ الأموات فحدَّثوني، فلمَّا أتيتُ الشيخ محمد النهاري، قال: مرحباً برسولِ رسولِ الله ﷺ. فقلت: بِمَ نِلْتَ هذا؟ فقال: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فأقمتُ عنده ثلاثة أيام، ثم انصرفتُ إلى مدينة رسول الله ﷺ، فوقفتُ على بابها أربعة عشر يوماً أيضاً، فرأيتُهُ ﷺ، فقال: زرتَ العشرة؟ فقلتُ: نعم، إلاَّ أنكَ أثنيت على أبي الغيث، فتبسَّم عليه الصلاة والسلام، وقال: أبو الغيث غدا أهلَ من لا أهلَ له. فقلتُ: أتأذنُ لي بالدخول؟ فقال: ادخل، إنَّكَ من الآمنين.

ثم عاد إلى مكة، وانقطع إلى العلم والعمل، وتزوَّجَ، ووُلِدَ له عدَّةُ أولاد، ثم سافر إلى اليمن سنة (٧٣٨) هـ لزيارة شيخه علي الطواشي، وزيارة غيره من العلماء والصالحين.

ومع هذه الأسفار فإن اليافعي لم تفته حجَّةٌ في هذه السنين، وعاد إلى مكَّةَ شرَّفها الله تعالى، وأنشد لسان الحال:

فألْقَتْ عصاها واستقرَّ بها النَّوى ... كما قرَّ عيناً بالإيابِ المُسافرُ

وعكف على التصنيف والإقراء والإسماع، وكان يصرف أوقاته في وجوه البِرِّ، وكان كثير الإيثار والصدقة مع الاحتياج، مُتواضعاً مع الفقراء، مُترفِّعاً عن أبناء الدنيا، مُعرِضاً عمَّا في أيديهم.

وكان نحيفاً رَبْعَةً من الرجال، مُربياً للطلبة والمُريدين، ولهم به جمال وعزَّة، فنعق بهم غراب التفريق، وشتَّت شمل سالكي الطريق، فتنكَّرَتْ طِباعَهُ، وبدتْ أوجاعُهُ، فشكا من جسمه سَقَماً، ومن رأسه ألماً، وأقام أياماً قلائل، وتُوفِّي إذ ذاك وهو فُضيلُ مكة وفاضلها، وعالمُ الأبطح وعاملُها، وذلك ليلة الأحد في العشرين من جمادى الآخرة سنة ٧٦٨هـ، ودُفِنَ من الغد في المُعَلَّى بجوار الفضيل بن عياض.

وبيعت حوائجه الحقيرة بأغلى الأثمان، فقد بيع مئزرٌ له عتيق بثلاث مئة درهم، وطاقيةٌ بمئة درهم، وقِس على هذا.

اليافعي وعلماء عصره:

كان ومازال الاختلافُ شديداً على شخصية اليافعي، فمن مُقَرِّظ مُفرط ومن مبغضٍ مُكفِّرٍ، والتقريظ والبُغْضُ نشأا بين الفريقين من اختلاف المشارب، وتعدُّد المناهل، بالإضافة إلى حظوظ النفس، وتغليب الهوى.

قال الإسنوي: كان اليافعيُّ إماماً يُسترشَدُ بعلومه ويُقتدى، وعَلَماً يُستضاء بأنواره ويُهتدى.

وقال أحمد بن عبد الرحيم ابن العراقي عنه: الشيخُ الإمام القدوة العارف الزاهد شيخ وقته.

وقال ابن الملقّن: كان إماماً مُفتياً عاملاً ممَّن تَنزَّلُ الرحمةُ عند ذِكرِه.

وقال ابن تغري بردي في وصفه: الشيخ الإمام، العالم المسلِّك، العارف بالله تعالى، وشيخ الحرم، وإمام المُسلِّكين، وشيخ الصوفية.

وقال عنه السبكي: الرجل الصالح.

وقال فيه محمد بن أحمد الحسني الفاسي صاحب «العقد الثمين»: شيخ الحرم... كان عارفاً بالفقه والأصولين والعربية والفرائض والحساب...

وساق ما قاله بدر الدين حسن بن حبيب، أديب حلب في كتابه «درة الأسلاك»: «إمامٌ علمه يُقتبَس، وبركته تُلتمَس، وبهديه يُقتدى، ومن فضله يُحتذى، كان فريداً في العلم والعمل، مصروفاً إليه وجه الأمل، ذا ورعٍ...».

وقد أفراد له تلميذه أحمد بن أبي بكر بن سلامة كتاباً مستقلاً، ذاكراً حياته وفضله فيه وهو «المسلك الأرشد في مناقب عبد الله بن أسعد».

قال طاش كبري زادة في كتابه: «مفتاح السعادة» ١/٢١٧: وبالجملة هو رجلٌ عزيز الوجود، فردُ زمانه، ونادرة أوانه.

وأما ما انتقده عليه أهلُ الحديث والسنة، أصحابُ العلم والنقد فهو قوله من قصيدة له:

فيا ليلةً فيها السَّعادةُ والمُنى لقد صَغُرَتْ في جنبها ليلةُ القدرِ

حتى إن الضياء الحموي كَفَّرَهُ بذلك.

ومنهم من عزا ذلك إلى حبِّ الظهور. ومنهم من أبى ذلك، وذكروا لذلك مخرجاً في التأويل.

وكان يتعصَّب للأشعري، وله كلام في ذَمِّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[1].

وفي كتابه «مرآة الجنان» ـ الذي اعتمد فيه على تاريخ ابن خلكان وتاريخ الذهبي ـ ترجمةُ جماعةٍ من الشافعية والأشعرية، وفيه من التعصب للأشعري أشياء مُنكرة[2].

وقد حُفِظَ عنه تعظيمُ ابن عربي والمُبالغة في ذلك.

ومما أُخِذَ عليه رحمه الله حُبُّ الظُّهور، ووصفُ نفسه بأوصاف كبرى ضخمة[3].

مؤلفاته:

انصرف الشيخ رحمه الله إلى التصنيف والتأليف بعد عودته من اليمن، واستقراره بمكّة حفظها الله تعالى سنة ٧٣٩هـ إلى أن تُوفي سنة ٧٦٨هـ، وقد صنَّف تصانيف كثيرة في أنواع من العلوم، وكان غالبُها صغير الحجم، معقوداً بمسائل منفردة، وقبل ذكر مؤلفاته نذكرُ شيئاً عن أشعاره.

قال الإسنوي: وكان يقول الشعر الحسن الكثير بغير كلفة، وكثير من تصانيفه نظم . . . وأشعاره حسنة كأحواله.

وقال الشرجي: كان رحمه الله يقول شعراً حسناً غالبه في مدح النبي ﷺ، ومدح الأولياء، وفي ذمِّ الدنيا، والحثِّ على الزهد فيها.

---

(١) البدر الطالع ١/ ٣٧٨.
(٢) البدر الطالع ١/ ٣٧٨.
(٣) البدر الطالع ١/ ٣٧٨.

وقد جُمِعَ ديوان نظمه في نحو عشرة كراريس كبار.

ومن تصانيفه قصيدةٌ مشتملة على قريب من عشرين عِلْماً، على ما ذُكر، لكن بعضَها متداخل مع بعض كالتصريف مع النحو، والقوافي مع العروض، وقَلَّ أن يخلو له مصنَّف من نظم.

ذكر البغدادي صاحب كتاب «هدية العارفين» ٤٦٥-٤٦٦ عدداً من مؤلَّفات اليافعي بلغت (٣٧) مؤلَّفاً، وغابت عنه أشياء من مؤلَّفات الشيخ رحمه الله، ونحن نذكر منها ما استطعنا جمعه من مصادر الترجمة، أما أرقام المخطوطات فهي التي حصلنا عليها من مكتبة الأسد، والتي ذكرها بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي».

١ـ الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز. وسنذكره مفصلاً.

٢ـ أسنى المفاخر بمناقب الشيخ عبد القادر. ذكر بروكلمان أن له نسختَين خطِّيتين في المتحف البريطاني أول، ومكتبة برلين، من دون أن يذكر أرقامهما.

٣ـ أطراف التواريخ.

٤ـ أطراف عجائب الآيات والبراهين وأرداف غرائب حكايات روض الرياحين.

٥ـ الأنوار اللائحة في أسرار الفاتحة.

٦ـ بهجة البدور في وصف الحور.

٧ـ تاج الروس في الذيل المأنوس على سوق العروس.

٨ـ الترغيب والترهيب. مطبوع. وفي النفس من نسبته لمؤلفه شيء، فهو دون مقدمة، ولا يتضمن شعراً لليافعي الذي وشح كل كتبه به، ولا أتحسس فيه نَفَسَهُ.

٩ـ ترياق العشاق في مدح حبيب الخلق والخلاَّق.

١٠ـ الجواب الشافي عن السؤال الخافي. منه نسخة خطية مصورة في مكتبة الأسد ٣٩٣٦ ت٤.

١١ـ الجواب المحقق فيما يجوز العمل به من أحكام قضاة الفرق وبيان من خرج من الفرق من بين الأنام الواضح الفكر عن ملة الإسلام. منه نسخة خطية مصورة في مكتبة الأسد ٣٩٣٦ ت٢.

١٢ـ حلية الأخيار في أخبار أهل الأسرار.

١٣ـ١٤ـ خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر.

وذكر صاحب «كشف الظنون» صفحة ١٩٩٠ بأن له كتاباً في شرح خلاصة المفاخر في أخبار الشيخ عبد القادر، وذكر بروكلمان بأن له كتاب «خلاصة المفاخر في اختصار مناقب الشيخ عبد القادر وجماعة ممن عرفه من الأشياخ والأكابر» أو «أعاجيب الآيات والبراهين وأرداف غرائب حكايات روض الرياحين» منه نسخة خطية في مكتبة برلين ٨٨٠٤، والمكتب الهندي ٢، ٧٠٨، ولعلَّه الذي تقدَّم برقم (٤) وربما كان ذيلاً لروض الرياحين.

١٥ـ الدر النظيم في فضائل القرآن العظيم. مطبوع، ومنه نسختان خطيتان في مكتبة الأسد رقم: ١٣٢١٢ و ١٦٠٧٢.

وذكر بروكلمان: مختصر الدر النظيم في فضائل القرآن العظيم وآيات الذكر الحكيم، منه نسخة خطية في المتحف البريطاني، ذيل فهرس المخطوطات العربية ١/ ٩١٣.

١٦ـ الدرر في مدح سيد البشر والغرر في الوعظ والعبر.

١٧ـ الدرة الفصيحة في الوعظ والنصيحة.

١٨ـ الدرة المستحسنة في استحباب تكرير العمرة في سائر السنة. ومنه نسخة خطية مصورة في مكتبة الأسد ٣٩٣٦ ت٢.

١٩ـ الدعاء: آدابه وأسبابه. مطبوع. ونسبته لليافعي في النفس منها شيء، فهي دون مقدمة، ولا تعتمد على مخطوط أصلاً. وجاء في نهايتها: ومما نقله الإمام اليافعي أيضاً لدفع العدو...

٢٠ـ الراح المختوم بالدر المنظوم في مدح المشايخ أصحاب السرِّ المكتوم (قصيدة).

٢١ـ الرسالة الملكية في طريق السادة الصوفية. منه نسخة خطية في القاهرة ٧٢.

٢٢ـ روض البصائر ورياض الأبصار في معالم الأقطار والأنهار الكبار.

٢٣ـ روض الرياحين في حكايات الصالحين المسمى بـ: نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر. مطبوع، قمت بتحقيقه مع الأستاذين مأمون الصاغرجي وعدنان عبد ربه.

وذكر صاحب «العقد الثمين» أن اليافعي قد ذَيَّلَ عليه بذيلٍ يحتوي على مئتي حكاية. وانظر ما ذكرت عن كتاب «خلاصة المفاخر» ١٣ـ١٤.

٢٤ـ سراج التوحيد الباهج النور في تمجيد صانع الوجود ومقلب الدهور ومعرفة أدلة القبلة والأوقات المشتملات على الصلاة والصيام والفطور.

٢٥ـ سؤال في الإقرار. منه نسخة خطية مصورة في مكتبة الأسد ٣٩٣٦ ت٥.

٢٦ـ الشاس المعلم لشاووس كتاب المرهم، وانظر كتاب «مرهم العلل» رقم ٣٦. وهو اختصار لكتاب ابن عساكر «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الشيخ الإمام أبي الحسن الأشعري» وزاد عليه. انظر مرآة الجنان ٣/ ٣٩٥.

٢٧ـ شمس الإيمان وتوحيد الرحمن في عقيدة أهل الحق والإتقان. منه نسخة خطية في برلين ٢٠٠٠، ونسختان في الجزائر ٥٨١، ٥٨٢.

٢٨ـ الشهد الحالي في فضل الصالحين ومقامهم العالي.

٢٩ـ الشهد الشفاف في مدح المصطفى ﷺ.

٣٠ـ عالي الرفعة في حديث السبعة.

٣١ـ عقد اللآلي المفصَّل بالياقوت الغالي (قصيدة في العقائد).

٣٢ـ قصيدة في التوسل. منه نسخة خطية في مكتبة الأسد ٣٨٨٤.

٣٣ـ كفاية المعتقد ونكاية المنتقد.

٣٤ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان وتقلُّب أحوال الإنسان وتاريخ موت بعض المشاهير الأعيان. منه نسختان خطيتان في مكتبة الأسد ٧٧٤١ و ٧٧٤٤. ونسخة خطية في برلين ٣/ ٩٤٥٢، والمتحف البريطاني ٩٣٢، والمكتبة الوطنية في باريس ٩٢/ ١٥٨٩، ٥٩٥٢ وفيينا ٨١٢، وفي كوبرلي في تركيا ١١٤٤، ومكتبة بودليانا فهرس المخطوطات العربية ١/ ٧٢٥.

وقد قام عدد من العلماء باختصار هذا الكتاب، انظر تاريخ بروكلمان.

٣٥ـ مختصر مناقب الشافعي.

٣٦ـ مرهم العلل المعضلة في الردِّ على أئمة المعتزلة. مطبوع. منه نسخة خطية في

برلين ٢٨٠٦، وأخرى في ليدن بهولندا ٩٠٢، ولعلَّ اليافعي قد أردف كتابه هذا بكتاب الشاس المعلم لشاووس كتاب المرهم المتقدم برقم ٢٦.

٣٧ـ مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام. ذكره صاحب «مفتاح السعادة» ١/ ٢١٧.

٣٨ـ المقدمات في العوامل والعلامات. له نسخة خطية مصورة في مكتبة الأسد ٣٩٣٦ ت٧.

٣٩ـ مناقب الإمام المئة من أئمة الأشعرية.

٤٠ـ منظومة في الفصول الأربعة. منه نسخة خطية في مكتبة الأسد ١٢٦٧٤.

٤١ـ المنهج الأرضا في مسامح العاجز المبدل الضاد بالظا. منه نسخة خطية مصورة في مكتبة الأسد ٣٩٣٦ ت٦.

٤٢ـ المنهل المفهوم في شرح السنة المعلوم.

٤٣ـ مهيجة الأشجان في ذكر الأحباب والأوطان.

٤٤ـ نزهة الألباب وطرفة الآداب في استعارات المعاني الغِراب. ذكره أحمد بن عبد الرحيم ابن العراقي في كتابه «الذيل على العبر» ١/ ٢٢٦ وقال: قصيدة في النحو وعددها ثلاثة آلاف بيت وست مئة.

٤٥ـ نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب والخواطر. قال صاحب «كشف الظنون» ١٩٤٤: اختصره من روض الرياحين، وهذا معارض لقوله في نفس الكتاب ٩١٩ لمَّا تحدَّثَ عن «روض الرياحين» قال: وقيل سماه «نزهة العيون النواظر...».

٤٦ـ نشر الروض العطر في حياة سيدنا أبي العباس الخضر. ذكره ابن العماد في «شذرات الذهب» ٦/ ٢١١.

٤٧ـ نشر الريحان في فضل المتحابين في الله من الإخوان.

٤٨ـ نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ أولي المقامات العالية. مطبوع. منه نسخة خطية في مكتبة الأسد ٣٦٤٥، وفي مكتبة عاشر أفندي ١/ ٥١٤ و ٢/ ١٧٥، وفي القاهرة ٢/ ١٤١ـ١/ ٣٧٠.

٤٩ـ نفحات الأزهار ولمعات الأنوار. واسمه في «هدية العارفين» لمعات، واسمه في «كشف الظنون» ١٩٦٧ لمحات.

٥٠ـ نهاية المحيا في مدح شيوخ من الأصفيا.

٥١ـ نوادر المعاني.

٥٢ـ نور اليقين في إشارات أهل التمكين. ذكره بروكلمان وقال: منه نسخة خطية في مكتبة غوته بألمانية ٤/ ٩١٤.

٥٣ـ الواردات. ذكره أيضاً بروكلمان، وقال: منه نسخة خطية في المتحف البريطاني ٣ و ٨٨٥.

* * *

الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين:

من أهم كتب اليافعي رحمه الله، ومن خيرة ما ألَّفَ، حتى عدَّ أحد مصادر المكتبة الصوفية، ولأهميته فقد جعله كاتبُهُ مصدراً لكثير من الأخبار التي ذكرها في كتبه اللاحقة مثل: روض الرياحين وسواه.

بُني الكتاب على مقدمةٍ وعشرة أبواب، وهذه الأبواب بينها تفاوت كبير من حيث البسط والاختصار، فباب تربو صفحاته على ١٤٢ صفحة (الباب الثاني)، وباب لا تتجاوز صفحاته الأربع فقط (الباب السادس)، وقد قام على أخبارٍ في الذكر والعبادات، والوعظِ والقصصِ، وأخبارِ الصالحين، وبيان فضلِ الأولياء والمساكين، والزاهدين والناسكين، وعلى عقيدة الأشعري من أهلِ السنَّة، بأسلوب مطرَّزٍ بالسجع المطبوع، والشعر الوجداني القريب، فجمع بذلك الحكمة الشاردة، والعبرةَ الأخاذة، وأيقظَ الحنينَ إلى جنَّات ربِّ العالمين، وألْهَبَ الشوقَ إلى حبيبِ المُحبِّين مع نقاء المورد، وصفاء المأخذ، وصحَّةِ الاقتباس.

وقد حوى من صحيحِ الأحاديث مايزيد على المئتين، وكلُّها مُسندةٌ، معتمداً على كتب الصحاح والسنن في تخريجها مباشرة، أو ناقلاً من كتب مُعتمدةٍ؛ مثل كتاب «جامع

الأصول في أحاديث الرسول ﷺ» للإمام ابن الأثير، وكتاب «الأذكار» للإمام النووي.

وذكر من أعلام الأولياء وأهل التصوف أكثر من مئة شيخ، شافعاً هذا بحكايات الصالحين وقصص المقربين، مع حسن الاختيار، وعلو المصدر، فأخذ عن كتب الحفاظ والطبقات مثل: «حلية الأولياء» لأبي نُعيم، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر، وغيرها.

أما الشعر فقد حوى على أكثر من ألف بيت، لمؤلف الكتاب منها نحو الثلثين، وشعره هذا يُصنَّف ضمن شعر العلماء.

وبالإضافة إلى هذا اعتمد المؤلف على مصدر للتدليل على صدق الفكرة، أو صحة النقل فقد حوى الكتاب على جملة طيبة من الأحلام.

وامتازَ هذا الكتاب بخلوِّه من البدعِ المكفرة، وطُهْرِهِ من الإسرائيليات، وكشفِهِ لمعاني التفكر والتدبُّرِ في نظم القرآن، ومُتابعةَ الآثار من الأذكار، والاعتبار بما في الأكوان، حتى أصبح مناراً لطريق الوصول إلى ربِّ العالمين، ودليلاً للهداة والعاملين.

النسخ المعتمدة في التحقيق:

كان الاعتماد في إخراج هذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية، إلى جانب النسخة المطبوعة قديماً في القاهرة وهذا بيانها:

أ ـ ١ـ نسخة رمزتُ إليها بالحرف (أ) وهي مصورة عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة الأسد برقم (١٧٣٢٣) وهي نسخة تامة جيدة الضبط والإتقان، بخط نسخي واضح، وقد أُثبتَ على هامشها تعليقات وشروحات، وتقع في (١٥٥) ورقة، في كل صفحة منها (١٥) سطراً، وذكر في نهايتها: وقع الفراغ من نساخة هذا الكتابة (كذا) وقت الظهر يوم السبت في شهر جُمادى الأولى سنة خمسة وتسعون وتسعمائة (كذا) من الهجرة النبوية المصطفوية.

٢ـ نسخة رمزتُ إليها بالحرف (ب)، بها بتر وخرم ونقص، وعبث بأوراقها تقديماً وتأخيراً. واستُدرك بعض نقصها بخط مغاير أحدث من الأصل بكثير، وهي قليلة الضبط، على هامشها استدراكات، وهي مصورة عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة الأسد برقم

(٦٤١٣) مؤلفة من (١٥٩) ورقة، في كل صفحة (١٥) سطراً. وهي تنتهي في الصفحة (٢٧٧).

٣ـ نسخة رمزتُ إليها بالحرف (ج) وهي أيضاً نسخة مبتورة، خطها نسخي واضح، مقابلة، جيدة الضبط، على هامشها استدراكات وتعليقات نفيسة، وهي مصورة عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة الأسد برقم (٧٢٣٢) مؤلفة من (٤٠) ورقة، في كل صفحة (٢١) سطراً. وهي تنتهي صفحة (١٢١) من هذا المطبوع.

وذكر بروكلمان في تاريخه أن للكتاب نسخاً خطية في مكتبة برلين ٨٨٠١، ٨٨٠٢، ونسخة خطية في مكتبة عاشر أفندي ١/ ٨٠٧.

وذكر صاحب كشف الظنون ٦٨ أن اليافعي قد اختصره.

ب ـ أما نسخته المطبوعة فقد طُبعت أولاً في بلدة تلشيير بالمليبار جنوب الهند سنة ١٣٠٤، وطبع ثانياً في مكتبة القاهرة سنة ١٣٧٨ ـ وهي التي رجعتُ إليها ـ قدم لهذه الطبعة وراجعها الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف معتمداً على طبعته الهندية الأولى دون الرجوع إلى مخطوطٍ، ذاكراً عنها: وبها نقص وأخطاء كثيرة في روايات الأحاديث النبوية، والنصوص التاريخية، والأعلام، والرسوم الإملائية والأخطاء النحوية، فأصلحنا ما أمكن من ذلك بالرجوع إلى مصادره . . .

وما قاله الأستاذ عبد الوهاب يُقال عن طبعته، فالكثير من التصحيف والتحريف قد لحقها، كونه اعتمد على المطبوع فقط، دون الرجوع إلى نسخة خطية.

وبعد، فهذا عبد الله بن أسعد اليافعي شيخ التزم الطريق، وعاش حالة انسجام شامل مع فكره وعقيدته وتصوُّره، والقارىء لسيرته يجده أحد أفراد حكاياته محبًا لله، مؤمناً بالكرامات، آخذاً بالأحلام، حاكماً على نفسه فيما بعد الموت من منزلة وحال، مُحبًا لعبيد الله الفقراء، داعياً إلى الله أحياناً، منفرداً معتزلاً غريباً آناً، ملتمساً العذر لمشايخه، متأوِّلاً لما قالوه من أقوال، شارحاً ما فعلوه، مُبَيِّناً حالة الصحو من حالة السُّكر، إنه ذاك الغريب بجبل لُكام، الحالم بصعود جبل قاف، فمن ارتضاه قبله على حاله دون تقويم أو احتجاج.

* * *

عملي في تحقيق الكتاب:

لما كان الكتاب من أهم كتب اليافعي رأيت أن أضع بين أيدي القراء المهتمين بكتب الصوفية هذا الكتاب مُحقَّقاً تحقيقاً علميًا، ومُهذَّباً من الشوائب والأخطاء، فكان أن:

١ـ قابلت نسخته المطبوعة في مكتبة القاهرة سنة ١٣٧٨هـ على النسخ الخطية الثلاث التي اعتمدتها.

٢ـ لم أُشِر إلى الاختلاف الطفيف بين النسخ، أما إذا كان الفارق كبيراً ومُغيِّراً للمعنى فقط أثبت ما رأيته صحيحاً ومناسباً، وأشرت إلى الرواية المخالفة في الحاشية.

٣ـ ضبطت من الكلام ما يحتاج إلى ضبط.

٤ـ حصرت الآيات التي وردت في الكتاب بأقواس مُزهَّرة ﴿...﴾، وأحاديث الرسول ﷺ بأقواس التنصيص «...».

٥ـ خرجت الأحاديث التي أشار إليها المؤلف رحمه الله.

٦ـ وضعت دائرة سوداء (*) في بداية كل خبر وحكاية.

٧ـ شرحت من الألفاظ ما يحتاج إلى شرح، وعرَّفت ببعض الأعلام التي وردت في بعض القصص، وكذلك نسبت بعض الأبيات الشعرية المشهورة لأصحابها، ولم أتقصَّ في ذلك لكثرتها، وجهالة معظم أصحابها مما هو معروف في قصص الصوفيَّة وأخبارهم.

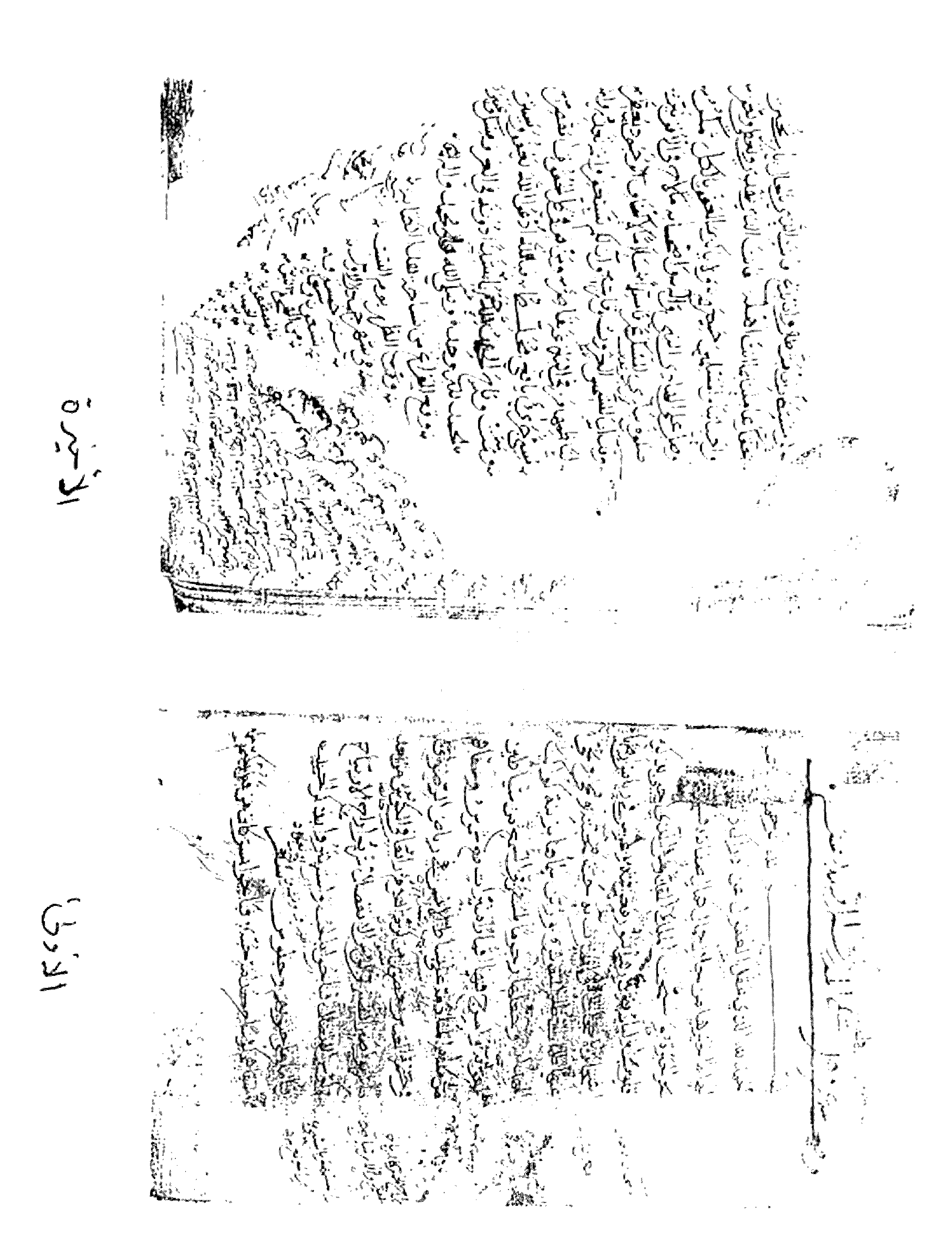
٩ـ صنعت فهرساً مفصَّلاً للآيات والأحاديث والأعلام والأشعار والأماكن والأقوام.

أسأل الله العظيم أن ينفع بهذا الكتاب كلَّ قارىءٍ، وأن يغفر لمؤلِّفه وناشره ومن عمل فيه، ويجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

محمد أديب الجادر



صورتا نسخة (أ)

صورتا نسخة (ب)

صورتا نسخة (ج)

الإرشاد والتطريز

في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز

وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين

تأليف

عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي

المتوفى ٧٦٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عقلَ العقولَ عن إدراك ذاته، وأبدى لها ما حيَّرها من جلال جمال كمال جمال صفاته، فَسَبَحَتْ في بحرِ الحِيرة، وسبَّحت الملكَ القدّوس الذي أحيا بذكره قلوبَ أوليائه، ونوّرها بنور معرفته، وغرسَ في رياضِ أَرضِها أشجارَ الأشجان، فأثمرتْ به حَبَّ محبَّته، ومحا ونحَّى عنها ظلماتِ ظلم النفوس، وزيّن سماءَها بزينةِ كواكب الهداية، وجعلها رجوماً لمُسْترقي السَّمع من شياطين الغَواية، وأسرجَ فيها أقماراً مُنيراتٍ مع شموس، وسقاهم من مُدام المُنادمة على بساط الأنس في رياضِ الرِّضوان في حضرة القدس، معصوراً من كرم الكرَم رائقاً في الكؤوس، من بعد ما شربوا صَبِر الصَّبْر في كؤوس الانفصال، شربوا راحَ الارتياح في كؤوس الاتصال، فباحوا بالحبِّ، واستهتروا بذكر الحبيب قياماً وعلى جنوبهم وجلوس:

سقاهمْ كؤوساً من مُدامةِ حُبِّه | فباحوا بسرٍّ كان مِنْ قبلُ يُكتمُ
بذكرِ اسمِهِ فاهوا وعن ذكرِ غيرِهِ | من الخلقِ أفواه المُحبِّينَ تختمُ

فإذا دُعوا في المحشر إلى العَرض الأكبر في عَرَصاتِ القيامة، وَرَدوا خفافاً، وقد وَضَع الذِّكرُ أوزارَهم، وسَبَقوا إلى دار الكرامةِ، فتنعَّموا فيها، وكلٌّ مُثقلٌ في الحسابِ بين الأهوالِ محبوس. يقومون من قبورهم، ونُجُبُ النُّور مُسرَجةٌ لهم، فيركبون إلى الجنان، والمجرمونَ في السَّلاسل والأغلال على وجوههم يُسحبون إلى النِّيران، أعاذنا الله من ذلك. قال الله العظيمُ الملكُ القدوس ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥-٨٦]. جعلنا الله بمنِّه من الوافدين عليه إلى الفردوس.

أحمدُه على جميلِ صفاتهِ المُستحقَّة لأجَلِّ المحامد وأكبرها، وأشكرُهُ على جزيلِ صِلاته التي لا تُحصى، ولا يُقام بشُكرِ أصغرها، من نفعٍ بخير ودفعٍ لشرٍّ وبؤس، وأشهدُ أن لا إله إلاّ اللهُ المتوحِّدُ بصفاتِ الجلال والكمال، المتقدِّسُ عن سماتِ الحدثِ والنَّقص والتغيّر والزَّوال، المُتعالي عن مَقالةِ المُلحدين والجاحدين؛ من المجسِّمة، والمعطِّلة،

واليهود، والنَّصارى، والمجوس، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه المُجتبى، سيِّدُ الأنام، ورسولهُ المصطفى خاتمُ الرُّسل الكرام، بدرُ الدَّياجي، منوِّرُ كلِّ حِندوس[1]، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الكرام أُولي النَّدى، وعلى أصحابه النُّجباء نُجومِ الهدى، وأزواجِهِ المطهَّرات من الأرجاسِ والأدناس، وذرِّيتهِ السَّادات الرُّؤوس.

أما بعد: فإنَّ المُتَّقين الموفَّقين الأكياس، علموا أَنَّ أنفاسَهم أَنْفَسُ من الجواهر النَّفاس، فلم يضيِّعوها في البطالة، ولم يبيعوها بالفلوس:

أَرى كلَّ من أَلهاكَ عن كسبِ طاعةٍ ... عَدواً وإنْ كان الصَّديقَ المُصافيا
لَمـا أَنَّ أَنفـاسَ الحيـاةِ جَـواهـرٌ ... نِفاسٌ وقد أضحى لها عنكَ نافيا
بهـا غُـرفٌ فـي جنَّـةٍ هـانَ فـوتُهـا ... عليك وفيها العَيشُ يُهنيك صافيا
ولو جيفةُ الدُّنيا تَفوتُ لسارَعَتْ ... يداك إلى تُربٍ على الرَّأسِ سافيا
ستـدري علـى أيِّ تُقـاسـي تحسُّراً ... ويَبدو غداً ما كانَ في اليوم خافيا

باعَ أولو الرُّشدِ أنفاسَهم النَّفيسة بالباقي الخطير النَّفيس، ولم يبيعوها بالفاني الحقيرِ الخسيس، خلافاً لنا أيُّها الحمقاءَ السُّفهاء النُّحوس:

بدُنيا نبيعُ الدِّينَ فالدِّينُ ذاهبٌ ... كمـا بِيـعَ منزوعٌ ودنيـا ستُنـزعُ
كما قالَ رأسُ الزَّاهدين ابنُ أدهمٍ[2] ... علـيُّ المقـامِ العـارفُ المتـورِّعُ
(نـرقِّـعُ دُنيـانـا بتمـزيـقِ ديننـا ... فـلا دِينُنـا يبقـى ولا مـا نـرقِّـعُ)[3]

عميَت قلوبُنا من صدأ الآثام، فضلَّتْ عن طريقِ الهدى، وتاهت وقَسَتْ من أكلِ الحرام، وفضولِ الكلام، ومرضتْ من مُجالسة موتى القلوب، وماتتْ ودُفنت في قبور الغفلةِ، فلا يُكشف عنها غِطاؤها إلاَّ في يومٍ عبوس. هذا، وإنَّ ذكرَ الله حياةُ القلوب ودواؤها وجلاؤها[4] من صدئها، وغذاؤها وحاميها من شرِّ العدوِّ وحصنُها به محروس،

---

(١) كذا في الأصل مراعاة للسجع، والحِندِس: الليل المظلم.

(٢) هو إبراهيم بن أدهم البلخي زاهد مشهور، أخذ عن كثير من العلماء، وكان يعيش من العمل بالحصاد، وحفظ البساتين، والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، وكان يصوم في السفر والإقامة، وينطق بالعربية الفصحى ولا يلحن. مات سنة ١٦١ هـ.

(٣) البيت في ديوان عبد الله بن المبارك صفحة ٨٦.

(٤) في المطبوع: هذا أوان ذكر الله حياة القلوب ودوائها وجلائها.

اشتغلَ بهِ المُريدون الأتقياء، فهو لهم حرفةٌ، وشُغفَ به المُرادون الأولياء فهو لهم تحفةٌ، يتلذَّذون به وتُجلى لهم من معانيه الملاحِ ربّ عروس، وتُدار عليهم كؤوسُ الهوى فيشربونها ويَسكرون، وتُخلعُ عليهم خلعُ الرِّضا فيلبسونها ويشكرون، ويناديهم المولى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]، ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فهاموا في ذكره وشكره، وغابوا عن كلِّ محسوسٍ:

قفي حدِّثينا من حديثِ الأحبَّةِ ... وقد سَكروا من كأسِ راحِ المحبَّةِ
وأقمارُ حُسنٍ قد تجلَّتْ ليجتلوا ... عرائسَ أنوارٍ عن الوصفِ جلّتِ
ولا تَخلطي في راحِ مرتاحةِ الهوى ... ومشغولةٍ بالحبِّ خلّ خليّةِ
نفوسٌ خلتْ عن وصفهم وتشبَّهت ... بهم وتسمَّتْ بالأسامي السنيَّة
تسمّى فلانَ الدِّين من هو عكسُ ما ... تسمّى به حاوي الصِّفاتِ الدنيّةِ
فنورٌ ظلامٌ والكمالُ نقيصةٌ ... ومُحيي مُميتٌ ثمَّ عكسُ البقيَّةِ
سوى السيِّدِ الحِبرِ النَّواوي[1] وشبهِهِ ... إمامِ الهُدى محيي لدينٍ وسنَّةِ
وناسٌ لهم أسماءٌ في الشَّرعِ تُرتضى ... ولكنْ صفاتُ القومِ غيرُ رضيَّةِ
كمثليَ عبدِ الله من لم تحلّه ... عبوديةٌ في سادةِ الخلقِ حلّتِ
ولكنَّه عبدُ الهوى قد تملّكتْ ... له النَّفسُ في قولٍ وفعلٍ ونيَّةِ
وعبدُ الهوى يَمتازُ من عبدِ ربِّه ... لدى شهوةٍ أو عند صَدْمِ بليَّةِ
بِكِيرِ البَلا يبدو من التِّبرِ حُسنُهُ ... ويبدو نحاسُ النَّحسِ في كلِّ محنةِ
خَلاَ من حُلا قومٍ كرامٍ تدرَّعوا ... دُروعَ الرِّضا والصَّبرِ في كلِّ شدَّةِ
ولاقوا طعانَ النَّفسِ في معركِ الهوى ... وراحوا وقد أَرووا مواضي الأسنَّةِ
وساقوا جيادَ الجدِّ عند استباقهم ... وأَرْخَوا لها نحو العُلا للأعنَّةِ
سَموا فاجتلوا بيضَ المعالي غوالياً ... ببيضِ العوالي في القصورِ العليَّةِ
مقاماتُ قومٍ أتعبوا النَّفسَ في السُّرى ... فأضحوا ملوكَ الدَّهرِ فوقَ الأسرَّةِ

---

(١) هو الإمام محيي الدين النووي - ويُقال النواوي - يحيى بن شرف الحوراني الشافعي (٦٣١-٦٧٦ هـ) علاّمة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوى (جنوب دمشق) وإليها نسبته. تعلم في دمشق وأقام بها زمناً طويلاً. له العديد من المؤلفات.

بِـذُلٍّ أُنيلـوا العـزَّ والجهـدِ راحـةً ... وفقـرٍ غنـىً والحـزنِ كـلَّ مَسـرَّةِ
وطيبِ عيشٍ بالطَّوى ثم بالظَّما ... شـرابَ كـؤوسٍ حَـاليـاتٍ هنيَّـةِ
بجنّاتِ وصلٍ في رياضٍ معارفٍ ... لهـم ذُلِّلـت منهـا قطـوفٌ تـدلَّـتِ
جَنـوْا مـن جناهـا زاكيـاً لا يَـذوقُـهُ ... مـن الخلـقِ إلاّ كـلُّ نفـسٍ زكيَّـةِ
تسلَّتْ عن الدُّنيا وماتتْ عن الهوى ... وغسّلَهـا فـي مـوتهـا مـاءُ دَمعـةِ
وصلَّـتْ عليهـا صـالحـاتُ فعـالِهـا ... وقد كُفِّنتْ في بيضِ أثوابِ توبةِ
وشيلتْ على نعشِ انتعاشٍ إلى الفنا ... بقبرِ خمولٍ شُقَّ في أرضِ غُربة
وقوّمها في البعثِ باعثُ عقلها ... وحـاسبَهـا فـي كـلِّ مثقـالِ ذرَّةِ
وألـزمَهـا تمشـي صـراطَ استقـامـةٍ ... دقيقاً كحدِّ السَّيفِ إنْ عنه زلَّـتِ
هوتْ جوفَ نارِ الهجرِ والبُعد والقلا ... وإن ثبتـتْ سـارتْ لجنَّـاتِ وصلـةِ
ونـالـتْ مُنـاهـا والسَّعـاداتِ كلَّهـا ... فيـا سعـدَ نفـسٍ أَدركـتْ مـا تمنَّـتِ
إلهي تفضَّلْ بالعطا واكشفِ الغطا ... وكـلَّ الخطـا فـاغفـرْهُ وامنـنْ بجنَّـةِ
وصـلِّ علـى خيـرِ الأنـامِ وآلـهِ ... وأصحـابِـهِ والحمـدُ لله تمَّـتِ

وبعد فهذا كتابٌ مُشتملٌ على عشرةِ أبوابٍ:

الباب الأول: في وِردٍ من الأذكارِ للمتنسِّكِ المتقرِّب بعد صلاةِ الصُّبحِ، والعصر، والمغربِ.

الباب الثاني: في شيءٍ من الوعظ، ومدح الصالحين، ورياضاتهم، وأقوالهم، ومعاملاتهم، وفضائلهم، وكراماتهم.

الباب الثالث: في فضل الذَّاكرين والذِّكرِ مُطلقاً، والحثِّ عليه.

الباب الرابع: في فضلِ تلاوةِ القرآن الكريم وأهلهِ العاملين به.

الباب الخامس: في فضل التَّسبيح ونحوه من الأذكار.

الباب السادس: في فضل الحمدِ والشُّكر لله تعالىٰ.

الباب السابع: في فضل الصلاةِ على النبيِّ ﷺ، ومدحه.

الباب الثامن: في فضل الدُّعاء.

وأمّا ما فيه من الأشعار، فمنها ما هو لي، ومنها ما هو مستعارٌ، وجُملتُها عندما جمّلتُها وأحصيتُ تنيفُ على ألفِ بيتٍ، فالمستعارُ منها نحو ثلاث مئة وثلاثةٍ وثلاثين، وهو قريبٌ من الثُّلثِ، والباقي لي وهو فوق الثُّلُثين، وقد أشرتُ إلى ذلك ببعض الإشارات، أعني ما هو لي أسكتُ[1] عنه، أو أَعزيه إليّ، وما هو لغيري أقول في أوله: وأَنشدَ بعضُهم، أو نحو ذلك من العبارات.

وجملةُ من ذكرتُ فيه من شيوخِ الصُّوفيّة الأجلاّء وأكابر السّادات الأولياء فوق المئة، باسم كلِّ واحدٍ منهم أو بالكنية، أعادَ اللهُ علينا وعلى والدينا من بركاتهم في الدُّنيا[2] والآخرة، وعلى جميع المسلمين. آمين.

وذكرتُ فيه جماعةً من كبارِ الأئمّة العلماء والسادة، وبيَّنتُ مَنِ الاشتغالُ بالعلمِ أفضلُ في حقِّه من سائرِ الناس، ومَنِ الأفضلُ في حقِّه العبادة.

ونبَّهتُ قبل آخرِ الباب الثاني من هذا المؤلف على ما يجبُ تعلّمهُ على كلِّ مُكلَّفٍ.

وأسألُ اللهَ العظيم أن يجعلَ ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوجدَ به النَّفعَ العميم، إنه قريبٌ مُجيب، وما توفيقي إلاّ باللهِ، عليه توكَّلتُ، وإليه أُنيب.

* * *

---

(١) في المطبوع: أمسكتُ.

(٢) كلمة: وعلى الدنيا من المطبوع.

الباب التاسع: في فضل الاستغفار.

الباب العاشر: في أحاديثَ في التَّرغيب والترهيب، وحقارةِ الدُّنيا، وفضلِ المساكين والفقراء، وغير ذلك من إرشادِ الناسك.

وطرَّزْتُه بالآيات والأخبار، والرِّياضات والأشعار. وسمَّيته: كتاب الإرشاد والتَّطريز، في فضلِ ذكرِ الله وتلاوة كتابه العزيز، وفضلِ الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين.

وضمّنتُهُ مما نظمته سبعَ قصيداتٍ كاملاتٍ من سوى أبعاضٍ كثيرةٍ من قصائدَ كبيراتٍ وصغيرات، ثلاثٌ منهنَّ في مدح المصطفى ﷺ، وثنتان في مدحِ الأولياء، وواحدةٌ في مدح الحور، ووعظ النِّساء، وختمته بالقصيدة السَّابعة التي سمّيتها. شمس الإيمان في توحيد الرحمن، وعقيدة أهلِ الحقِّ والإتقان والتشويق إلى الجنان والحور الحسان، والتخويف من النيران ووعظ الإخوان.

وأسألُ الله الكريم المنّان، أن ينفعَ بذلك، ويعاملَنَا بالفضل والغفران، ويُتِمَّ علينا نعمَهُ باطنةً وظاهرةً في الدين والدنيا والآخرة، وأحبابَنا والمسلمين أجمعين، ويرزقنا التَّوفيقَ والهداية، والحفظ والرِّعايةَ، واللُّطفَ الجميل الشامل والعفو والعافية في العاجل والآجل. آمين.

وجملةُ الأحاديث في هذا الكتاب قريبٌ من المئتين، وجميعُ ما رويناه في كتبِ الحديث المذكورة فيه ما أخبرَنا به بقراءتي عليه شيخُنا وسيِّدُنا الإمامُ المحدّثُ المُتقنُ الضابطُ الرِّواية، صابحُ الأسانيد[1] المتّصلة العالية، بقيّةُ المحدّثين الصالحين رضيُّ الدين إبراهيمُ بنُ محمد الطبري[2] رضي الله عنه، إمامُ مقام إبراهيم الخليل صلى الله وسلم على نبيِّنا وعليه وعلى جميع النبيّين والمُرسلين، وآلِ كلٍّ والملائكةِ المقرّبين، وسائر الصالحين.

وأمّا ما فيه من سوى الأحاديث النبوية فمنه ما أخبرنا به الشيخُ المذكور، ومنه ما أخبرنا به غيرُه، وجميعُ ذلك إلاّ اليسيرَ منه عند أهل العلم مشهورٌ.

---

(١) في المطبوع: الإنسانية.

(٢) أحد مشايخ مكة، فقيه محدث، سمع منه اليافعي الكتب الستة خلا سنن ابن ماجه.

الباب الأول

في وردٍ من الأذكار للمتنسّكِ المتقرّب بعد صلاة الصبح والعصر والمغرب

مشتملاً على نبذةٍ من الأذكارِ، عظيمةِ الفضلِ، جليلةِ المقدارِ، منها ما رويناه في صحيحي «البخاري» و«مسلم» و«سنن أبي داود» و«الترمذي» و«النَّسائي» التي هي أُصولُ الإسلام، وأمهاتُ الأخبار، ومنها ما أَخرجه بعضُ الأئمّةِ الأَعلام الأحبار، ومنها ما هو من أَورادِ الأولياءِ والسّاداتِ الأخيار، ينبغي لمُريد الخير[1] أن يحفظَها ويحافظَ عليها، ويجعلَها وِرداً بعد صلاةِ الصبحِ؛ فهو أفضلُ أوقاتِ النهار، وكذا بعدَ المغربِ، وبعد العصرِ على ما سنذكره بعدُ إن شاءَ الله تعالىٰ، خصوصاً قريب الاصفرار.

وها أنا أَسردُها مَحذوفةَ الأَسانيدِ والفضائل[2] على سبيلِ الاختصارِ، ثم أذكرُ بعدُ إن شاء الله تعالىٰ شيئاً من الآياتِ الكريماتِ، والأحاديثِ النبويّات[3] في فضائلِ الذِّكرِ والذّاكرين على سبيلِ التبرُّكِ والتّذكار، فأقول وبالله التوفيق:

* إذا سلّمت من صلاةِ الصُّبح أيُّها الرّاغبُ في الخيرات، والحريصُ على كسبِ الحسنات وغفرانِ السيئات، فقل: أستغفرُ الله ثلاث مرات، ثم قل: اللّهمَّ، أنتَ السّلامُ، ومنكَ السّلامُ، تباركتَ ذا الجلالِ والإكرامِ، لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له الملكُ، ولهُ الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

---

(١) في المطبوع: الخيرات.

(٢) فضائل جمع فَضْل: الزيادة.

(٣) في المطبوع: الأحاديث النوويات.

اللَّهُمَّ، لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعطي لما منعتَ، ولا يَنفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجدُّ[1].

اللَّهُمَّ، صلِّ على محمدٍ، وعلى آل محمدٍ، كما صلّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارِكْ على مُحمَّدٍ، وعلى آل محمدٍ، كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيم إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ[2].

اللَّهُمَّ، أعنِّي على ذِكرِكَ وشكرِكَ وحُسنِ عبادتك.

ثم قل: اللَّهُمَّ، أجرني من النار، سبعَ مرات.

وقل: اللَّهُمَّ، إنِّي أصبحتُ منكَ في نعمةٍ وعافيةٍ وسترٍ، فأتمَّ نعمتكَ عليَّ وعافيتكَ وستْرَكَ في الدُّنيا والآخرة، ثلاث مرات.

ثمَّ قل عشر مرات وأنت ثانٍ رجليك: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يُحيي ويُميت، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

ثم اقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] والمعوِّذتين ثلاثاً، ثلاثاً.

* وقل: اللَّهُمَّ، إني أعوذُ بكَ من الهمِّ والحَزَن، وأعوذ بك من العجزِ والكسل، وأعوذ بك من الجُبنِ والبُخل، وأعوذ بك من غلبةِ الدَّينِ وقهرِ الرجال.

ثم قل: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر أربعاً وثلاثين.

* وقل مرَّةً: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

* وقل: أعوذُ بالله السَّميعِ العليمِ من الشَّيطان الرجيم، ثلاثاً.

وأعوذُ بكلماتِ الله التامَّاتِ كلِّها[3]. من شرِّ ما خلق، ثلاثاً.

وبسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء، وهو السَّميعُ العليم، ثلاثاً.

---

(١) في هامش (ب): لا ينفع ذا الغنى منك غناؤه، وإنما ينفعه العمل بطاعتك.

(٢) في المطبوع: في العالمين إنك حميد مجيد.

(٣) كلمة «كلّها» ليست في (ج).

* وقل: بسم الله على نفسي وديني وأهلي ومالي وكلِّ ما أعطاني ربِّي، أستودعُ الله ديني وأمانتي وخواتيمَ عملي، تحصَّنتُ بالحيِّ القيّوم الذي لا يموتُ أبداً، ودفعتُ عني السُّوءَ بلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

* وقل هذه العشر الكلمات: أعددتُ لكلِّ هول ألقاه في الدنيا والآخرة لا إله إلا الله، ولكلِّ همٍّ وغمٍّ ما شاءَ الله، ولكلِّ نعمةٍ الحمدُ لله، ولكلِّ رخاءٍ وشدَّةٍ الشكرُ لله، ولكلِّ أعجوبةٍ سبحان الله، ولكلِّ ذنبٍ أستغفرُ الله، ولكلِّ مُصيبةٍ إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولكلِّ ضيقٍ حسبي الله، ولكلِّ قضاءٍ وقدرٍ توكَّلْتُ على الله، ولكلِّ طاعةٍ ومَعصيةٍ لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله العلي العظيم.

* وقل: حسبي الله الذي لا إله إلا هو، عليه توكَّلتُ وهو ربُّ العرشِ العظيم، سبع مرات.

* وقل: حسبي الله لديني، حسبي الله لدُنياي، حسبي اللهُ لِمَا أهمَّني، حسبي اللهُ لمن بغى عليَّ، حسبي اللهُ لمن كادني، حسبي الله عند الموت، حسبي الله عند القبرِ، حسبي الله عند المسألة[1]، حسبي الله عند الميزان، حسبي الله عند الصراط. هذه عشرُ كلماتٍ، خمسٌ للدنيا، وخمسٌ للآخرة.

* وقل: حسبي الله وكفى، سمعَ لمن دعا، ليس وراءَ اللهِ مُنتهى، ولا دون الله ملجا ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

* اللَّهُمَّ، أنت ربِّي لا إله إلاّ أنت، عليكَ توكَّلتُ، وأنتَ ربُّ العرشِ العظيم، ما شاءَ الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم، أعلمُ أَنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأَنَّ اللهَ قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً.

* اللَّهُمَّ، إنّي أعوذُ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ كلِّ دابَّةٍ أنتَ آخذٌ بناصيتها إنَّ ربِّي على صراطٍ مستقيم.

* اللَّهُمَّ فاطرَ السمواتِ والأرض، عالمَ الغيبِ والشهادة، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه أشهدُ

---

(١) في (آ): المسائل.

أَنْ لا إله إلاّ أنت، أعوذُ بكَ من شرِّ نفسي وشرِّ الشيطانِ وشِرْكه[1]، وأن أقترفَ سوءاً على نفسي أو أجرَّهُ إلى مسلم.

* وقل أربع مرّات: اللَّهُمَّ، إني أصبحتُ أُشهدُكَ، وأُشهدُ حملةَ عرشِكَ وملائكتكَ وجميعَ خلقكَ أنَّكَ أنتَ الله، لا إله إلاّ أنتَ وحدكَ لا شريكَ لك، وأنَّ محمداً عبدُكَ ورسولُك.

* وقل: اللَّهُمَّ، أنت ربِّي لا إله إلاَّ أنتَ، خلقتني وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهدكَ، ووعدِكَ ما استطعت، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ أبوءُ[2] لكَ بنعمتكَ عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفرْ لي؛ فإنَّهُ لا يَغفرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنتَ.

* اللَّهُمَّ، بكَ أصبحنا، وبكَ أمسينا، وبكَ نحيا، وبكَ نموتُ، وإليكَ النُّشورُ، أصبحنا وأصبحَ المُلكُ للهِ عزَّ وجلَّ، والحمدُ لله، والكبرياءُ والعظمةُ لله، والخلقُ والأمرُ، والليلُ والنهار، وما سكنَ فيهما لله تعالىٰ.

* اللَّهُمَّ، إني أسألُكَ خيرَ هذا اليوم، فَتْحَهُ ونَصْرَهُ، ونورَهُ وبركته وهداه، وأعوذُ بك من شرِّ ما فيه، وشرِّ ما بعده.

* اللَّهُمَّ، اجعلْ أولَهُ صلاحاً، وأوسطَه نجاحاً، وآخره فلاحاً، يا أرحمَ الرَّاحمين.

* اللَّهُمَّ، إنِّي أسألُكَ خيرَ الصباحِ وخيرَ المساء، وخيرَ القضاء والقدر، وأعوذُ بكَ من شرِّ الصباحِ وشرِّ المساء، وشرِّ القضاءِ والقدر، وأسألُكَ من كلِّ خيرٍ، وأعوذُ بك من كلِّ شرٍّ.

* اللَّهُمَّ، ما أصبحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقكَ فمنكَ وحدك، لا شريكَ لك، لك الحمدُ ولك الشكر.

* وقل: الحمدُ لله ربِّ العالمين، حمداً يُوافي نِعمَهُ ويُكافئ مَزيدَهُ، ثلاث مرات.

* وقل: الحمدُ لله على جميعِ نِعَمِهِ وأفضالِهِ حمداً يليقُ بكرمِ وجهِهِ وعزِّ جلاله، الحمدُ لله بمحامده كلِّها، ما علمتُ منها وما لم أعلم، على جميع نعمِهِ كلِّها ما علمتُ منها

---

(١) شِركه: بكسر الشين: ما يدعو إليه ويوسوس به من الإشراك بالله تعالىٰ، ومن رواه بفتح الشين والراء عنى: حبائله ومصائده. جامع الأصول ٤/ ٢٤٩ (٢٢٣٣).

(٢) أبوء: أي أعترف وأُقِرُّ، والمعنى: التزام المنّة بحق النعمة، والاعتراف بالتقصير في الشكر.

وما لم أعلم، على عددِ خلقه كلِّهم ما علمتُ منهم وما لم أعلم، سبحانك اللَّهُمَّ ربَّنا وبحمدك[1]، وتبارك اسمُكَ، وتعالىٰ جدُّك، ولا إله غيرُكَ، لا نُحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك.

* أصبحنا على فطرةِ الإسلام، وكلمةِ الإخلاص، وعلى دينِ نبينا محمدٍ ﷺ، وعلى مِلَّةِ أبينا إبراهيم ﷺ حنيفاً، مُسلماً وما كان من المُشركين.

* رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً.

* وقل عشر مرّات: أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله، وحده لا شريكَ له؛ إلهاً واحداً أحداً صمداً، لم يتَّخذْ صاحبةً ولا ولداً، لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كفواً أحد.

* ثم ائتِ بأسماءِ الله الحُسنى بعد هذا على ما سنبيّنها بعد إن شاء الله تعالىٰ[2].

* وقل بعدها: سُبحانَ من له الأسماءُ الحُسنى، والصفاتُ العُلى، سبحانه وتعالىٰ عمّا يقولُ الظالمون والجاحدون علوًّا كبيراً.

* وقل ثلاث مرّات: سبحان الله العظيم وبحمده، وأستغفرُ اللهَ عددَ الشَّفعِ والوتر، وكلماتِ ربِّنا التامّاتِ المُباركات.

* وقل ثلاثاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] صلوات الله وسلامُه وتحيّاتهُ ورحمتهُ وبركاته على سيدنا محمد النبيِّ الأميِّ، وعلى آله وصحبه عدد الشَّفع والوتر، وكلماتِ ربِّنا التامّات المُباركات.

* وقل ثلاثاً: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبر، وأستغفرُ الله العظيم، وتباركَ اللهُ أحسنُ الخالقين، وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم، وصلّى الله على سيدنا محمَّدٍ خاتمِ النبيين، وعلى آله وأصحابهِ أجمعين، عددَ ما خلقَ اللهُ، وعدد ما هو خالقٌ، وزنةَ ما خلق اللهُ، وزنةَ ما هو خالق، وملءَ ما خلقَ الله، وملءَ ما هو خالقٌ، وملء سماواته، وملءَ أرضه،

---

(١) جاء في هامش (ج): قال الخطابي: دخول الواو في قوله: «وبحمدك» أخبرني ابن الخلاد قال: سألت الزجاج عن ذلك، فقال: معناه: سبحانك اللهم وبحمدك سبحتك، وقيل: إن الواو في «وبحمدك» زائدة، فالمعنى: أسبح الله تسبيحاً ملتصقاً بحمده.

(٢) انظر صفحة: (٢٠٧).

وأمثال ذلك، وأضعاف ذلك، وعددَ خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومُنتهى رحمته، ومِدادَ كلماته، ومبلغَ رضاه، حتى يرضى، وإذا رضي، وعددَ ما ذكره به خلقُهُ في جميع ما مضى، وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كلِّ سنةٍ، وشهرٍ، وجمعةٍ، ويومٍ، وليلةٍ، وساعةٍ من الساعات، ونَسَمٍ، ونَفَسٍ، ولمحةٍ، وطرفةٍ من الأبدِ إلى الأبد، أبدِ الدنيا وأبد الآخرة، وأكثر من ذلك، لا ينقطعُ أولهُ، ولا ينفدُ آخره.

تقول هذا كلَّه ثلاثاً، من عند قوله سبحان الله والحمد لله.

* وقل هذه العشرة الأذكار كلَّ واحدٍ مئةً، إنْ أمكنكَ ذلك، وإلاّ فاجعلِ الخمسةَ الأُولى كلَّ واحدٍ مئةً، والثانية كلَّ واحدٍ عشراً.

الذكر الأول: لا إله إلاّ الله، وحده لا شريكَ له، له المُلك، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

الذكر الثاني: سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر.

الذكر الثالث: سبحان الله وبحمده. وقل في أول هذا الثالث ثلاثَ مرّات: سبحان الله العظيم وبحمده، عددَ خلقهِ، ورضا نفسهِ، وزِنةَ عرشه، ومِدادَ كلماته.

الذكر الرابع: أستغفرُ الله، واختمْهُ بقولك: أستغفرُ اللهَ الذي لا إله إلاّ هو الرَّحمن الرحيم، العليُّ العظيم، الحيُّ القيُّوم، غفّارُ الذنوب، وستّارُ العيوب، لي ولوالدي ولجميعِ المسلمينَ والمُسلمات، وأَسألُهُ التوبةَ والمغفرة، إنَّهُ هو الغفورُ الرحيم التَّوابُ الكريم.

الذكر الخامس: اللَّهُمَّ، صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، واختمه بقولك: اللَّهُمَّ، صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وباركْ على محمد وعلى آلِ محمد، كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيم، إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهُمَّ، صلِّ على محمد، وعلى آل محمد أفضلَ وأكملَ وأزكى وأَطيبَ ما صلَّيتَ على أحدٍ من خلقك.

اللَّهُمَّ، صلِّ على سيدنا محمد خاتمِ النبيين، وسيِّدِ العالمين، وعلى آله وأصحابهِ أجمعين، أفضل صلواتكَ عددَ معلوماتك كلَّما ذكره الذاكرون، وكلَّما سها عنه الغافلون.

الذكر السادس: سبحان الله العليِّ الدَّيَّان، سبحان الله شديدِ الأركان، سبحانَ من

يُذهِبُ بالليل ويأتي بالنهار، سبحان من لا يَشغلُه شأنٌ عن شأنٍ، سبحان اللهِ الحنَّانِ المنَّان، سبحان الله المُسبَّحِ في كلِّ مكان.

الذكر السابع: سُبُّوحٌ قدُّوسٌ، ربُّ الملائكةِ[1] والرُّوح.

الذكر الثامن: لا إله إلا الله الواحدُ القهار، ربُّ السمواتِ والأرض وما بينهما، العزيزُ الغفَّار.

الذكر التاسع: اللَّهُمَّ، لا مانعَ لما أعطيتَ ولا مُعطي لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ.

الذكر العاشر: لا إله إلا الله، الملكُ الحقُّ المُبين.

والأَوْلَى أن تؤخِّرَ الصلاةَ على النبيِّ ﷺ بعد هذه الأذكار، وكذا الاستغفارَ، فاجعلْه التاسعَ، والصَّلاةَ العاشر، وإنَّما قدّمناهما مع الثلاثةِ الأُوَلِ للاهتمامِ بهما، ولئلا ينقصَ كلُّ واحدٍ منهما عن مئة.

وكذلك اذكر بهذه الأذكار العشرة كلَّ واحدٍ سبعَ مرّات قبل الطلوع، وكذا قبل الغروب.

الذكر الأول: الفاتحة.

الثاني: آية الكرسي.

الثالث: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون].

الرابع: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

الخامس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق].

السادس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس].

السابع: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الثامن: اللَّهُمَّ، صلِّ على سيِّدنا محمدٍ النبيِّ الأُميِّ، وعلى آله وصحبه وسلِّم.

---

(١) في (ج): ربَّنا وربُّ الملائكة.

التاسع: اللَّهُمَّ، اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين والمؤمنات، والمُسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، إِنَّكَ مُجيبُ الدّعوات.

العاشر: اللَّهُمَّ، افعل بنا وبهم عاجلاً وآجلاً في الدِّين والدُّنيا والآخرة ما أنتَ له أهلٌ، ولا تفعلْ بنا وبهم يا مولانا ما نحن له أهلٌ، إِنَّكَ غفورٌ حليمٌ، جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

* واقرأ قبل الطلوع أيضاً سورة ﴿يس﴾، وتبارك الملك، والفاتحة، و﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

* وقل: اللَّهُمَّ، إِنِّي أُقدِّمُ إِليكَ بين يديْ كلِّ نَفَسٍ ولمحةٍ وطرفَةٍ يَطرِفُ بها أهلُ السموات وأهل الأرض وكلِّ شيءٍ هو في علمك كائنٌ أو قد كان، أُقدِّمُ إِليك بين يدي ذلك كلِّه ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* واقرأ آخر البقرة من قوله تعالىٰ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٤-٢٨٦].

* و﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٨-١٩].

* وقل: وأنا أشهد بما شهدَ اللهُ به لنفسه، وشهدتْ به ملائكتُهُ، وأولو العلم من خلقه، وأستودعُ الله هذه الشهادة، وهي لي وديعةٌ عند الله، اللَّهُمَّ، احفظْها عليَّ حتى ألقاكَ بها، غير مُبدِّلٍ تبديلاً.

* واقرأ: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ

وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

* وأول الأنعام إلى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١-٣].

* و﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤-٥٦].

* وآخر براءة، من: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩].

* وآخر سبحان، من ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١٠-١١١].

* وآخر الكهف، من: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١١٠].

* و﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٩].

* وآخر سورة قد أفلح، من: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٨].

* واقرأ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٩].

* وكذلك: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٩].

* و﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

* وأول سورة غافر الذنب إلى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣].

* وقل: يا غافرَ الذَّنب، اغفر ذنبي، ويا قابل التوب، تبْ عليَّ، واقبل توبتي، ويا شديدَ العقاب، اعفُ عني، ويا ذا الطول، تطوَّل عليَّ بفضلك، ويا من إليه المصير، اجعل مصيري إلى خيرٍ، وجميع المسلمين.

* وآخر الجاثية من: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

* وأول الحديد إلى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد: ١-٦].

* وآخر سورة الحشر من: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ

﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢١-٢٤].

تذكرُ جميعَ ما ذكرناهُ قبلَ الطُّلوع، فإنْ بقي منه شيءٌ فتداركه بعد الطلوع، أو بعد العصر.

وكذا تأتي بهذه الأذكار جميعِها بعد صلاة المغرب.

* وتزيد عليها قراءة سورةِ الدُّخان، والواقعة، أعني مع السور المذكورات في الصبح، فإنْ ضاقَ الوقتُ، فاجعل الأذكارَ التي هي مئةً مئةً عشراً عشراً، والمذكورةَ عشراً عشراً ثلاثاً ثلاثاً، إلاَّ سبحان الله وبحمده، فلا تُنقصْها عن مئة، وتداركْ ما بقي منها في بقيَّة ليلك إلاّ المُسبعات العشرة التي تُذكر قبل الطلوع، وقبل الغروب، فإنها لا تُعادُ بعد المغرب.

* وأضفْ بعدَ العصرِ الأذكارَ العشرة المتقدّمة[1] إلى المُسبعات العشرة إنْ أمكنَكَ أن تجعلَ كلَّ واحدةٍ مئةً، وإلاّ فعشراً عشراً.

* وقل أربعين مرة: يا حيُّ يا قيّوم، لا إله إلاّ أنت، واختمها بقولك: يا حيُّ قبلَ كلِّ حيٍّ، ويا حيُّ بعدَ كلِّ حيٍّ، ويا حيُّ حين لا حيَّ، ويا حيُّ مُحيي الموتى، ويا حيُّ مُميت الأحياء، ويا حيُّ حيٌّ لا يموت، ويا حيُّ لا إله إلاَّ أنتَ، يا حيُّ يا قيُّوم، يا ذا الجلالِ والإكرام، صلِّ على محمدٍ، وعلى آل محمد، وأحيِ قلبي، وأمتْ نفسي، حتى أَحيا بكَ حياةً طيِّبةً في الدُّنيا والآخرة، إنَّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

* وأضفْ إلى المذكورات بعد العصرِ حزبَ سيِّدنا الشيخ أبي الحسن الشاذلي[2]. قدَّسَ الله روحه، وأعادَ من بركته علينا وعلى المسلمين آمين، أعني حزبَ البحر[3]، وهو هذا:

---

(١) تقدمت صفحة ٣٦.

(٢) أبو الحسن الشاذلي علي بن عبد الله بن عبد الجبار (٥٩١-٦٥٦ هـ) رأس الطائفة الشاذلية من المتصوفة، ولد في ريف المغرب، وتفقه وتصوف بشاذلة قرب مدينة تونس، رحل إلى بلاد المشرق فحج ودخل العراق، ثم سكن الإسكندرية، وكان ضريراً.

(٣) حزب البحر: هو دعاء سمي بالبحر لأنه وضع في البحر، وللسلامة فيه حين سافر من بحر القلزم (الأحمر) فتوقف عليهم الريح أياماً، فرأى النبي ﷺ فلقّنه إياه، فقرأه، فجاء الريح، ويسمى بالحزب الأصغر. كشف الظنون ٦٦٦، وإيضاح المكنون ٢/ ٥٢١.

يا عليُّ يا عظيم، يا حليمُ يا عليم، أنتَ ربّي، وعلمُكَ حسبي، فنعم الرَّبُّ ربّي، ونعم الحَسْبُ حسبي، تَنصرُ من تشاء، وأنت العزيزُ الرَّحيم، نسألُكَ العِصمةَ في الحركات والسَّكنات، والكلمات، والإرادات، والخطرات من الشُّكوك والظُّنون، والأوهام السَّاترات للقلوب عن مُطالعة الغيوب، فقد ﴿ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١١-١٢]، فثبّتنا وانصرنا، وسخّرْ لنا هذا البحرَ كما سخّرتَ البحرَ لموسى، وسخّرتَ النّارَ لإبراهيم، وسخّرتَ الجبال والحديدَ لداودَ، وسخّرتَ الرِّيحَ والشياطين والجنَّ لسليمان، وسخّرْ لنا كلَّ بحرٍ هو لك في الأرض والسماء، والملك والملكوت، وبحرِ الدنيا وبحر الآخرة، وسخّر لنا كلَّ شيءٍ يا من بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ، ﴿كهيعص﴾ ﴿كهيعص﴾ ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١]، انصرنا[1]، فإنّكَ خيرُ الناصرين، وافتح لنا، فإنّك خيرُ الفاتحين، واغفرْ لنا، فإنّك خيرُ الغافرين، وارحمنا، فإنّكَ خيرُ الرَّاحمين، وارزقنا، فإنّكَ خيرُ الرَّازقين، واهدنا ونجّنا من القوم الظالمين، وهبْ لنا ريحاً طيّبةً كما هي في علمك، وانشرْها علينا من خزائن رحمتك، واحملْنا بها حملَ الكرامةِ مع السَّلامةِ، والعافية في الدِّين والدنيا والآخرة، إنّكَ على كلِّ شيءٍ قدير، اللَّهُمَّ، يسِّرْ لنا أُمورَنا مع الرَّاحة لقلوبنا وأبداننا، والسَّلامةَ والعافية في ديننا ودُنيانا، وكنْ لنا صاحباً في سفرنا، وخليفةً في أهلنا، واطمسْ على وجوه أعدائنا، وامسخهم على مكانتهم فلا يستطيعون المضيَّ ولا المجيءَ إلينا ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٦٦-٦٧]، ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[2] [يس: ١-٩]، شاهت[3] الوجوه، شاهت الوجوه، شاهت الوجوه ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١]، ﴿طس﴾ ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١-٢] ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ

---

(١) في المطبوع: وانصرنا.

(٢) قوله تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً.. لا يبصرون﴾ من (ج) فقط.

(٣) في هامش (ج) شاهت: قبحت.

﴿بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩ـ٢٠]، حم حم حم حم حم حم حم، حُمَّ الأمرُ وجاءَ النصر، فعلينا لا ينصرون، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١ـ٣]، ﴿بسم الله﴾ بابُنا، ﴿تبارك﴾ حيطانُنا، ﴿يس﴾ سقفُنا، ﴿حم عسق﴾ حمايتُنا، ﴿كهيعص﴾ كفايتُنا ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] سترُ العرش مسبولٌ علينا، وعينُ الله ناظرةٌ إلينا، بحولِ الله لا يقدرُ أحدٌ علينا ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢٠ـ٢٢]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] ثلاث مرات.

﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] [هود: ٥٦].

بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. ثلاث مرات.

* وهذه أدعيةٌ من بعض أحزابه رضي الله عنه:

يا الله، يا نور، يا حقُّ، يا مبين[2]، افتحْ قلبي بنورك، وعلّمني من علمك، وفهّمني عنك، وأسمعني منك، وبصّرني بك، وأقمني بشهودِك، وعرّفني الطريقَ إليك، وهوّنها عليَّ بفضلِك، وألبسني التّقوى منك وبك؛ إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

* دعاءٌ آخرُ له رضي الله عنه:

اللَّهُمَّ، يا جامعَ الناسِ ليومٍ لا ريب فيه، اجمعْ بيني وبين طاعتك على بساطِ مُشاهدتك، وفرّق بيني وبين همِّ الدنيا وهمِّ الآخرة، وتُب عني في أمرهما، واجعلْ همّي أنت، واملأْ قلبي بمحبّتك، وبهّجْهُ بأنوارك، وخشّعْ نفسي بسلطان عظمتك، ولا تكلني إلى نفسي طرفةَ عينٍ ولا أقلَّ من ذلكَ، إنَّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

---

(١) هذه الآية من (ج) فقط.

(٢) في (أ) والمطبوع: يا متين.

* دعاءٌ آخرُ له رضي الله عنه وعن أئمة الصوفية أجمعين:

اللَّهُمَّ، إنَّا نسألُكَ صحبةَ الخوفِ، وغلبةَ الشَّوق، وثباتَ العلم، ودوامَ الذِّكر، ونسألُكَ سرَّ الأسرار المانع من الإصرار، حتى لا يكونَ لنا مع الذَّنبِ والعيب قرارٌ، واجتلبنا[1] واهدنا إلى العملِ بهذه الكلمات التي بسطْتَها لنا على لسانِ رسولِك، وابتليت بهنَّ إبراهيم خليلك ﴿فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فاجعلنا من المُحسنين من ذُرِّيته، ومن ذرِّية آدمَ ونوح، واسلكْ بنا سبيلَ الأئمَّةِ المُتَّقين: بسم الله، وبالله، ومن الله، وإلى الله، وعلى الله فليتوكَّلِ المؤمنون، آمنتُ بالله، رضيتُ بالله، حسبي الله[2]، توكَّلتُ على الله، لا حولَ ولا قُوَّة إلاَّ بالله.

* هذا دعاءٌ آخرُ يُدعى به بعد سُنَّةِ العصر:

إلهي، تمَّ نورُكَ فهديْتَ فلكَ الحمد، وعظُم حِلمُكَ فعفوتَ فلك الحمد، وبسطتَ رزقَكَ فأعطيتَ فلك الحمدُ، ربَّنا وجهُكَ أكرمُ الوجوه، وجاهُكَ أعظمُ الجاه، وعطيَّتُك أفضلُ العطايا وأهناها، تُطاع ربَّنا فتشكر، وتُعصى ربَّنا فتغفر، تُجيبُ المُضطرَّ، وتكشفُ الضرَّ، وتشفي السقيم، وتُنجي من الكرب، ولا يجزي بآلائك أحدٌ، ولا يبلغُ مدحَكَ قولُ قائل، تباركتَ وتعاليتَ يا ذا الجلال والإكرام.

* دعاء آخر يُدعى به بعد صلاةِ الجمعة، وليلةِ النِّصف من شعبان:

اللَّهُمَّ، يا ذا المنِّ ولا يُمنُّ عليك، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطَّول[3] لا إله إلاَّ أنت، ظَهْرَ اللاجئين، وجارَ المُستجيرين، ومأمنَ الخائفين، إن كنتُ شقيّاً أو محروماً أو مُقتَّراً عليَّ في الرِّزق فامحُ شقاوتي وحرماني وإقتارَ رزقي، وأثبتني عندكَ سعيداً مَرزوقاً موفَّقاً للخيرات، فإنَّكَ قلتَ في كتابكَ المنزَّلِ على نبيِّكَ المُرسل: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

* وسنذكر بعضَ أدعيةٍ في الأحاديث بعدُ إن شاء الله تعالى[4].

---

(١) في (أ) و(ج): واجتنبنا، وفي (ب): واحبسنا.

(٢) في (ج): حسبي الله ونعم الوكيل.

(٣) في هامش (ج): الطَّول بفتح الطاء له معانٍ؛ الوسع والزيادة والغنى والكرم ونحوها.

(٤) انظر: ١٦٩.

وقد قدَّمنا شيئاً منها في أثناءِ وِرد الصُّبح[1]، فاحرصْ وفَّقكَ الله وإيَّانا لذكرهِ، وشكرهِ، ولزومِ بابه، وأعاذنا جميعاً من الخذلان والحرمان، والبعد عن جنابه، على جميع ما ذكرنا في هذا الوِرد المذكور، فإنْ عَجَزتَ عن الإتيان بالجميعِ فأْتِ بالأهمِّ فالأهمِّ بحسب المَقدور، واجمعْ بين ذِكرِ اللِّسان والقلبِ، واستحضرْ تعظيمَ الذِّكرِ والمَذكور.

وإيَّاكَ أن تتهاونَ بشيءٍ من الطاعاتِ والأذكار، ففي الحديث الحسنِ عن الصَّادقِ المُختار ﷺ: «من قالَ سُبحانَ الله العظيم وبحمدهِ، غُرِستْ له نَخلةٌ في الجنة»[2].

ولعمري، إنَّ الدُّنيا جميعَها لا تُساوي عُشرَ مِعشار عُشَيْر تلك النَّخلة المُكتسبة بتسبيحةٍ واحدةٍ، إذ في الحديثِ الصَّحيح: «إنَّ موضعَ سوطٍ في الجنة خيرٌ من الدُّنيا وما فيها»[3].

ولعلك لا تقدرُ في زمنٍ طويلٍ على كسبِ نخلةٍ من نخلِ الدُّنيا الفانية الحقيرة المَبغوضة، التي لا تَزنُ عند الله جناحَ بعوضةٍ.

وإياكَ أن تتهاون أيضاً بشيءٍ من المعاصي، حتى في كلامك حينَ تتكلَّم، ففي الحديث الصَّحيح: «إنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»[4].

وكنْ في حالِ ذِكركَ متطهِّراً نظيفَ الفمِ، مُستقبلَ القبلة، مُتخشِّعاً، متذلِّلاً مُطرقَ الرأس، ذا حضورٍ ومُراقبةٍ، وفي موضعٍ خالٍ نظيف مُظلم.

* * *

---

(١) تقدم صفحة ٣١.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٦٠) في الدعوات، باب (٦١) وابن حبان في صحيحه (٢٣٣٥). قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٢٤٣: رواه البزار بإسناد جيد.

(٣) رواه الترمذي (٤٠١٧) في التفسير، باب ومن سورة آل عمران، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه البخاري ١١/ ٢٦٦ في الرقاق، باب حفظ اللسان، ومسلم (٢٩٨٨) في الزهد، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، والموطأ ٢/ ٩٨٥ في الكلام، باب ما يكره من الكلام، والترمذي (٢٣١٥) في الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس. عن أبي هريرة.

الباب الثاني

في شيء من الوعظِ ومدح الصالحين ورياضاتهم وأقوالهم ومعاملاتهم وفضائلهم وكراماتهم

وأقدّمُ على ذلك التعريفَ بحالي في الوعظ وذِكر الصالحين، وطريقهم، أمّا الوعظُ فحالي فيه كما قال القائل[1]:

وغيـرُ تَقـيٍّ يـأمـرُ النَّـاسَ بـالتُّقـىٰ ... طَبيـبٌ يُـداوي النَّـاسَ وهـو عَليـلُ

* وكما قال الآخر[2]:

وكـمْ مـن عِبْـرةٍ أَصْبحـتَ فيهـا ... يَليـنُ لهـا الحـديـدُ وأنـتَ قـاسـي

إلـى كـمْ والمعـادُ لنـا قَـريـبٌ ... تُـذكَّـرُ بـالمعـادِ وأنـتَ نـاسـي

* وكما قال القائل:

يقـولـون مـا لا يَفعلـونَ وإنَّنـي ... مـن القـومِ قـوّالٌ لمـا لسـتُ أَفعـلُ

* وكما قلتُ في ذمِّ نفسي في بعض القصائد:

بعلـمٍ لا بـأعمـالٍ وقـولٍ ... بـلا فعـلٍ ونـدبٍ لا انتـدابِ

أمـورٌ غيـرُ فَعَّـالٍ ونـاهٍ ... فعـولٌ للمنـاهـي ذو ارتكـابِ

* ولكنّني مع كوني غيرَ عاملٍ أقولُ كما قالَ القائل[3]:

---

(١) البيت يروى لأبي عثمان الحيري، وقافيته: وهو مريض. انظر طبقات المناوي ١/ ٦٢٥.

(٢) البيتان لأبي العتاهية الديوان صفحة ٢٢٦.

(٣) البيت للخليل بن أحمد. الديوان صفحة ٣٤٦ ضمن ديوان شعراء مقلون، تحقيق حاتم الضامن. عالم الكتب ١٩٨٤. وله بيت ثانٍ:

وانظـر لنفسـك فيمـا أنـت فـاعلـه ... مـن الأمـور وشمّـر فـوق تشميـري

خذْ من علومي ولا تنظرْ إلى عملي[1] يَنفعْكَ علمي ولا يَضْرُرْكَ تقصيري

* وأمّا ذكري للصّالحين وسيرتهم، فلأني أحبُّهم، وذكرُ الحبيب يَحلو ويطيبُ، والقلبُ إليه مائلٌ، كما قال القائل:

إِيهِ أَحاديثَ نُعمانٍ وساكنِهِ إنَّ الحديثَ عن الأحبابِ أسمارُ
أَستنشقُ الرِّيحَ عنكمْ كُلَّما نَفَحَتْ من نحوِ أرضِكمُ نكباءُ مِعطارُ[2]

* وكما قلتُ في بعض القصائد:

قفا حدّثاني فالفؤادُ عَليلُ عسى منه يُشْفَى بالحديثِ غليلُ[3]
أحاديثَ نجدٍ عللاني بذكرِها فقلبي إلى نجدٍ أراهُ يَميلُ
بتذكار سُعدى أَسعداني فليس لي إلى الصَّبرِ عنها والسُّلوِّ سبيلُ
ولا تذكرا لي العامريةَ إنَّها يولِّهُ عقلي ذكرُها ويُزيلُ
ولكن بذكري عرّضا عندها فإن تقلْ: كيفَ هو؟ قولا بذاكَ عليلُ
علاه اصفرارٌ مُدنفٌ وَالهٌ له أنينٌ سَقيمٌ جِسمُهُ ونحيلُ
فإن تعطفي تَشفي وإنْ تتلفي ففي هواكِ المُعنّى المستهامُ قتيلُ
سقى اللهُ يوماً جامعاً شملَنا ولا سَقى يومَ بَيْنٍ جدَّ فيه رَحيلُ

وفي محبتي لهم قلتُ في بعض القصائد:

بنفسي من لدى الهيجا يعاني جهادَ النفسِ مع صدقِ الطِّعانِ
فيعلو الرَّأسُ يا علوي ويروي دماً يا هندُ ماضي الهندوان
بمخضوبِ القنا مِنْ كلِّ أقنى غرامي لا بمخضوبِ البنانِ
دعيني عنك بطَّالاتِ غزلٍ فداعي حبِّ أبطالٍ دعاني
غرامي في حُلاهم وامتداحي عُلاهم فخرُ قلبي مع لساني

فهم الألبّاء المخصوصون بغرائب المعارف، وعجائبِ الأسرارِ، المُودَعون كنوزَ

---

(1) رواية الديوان: اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي.

(2) في هامش (ج): النكباء كل ريح بين ريحين.

(3) الغليل: العَطش.

الحكم ومطالع الأنوار، الأطبّاء المُبرِئون لكلِّ قلبٍ عليل، الشافونَ بالكشفِ لكلِّ جسمٍ عليل، الأحبَّاءُ المُسقونَ راح الوصلِ على بساطِ مُشاهدةِ جمالِ الحبيب النديم، المقرَّبون، الموهوبون فضلَ الله العظيم، وفي ذلك قلتُ هذه القصيدة المُسمّاة: «غوالي المَراهم التي لا تشترى بالدُّرِّ ولا بالدراهم، في وصف طبيبي العوالم، العارف بالله والعالم»:

من العلمِ والتَّقوى غوالي المراهم — فبالدُّرِّ لا تُشرى ولا بالدَّراهمِ
مواهبُ عن تخصيصِ سبقِ عنايةٍ — مَعالمُ أَسرارٍ وسرُّ معالمِ
جواهرُ تُلقيها بساحلِ حكمةٍ — بحارُ علومٍ في قلوبٍ عوائمِ
ببحرٍ من الأسرارِ ليس يَغوصُهُ — سوى عارفٍ بالله بالغَوْصِ عالمِ
فإنْ غاصَ فيه غيرُهُ فهو عاطبٌ — بموجٍ قضاءٍ فيه ذاتُ تَلاطمِ
يَغوصُ فيُبدي منه دُرَّ معارفٍ — يُداوي بها من داءِ طبعٍ مُلازمِ
فترياقُ تقوى مع سُفوفِ رياضةٍ — ومع غارَقون[1] الذِّكرِ مَغلي عَزائمِ
مَراهمُ أسقامِ القلوبِ نَوافعٌ — بها برءُ مَعلولٍ وإيقاظُ نائمِ
وأركانُ بُنيانِ الرِّياضةِ عزلةٌ — وجوعٌ وصمتٌ مع سُهادٍ مُداومِ
فذاك المربّي والطَّبيبُ حقيقةً — على علمِهِ دلَّتْ مِلاحُ علائمِ
وليس طبيبٌ في جميع الورى سوى — طبيب قلوبٍ أو طبيب مَعالمِ
فهذا يُداوي النَّاسَ من داءِ جهلِهِمْ — وذهناً نأى عنه الذكا غيرَ فاهمِ
بفتقٍ لرتقٍ في غوامضَ مُشكلٍ — ورتقٍ لفتقٍ من طِعانِ مُخاصمِ
عن السُّنَّةِ الغرّا يَذبُّ مُجاهداً — بأبيضَ مسلولٍ من العلمِ صارمِ
وهذاك يشفي كلَّ قلبٍ مُعلَّلٍ — بداءِ هَوى طبعِ النُّفوسِ الظَّوالمِ
فَيَشْتمُّ طيباً فاحَ من جانبِ الحِمى — لذلك مَزكومُ الهوى غيرُ شاممِ
ويَنظرُ نُوراً من جمالِ مُحيِّرٍ — ويسمعُ تَكليماً حلا من مُنادمِ
ويَطعمُ من طَعمِ الهوى ما يشوقُهُ — وليس بمشتاقٍ له غيرُ طاعمِ

---

(١) الغارقون: أو الأغارقون: أصل نبات، أو شيء يتكوّن في الأشجار المسوسة، ترياقٌ للسموم، مفتّح مُسْهِلٌ للخلط الكَلِرِ مُفرّح، صالح للنّسا والمفاصل، ومن علق عليه لا يلسعه عقرب. القاموس (غرق).

فمن ذاقَ طعمَ الحُبِّ يشتاقُ للقَا ... ليهنـا بعيـشٍ لـلأحبّـةِ نـاعـمِ
وهذاك عيشٌ قد به خُصَّ غيرُنا ... بحكـمِ حكيـمٍ عـالـمٍ خيـرِ حـاكـمِ
رضينا بحكـمِ الحـقِّ في ذا وإنّما ... يحقُّ لنا سكبُ الدُّموعِ السَّواجمِ
فإن لم[1] نكنْ كالغير أهلاً لقُربهِ ... لقـد فـاتَنَـا كـلُّ المُنـى والمَكـارمِ
فيـا أسفـا يـا حسـرتـا يـا مُصيبتـا ... ويا ضيعةَ الأعمارِ سُوقَ المواسمِ
نمـوتُ ولـم ننظرْ جمـالَ جـلالـهِ ... ولم ندرِ طَعْمَ الحُبِّ مثلَ البهائمِ
فلو شاهدتْ ذاكَ الجمالَ عيونُنا ... سَكِرنا وغبنا عن جميعِ العوالمِ
وملنـا نشـاوى مـن شـرابِ محبَّـةٍ ... ويـاحَ بمكتـومِ الهـوى كـلُّ كـاتـمِ
ونُحّي حجابٌ عن عجائبَ قدرةٍ ... ونـورٍ وأسـرارٍ وطيـبِ تَنـادمِ
فمـا العيشُ إلاّ ذاك لا عيشُ عَزَّةٍ ... وليلـى ولا سَلمـى ولا أمِّ سـالـمِ
وذلـك فضـلُ الله يُـؤتيـه مـن يشـا ... ويُـرجـى لعبـدٍ قـارعِ البـاب لازمِ
فيا ربِّ وفِّقْ واعفُ وافتحْ وعافِنا ... وصلِّ على المُختار من آلِ هاشمِ
وآلٍ وأصحابٍ نجابٍ أُولي النَّدى ... بهم كَمُلتْ هذي غوالي المَراهم
ثـلاثـونَ بيتـاً عـدُّهـا مـع ثـلاثـةٍ ... كعـدَّتهـا تتلـو قصـائـدَ نـاظـمِ
وتمَّـتْ ضحـيَّ والحمـدُ للهِ دائمـاً ... وسبحـانَ منَّـانٍ غفـورٍ وراحـمِ

وذكري لهم ولطريقتهم وأحوالهم محبّةٌ لهم، كما ذكرتُ أولاً مع أن حالي كما قلتُ في بعضِ القصائد:

ألاَ أيُّهـا المَغـرورُ جهـلاً بعُـزلتـي ... عن النَّاسِ تَحسبُ أنَّ ذاكَ صلاحُ
تيقَّـنْ بـأنّـي حـارسٌ شـرَّ كلبـةٍ ... عقـورٍ لهـا فـي المسلميـن نُبـاحُ
ونـادِ بنـادِ القـومِ بـاللّـومِ مُعلنـاً ... علـى يـافعـيٍّ مـا عليـك جُنـاحُ
كذوبٍ نحا في مذهبٍ نحوَ فتيةٍ ... لهـم نجـدةٌ عنهـا النُّفـوسُ جِمـاحُ
على حدِّ سيفِ الصِّدقِ يَسعونَ للعُلا ... لتُجلـى لهـم بيـضٌ هنـاك صِبـاحُ

---

(١) في (أ) و(ب): كما لم نكن، وفي (ج): لِمّا.

وكما قلتُ أيضاً في بعض القصائد بعد ذكري أحوالهم وطيب عيشهم:

وما طيبَ عيشٍ ناعمٍ من رآكَ لم ... يرَ عيشَ غيرِ غيرَ عَيْشٍ مُكتَّلِ[1]

وما ذاقَكَ الحاكي ولا شمَّ أو رأى ... ولكن بأخبارِ الصَّدوقِ المعدَّلِ

طفيليٌّ حالٍ لي زريٌّ فضوله ... حكى فضلَ حالِ الأوليا بالتطفُّلِ

فهذي إلى الأخوانِ منّي رسالةٌ ... مُريدي الصَّفا أهل التُّقى والتبتُّلِ

سلامٌ عليكم من طبيبٍ بوعظهِ ... عليلٍ بداءٍ للأطبَّاءِ مُعضلِ

عديمِ اصطبارٍ لاحتماءٍ ومَرهمٍ ... عديمِ طبيبٍ مُبرئٍ للمعلّلِ

فلليافعيُّ المسكين تَدعون بالشفا ... ونيلِ المنى في عاجلٍ ومؤجَّلِ

خصوصاً بعفوٍ عن مُسيءٍ وآمرٍ ... ببِرٍ وذاكَ البِرُّ عنهُ بمعزلِ

كثيرِ المساوي مُمحلٍ من محاسنٍ ... ويدعون أهلُ الخصبِ ندباً لمُمحلِ

وهذه رسالةٌ مني إلى جملةِ الأولياء خاصَّةً في سائر الأقطار والجهات المملوكِ لمماليك من أنتم لهم سادات، المحبُّ لجمالِ شمائلكم الرَّضيات، المشتملة على روضةِ العلوم اللَّدنيّات، المشتاقِ إلى حضرتكم الشريفة المحفوفة بأنوارِ المعارفِ الرَّبانيّات، المُلتمسِ لأدعيتكم الصالحة وأنفاسكم المباركات، الفقير إلى ندى فضلِكم الفائض ومراهِمكم الشافيات، المعجونات بماءِ النَّفحات الإلهيات، المُلقحات لكلِّ عقيمٍ، المُخرجاتِ لكلِّ أعمى إلى النور من الظُّلمات، المحييات لكلِّ هالكٍ بعد الممات، الفقيرِ الحقيرِ عبدِ اللهِ بنِ أسعد اليافعيُّ اليمنيُّ نزيلِ الحرمين الشريفين، ذي الجرائم والغفلات، والدَّعاوى الكاذبات، يُقبِّلُ ترابَ الأقدام، ويسألُ ذا الجلال والإكرام أن ينفعَ بكم الأنام، ويَشفي ببركاتكم ما بنا من الأسقام، ويخصَّكم ومن حَوَتْ مجالسُكُم العالية بأتمِّ السَّلام، ويشكو إليكم لسانُ حاله ما شرحه يطول، وينشدُ لسانُ طبعه ويقول:

ألا أيُّها السَّاداتُ إنَّ طريقَكم ... على غيرِكم وعرٌ صِعابٌ عِقَابُهُ[2]

طريقٌ كحدِّ السَّيفِ للهِ درُّ من ... يكونُ على حدِّ السُّيوفِ ذَهابُهُ

---

(١) في (ج): الكتال ضيق العيش.

(٢) العِقاب: جمع عقبة، وهي الطريق الصعبة في الجبل. اللسان (عقب).

وإنّـي وإنْ عجـزٌ عَـرَانـي مُحبُّكـم فـأنتـم لقلبـي خُلْـدُهُ ومـآبُـهُ
فهل من فتىً منكم إلى جذبِ عاجزٍ شديدِ القُوى سهل عليه اجتذابُهُ
إلهي، الفقيرُ اليافعي ليس عندَه سـوى حُبِّهـم ذا زادُهُ وركـابُـهُ
إلهـي بـذاك انفعْـهُ واحشـرْهُ معْهـم وعمِّـرْ بنـا قلبـاً[1] تنـاهـى خـرابُـهُ
وصلِّ على من فضلُهم فَيْضُ فضلِهِ خُـلاصَتُهـم مـن لِلُّبـاب لُبـابُـهُ
ومن خيرِ آلٍ في البرايا وصاحبٍ مـن الخَلْـقِ كـلُّ آلـهُ وصحـابُـهُ
محمـدِ المختـارِ مـن آلِ هـاشـمٍ غياثِ الورى الغيثُ الرَّواء سَحَابُهُ

وها نحن نعودُ إلى الموعودِ، ونسألُ المغفرةَ والتوفيق من ذي الكرم والجود، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨] لنا ولوالدينا ومشايخنا وإخواننا وجميع المسلمين، وسلامٌ على المُرسلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين، حَسبُنا الله ونعمَ الوكيل، ولا حول ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيم، أخلصْ أيُّها العاملُ نيَّاتك، واستعِدَّ لمماتك، وتبْ من خطيئاتك، وطهِّرْ قلبكَ الذي هو بيتُ مولاك، من أنجاسِ جيفةِ دُنياك، وأرجاس نفسك وهواك، ووساوس شيطان مارد ساكن هناك.

أبى الله بيتاً فيه باضتْ وفرَّختْ شيـاطيـنُ فـي عُـشٍّ بـه وكنـائـفِ
خزانة مسكِ السِّرِّ قد جاف وامتلا بـوسـواس ثـاوٍ مـاردٍ فيـه عـاكـفِ
سـوى طـاهـرٍ كفـوٍ لعلـمٍ وحكمـةٍ ووارد تكليـمٍ ووحـي الهـواتـفِ
ونـورٍ تجلّـى مـن شمـوسِ معـارفٍ بـدا أولاً مثـلَ البـروقِ الخـواطـفِ
دعاوى الهوى دعْ للذين ارتياحُهم إلى الحقِّ يا مُرتاح نحو المعالف[2]
سُكـارى بمـولاهـم وأنـتَ بجيفـةٍ فقِسْ رَخَماً بالبازِ عند التَّناصُفِ
مُساويك[3] حالي في مَساويك كُلُّنا عَبيدُ الهوى للنَّفسِ غيرُ مُخالفِ
نأى مسلكاً عن صامتٍ ضامرِ الحشا عـزيـلِ البَـرايـا للشُّهـادِ مُحـالـفِ

---

(١) في الأصول: وعمر بنا قلب. والمثبت من روض الرياحين ص٣٠.
(٢) جاء في هامش (ج): المعالف: موضع العلف. وفي روض الرياحين ٥٨٢: نحو المعارف.
(٣) في روض الرياحين ٥٨٢: فيا ويك.

بذي صارتِ الأبدالُ في قولِ سهلهم[1] بـلا شـكَّ أبـدالاً بُحـورَ المعـارفِ

ملوكُ البرايا ليسَ يَشقى جليسُهم لهم بيضُ راياتِ العُلا في المواقفِ

حُبوا وحُظوا خصُّوا اصطُفوا ثم قُرّبوا ووُلُّـوا وعُلُّـوا فـوقَ كـلِّ الطـوائـفِ

واعلم أيُّها الجاهلُ الغافل أنَّ محبَّة الله تعالىٰ ينالها من لا يزالُ يتقرَّبُ إليهِ بالنوافل، ويكون سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَهُ الذي يُبصرُ بهِ. جاء بذلك الحديثُ الصَّحيحُ[2] المنزَّهُ عنِ الباطل، ومعاذَ الله أن ننالَ ذلك ونحنُ عاكفون على جيفِ المزابلِ، فلو تركنا الجيفَ، لذُقنا التُّحفَ، والفواكهَ التي جناها العارفون الأفاضل[3]:

جَنوْا ثَمرَ خوخِ الخوفِ في رَوضةِ الرِّضا وأنجـاصَ إخـلاصٍ وتيـنَ التـوكُّـلِ

وأرطابَ حبٍّ قد جَنتْها يدُ الهوى وأعنابَ أشواقٍ بها القلبُ مُمتلي

ورمـانَ إجـلالٍ وتفّـاحَ هَيبـةٍ وموْزَ الحيا مُبدي رجاءَ السَّفرجلِ

جِنـا[4] جَنـانٍ عـارفٍ بمعـارفٍ جنـى مـن جَناهـا كُـلَّ دانٍ مُـذلَّـلِ

كانت الأيامُ زاهرةً بأنوارهم الباهرة، فمنهم من غابَ عن مُخالطة الكلاب، ومنهم من انتقلَ إلى الدارِ الآخرة، فأصبحتِ الأيام مُظلمةً غبراءَ والمنازلُ بعدهم دامرة[5]:

لأحبـابنـا عيـشٌ عليـه يُنـاحُ لقـاءُ شيـوخٍ للمُـريـد لقـاحُ

أيـا دهـرنـا المغبرَّ مـالـكَ مُظلمـاً نهـارُكَ ليـلٌ لا يَليـهِ صبـاحُ

كـأنَّـكَ مَحـزونٌ علـى فقـدِ سـادةٍ شُموسِ الهُدى كانوا ضياءَكَ راحوا

وأَخلفَهُـم مثلـي فخـلاكَ مُثلـةً حَـلاك حُـلا منهـا المـلاح قبـاحُ

وأيّـامُـكَ الغـرُّ الـزواهـرُ قبـل ذا حُلاها بها يزهو الوجودُ ملاحُ

كسـا الكـون حسنـاً والأنـامَ سعـادةً بهـا بمحيـاهـا الـرِّضـا وفـلاحُ

---

(١) أي قول سهل بن عبد الله التستري (٠٠٠ـ٢٨٣ هـ) وهو أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال.

(٢) ذكر المؤلف الحديث بنصه، انظر صفحة: ٢٥٠.

(٣) ذكر المؤلف الأبيات في روض الرياحين ٢٧، مع زيادة.

(٤) في روض الرياحين ٢٧: جناء.

(٥) في (أ) و(ج): دامرة خالية.

صدق الله العظيم: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨]، ولدَ الزمان الرِّجال وهو شابٌّ، والآن قد انتكسَ وكبرَ وشابَ.

سألتُ زماني لِمْ أراكَ عَقيماً ... وكنتَ وَلوداً للرِّجالِ قديما
فقال لأني قد كبرتُ وقد دَنَا ... رحيلٌ إلى الأخرى وصرتُ سقيما
ولم يبقَ في الأولادِ إلاّ حثالةٌ ... وفارقني من كان قبلُ كريما

كان الكرامُ إذا جنَّ الظلامُ، دارتْ عليهم كؤوسُ مُدامِ الغرام، فتراهم والعيونُ هواجع، تتجافى جنوبُهم عن المضاجع، يبيتون لربِّهم سُجَّداً وقياماً على الأقدام والجباه، وفي النَّهار لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ الله، إذا ذُكِرَ اللهُ وجِلتْ قلوبُهم، وسالتِ الدُّموعُ على الخدود، سِيماهُم في وجوههم من أثَرِ السجود، وقد كتبتْ في صفحات وجوه الوجهاء يدُ أيادي العناية بقلم القبول، ومِداد الأمداد سطور نور الولاية، فلاحَ الفلاحُ على تلك الوجوه المِلاح، يقرأُ ذلك الخطَّ الأميُّ الذي لم يقرأ قطُّ، قد رقَّتْ قلوبُهم؛ لامتلائها بالأشجان، فكلُّ شيءٍ يحرِّكُها ويُذكِّرها نُعمى ونُعمان:

يُذكِّرهم عيشاً بنَعمانَ ناعماً ... حَمَامُ الحِمى[1] يُغري نَسيمَ العواصفِ
تثيرُ الصَّبا من كلِّ صبٍّ صبابةً ... فيصبوا إلى عهدِ الصِّبا والمآلفِ[2]
فهم بين مُشتاقٍ وباكٍ وضاحكٍ ... سروراً وصرَّاخٍ وراجٍ وخائفِ
لذكرِ اللِّقا والهجرِ والوصلِ والجفا ... وقربٍ وبعدٍ ناشرٍ جمع لافف

لما سُقوا من مُدامِ المنادمة في كؤوس التقريب والتمكين، خافوا من استحالتها خَلاًّ في أواني التقليب والتلوين، وأفزعهم شهرُ سيفِ سطوةِ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]، ففزعوا إلى الاتِّقاء بتُرسِ لياذ «أعوذ بك منك» فخرجت مناشيرُ التَّبشيرِ بالبُشرى على يد بشير ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٢]، فخافوا أن لا يكونوا من أهلِ الولاية المذكورين في الآية، فجاءت البِشارةُ التَّامَّةُ، في الآية العامة ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، فقالوا: وعزَّتِكَ ما عبدناكَ طمعاً في جنتك، ولا خوفاً من نارك:

---

(١) في هامش (أ): حمام الحمى: جبل بقرب عرفة.
(٢) في (أ) المآلف: موضع للألفة.

نهـاهـم حبُّـهُ لمَّـا سقـاهـم ... حُميّا الـوصـلِ عن حـورٍ حسانِ
لـه لـم يَعبـدوا مـن خـوفِ نـارٍ ... ولا شـوقـاً إلـى مـا فـي الجِنـانِ
ولكـن كـان مَـولـى ذا جـلالٍ ... لـه الإجـلالُ فـرضـاً فـي الجَنَان
لهـم شغـلٌ بمـولاهـم بـذكـرٍ ... وشكـرٍ والتَّهجـدِ بـالقـرانِ
نِجـابٌ فِتيـةٌ غُـرٌّ كـرامٌ ... مـن العليـاءِ فـي أعلـى مكـانِ
بحـورُ العلـمِ أوتـادٌ لأرضٍ ... ملـوكُ الخلـقِ أقمـارُ الـزَّمـانِ

لما رأوا شُهْدَ المُشاهدةِ، ومُدامَ المُنادمةِ، وحلوى[1] الأحوال في أفكارِ الأذكار، في خلواتِ الخمول، في رياضِ الرِّياضةِ، وقبلة الإقبال، وقد حالَ بينهم وبين الوصولِ إلى ذلك قطّاع الطريقِ، من كفرةِ جنودِ الأنفسِ الماردة، ركبوا جِيادَ الجدِّ، وسلُّوا سيوفَ الصِّدق، وقصدوهم بالمجاهدة:

دواهـي الـدَّهـرِ لا تخشـى المنـايـا ... إذا نُـودوا لطعـنٍ أو ضِـرابِ
يَـزورونَ المنـايـا بـاشتيـاقٍ ... يـرونَ الـوصـلَ فـي قطـعِ الرِّقـابِ
يَـرونَ المـوتَ فـي الهيجـاءِ أحلـى ... مـن الجُـلّابِ فـي فيهـم مُـذابِ

منهم من انتصرَ على العدو، فذاقَ شُهدَ المُشاهدة، ومنهم من استشهدَ فذاقَ شهدَ الشَّهادةِ في المجاهدة:

بمـذهبهـم قَتْـلُ الغـرامِ شهـادةٌ ... وشُهـدٌ ومحقـونُ الـدِّمـاءِ مبـاحُ
سلامٌ على السَّاداتِ من كلِّ صادقٍ ... لـه مسـرحٌ فـي معـركٍ ومَـراحُ
صفا ثم صُوفي فهو صوفي مُخيِّمٌ ... على باب سُعدى ليس عنه بَراحُ
يُلاقي طِعان النَّفسِ في نيلِ وصلها ... ومـن دونهـا بيـضٌ حمـتْ ورمـاحُ
سقته[2] حُميَّا الوصلِ من كَرْمِ حُسنِها ... إذا شمَّهـا أهـلُ الصَّبـابـةِ صـاحـوا
وناحوا وساحوا ثم فاحوا بنشرِها ... عبيـراً ومكتـومَ المحبَّـةِ بـاحـوا

---

(١) جاء في هامش (ج): الحلوة بفتح الحاء غير المعجمة هدية تُهدى إلى المعلمين على رأس بعض سور القرآن، سُميت بها، لأن العادة إهداء الحلاوي. وهي لغة يستعملها أهل ما وراء النهر.

(٢) في روض الرياحين صفحة ٢١٤: سقتهم.

وإنّي وإنْ أرخـتْ حجـابَ جمـالِهـا وكسَّتْ[1] كؤوسَ الرَّاحِ خوفَ تُراحُ[2]
ولم ترضَني للوصلِ يوماً ولا رأت لمثلـي أسـرارَ المُلـوكِ تُبـاحُ
مُحـبُّ مُحبِّيهـا طـريـحٌ ببـابهـا أقـولُ بجِـدٍّ لـم يَشُبْـهُ مُـزاحُ
إذا أسعدتْ سُعدى سوانا ولم يكنْ لنـا مَسعـداً منهـا نـدىً وسمـاحُ
رضينا بحكمٍ وفقَ مُحْكمِ حِكمةٍ بعلـمٍ قـديـمٍ ليـس قـطُّ يُـزاحُ

لا ينالُ الذليلُ الجبانُ البطّال، منازلَ الرّجالِ الشّجعان الأبطال:

فما فازَ بالمجدِ الأثيلِ من الورى سوى من لدى الأهوالِ بالنَّفسِ يَسمحُ
فـأمَّـا جبـانٌ عـزَّتِ النَّفـسُ عنـده فذاك الذي بالذُّلِّ يُمسي ويُصبحُ
تعـرّضْ لنفْحـاتِ الإلـهِ وبـابِـهِ أدمْ قـرعَـهُ فـالبـابُ يُـوشـكُ يُفتـحُ
فـإن جزتَ يـومـاً مـا بـربـعٍ لعـزَّةٍ ولاحـتْ خيـامٌ نـورُهـا يتـوضَّـحُ
فطفْ بالخيامِ البيضِ في أيمن الحِمى وطـرفُـكَ فـي سكَّـانهـا يتصفَّـحُ
لعلَّ تجلِّي الحُسنِ يبدو خلالها وذاتُ الجمالِ الغالِ للطرفِ تَسنحُ

ما ذاقوا حلاوةَ شهدِ المُشاهدة، إلاّ بعد أن تجرَّعوا صبرَ صبْرِ المُجاهدة:

لقـد شمَّـروا فـي نيـلِ كـلِّ عـزيـزةٍ ومَكْـرُمـةٍ ممَّـا يَطـولُ حسـابُـهُ
إلى أن جَنَوا ثمرَ الهوى بعد ما جنى عليهم وصارَ الحبُّ عَذْباً عذابُهُ
وحتى استحالَ المُرُّ في الحال حالياً وحتى دنا النائي وهانتْ صِعَابُهُ
يَسلُّونَ سيفَ العزمِ والصَّبرُ تُرسُهُمْ وقـد ركبـوا شيئـاً يَهـولُ ارتكـابُـهُ
يهـونُ عليهـم والـدِّمـاءُ خضـابُهـم وفي نحرِهم طَعْنُ الهَوى وضِرابُهُ
إلـى اللهِ بـاللهِ احتسـابُ نفـوسِهـم وللهِ مَـنْ فـي اللهِ كـان احتسـابُـهُ
أماتوا فأحيوا ما أهانوا فأُكْرِموا بـذبـحٍ إلـى فعـلِ الكـرامِ انتسـابُـهُ
بتركِ الهوى أمسوا يطيرونَ في الهوا ويمشـونَ فـوقَ المـاءِ أمْـنٌ جنـابُـهُ

---

(١) في هامش (أ): أي سنّت كؤوس الخمر.
(٢) في هامش (أ): تراح: أي تزال منها.

ملوكٌ على التَّحقيقِ ليس لغيرهم   مـن المُلْـكِ إلاَّ اسمُهُ وعُقـابُـهُ[1]
شموسُ الهُدى منهم ومنهم بُدورُهُ   وأنجمُــهُ منهــم ومنهــم شِهــابُــهُ

هم شموسُ الهدى، التي لا تغيبُ على المدى، لكن لا يُرى أنوارُ تلك الشموس إلاَّ بحدَّةِ بصرِ عينِ القلبِ، دون ضعيف البصر والمطموسْ، وقد قالوا: أولياءُ الله عرائسُ، ولا يَرى المُجرمون منهم عَروسْ.

شُموسُهُمُ حادَّةُ الأبصارِ تُبصرُها   وليسَ في الشَّمسِ للخفَّاشِ إبصارُ
وليس تُقضى برؤيا حسنِ طلعتِها   لغيرِ أهلٍ لرؤيا الحُسنِ أوطارُ[2]
إمّـا تَـوارَوْا بحـالٍ أو خَطَـوا فطُـوي   أرضٌ لهم أو مشوا في الماء أو طاروا
على ذُبابِ سُيوفِ الصِّدقِ من همم   سعـوا إلـى المجـدِ للظَّلمـاءِ أقمـارُ
توسّطت في سما العلياءِ ناظرُها   في حُسنِها حارَ والسَّارونَ ما حاروا

أمسكْ طريقهم، عسى تراهم يا ضعيفَ البصر، ولا تَيْئسْ من روح الله، واصبرْ فمع الصَّبر الظفر:

وصابرْ فما نالَ العُلا غيرُ صابرٍ   وقـلْ واعظـاً للنَّفـسِ عنـد التَّملمـلِ
مع الصَّبرِ إحدى الحُسنيين مُناكِ أو   منـايـا كـرامٍ فـاصبـري وتجمَّلـي
وجـرِّدْ لسيـفِ الصِّـدقْ بعـد تجرُّدٍ   لذكرٍ وفكرٍ حسبُ عن كلِّ مُشغلِ
به النَّفسُ إن رامتْ هواها وحاولتْ   خلافاً ولم تَرجعْ إلى الطَّاعةِ اقتلِ
وداوِ لسُقْـمِ القلـبِ واعمـرْ خَـرابَـه   بـدُهـنِ ريـاضـاتٍ وتـوبٍ مُعجَّـلِ
وأحرقْ بنارِ الحُزنِ أشجارَ خبْثِهِ   وفي سيلِ عينٍ كلَّ أوساخِهِ اغسلِ
وطيِّبْ بوردِ الوردِ واجعلْه صالحاً   لسكنـى أراضٍ منـه طـابَ وأجْبُـلِ
فيُوحي إلى الأسرارِ كالنَّحلِ ربُّها   أن اتَّخذي منها بيوتاً بها احللي
وتـزهـرُ أنـوارٌ لـوامـعُ بـرقُهـا   أضاءتْ لكلِّ الكونِ علوٍ وأسفل
بمصباحِ قلبٍ في زجاجةِ صدرِهِ   بمشكـاتـهِ مـن زيـتِ تقـواه مُشعـلِ
فـلازمْ وداومْ قـرعَ بـابِ مُـؤمـلاً   فمـا خيَّـبَ المـولـى رجـاءَ مُـؤمّـلِ

---

(١) العُقاب: الراية تُعقد للولاة. اللسان (عقب).
(٢) في هامش (ج): أوطار: نائب فاعل لتُقضى، والوطر الحاجة.

وإيَّاك أن تغترَّ بدارٍ تنقلبُ أفراحُها أحزاناً، وأرباحُها خسراناً، وصداقتُها عداوةً، وسعادتُها شقاوةً، وعزيزُها حقيراً، وغنيُّها فقيراً، وعمارتُها خراباً، ونعيمُها عذاباً، تذهبُ لذّاتُها، وتبقى تَبعاتُها، كأنّكَ بالمسكنِ وقد خلا من السُّكان، وكأنَّ ما كانوا فيه من العزِّ والنعيم ما كان:

ركوبُ النَّعشِ أنساهم ركوباً ... على الخيلِ العتيقاتِ النِّجابِ
وليلُ القبرِ أنساهم لليلٍ ... به عُرْسُ المَلَيحاتِ النِّخابِ[1]
وأنساهُم لفُرْشٍ ناعماتٍ ... لها قد زيَّنوا فُرْشَ التُّرابِ
علا الدُّودُ الخُدودَ وغاصَ فيها ... أكولاً للبهيَّاتِ التِّرابِ[2]

تلوَّنتِ الدُّنيا لأبنائها بالألوانِ المليحة، وأخفتْ تحتَها كلَّ صفةٍ قبيحة:

عجوزُ السُّوءِ سَوْدا الجسمِ شَوْها ... وحَذْبا تحتَ أثوابٍ حسانِ
بها يَغترُّ غِرٌّ لم يُشاهِدْ ... عيوباً في هواها ذو افتتانِ
جميعَ الدهر يجري ليس يَدري ... بجسمٍ من مخازيها[3] مَلانِ
إلى تقبيلِ ثغرٍ ليس فيه ... من الأسنانِ ما غيرُ اللِّسانِ
غَرورٌ حبُّهَا رأسُ الخطايا ... جميعاً ذاتُ مَكرٍ واختيانِ
تُري عيشاً هنيئاً فيه دَسَّتْ ... سُموماً تلك منها مهلكانِ
حسابٌ طالَ في يومٍ عَبوسٍ ... يَشيبُ الطِّفلُ من هَوْلٍ وثانِ[4]
عِقابٌ في جحيمٍ ربُّ سَلِّمْ ... بها جِلدٌ ولحمٌ ناضجانِ

* ولقد صدقَ الإمامُ الشافعيُّ المِفضالَ، رضي الله عنه وأحسنَ حيث قال[5]:

وما هي إلاَّ جيفةٌ مُستحيلةٌ ... عليها كلابٌ هَمُّهُنَّ اجتذابُها
فإنْ تجتنبْها كنتَ سلماً لأهلها ... وإن تَجتذبْها نازعتْك كلابُها

---

(١) في روض الرياحين ٥٤٦: النقاب. والنخاب: جمع نُخبة: المختار من الشيء.
(٢) في هامش (أ): التراب: مستويات السن.
(٣) المثبت في روض الرياحين صفحة ٢٧٧: محارمها.
(٤) المثبت في روض الرياحين صفحة ٢٧٧: ومان.
(٥) ديوان الشافعي صفحة ٤٥. والأبيات في روض الرياحين صفحة ٢٧٧.

* وصدقَ الآخرُ حيثُ قال:

كيفَ السُّرورُ بإقبالٍ وآخرُهُ ... إذا تأمَّلْتَهُ مَقلوبَ إقبالِ

يعني أنَّ إقبالَ الدُّنيا لا بقاءَ له، والمَقلوبُ أن يقرأَ الكلمةَ من آخر حروفِها مَعكوساً.

* وصدقَ الآخرُ حيثُ قال:

ومن يحمدِ الدُّنيا لعيشٍ يَسرُّهُ ... فسوفَ لعمري عن قريبٍ يَلومُها
إذا أقبلتْ كانتْ على المرءِ فِتنةً ... وإن أدبرتْ كانت كثيراً همومُها

* وصدقَ الآخرُ حيثُ قال:

ألاَ إنَّما الدُّنيا كأحلامِ نائمٍ ... وما خيرُ عَيْشٍ لا يكونُ بدائمِ
تأمَّلْ إذا ما نِلْتَ بالأمسِ لذَّةً ... فأفنيتَها هل أنتَ إلاَّ كحالمِ

* وصدقَ نوحٌ ﷺ لمَّا قِيل له: كيفَ وجدتَ الدُّنيا يا أطولَ النَّاسِ عُمراً؟ قال: كدارٍ ذاتِ بابين، دخلتُ من بابٍ، وخرجتُ من باب.

واعلم أنَّا مِنْ كَتْبِ خطايانا على يقين، وليس كذلك الطاعات؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، فالتقوى هي مجمع الخيرات، ورأسُ الدين، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

* قال العلماء رضي الله عنهم: أصلُ التُّقى اتِّقاءُ الشِّرك، ثم بعده اتِّقاء المعاصي والسيئات، ثم بعده اتِّقاء الشُّبهات، ثم تدعُ بعده الفضلات، وهذا قولُ الأستاذ أبي علي الدقاق[١].

* وعن أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه قال: سادةُ النَّاسِ في الدُّنيا الأسخياء، وسادةُ الناس في الآخرة الأتقياء.

* ودخل الحسنُ البصري[٢] مكَّةَ، فرأى غلاماً من أولاد عليِّ بن أبي طالب رضي الله

---

(١) أبو علي الدقاق الحسن بن علي النيسابوري الشافعي من أئمة الرجال، برع في المذهب وفي الأصول والعربية، ثم أخذ في العمل وسلك الطريق، توفي سنة ٤٠٥هـ. انظر طبقات الصوفية للمناوي ٢/ ١٧٩.

(٢) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد (٢١ـ١١٠هـ) تابعي، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة، وهو=

عنه قد أسندَ ظهرَهُ إلى الكعبةِ يَعظُ الناس، فوقفَ عليه الحسنُ وقال له: ما مِلاكُ الدِّين؟ فقال: الورع. قال: ما آفة الدِّين؟ قال: الطمع. فتعجَّبَ الحسنُ منه.

* ورُوي أنَّ السيد الجليل ابنَ المبارك[1] رضي الله عنه رجعَ من خُراسان إلى الشام لردِّ قلمٍ استعارَه من هناك.

* ورجعَ أبو يزيد[2] من بِسطام إلى همدان، لردِّ نملةٍ وجدها في قُرطُم[3] اشتراه من هناك، وقال: غرَّبْتُها عن وطنها.

* ورجع إبراهيمُ بنُ أدهم رضي الله عنه من بيت المقدس إلى البصرة لردِّ تمرةٍ.

* وقالت أختُ بشر الحافي للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: إنَّا نغزلُ على سطوحنا، فتمرُّ بنا المَشاعلُ ـ تعني مشاعلَ ولاة الأمر ـ قالت له: فهل يجوزُ لنا الغزلُ في شعاعها؟ فقال: من أنتِ عافاكِ الله؟ قالت: أختُ بشرِ الحافي. فبكى الإمامُ أحمد وقال: من بيتكم يخرجُ الورعُ الصادق، لا تغزلي في شُعاعِها.

فانظر رحمك الله إلى قوَّةِ تقوى هؤلاء السَّادات وتشبَّه بهم، إن أردتَ نيلَ السعادة، فمن نحا نحوهم فهو السعيد حقًّا، وليس السَّعادةُ في الدُّنيا كما يقول الجهَّالُ الحمقى، الذين يَفرحون بالمال ولا يعقلون قول المولى، ولا يسمعون ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فاحذر أنْ تفرحَ بالمال والزِّينة، أو تتمنَّى ذلك، فإنَّه فتنةٌ وأيُّ فتنةٍ:

ولا قطُّ تَغبطْ أهلَ دُنيا فإنَّهم ... غداً يَغبطونَكَ يَحزنون وتَفرحُ
فما ذاكَ إلاَّ فتنةٌ أيُّ فتنةٍ ... بها شَهدتْ طه عن الحقِّ تُفْصِحُ[4]

= أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك.

(١) عبد الله بن المبارك التميمي المروزي (١١٨ـ١٨١هـ) شيخ الإسلام، التاجر المجاهد، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، مات قرب الفرات منصرفاً من غزو الروم.

(٢) طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بايزيد (١٨٨ـ٢٦١هـ) زاهد مشهور، له أخبار كثيرة. وهو ربما أول من قال بمذهب الفناء، ومنهم من يقول إنه كان يقول بوحدة الوجود.

(٣) القُرطُم: حبُّ العصفر. متن اللغة (قرطم).

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة طه: ١٣١: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا =

ولا قطُّ أهلَ الظُّلمِ تركنْ إليهم مع القوم تُحشَرْ ثم في النَّارِ تُطْرَحُ
بهودٍ إذا تقرأ تجدْ ما ذكرتُهُ[1] وفيه الأحاديثُ الصِّحاحُ تُصرِّحُ
فقد صحَّ أنَّ «المرءَ مع من أحبَّهُ»[2] فيا سَعْدَ مَنْ حُبَّ المساكين يُمْنَحُ

وإيَّاكَ أن تُخالط بني الدنيا، والمُترعّنين الصِّبيان، المُسمّين في لسانِ السلف بالأنتان، أو تجالسَ البطَّالين، ومن يتقرَّبُ إلى الأمراء، ويُعظِّمُ الأغنياء، ويحتقرُ الفقراء.

واحذرْ أن تُعوِّدَ نفسكَ الكسلَ في العبادات، أو تتركَها مع طباعها والعادات، ولا تغترَّ بطولِ الأملِ، وكنْ على وجلٍ، من حلولِ الأجل، ولا تُحدِّثْ نفسكَ أنَّك تعيشُ إلى غدا. واسمع قول القائل مُنشدا[3]:

وكمْ مِنْ فتىً يُمسي ويُصبحُ آمناً وقد نُسِجَتْ أكفانُهُ وهو لا يَدري

واحرصْ على حفظِ الأوقاتِ، وجانبْ مُعاتبة النَّاسِ والعداوات، واسمع قولَ بعضِ السَّادات:

لا تشتغلْ بالعتبِ يوماً للورى فيَضيعُ وقتٌ والزَّمانُ قصيرُ
وعلامَ تَعتبُهم وأنتَ مُصدِّقٌ أنَّ الأمورَ جرى بها المَقدورُ
هم لم يُوفُّوا للإله بحقِّه أتريدُ تَوفيةً وأنتَ حقيرُ
أشهرْ حقوقَهم عليك وقمْ بها واستوفِ منكَ لهم وأنتَ صبورُ
فإذا فعلتَ فأنتَ أنتَ بعينِ من هو بالخَفايا عَالمٌ وخَبيرُ

وكُفَّ جميعَ جوارحك عن المحرَّمات والمكروهات والفضول، وتيقَّظْ من نومتك، واصحَ من سُكرِ غفلتك، قبلَ أن تعظمَ الحسرةُ وتَطول، وحاسبْ نفسكَ وعظها، وأنشدْها قولَ النَّاصحِ الذي يقول[4]:

= لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

(1) إشارة إلى قوله تعالى في سورة هود ١١٣: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

(2) انظر إلى الحاشية (١) صفحة (٨١) ففيها الحديث وتخريجه.

(3) البيت لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه. الديوان صفحة ٦٩.

(4) الأبيات لعبد الله بن المبارك. الديوان صفحة ٥٧.

اغتنمْ ركعتين في ظلمةِ اللَّيـ ـلِ إذا كنتَ فارغاً مُستريحا[1]
وإذا ما هَمَمْتَ بالنُّطقِ في البا طلِ فاجعلْ مَكانَهُ تَسبيحا
ولزومُ السُّكوتِ خيرٌ من النُّطـ ـقِ وإن كنتَ بالكلامِ فصيحا

* وقول الآخر:

وأنتَ إذا أرسلتَ طرفَكَ رائداً لقلبِكَ يوماً أتعبتْكَ المَناظرُ
رأيتَ الذي لا كلُّه أنتَ قادرٌ عليه ولا عَنْ بعضهِ أنتَ صابرُ

* وقول الآخر:

قفي ثم اخبرينا يا سعادُ بذنبِ الطَّرفِ لِمْ سُلِبَ الفُؤادُ
وأيُّ قضيةٍ حكمتْ إذا ما جنى زَيدٌ به عَمرَو يُقادُ

* وقول الآخر:

أصمٌّ عن الشيء الذي لا أُريده وأسمعُ خلقِ اللهِ حينَ أُريدُ

* وقول الآخر:

خُمصُ البطون من الطوى وأعفَّةٌ عن شُبهةٍ لا يعرفونَ حراما

* وقول الآخر:

نهارُكَ بطَّالٌ وليلُكَ نائمُ وعيشُكَ يا مسكينُ عيشُ البهائمِ

* وقول الآخر:

وحتَّامَ لا تصحو وقد قَرُبَ المَدى وحتَّامَ لا يَنجابُ عن قلبك السُّكرُ
بلى سوف تَصحو حينَ ينكشفُ الغَطا وتذكرُ قولي حين لا يَنفعُ الذِّكرُ

وإيَّاكَ أن تشتغلَ بالعلم، وتتركَ العمل، فليس المُرادُ بالعلم إلاّ العمل به، وإذا لم يُعمل به كانَ وبالاً على صاحبه، وكان مثلُهُ كمثلِ الحمار يحمل أسفاراً، أو كمثلِ الكلبِ

---

(١) رواية الديوان:

واغتنم ركعتين زلفى إلى اللـ ـه إذا كنت فارغاً مستريحا

إن تحملْ عليهِ يَلهثْ، أو تتركْهُ يلهث اللذين هما أخسُّ الحيوانات، بل هما أحسنُ حالاً منه، إذ لا عقاب عليهما ولا تبعات.

ولولا الإخلادُ إلى أرضِ الشهوات، واتّباع الهوى، والركونُ إلى الدنيا، لرفعه العلمُ إلى المقام العالي الشريف، النَّفيسِ الغالي، مقامِ العلماء ورثةِ الأنبياء، أولي الألباب، استبدلَ به مقامَ الحميرِ والكلاب، وهو يظنُّ أنّه ذو الشَّرفِ والفضائل، وأنَّ له عند الله تعالىٰ الحظَّ الطائل، يُنافسُ على جيفِ الدُّنيا وحطامها، ويغدو ويروحُ إلى أبوابِ الظَّلَمةِ لجمعِ حرامها، ويجتهدُ في التودُّد والتقرّيب إلى أعداء الله، حريصاً على نيلِ المنزلةِ عندهم والجاه، يلتمسُ رضاهم في سَخَطِ الله، كأنّه لم يسمع قولَ الملك الجبار: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣].

وقوله تعالىٰ وهو أصدقُ القائلين: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

وقوله سبحانه لنبيّه الكريم، الذي أنارتْ به الدَّياجي غرباً وشرقاً: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١].

وقولَ سيِّدِ المُرسلين: «اللّهُمَّ، أحييني مِسكيناً، وأمتني مِسكيناً، واحشرني في زُمرة المساكين»[١].

ولم يدر أنّه كما قال بعضُ العارفين: من تزيَّنَ بشيءٍ من الدنيا فقد أظهر خساسةً.

وقال العلماء: الخسيسُ من باعَ دينَهُ بدنياه، وأخسُّ منه من باع دينَه بدنيا غيره.

قلتُ[٢]: فإن قالَ الفقيه: التزيُّنُ بالمُباح مباح، فالجوابُ ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي[٣] حيث قال[٤]: التزيُّنُ بالمُباح ليس بحرام، ولكنَّ الخوضَ فيه يُوجبُ الأُنسَ به حتّى

(١) رواه الترمذي (٢٣٥٢) في الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، وابن ماجه (٤١٢٦) في الزهد، باب مجالسة الفقراء.

(٢) في (ج): مسألة.

(٣) محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي (٤٥٠ـ٥٠٥) حجة الإسلام، فيلسوف متصوف، رحل إلى بغداد والحجاز والشام ومصر، وولد ومات في الطابران، قصبة الطوس بخراسان، له أكثر من مئتي كتاب.

(٤) إحياء علوم الدين ١/ ٦٧.

يشقُّ تركُهُ، واستدامةُ الزِّينةِ لا تمكنُ إلاَّ بمباشرةِ أسبابٍ في الغالب يلزمُ من مراعاتها ارتكابُ المعاصي، من المُداهنةِ ومُراعاةِ الخلق، ومُراءاتهم، وأمورٌ أُخرى هي محظورة، والحزمُ اجتنابُ ذلك؛ لأنَّ من خاضَ في الدنيا لا يَسلمُ منها البتَّة؛ ولو كانتِ السلامةُ مبذولةً مع الخوضِ لكان ﷺ لا يُبالغُ في تركِ الدُّنيا، حتى نزعَ القميصَ المطرَّزَ بالعلم وغير ذلك. وهو كما قال رضي الله عنه فإنَّه يتطرَّقُ إلى ذلك آفاتٌ كثيرةٌ، سابقةٌ ولاحقةٌ، ومن جملة السابقة فسادُ الاكتسابِ، ومن جملة اللاحقةِ حصولُ الإعجاب، إلاَّ من عصمه الله تعالىٰ، وقليلٌ ما هم. على أن ترك ذلك مع العِصمةِ أفضل.

ولهذا قال الإمامُ مالك بن أنس رضي الله عنه، لما كتبَ إليه يَحيى بن يَزيد النَّوفلي: أما بعد: فقلد بلغني أنَّكَ تلبسُ الرِّقاق، وتأكلُ الدِّقاق، وتجلسُ على الوطاء، وتجعلُ على بابك حاجباً، وقد جلستَ مجلسَ العلم، واتَّخذكَ الناسُ إماماً، فاتَّقِ الله يا مالك.

فكتب إليه الإمامُ مالك كتاباً قال في أثنائه: فأمَّا ما ذكرتَ أني آكلُ الدِّقاقَ، وألبسُ الرِّقاق، وأحتجبُ، وأجلسُ على الوطاء، فنحن نفعلُ ذلك، ونستغفرُ الله، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وإني لأعلم أنَّ ترك ذلك خيرٌ من الدُّخول فيه.

هذا من كلامهما على ما نقل أهلُ العلم عنهما.

* قلت: وقد وصفَ الله تعالىٰ العلماءَ في كتابهِ بالزُّهد والخشية والعبادة، فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

* وقال السيد الجليلُ الفضيلُ بنُ عياض[١] رضي الله عنه: كان العلماءُ ربيعَ الناس،

---

(١) الفضيل بن عياض التميمي اليربوعي (١٠٥-١٨٧هـ) شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد والصلحاء، كان ثقة، أخذ عنه الشافعي، أصله من سمرقند وتوفي بمكة.

إذا رآهم المريضُ لم يسرَّه أن يكونَ صحيحاً، وإذا نظرَ إليهم الفقيرُ لم يوف أن يكونَ غنياً، وقد صاروا اليوم فتنةً للناس. وفيهم قلتُ في بعض القصائد:

ألاَ إنَّ حُبَّ الجاهِ والمالِ فتنةٌ ... قبيحٌ لأهلِ العلمِ ذلكَ أقبحُ

كما أنَّ حبَّ الزُّهدِ والفقرِ عفَّةٌ ... مليحٌ بهم أزهى وأبهى وأملحُ

* وقال السيِّدُ الجليلُ الزَّاهدُ مالكُ بنُ دينار[1] رضي الله عنه: من طلبَ العلمَ لنفسهِ فالقليلُ منه يكفيه، ومن طلبَهُ للنَّاسِ فحوائجُ الناسِ كثيرة.

* وقال السيِّدُ الجليلُ العارف أبو الحسين النُّوري[2] رضي الله عنه: كانتِ المرقَّعاتُ غطاءً على الدُّرِّ، فصارتِ اليومَ مزابلَ على جيف.

* وقال السيدُ الجليلُ إمامُ الورعين بشرٌ الحافي[3] رضي الله عنه: العبادةُ من الفقير كعقدِ جوهرٍ على جيدِ حسناء، والعبادةُ من الغني كشجرةٍ خضراءَ على مَزبلة.

* وقال سيِّدُ الطائفة أبو القاسم الجُنيد[4] رضي الله عنه: الصوفيُّ كالأرض يُطرحُ عليها كلُّ قبيح، ولا يخرجُ منها إلاّ كلُّ مليح.

* وقال أيضاً: يا معشرَ الفقراء، إنَّكم تُعرفون بالله، وتُكرمون لله، فانظروا كيف تكونونَ مع الله إذا خلوتم.

---

(١) مالك بن دينار البصري، أبو يحيى (٠٠٠ـ١٣١هـ) من رواة الحديث، كان ورعاً، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف.

(٢) أبو الحسين النوري أحمد بن محمد، بغدادي المولد والمنشأ، من أقران الجنيد والسري، انتهت إليه رئاسة الصوفية في عصره، قال الخطيب في تاريخ بغداد: هو أعلم العراقيين بلطائف علم القوم.

(٣) بشر بن الحارث المروزي أبو نصر المعروف بالحافي (١٥٠ـ٢٢٧هـ) من كبار الصالحين. أخباره جمة في الزهد والورع، وهو من ثقات رجال الحديث، قال المأمون عنه: لم يبق في هذه الكورة أحد يستحيا منه غير هذا الشيخ.

(٤) الجنيد بن محمد، أبو القاسم (٠٠٠ـ٢٩٧هـ) سيد الطائفة لكونه ضبط التصوف بقواعد الكتاب والسنة، مصوناً من العقائد الذميمة، محمي الأساس من شبه الغلاة، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع، كان يحضر مجلسه الكتبة لألفاظه، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعانيه. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد.

* وأنشدَ بعضُهم:

كفى شرفاً أنّي مُضافٌ إليكمُ ... وأنّي بكم أُدعى وأُرعى وأُعرفُ

وتمامه بيتٌ للمُصنف رحمه الله تعالىٰ:

إذا بملوكِ الأرضِ قومٌ تشرَّفوا ... فلي شرَفٌ منكم أجلُّ وأشرفُ

* وقال الشيخُ العارفُ باللهِ أبو محمد رُويم[1]: التصوُّفُ مبنيٌّ على ثلاث خصال: التمسُّكِ بالفقر والافتقار، والتَّحقُّقِ بالبذلِ والإيثار، وتركِ التعرُّضِ والاختيار.

* وقال بعضُهم: طريقتُنا هذه لا تصلحُ، إلاّ لأقوامٍ كُنستْ بأرواحهم المزابلُ.

* وقيل: أرسلَ بعضُ النَّاسِ إلى الشيخِ الكبير العارف جوهر[2]، المشهورِ في عدن رضي الله عنه، ونفعنا به، كتاباً يشتمه فيه، ويطعنُ، فلمَّا وقفَ عليه قال: صدقَ، أنا كما قال، وبكى، وأرسلَ إليه بهذا البيت:

إذا سُعدوا أَصحابُنا وشقينا ... صَبرنا على حكمِ القضا ورَضينا

فلمَّا وردَ عليه الجواب، جاء من بلاده إلى الشيخ مُستغفراً.

* ورُوي أنَّ إبراهيمَ بن أدهم رضي الله عنه، ضربَه جُنديٌّ، فطأطأَ له إبراهيمُ رأسَهُ، وقال: اضربْ رأساً طالَ ما عصى الله، ثم عرفَهُ بعدَ ذلك واعتذرَ إليه، فقال: الرَّأسُ الذي يَحتاجُ إلى الاعتذار تركتُهُ ببلخ.

وروي عنه أنَّه دعا للذي ضربه بالجنَّةِ، وقال: كرهتُ أن يُصيبني منه خيرٌ، ويُصيبه مني شرٌّ.

* وأنشد بعضُهم[3]:

وكانتْ على الأيام نفسي عزيزةً ... فلمَّا رأتْ صَبري على الذُّلِّ ذَلَّتِ

---

(١) رويم بن أحمد صوفي شهير صاحب رأي متين، عالم بالقرآن ومعانيه، من جلة مشايخ بغداد، من أقواله: الصبر ترك الشكوى، والرضا استلذاذ البلوى. مات سنة ٣٣٠ هـ.

(٢) جوهر بن عبد الله رأس في إخلاصه وصدقه، كان عبداً لبعض التجار، آلت إليه مشيخة عدن. انظر طبقات الصوفية للمناوي ١/ ٣٩٦.

(٣) البيت الأول ينسب لعلي بن أبي طالب. انظر الديوان صفحة ٥٥.

ويـا رُبَّ ذُلٍّ سـاقَ للنَّفـسِ عِـزَّةً　　ويـا رُبَّ نَفْـسٍ بـالتـذلُّـلِ عَـزَّتِ

* وكذلك قلتُ في بعض القصائد:

ولو طردوني لذَّ عيشي بصُحبتي　　لبعضِ كـلابٍ في المزابلِ تَنبحُ
ففـي ذُلِّ نفسـي عـزُّهـا ويمـوتهـا　　حياةٌ لأجلِ الغالِ بالدُّونِ أسمحُ
أَحِـنُّ ارتيـاحـاً للمَـزابـلِ لا إلـى　　قُصـورٍ وفـرشٍ بـالطِّـرازِ تـوشَّـحُ
وأمنـحُ ودّي للمسـاكيـنِ صـافيـاً　　أُجـالسُهُـم والهجـرُ للغيـرِ أَمنـحُ

* وقال حمدون القصَّار[1]: اصحبِ الصُّوفيةَ، فإنَّ للقبيح عندَهم وجوهاً من المَعاذير، وليس للحَسَنِ عندهم كبيرُ موقعٍ يُعظِّمونكَ به.

* وقال بعضهم: صحبتُ الأغنياء فلم أرَ أتعبَ منِّي، أرى ملبساً أحسنَ من ملبسي، ومطعماً أحسنَ من مَطعمي، ومسكناً أحسنَ من مسكني، وصحبتُ الفقراء فلم أرَ أروحَ منِّي، لا أرى إلاّ من هوَ دُوني في الملبسِ والمطعم والمسكن.

* وقال بعضهم: رأيتُ كأنَّ القيامةَ قد قامت، ويقال: أَدْخلوا مالكَ بنَ دينار، ومحمدَ بنَ واسع[2] الجنَّةَ، فنظرتُ أيُّهما يتقدَّمُ، فتقدَّمَ محمدُ بنُ واسع، فسألتُ عن سببِ تقدُّمِهِ، فقيل لي: إنَّه كان له قميصٌ واحدٌ، ولمالك قميصان.

* وقال الصِّدِّيقُ المقرَّبُ والتِّرياقُ المجرَّبُ، معروفُ الكرخي[3] رضي الله عنه: التصُّوفُ الأخذُ بالحقائقِ، واليأسُ ممَّا في أيدي الخلائق.

* وقال بعضُهم: إذا قالَ الصُّوفيُّ بعد خمسةِ أيامٍ أنا جائع، فألزموه السُّوقَ، ومُروه بالكسب.

* وقال الشيخُ العارفُ بالله، مَعدنُ المعارف أبو عبد الله ابن خفيف[4]، وقد سألهُ بعضُ

---

(١) حمدون القصار: أحد الأئمة الكبار، وشيخ الملامتية في وقته، توفي سنة ٢٧١ في نيسابور.

(٢) محمد بن واسع الأزدي، أبو بكر (٠٠٠ـ١٢٣هـ) فقيه ورع من الزهاد، من أهل البصرة، عرض عليه قضاؤها فأبى، ثقة عند أهل الحديث.

(٣) معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ (٠٠٠ـ٢٠٠هـ) أحد أعلام الزهاد والمتصوفين، نشأ وتوفي ببغداد، اشتهر بالصلاح، وقصده الناس للتبرك به، كان يختلف إليه أحمد بن حنبل.

(٤) محمد بن خفيف، أبو عبد الله الشيرازي الشافعي (٢٧٦ـ٣٧١هـ) من أولاد الأمراء، تزهد وسافر في=

الفقراء عن فقيرٍ يجوعُ ثلاثةَ أيامٍ، وبعد ثلاثةٍ يَخرجُ يَسألُ مِقدارَ كفايته، أيشٍ يُقال فيه؟ فقال: مَكديٌّ[1]، كلوا واسكتوا، فلو دخلَ فقيرٌ من هذا الباب لفضحكم كلَّكم.

* وقال السَّيدُ الخاصُّ، إبراهيمُ الخوّاص[2]، رضي الله عنه: رأيتُ في طريقِ الشَّامِ شابًّا حسنَ المُراعاة، فقال لي: هل لك في الصُّحبة؟ فقلتُ: إنّني أجوعُ، فقال: إن جعتَ جعتُ معك. فبقينا أربعةَ أيامٍ، ففُتحَ علينا بشيءٍ، فقلتُ: هلمَّ، فقال: اعتقدتُ أن لا آخذَ بواسطةٍ. فقلت: يا غلام، دقّقت. فقال: يا إبراهيم، لا تُبهرجْ، فإنَّ النَّاقدَ بصير، مالَكَ والتَّوكلَ، ثم قال: أقلُّ التَّوكُّلِ أن تردَ عليكَ مَواردُ الفاقات، فلا تسمو نفسُك إلاَّ إلى من إليه الكفايات.

* وأنشدَ بعضهم:

حقيقـةُ العبـدِ عنـدي فـي تـوكُّلـهِ ... سكوتُ أحشائهِ عن كلِّ مطلوبِ
وأنْ تـراه لكـلِّ الخلـقِ مُطَّـرِحـاً ... يصـونُ أسـرارَهُ عـن كـلِّ محبـوبِ

* وقال بعضُهم: سافرتُ مع أبي تُراب النَّخشبي[3] سنةً، وكان صاحبَ كرامات، وكان معه أَربعون نفساً، ثم أصابنا مرَّةً فاقةٌ، فعدلَ أبو تراب عن الطَّريق، وجاء بعذقِ موزٍ، فتناولنا منه، وفينا شابٌّ فلم يأكل، فقال له أبو تراب: كُلْ، فقال: الحالُ التي اعتقدتُها تركُ المعلومات، وصرتَ أنت معلومي، فلا أصحبُكَ بعدها، فقال أبو تراب: كنْ مع ما وقعَ لك.

* وعن بعضهم[4] قال: انكسرتْ بي السَّفينةُ، وبقيتُ أنا وامرأتي على لوحٍ، وقد ولدَتْ في تلك الحالةِ صبيةً، فصاحتْ بي وقالت: يقتلني العطشُ، فقلت لها: هو ذا يَرى حالَنا، فرفعتُ رأسي، فإذا رجلٌ في الهواء جالسٌ، وفي يده سلسلةٌ من ذهب، وفيها كوزٌ

= سياحات كثيرة، صنف كتباً.

(١) في المطبوع: معيون مكدي.

(٢) إبراهيم بن أحمد الخواص (٠٠٠-٢٩١هـ) أوحد المشايخ في وقته، من أقران الجنيد، مات في جامع الري.

(٣) أبو تراب النخشبي عسكر بن حصين (٠٠٠-٢٤٥هـ) شيخ عصره في الزهد والتصوف، كتب كثيراً من الحديث، أخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل، حجَّ خمساً وخمسين مرة.

(٤) روض الرياحين صفحة ٣٠٦ (حكاية: ٢٥٢).

من ياقوت أحمر، وقال: هاك اشربا، قال: فأخذتُ الكوزَ، وشربنا منه، فإذا هو أطيبُ من المِسك، وأبردُ من الثلج، وأحلى من العسل، فقلت له: من أنت، يَرحمك الله ؟ فقال: عبدٌ لمولاك. فقلت: بم وصلتَ إلى هذا ؟ فقال: تركتُ الهوى لمرضاتِهِ، فأجلسني على الهوا. ثم غابَ عنّي فلم أره.

* وقال حجّةُ الله على العارفين سهلُ بنُ عبد الله التُّستَري: لا يبلغُ أحدٌ حقيقةَ الإيمان حتى لا يَخافَ شيئاً على وجه الأرض.

* وقال السيّدُ الجليلُ العارفُ الرَّباني أبو الحسين النُّوري رضي الله عنه: لو جعلني في الدَّركِ الأسفلِ من النار لكنتُ أشدَّ رضىً ممّن في الفردوس.

* وقيل لحُذيفة المَرعشي[1]: ما أعجبُ ما رأيتَ من إبراهيم بنِ أدهم ؟ فقال: بقينا في طريقِ مكّة أياماً لم نجدْ طعاماً، ثم دخلنا الكوفةَ، فأوينا إلى مسجدٍ خرابٍ، فنظر إليَّ إبراهيمُ بنُ أدهم فقال: يا حذيفة، أرى بك الجوعَ، فقلت: هو ما رأى الشيخ، فقال: عليَّ بدواةٍ وقرطاسٍ، فجئتُ به، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أنتَ المقصودُ بكلِّ حال، والمُشار إليه بكلِّ معنى:

أنـا حـامـدٌ أنـا شـاكـرٌ أنـا ذاكـر — أنـا جـائـعٌ أنـا نـائـعٌ[2] أنـا عـاري

هـي سـتّـةٌ وأنـا الضّمـيـنُ لنصفِهـا — فكـنِ الضّمـيـنَ لنصفِهـا يـا بـاري

مَـدحـي لغيـرِكَ لَهْـبُ نـارٍ خضتُهـا — فـأجـرْ عُبيـدَكَ مـن دخـولِ النّـارِ

ثم دفع إليَّ الرقعة؛ وقال: اخرجْ، ولا تعلّق قلبَكَ إلاَّ بالله، وادفعِ الرّقعة إلى أوّلِ من يلقاك، قال: فخرجتُ، فأولُ من لقيني رجلٌ على بغلةٍ، فناولته الرقعةَ، فأخذها، فلما وقفَ عليها بكى، وقال: ما فعلَ صاحبُ هذه الرقعة ؟ فقلت: في المسجد الفلاني، فدفع إليَّ صُرّةً فيها ستُّ مئة دينار، ثم لقيتُ رجلاً آخر، فقلت: مَنْ صاحبُ هذه البغلة ؟ فقال: نصرانيٌّ، فجئتُ إلى إبراهيمَ بن أدهم وأخبرتُه بالقصّةِ، فقال: لا تمسَّها؛ فإنَّهُ يَجيءُ

---

(١) حذيفة بن قتادة المرعشي العابد الزاهد الصوفي، صحب سفيان الثوري، وكان مشغولاً بالرعاية عن الدراية، مات سنة ١٩٢ هـ. طبقات المناوي ١/ ٢٦٦.

(٢) النائع: العطشان.

الساعة، فلمّا كانَ بعد ساعةٍ جاء النَّصرانيُّ وأكبَّ على إبراهيم بن أدهم، وأسلم[1].

* وقال الشيخُ الفَريد، ذو العزم الشديد، والفضلِ العديد، العارفُ بالله أبو يزيد: جَمعتُ أسبابَ الدُّنيا فربطتُّها بحبلِ القناعة، فوضعتُها في منجنيقِ الصِّدق، ورميتُ بها في بحرِ اليأس، فاسترحتُ.

* وقال رضي الله عنه: أقمتُ في الزُّهدِ ثلاثة أيام، زهدتُ في اليومِ الأوَّلِ في الدنيا، وزهدتُ في اليومِ الثاني في الآخرة، وزهدتُ في اليوم الثالث فيما سوى الله.

وقد أشارَ المشايخُ رضي الله عنهم إلى نحو هذا في صفات الحرِّ، قالوا: هو أن لا يكونَ بقلبه تحتَ رقِّ شيءٍ من المخلوقات، لا من أعراض الدُّنيا ولا من أعراض الآخرة، فيكون فرد القومِ، لم يسترقَّه عاجلُ دنيا ولا حاصلُ هوى، ولا آجلُ مُنى ولا سؤالٌ ولا قصد، ولا أربٌ ولا حظٌّ.

* وقال الشيخ العارف أبو العباس السيّاري[2]: لو صحَّتِ الصلاةُ بغيرِ قرآنٍ لصحَّتْ بهذا البيت:

أتمنّـى علـى الـزَّمـانِ مُحـالاً ... أَنْ تَـرى مُقلتـايَ طلعـةَ حـرِّ

* وفي الحديث الصحيح، قال النَّبيُّ ﷺ: «تعس عبدُ الدينار والدرهم»[3].

* وأنشدَ بعضُهم:

النـارُ آخـرُ دِينـارٍ نطقـتَ بـه ... والهمُّ آخرُ هذا الدِّرهم الجاري

والمـرءُ مـا دامَ مَشغـوفـاً بحبِّهمـا ... مُعـذَّبُ القلـبِ بيـن الهـمِّ والنَّـارِ

* وقال بعضهم: سمعت أبا تُراب النَّخشبيَّ يقول: ما تمنَّتْ نفسي من الشَّهوات إلاّ مرَّةً واحدةً، تمنَّيْتُ خبزاً وبيضاً، وأنا في سفرٍ، فعدلتُ إلى قريةٍ، فقامَ واحدٌ فتعلَّقَ بي، وقال: هذا كان مع اللُّصوصِ، فضربوني سبعين دِرَّةً، ثم عرفني رجلٌ منهم، فقال: هذا أبو

---

(١) روض الرياحين ١٨٨ (الحكاية: ١١٦).

(٢) القاسم بن القاسم أبو العباس السياري فقيه متحدث زاهد، مات سنة٣٤٢.

(٣) رواه البخاري ٦/ ٨١ (٢٨٨٦) في الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.

تُراب. فاعتذوا إليَّ، وحملني رجلٌ إلى منزله، وقدَّمَ إليَّ خُبزاً وبيضاً، فقلت لنفسي: كلي بعد سبعين دِرَّة[1].

* وأنشدوا:

إذا طالَبتْكَ النَّفسُ يوماً بحاجةٍ[2] ... وكـان عليهـا للخـلافِ طـريـقُ

فخالفْ هواها ما استطعتَ فإنَّما ... هـواهـا عـدوٌّ والخِـلافُ صَـديـقُ

* وقال بعضُهم: عُرِضتْ عليَّ الدُّنيا بشهواتها وزينتِها وزخارفِها، فأعرضتُ عنها، ثم عُرِضتْ عليَّ الأخرى بحورِها وقصورِها وزينتها، فأعرضتُ عنها، فقيل لي: لو أقبلتَ على الأولى حجبناكَ عن الآخرى، ولو أقبلتَ على الأخرى حجبناك عنّا، فها نحن لك، وقسمتُكَ من الدَّارين تأتيك.

* ورُوي عن أبي يزيد أنَّه قال: رأيتُ ربِّي في المنام، فقلت: كيفَ أجدُك؟ فقال: فارقْ نفسَك وتعالَ.

وقال الشيخ العارف أحمدُ بنُ خَضْرَويه[3]: رأيتُ ربَّ العزَّةِ في النوم، فقال، يا أحمد، كلُّ النَّاسِ يَطلبونَ منّي إلاّ أبا يزيد، فإنَّه يَطلبني.

* وقال إبراهيمُ بن أدهم رضي الله عنه: رأيتُ جبريلَ صلوات الله عليه في النَّوم، وبيده قرطاسٌ، فقلت: ما تصنعُ به؟ فقال: أكتبُ أسماءَ المُحبِّين، فقلت: اكتبْ تحتَهم: مُحبُّ المُحبّين إبراهيمُ بنُ أدهم. فنُوديَ: يا جبريل، اكتبْهُ أوَّلهم.

* وقال إمامُنا الشَّيخُ العارفُ بالله، العالمُ النَّجيبُ، ذو النُّورِ الباهي، والخطاب الإلهي، والعطاءِ الوافرِ النَّصيبِ، شيخُ شيوخنا السيِّدُ الجليلُ عبدُ الله بن أبي بكر الخطيب رضي الله عنه ونفعنا به: قال لي الحقُّ سبحانه وتعالىٰ، سلْ تُعطَ. فقلت: إذاً تكونُ العطيَّةُ

---

(١) روض الرياحين ٤١٠ (الحكاية ٣٧٤).

(٢) في (ج): بشهوةٍ.

(٣) أحمد بن خضرويه البلخي، ولي عارف من كبار شيوخ خراسان، لقي أبا يزيد البسطامي، والنخشبي، أسند الحديث، له كرامات، مات سنة ٢٠٤ وقيل ٢٤٠. انظر طبقات المناوي ١/ ٥٣٢.

ناقصةً؛ لأنَّ السائلَ في محلِّ النقصِ، ولكنْ أَعطني أنتَ، أو كما قال. بلَّغه اللهُ فوقَ مطلوبِهِ، وأقرَّ عيونَ أصحابِهِ به.

* وقيل لأبي يزيد: بمَ وجدتَ هذه المعرفة؟ فقال: ببطنٍ جائعٍ، وبدنٍ عارٍ.

* وقيل للجُنيد: ممّن استفدتَ هذه العلوم؟ فقال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنةً تحت تلك الدَّرجة، وأشارَ إلى درجةٍ في داره.

* وقال أيضاً: ما أخذنا التَّصوُّفَ عن القالِ والقيل، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطعِ المألوفات والمُستحسنات.

* وقال أيضاً: التَّصوفُ ذكرٌ مع اجتماع، ووجدٌ مع استماع، وعملٌ مع اتّباع.

* وقال سمنون[1]: التصوُّفُ أن لا تملكَ شيئاً، ولا يملكَكَ شيءٌ.

* وقال ذو النُّون[2]: همّ قومٌ آثروا الله على كلِّ شيءٍ، فآثرهم على كلِّ شيءٍ.

* وقال الكتّاني[3]: التَّصوف خُلُقٌ، فمن زادَ عليك في الخُلُقِ، فقد زادَ عليك في الصفا.

* وفي الحديث عن أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ كان يعلفُ البعيرَ، ويقمُّ البيتَ[4]، ويخصفُ النَّعل، ويرقِّعُ الثوب، ويَحلبُ الشاة، ويأكلُ مع الخادمِ، ويَطحنُ معه إذا أعيا، وكان لا يمنعُهُ الحياءُ أن يحملَ بضاعتَهُ من السوق إلى أهله، ويصافحُ الغنيَّ والفقيرَ، ويَسلِّمُ مُبتدئاً، ولا يَحقرُ ما دُعيَ إليه، ولو إلى حشفِ[5] التمرِ،

---

(١) سمنون بن حمزة الخواص، أبو الحسن، البصري، صوفي ناسك من الشعراء، له مقطوعات في غاية الجودة، توفي ببغداد سنة ٢٩٠هـ.

(٢) ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري، أبو الفيض، أحد الزهاد العباد المشهورين، نوبي الأصل من الموالي، كانت له فصاحة وحكمة وشعر، وهو أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال، ومقامات أهل الولاية، فأُنكر عليه، واتهمه الخليفة المتوكل بالزندقة، فاستحضره إليه، وسمع كلامه ثم أطلقه، فعاد لمصر، ومات بالجيزة سنة ٢٤٥هـ.

(٣) محمد بن علي بن جعفر، أبو بكر الكتاني البغدادي إمام متصوف، صحب الجنيد وطبقته، كان واعظاً آمراً بالمعروف، توفي بمكة سنة ٣٢٢. انظر طبقات المناوي ٢/ ١٤٧.

(٤) في هامش (أ) و(ج): قممت البيت كنسته.

(٥) في (أ) و(ج): الحشف: اليابس الفاسد من التمر.

وكان هيّنَ المؤنةِ، ليّنَ الخُلُقِ، كريمَ الطبيعة، جميلَ المعاشرةِ، طلقَ الوجه، بسّاماً من غير ضحكٍ، مَحزوناً من غير عبوسةٍ، مُتواضعاً من غيرِ مَذلَّةٍ، جواداً من غير سرفٍ رقيقَ القلب، رحيماً بكلِّ مُسلمٍ، لم يتجشّأ قطُّ من شبعٍ، ولم يمدَّ يده إلى الطمع.

* وقال عُروةُ بنُ الزُّبير[1] رضي لله عنهما: رأيت عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه، وعلى عاتقةِ قربةُ ماءٍ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، لا ينبغي لك هذا. فقال: لمّا أتاني الوفودُ سامعين مُطيعين، دخلتْ في نفسي نخوةٌ[2]، فأحببتُ أن أكسرَها. ومضى بالقربةِ إلى حُجرةِ امرأةٍ من الأنصار، فأفرغها في إنائها.

* ورُوِي أَنَّ أبا هريرة رضي الله عنه مرّ في المدينة وهو أميرُها، وعلى ظهره حزمةُ حطبٍ، وهو يقول: طرِّقوا للأمير.

* ورُوِي أَنَّ عمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه كان يكتبُ شيئاً، وعنده ضيفٌ؛ وكادَ السِّراجُ أن يَنطفئ، فقال الضَّيفُ: أقومُ إلى المصباح فأُصلحه، فقال: ليسَ من الكرمِ استعمالُ الضيف. قال فأُنبّهُ الغلامَ؟ قال: لا، هي أولُ نومةٍ نامها. فقام إلى البطَّةِ[3]، وجعلَ الدُّهنَ في المصباح، فقال الضيف: قمتَ بنفسك، يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: ذهبت وأنا عمر، ورجعتُ وأنا عمر.

وكان يُؤتى بالحُلَّةِ قبل أن يليَ الخلافةَ، بألفِ درهم، فيقول: ما أحسنَها لولا خشونةٌ فيها. ويُؤتى بالحُلَّةِ وهو في الخلافةِ بأربعةِ دراهم أو بستَّة دراهم، فيقول: ما أحسنها، لولا نعومةٌ فيها.

* وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في دَلَقِهِ[4] بضعَ عشرةَ رقعةً، بعضُها من أَدَمٍ، وهو خليفة.

* وكذلك عليٌّ رضي الله عنه اشترى في خلافته قميصاً بثلاثة دراهم، وقطع أكمامَهُ من

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام (٢٢-٩٣هـ): أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالماً صالحاً كريماً. لم يدخل في شيء من الفتن.

(٢) النخوة: الافتخار والتعظّم.

(٣) في (ج): أي إناء القارورة.

(٤) في (أ) و(ج): الدَّلَق: قميص الجلد، أي ثوب غليظ اهـ.

أطرافِ الأصابع، وطافَ في السوق، وهو يقول: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، ثم يُعينُ الضَّعيف، ويُعلِّمُ الجاهل.

* وقال ابنُ المبارك رضي الله عنه: التكبُّرُ على الأغنياء، والتَّواضعُ للفقراء، من التَّواضع.

* وقال بشرُ بنُ الحارث رضي الله عنه: سلِّموا على أبناء الدُّنيا بترك السلام عليهم.

* ورُوي عن بشر بن الحارث أيضاً أنَّه قال: رأيت علياً رضي الله عنه في المنام، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، عظني، فقال: ما أحسنَ عطفَ الأغنياء على الفقراء، طلباً لثوابِ الله تعالىٰ، وأحسنُ من ذلك تِيهُ الفقراءِ على الأغنياء، ثقةً بالله، فقلت: زدني. فقال:

قد كنتَ مَيتاً فصرتَ حيًّا ... وعن قريبٍ تصيرُ مَيْتا
فدعْ بدارِ الفَناءِ بيتاً ... وابنِ بدارِ البَقاءِ بيتا[1]

* ويُروى له أيضاً كرَّمَ الله وجهه هذان البيتان:

دَليلُكَ أنَّ الفقرَ خيرٌ من الغِنى ... وأنَّ قَليلَ المالِ خيرٌ من المثري
لقاؤك عبداً قد عَصَى اللهَ بالغِنى ... ولم تلقَ عبداً قد عَصَى اللهَ بالفقرِ

* وقيل: كان إبراهيمُ بن أدهم رضي الله عنه، يوماً في قصرٍ قبل أن يدخلَ في طريقِ القوم، فرأى فقيراً في ظلِّ القصرِ أكلَ رغيفاً وشربَ ونام، فقال لغلامٍ له: إذا استيقظَ هذاكَ الفقيرُ فأتني به. فلمَّا استيقظَ جاءَهُ به، فقال له: يا فقير، أكلتَ الرَّغيفَ؟ قال: نعم. قال: شبعتَ؟ قال: نعم. قال: شربتَ الماء؟ قال: نعم. قال: رويتَ؟ قال: نعم. قال: نمتَ؟ قال: نعم. قال: استرحتَ؟ قال: نعم. قال: اذهب. ثم رجعَ إلى نفسه، فقال: هذا الفقيرُ أروحُ مني، فأيشٍ أعملُ في هذا الذي أنا فيه؟ فكان ذلك سببَ خروجه.

* وقيل: سببُ خروجه، أنَّهُ خرجَ يوماً يصطادُ، فأثارَ ثعلباً أو أرنباً، فبينما هو في طلبه، هتفَ به هاتفٌ: ألهذا خُلقتَ، أم بهذا أُمرتَ؟ ثم هتفَ به هاتفٌ، من قَرَبُوسِ[2]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلدة ١٨ في ترجمة الحسين بن علي بن جعفر، وذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ٤٢٥ و١١/ ٢٣٤، ١٢/ ٣٩٧ عن الفتح بن شخرف.

(٢) القَرَبُوس: حنو السرج، أي قسمة المقوّس المرتفع من قدّام المقعد ومن مؤخره.

سَرجه: والله، ما لهذا خُلقت، ولا بهذا أُمرت. فنزلَ عن مركوبه، وصادفَ راعياً لأبيه، فأخذَ جبَّةً للرَّاعي من صوفٍ، فلبسَها، وأعطاه فرسَهُ وما معه، ثم دخلَ البادية.

* ويُروى له أيضاً رضي الله عنه هذان البيتان:

تركتُ الخلقَ طُرًّا في رضاكا ... وأيتمتُ العيالَ لكي أراكا

فلو قطَّعتَني في الحبِّ إرْباً ... لَمَا حنَّ الفؤادُ إلى سِواكا[1]

* وقال بعضهم: صحبتُ إبراهيم بن أدهم فمرضتُ، فأنفقَ عليَّ نفقته، فاشتهيت شهوةً، فباع حمارَه وأنفق عليَّ، فلما تماثلتُ، قلتُ: يا إبراهيمُ، أين الحمار؟ قال: بعناه. فقلت: فعلى ما أركب؟ فقال: يا أخي، على عُنقي. فحملني ثلاثةَ منازل.

* وقيل الصُّحبة على ثلاثةِ أقسام، أحدُها: أن يصحبَ شيخاً فوقه في الرُّتبة، فأدبُهُ الخدمةُ، وتركُ الاعتراض، وحملُ ما يبدو منه على وجهٍ جميلٍ، وتلقّي أحوالِهِ بالإيمان. والثاني: أن يصحبَ من هو دُونه، فأدبُهُ الشَّفقةُ والرَّحمةُ والنَّصيحةُ، والتنبيهُ على المساوئ والنقصان، وإلاّ كانت خيانةً. والثالث: أن يصحبَ من هو في درجته ممَّن هو نظيرُه، فأدبُهُ الإيثارُ والفتوَّةُ والتَّعامي عن عيوبه، وحملُ ما يَرى منه على وجهٍ من التأويل جميلٍ ما أمكنَ، فإن لم يجدْ تأويلاً عادَ على نفسهِ بالتُّهمة واللَّوم. وأنشدوا في هذا المعنى:

ولا خيرَ فيمن لا يَرى عيبَ نفسهِ ... ويَعمى عن العيبِ الذي بأخيه

* وقال أبو عثمان الحِيري[2]: الصُّحبةُ مع الله بحُسن الأدب، ودوام الهيبة، والمراقبة. والصُّحبةُ مع الرَّسولِ ﷺ باتِّباعِ سُنَّته، ولزومِ ظاهرِ العلم. والصُّحبةُ مع أولياءِ الله بالاحترامِ والخدمة، والصُّحبةُ مع الأهلِ بحُسنِ الخلق، والصُّحبة مع الإخوان بدوامِ البِشرِ ما لم يكن إثماً، والصُّحبةُ مع الجُهَّال بالدُّعاء لهم والرحمةِ عليهم.

* وقيل: تذاكروا بين يدي يحيى بن مُعاذ[3] في الفقر والغِنى، فقال يحيى: إنَّ الفقرَ

---

(١) البيتان في روض الرياحين ١٦٧ (الحكاية: ٨٥) وصدر البيت الأول فيه: هجرت الخلق طراً في هواكا.

(٢) أبو عثمان الحيري، سعيد بن إسماعيل شيخ الجماعة، ومقدم الطائفة، أصله من الري، وسكن نيسابور، سمع الحديث، قال عنه الخطيب البغدادي: كان مجاب الدعوة. مات سنة ٢٩٨.

(٣) يحيى بن معاذ الرازي واعظ زاهد، لم يكن له نظير في وقته، أقام ببلخ، ومات في نيسابور سنة ٢٥٨.

والغنى لا يُوزنان يومَ القيامة، وإنَّما يُوزنُ الصَّبرُ والشُّكرُ، فتعالوا بنا نشكرُ ونصبر.

* وقال أبو حمدان المَغازليُّ: كان ببغداد رجلٌ فرّقَ على الفقراءِ أربعين ألف درهم، فقال لي سمنون: يا أحمد، أما ترى ما قد أنفقَ هذا، وما قد عمله ؟ ونحن ما نجدُ شيئاً، فامضِ بنا إلى موضعٍ نُصلّي بكلِّ دِرهمٍ أنفقَهُ ركعةً، فمضينا إلى المدائنِ[1]، وصلّينا أربعين ألف ركعة.

* وقيل: كان بعضُهم يتلطَّفُ في إدخالِ الرِّفقِ على إخوانه، يضعُ عندهم ألف درهم فيقول: أمسكوها حتى أعودَ إليكم، ثم يُرسلُ إليهم: أنتم منها في حلّ.

* وقال أبو جعفر الحدَّادُ[2] أُستاذُ الجُنيد: كنت بمكَّةَ فطالَ شعري، ولم يكن معي قطعةٌ، فتقدَّمتُ[3] إلى مُزيِّنٍ توسَّمتُ فيه الخير، وقلتُ: تأخذُ شعري لله تعالىٰ ؟ فقال: نعم وكرامة. وكان بين يديه رجلٌ من أبناء الدُّنيا، فصرفه وأجلسني، وحلقَ شعري، ثم دفعَ إليّ قرطاساً فيه دراهم، وقال: تستعينُ بها على بعضِ حوائجك. فأخذتُها، واعتقدتُ أن أدفعَ إليه أولَ شيءٍ يُفتح عليّ، قال: فدخلتُ المسجدَ، فاستقبلني بعضُ إخواني، وقال: جاء بعضُ إخوانك بصُرَّةٍ من البصرة فيها ثلاث مئة دينار، قال: فأخذتُ الصُّرَّةَ، وحملتُها إلى المُزيِّنِ، وقلتُ: هذه ثلاث مئة دينار تصرفُها في بعض أمورك. فقال: ألاَ تستحي يا شيخ ؟ تقولُ لي احلق شعري لله، ثم آخذُ عليه شيئاً! انصرف عافاك الله.

* وعن الشِّبليِّ[4] رضي الله عنه قال: قال لي خاطري يوماً: أنتَ بخيل، فقلتُ له: ما أنا بخيل. فقال: بلى، أنتَ بخيل. فقلتُ له: ما أنا بخيل، فقال: بلى أنت بخيل. فنويتُ أنَّ أوَّلَ شيءٍ يُفتح عليَّ أُعطيه أوَّلَ فقيرٍ ألقاه، فما تمَّ هذا الخاطرُ حتى دخلَ عليّ

---

(١) المدائن عاصمة الدولة الساسانية، وتقع أطلالها جنوب شرق بغداد بحوالي ٢٥ كم، كان فتحها على يد سعد بن أبي وقاص سنة ١٦ هـ. الموسوعة العربية الميسرة.

(٢) أبو جعفر الحداد صحب أبا تراب النخشبي، مكث عشرين عاماً يعمل كل يوم بدينار، وينفقه على الفقراء. الطبقات الصغرى للمناوي ١١٥.

(٣) في (ج): فقدمت.

(٤) أبو بكر الشبلي، دلف بن جحدر (٢٤٧ـ٣٣٤هـ) كان في بدايته والياً في دنباوند، وولي الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب الحجاب، ثم ترك الولاية، وعكف على العبادة، واشتهر بصلاحه، له شعر جيد.

فلانٌ ـ سمّاه ـ بخمسين ديناراً، فقال: فأخذتُها، وخرجت، فأوّلُ من لقيت فقيرٌ ضرير ـ أو قال أكمه ـ بين يدي مُزيّنٍ يَحلقُ شعره، فناولته ذلك، فقال: أعطه المُزيِّنَ. فقلت: إنَّها دنانير. فرفعَ رأسه إليَّ، فقال: ما قلنا لك إنَّك بخيل! فناولتها المُزيِّنَ، فقال: مُذْ قعدَ بين يدي هذا الفقير عقدتُ مع الله تعالىٰ عقداً أن لا آخذَ على حلاقتِهِ شيئاً. قال: فأخذتُها، وذهبتُ إلى البحرِ، ورميتُ بها فيه، وقلت: فعلَ اللهُ بك وفعل، ما أحبَّكَ أحدٌ إلاّ أذلَّهُ الله. رضي الله عن الثلاثة، ونفعنا بهم[1].

قلت: فإن اعترضَ الفقهاءُ على هذا، وقالوا: هذا إضاعةُ مالٍ، فالجواب من ثلاثةِ أوجهٍ: أحدُها: أن يكونَ فعلَ ذلك في حالِ حالٍ وردَ عليه، وذو الحالِ الغائبِ غيرُ مكلَّفٍ. الثاني: أن يكونَ أُشهدَ فيها سُمًّا مُهلكاً مَن صارت إليه، فأتلفها، كما تُتلفُ الأفعى. الثالث: أن يكونَ بإشارةٍ مؤذنةٍ بالإذن، اضطرته إلى ذلك، ولم يجدْ عنه محيصاً. هذا ما ظهر لي في ذلك والله أعلم.

* وقيل خرجَ عبدُ الله بن جعفر الطيَّار[2] رضي الله عنهما إلى ضيعةٍ له. فنزلَ على نخيلِ قومٍ، وفيها غلامٌ أسودُ يعملُ فيها، إذ أُتي الغلامُ بقُوتِهِ، ودخلَ كلبٌ من الحائطِ، فدنا من الغلام، فرمى الغلامُ له بقرصٍ، فأكلَهُ، ثم رمى إليه بالثاني، والثالث فأكله، وعبدُ الله ينظرُ، فقال: يا غلام، كم قُوتُكَ كلَّ يوم؟ قال: هو ما رأيتَ. قال: فلمَ آثرتَ هذا الكلبَ؟ قال: ما هي بأرضِ كلابٍ، إنَّما جاءَ من مسافةٍ بعيدةٍ جائعاً، فكرهتُ ردَّه. قال: فما أنتَ صانعٌ اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا. فقال عبدُ الله بنُ جعفر: يلومونني على السخاء! وهذا أسخى مني. فاشترى الغلامَ والحائطَ وما فيه من الآلات، فأعتقَ الغلامَ، ووهب له الحائطَ وما فيه.

* وقيل: لما قَدِمَ الإمامُ الشافعي رضي الله عنه من صنعاءَ إلى مكّةَ كان معه عشرةُ آلاف دينار، فقيل له: تشتري بها ضيعةً؟ فضربَ خيمةً خارجَ مكّةَ، وصبَّ الدنانير، فكلُّ من

---

(١) روض الرياحين صفحة ١٨٧ (الحكاية: ١١٤).

(٢) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (١ـ٨٠هـ) صحابي،ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، وهو أول من ولد بها من المسلمين، كان كريماً يسمى بحر الجود، وكان أحد الأمراء في جيش علي رضي الله عنه يوم صفين، مات بالمدينة.

دخلَ عليه أعطاه قبضةً، فلمَّا جاءَ وقتُ الظهر قامَ ونفضَ الثَّوبَ، ولم يبقَ شيءٌ.

وقيل: إنَّ أمَةً قالت له: لو دخلتَ ومعكَ دِرهمٌ ما سلَّمْتُ عليك.

* وقيل: كان أبو مَرثد أحدَ الكِرام، فمدحه بعضُ الشُّعراء، فقال: ما عندي ما أعطيك؛ ولكن قدّمني إلى القاضي، وادَّعِ عليَّ عشرةَ آلاف درهم، حتّى أُقرَّ لك بها، ثم احبسني، فإنَّ أهلي لا يتركونني مسجوناً، ففعل ذلك، فلم يُمْسِ حتى دَفَعَ إليه عشرةَ آلاف درهم.

* وسأل شخصٌ سيِّدنا الشيخَ أبا هادي رضي الله عنه شيئاً، وشكا عليه حالَهُ، وقد أصابَ الشيخَ فاقةٌ شديدةٌ، وهو في حالِ السياحة في الحجاز، فقال له: ما عندي ما أُعطيك، ولكن خذني وبعني، وانتفعْ بثمني. فقال له: وتفعلُ ذلك ؟ قال: نعم. فأخذه، ثم قال له الشيخ أكرمه الله: ما يتمُّ لك هذا حتى تضعَ في رقبتي حبلاً، وتقودني، ففعلَ، ثم سار به، فلقي شخصاً، فباعه منه بمئتي درهم وخمسين، ثم أطلقَهُ المُشتري، ثم لقي شخصاً آخر، فشكا عليه حالَه وضرورتَه، فسلَّم له نفسَه كما سلَّمَ للأول، فمشى به وباعه بمئتين، ثم خلاّه المُشتري أيضاً، وراح، ثم جاءَ شخصٌ آخر بلحمِ نصفِ شاةٍ، وما يحتاجُ إليه من الملح والسكين والقراعة[1]، وقطعَ له اللَّحمَ وقرّع له النار، وذهب وخلاّه، فتولّى الشيخُ الشغلَ، وأكلَ، ولم يسأله عن شيءٍ. حيّاه الله في فتوته المشهورة، ومكارمِهِ المشكورة؛ ونفعنا والمسلمين به وبالصالحين، آمين.

* وقال بعضُهم: دخلتُ على بشرِ بن الحارث في يومٍ شديدِ البردِ، وقد تعرّى من الثياب، وهو ينتفضُ، فقلت: يا أبا نصر، النَّاسُ يزيدون في مثلِ هذا اليوم، وأنت قد نقصتَ. فقال: ذكرتُ الفقراءَ، وما هم فيه، ولم يكن لي ما أُواسيهم به، فأردتُ أن أوافقهم بنفسي.

* وقيل: سألَ رجلٌ الحسنَ بنَ عليٍّ رضي الله عنهما فأعطاه خمسين ألف درهم، وخمس مئة دينار وقال: ائتِ بحمّالٍ يحمل لك، فأتى بحمّال، فأعطاه طيلسانَهُ، وقال: يكون كراء الحمَّال من قِبلي.

---

(١) جاء في هامش (ج): القِرَاعة: اسم حجر يخرج منها نارٌ، ويُقال له: آلة الشوي.

* ولله درُّ القائل في مدح الأسخياء[1]:

وهم يُنفقونَ المالَ في أوّل الغنى ... ويَستأنفون الصَّبرَ في آخرِ الصَّبرِ
إذا نـزلَ الحـيَّ الغـرَيـبُ تَقـارعـوا ... عليه فلم يُدْرَ المُقلُّ من المُثري

* ولله درُّ القائل الآخر[2]:

تَعـوَّدَ بسـطَ الكـفِّ حتّـى لـو أنّـه ... ثنـاهـا لقَبْـضٍ لـم تُطعْـهُ أنـاملُـهْ
فلـو لـم يَكـنْ فـي كفِّه غيرُ نفسِهِ ... لجـادَ بهـا فليتَّـقِ اللهَ سـائلُـهْ

* ولله درُّ القائلِ في ذمِّ بعض البُخلاء:

تحلّـى بـأسمـاءِ الشُّهـورِ فكفُّـهُ ... جُمادى وما ضمَّت عليه المُحرَّمُ

* ولله درُّ القائل الآخر[3]:

إذا كَسَـرَ الـرَّغيـفَ بكـى عليـه ... بكـا الخَنسـاءِ إذ فُجِعَـتْ بصخـرِ
ودونَ رغيفِـهِ قلـعُ الثَّنـايـا ... وضَـرْبٌ مثـلُ وقعـةِ يـومِ بـدرِ

* وفي ذمِّ من يُحبُّ الدنيا، ويجمعُ المالَ، ويجودُ بإنفاقٍ على الأغنياء للرياء دون الفقراء ذوي الحاجات، قلتُ في بعض القصيدات:

تكالبتَ في تجميع سُحْتٍ حُطامِها ... فتجـري ولا تَـدري تَكـدُّ وتَكـدحُ
وتَحـرِمُـهُ المسكيـنَ بُخـلاً لحبِّـهِ ... وتَبـذلُـهُ لـلأغنيـاء وتَمنـحُ
تُـرى فيـه سمحـاً مُنفقـاً يـا منـافقـاً ... ولولا الرِّيا ما كنتَ بالفَلْسِ تَسمحُ
وإلاّ فجربْ أنفقِ المالَ في الخلا ... وخلِّ الملا فالنَّفْسُ تأبى وتَجمحُ

* وأنشدني بعضُ الفقراءِ لبعضهم:

وقـائلـةٍ مـاتَ الكِـرامُ فمـن لنـا ... إذا عضَّنـا الـدَّهـرُ المليـمُ بنـابِـهِ

---

(1) البيتان للشريف الرضي، انظر ديوانه صفحة ٥٠٢.
(2) البيتان لأبي تمام من قصيدة مطلعها:
أجـل أيهـا الـربـع الـذي خـف أهلـه ... لقـد أدركـت فيـك النـوى مـا تحـاولـه
(3) البيتان لأبي نواس. وفي الديوان: إذا فقد الرغيف.

فقلتُ لها من كانَ غايةُ سُؤلِهِ   سُؤالاً لمخلوقٍ فليسَ بنابهِ[1]

فإنْ ماتَ من يُعطي فمُعْطيهمُ الذي   تُرجِّينه حيٌّ فلوذي بنا بهِ[2]

* وسألتِ امرأةٌ اللَّيثَ بن سعد[3] سُكُرَّجةً[4] عسلٍ، فأمر لها بزقٍّ من عسلٍ، فقيل له في ذلك، فقال: إنها سألتْ على قدرِ حاجتها، ونحنُ نُعطي على قدر نعمتنا.

* وقال ابنُ المبارك رضي الله عنه: سخاءُ النَّفسِ عمَّا في أيدي الناس أفضلُ من سخاءِ النَّفس بالبذل.

* وقيل: إنَّ رجلاً أتى إبراهيمَ بن أدهم بعشرةِ آلاف درهم، فأبى أن يَقبلها، وقال: تريدُ أن تَمحوَ اسمي من ديوانِ الفقراء بعشرةِ آلاف درهم! لا أفعل.

* ولله درُّ القائل:

ولستُ بميَّالٍ إلى جانبِ الغِنى   إذا كانتِ العلياءُ في جانبِ الفقرِ

* ولله درُّ القائل الآخر[5]:

تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا   ومَنْ خَطَبَ الحسناءَ لم يَغلُها مهرُ

* وقال إبراهيم الخوَّاص رضي الله عنه: ما هالني شيءٌ قطُّ إلاّ ركبتُهُ.

* وقال أيضاً: دخلتُ البادية مرَّةً فرأيتُ نصرانياً على وسطه زنَّارٌ، فسألني الصُّحبةَ، فمشينا سبعةَ أيامٍ، فقال لي: يا راهبَ الحنيفيَّةِ، هاتِ ما عندك من الانبساطِ؛ فقد جعنا، فقلت: إلهي، لا تفضحني مع هذا الكافر. فرأيت طبقاً عليه خبزٌ وشواءٌ ورُطَبٌ وكوزُ ماءٍ، فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيامٍ، ثم بادرتُ، وقلتُ: يا راهبَ النَّصرانية، هاتِ ما عندكَ؛

---

(١) في هامش (أ) و(ج): بنابهٍ أي عاقل.

(٢) في هامش (أ): الناب الأول من الثغر، والثاني النباهة، والثالث من الضميرين: أحدهما بنا، والثاني به أي معنابه.

(٣) الليث بن سعد، أبو الحارث (٩٤ـ١٧٥هـ) إمام أهل مصر في عصره، حديثاً وفقهاً، كان من الكرماء الأجواد، وكان كبير الديار المصرية بحيث أن القاضي والنائب من تحت مشورته، قال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

(٤) السكرجة: إناء صغير يؤكل فيه الشيءُ القليل من الأدم، وهي فارسية. اللسان (سكرج).

(٥) البيت لأبي فراس الحمداني، الديوان ١٤٥.

فقد انتهت النوبةُ إليك، فاتّكأ على عصاه ودعا، فإذا بطبقين عليهما أضعافُ ما كان على طبقي، قال: فتحيَّرتُ وتغيَّرتُ، وأبيتُ أن آكل، فألحَّ عليَّ، فلم أُجبْه، فقال: كلْ، فإني أُبشِّركَ ببشارتين؛ إحداهما: أشهدُ أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله، وحلَّ الزُّنار، والأخرى قلتُ: اللَّهُمَّ، إن كان لهذا العبدِ خطرٌ[1]. عندك فافتحَ عليَّ، فأكلنا ومشينا وحججنا، وأقمنا بمكَّة سنة؛ ومات فدُفن بالبطحاء[2].

* وقال محمد بن المُبارك الصُّوري[3]: كنتُ مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس، فنزلنا وقتَ القيلولةِ تحتَ شجرةِ رمَّانة، فصلَّينا ركعات، وسمعتُ صوتاً من أصلِ تلك الرُّمانة: يا أبا إسحاق، أكرمنا بأن تأكلَ منَّا شيئاً، فطأطأ إبراهيمُ رأسَهُ، فقال ثلاث مرات، ثم قالت: يا محمد، كنْ شَفيعاً إليه ليتناولَ منَّا شيئاً، فقلت: يا أبا إسحاق، لقد سمعتَ. فقام وأخذَ رمَّانتين، فأكلَ واحدةً، وناولني الأُخرى، فأكلتها وهي حامضةٌ، وكانت شجرةً قصيرةً، فلما رجعنا من زيارتنا إذ هي شجرةٌ عاليةٌ ورمَّانُها حلوٌ، وهي تثمرُ في كلِّ عامٍ مرتين، وسمُّوها رمانة العابدين، ويأوي إلى ظلِّها العابدون[4].

* وقال بعضُهم: كُنَّا بعسقلان، وشابٌّ يَغشانا يتحدَّثُ معنا، فإذا فرغنا قامَ إلى الصلاة يُصلِّي، قالَ: فودَّعني يوماً، وقال: أريدُ الإسكندرية. فخرجتُ معه، وناولته دُريهماتٍ، فأبى أن يأخذها، فألححتُ عليه، فألقى كفًّا من الرَّمل في ركوته، واستقى من ماءِ البحر، وقال كلمةً، فنظرت فإذا هو سَويقٌ[5] بسكَّرٍ كثيرٍ، فقال: من كان حالهُ معه مثل هذا يَحتاجُ إلى دَراهمك، ثم أنشدَ يقول:

بحقِّ الهوى يا أهلَ ودِّي تفهَّموا   لسانَ وجودٍ بالوجودِ غَريبُ[6]

---

(١) جاء في هامش (ج): وفي نسخة حظٌّ.

(٢) روض الرياحين ١٨٨ (الحكاية: ١١٥).

(٣) محمد بن المبارك الصوري القرشي العابد الحافظ الحجة الفقيه، كان شيخ دمشق وفقيهها، خرَّجوا له في الكتب الستة، دفن بدمشق بباب الجابية سنة٢١٥.

(٤) روض الرياحين ٣٠٥ (الحكاية: ٢٥١).

(٥) السَّويق: طعام من دقيق الشعير أو الحنطة المقلو. متن اللغة (سوق).

(٦) في هامش (أ): الوجود الأول هو الغيبة بشهود المعبود، والوجود الثاني هو الوجود اللغوي.

حـرامٌ علـى قلـبٍ تعـرَّضَ للهـوى   يكـونُ لغيـرِ الحـقِّ فيـه نصيـبُ[1]

* وقال بعضُهم: أشرفتُ على إبراهيمَ بنِ أدهم وهو في بستانٍ يَحفظه، وقد أخذه النَّومُ، وإذا حيَّةٌ في فيها طاقةُ نرجسٍ تُروِّحُهُ بها.

* وقال بعضُهم: كنتُ مع ذي النُّون المصري في البادية، فنزلنا تحتَ شجرةِ أُمِّ غَيلان[2]، فقلنا: ما أطيبَ هذا الموضع، لو كانَ فيه رُطَبٌ، فتبسَّمَ ذو النون، وقال: تشتهونَ الرُّطَبَ ؟ وحرّكَ الشجرة، وقال: أقسمتُ عليك بالذي ابتدأك وخلقَكِ شجرةً، إلاّ نثرتِ علينا رُطباً جنياً، ثم حرَّكها فنثرتْ رُطباً جنياً، فأكلنا وشبعنا، ثم نِمنا وانتبهنا، وحرّكنا الشجرةَ فنثرت علينا شوكاً[3].

* وسُئل ذو النون رضي الله عنه، عن أصل توبتِهِ، فقال: خرجتُ من مصرَ إلى بعضِ القُرى، فنمتُ في الطريق، وانتبهتُ، وفتحتُ عينيّ، فإذا أنا بقُنْبَرةٍ[4] عمياء، سقطتْ من شجرةٍ، فانشقَّتِ الأرضُ فخرجَ منها سُكُرُّجتان، إحداهما من ذهبٍ، والأخرى من فضَّةٍ، في إحداهما سِمسمٌ، وفي الأخرى ماءُ وردٍ ـ أو قال: ماءٌ ـ فأكلتُ من هذه، وشربتُ من هذه، فقلتُ: حسبي الله، ولزمتُ البابَ إلى أن قَبلني.

* وقال بعضُهم: ويُروى عن إبراهيم بنِ أدهم رضي الله عنه: طلبَ أبناءُ الدُّنيا الرَّاحةَ في الدُّنيا فأخطؤوا، ولو علموا أنَّ المُلك ما نحن عليه لقاتلونا عليه بالسيف.

* ورُوي أنَّ الفقراءَ كانوا في مجلس سفيان الثوري كأنَّهم الأمراء.

* وفي مدح الفقر قلت:

وقـائلـةٍ مـا المجـدُ للمـرءِ والفخـرُ   فقلتُ لها شيءٌ لبيضِ العُلا مهرُ
فـأمَّا بنـو الـدنيـا ففخـرُهُـمُ الغنـى   كزهرٍ نضيرٍ في غدٍ يَيبسُ الزَّهرُ
وأمَّا بنو الأُخرى ففي الفقرِ فخرُهُمْ   نضـارتُـهُ تـزدادُ مـا بقـي الـدَّهـرُ

---

(١) روض الرياحين ٣٠٦ (الحكاية ٢٥٢).

(٢) أم غيلان: شجر صغير الورق قصير الشوك، له ثمر أصفر، وخشبه جيد. متن اللغة (غيل. سمر).

(٣) روض الرياحين ٣٠٥ الحكاية (٢٥١).

(٤) القنبرة: ضرب من الطير كالعصافير. متن اللغة (قبر. حمر).

* غيره:

فقالتْ نعم قلْ غيرَهُ قلتُ مُنشداً ... فأطربَ قمري أيكتي[1] عندما شدا

وحرّكَ أهلَ الحبِّ في الفقرِ شاجياً ... غـريبـاً معنّـى بـالسيـاحـةِ واجـدا

بفقـرِ الفتـى فخـرٌ إذا كـان راضيـاً ... وفـي جيـفِ الـدُّنيـا الـدَّنيَّـةِ زاهـدا

وغــربتُــهُ عــزٌّ إذا كــانَ طــالبــاً ... لعلمٍ وحجِّ البيتِ أو ساحَ عابدا

* غيره:

فقالتْ وفى مَنْ كان في الحبِّ مُشغفاً ... ويشكو القِلا قُل قلتُ في الليل في الخفا

أيا مُشتكي الأسقام طالعْ لعلَّ في ... بَهَا الطَّلعةِ الغرّا لأسقامِكَ الشِّفا

تنـاديـكَ كـم تَشكـو بـأنّـي مُعـذَّبٌ ... بنارِ القِلا من نارِ يأسٍ على شفا[2]

هجـرنـاك لمَّـا أنْ هـويـتَ لغيـرِنـا ... وأوليتَنا الإعراضَ والصَّدَّ والجفا

فإنْ جئتنا عن ذلك الذَّنبِ تائباً ... فعن كلِّ ذنبٍ قد مضى حلمُنَا عفا

فمُتْ عن سوانا وافْنَ تحيا بوصلِنا ... وكنْ صوفياً نلقاكَ بالطِّيبِ والصَّفا

* غيره:

فقالتْ أَجلْ قُلْ في مُحبٍّ مُعلَّلٍ ... بـراحِ وصـالٍ قلـتُ حيـن تغـزّلـي

لِيهْـن لعينيـكِ المنـايـا مُـواصـلاً ... برؤياهما غالي الجمالِ المُكمَّلِ

ويَهنيـكِ يهنـى طيـبُ عيـشٍ لعـزَّةٍ ... كما قد سقتْكَ السلسبيلَ الهنيِّ الحلي

ومِـنْ راحِ وصـلٍ أنهلتْـكَ وعلَّلـت ... فيـا سَعـدَ معلـولٍ لعـزَّةَ مُنهَـل

وأبدتْ لك الحسنَ الذي قد تفرَّدَتْ ... به جلَّ عن وصفٍ له أنت تجتلي

تجلَّت بوجهٍ أقبلتْ شمسُ حسنِهِ ... فولّت دياجي ظلمةِ اللَّيلِ تَنجلي

وباحتْ لتُوليك السُّرورَ بسرِّها[3] ... فنلتَ المُنى والعزَّ والمنزلَ العلي

وولّتكَ مُلكَ الكون والدهر أخدمت ... غلاماً وقالتْ ولِّ من شئتَ واعزلِ

---

(١) في (ب): قمريٌّ بكى.

(٢) في هامش (أ) و(ج): على شفا أي على حرف.

(٣) في هامش (أ) و(ج): بحُسنها.

فولّى الشَّقا عن طيبِ عيشِكَ مُدبراً لسعدٍ بدا من قبلة اليُمنِ مُقبِلِ
فخذ ذا ودع قولَ امرئ القيسِ مغوياً قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
رأى وأرى لا شيءَ شيئاً ولم يرِ إلى كلِّ شيءٍ في الجمال المُسربلِ
بسربالِ حسنٍ قد أماطت لصالحٍ وعن طالحٍ فوقَ المحاسنِ مُسبَلِ
حبت ذاك نوراً أبصرتْ عينُ قلبِهِ به حسنَها في الحالِ قبلَ التأمُّلِ
ولم تعطِ ذا من نورِها ما به يَرى فاضحى عمٍ عن حُسنها الباهجِ الجلي[1]

* غيره:

فقالت كذاك السُّكرُ والعذلُ والسَّترُ قلِ الشِّعرَ فيها قلتُ لما بدا بدرُ
أُميطت ستورٌ عن غوالي مَحاسنٍ لأهلِ الهوى عن غيرِهم أُسبل السَّترُ
خمارٌ وخمرٌ كالنقيضين كلَّما نأى عن مُحيَّاها الخمارُ دنا الخمر
ودارتْ كؤوسُ الرَّاح تسقي أُولي الهوى مُداماً لأهلِ الحبِّ مِنْ شمِّها سكرُ
فاضحوا سُكارى ثم أمسوا فأصبحوا مدى دهرِهم من سكرِهم سَكِرَ الدَّهرُ
وعاذلةٍ أضحتْ تلومُ ولو درتْ لكان سريعُ العذلِ يسبقُهُ العُذرُ
إذا لم بليلى يَحْسُنُ الشِّعرُ والهوى فيا ليتَ شِعري من به يَحسنُ الشِّعرُ

* قلتُ: قد أكثروا من ذِكر ليلى، وسلمى، وغيرهما تستراً وكنايةً عن الحبيب، وفي ذلك قلتُ في قصيدة:

بهندٍ ودعدٍ خوفَ واشٍ وحاسدٍ أُمَوِّه عن سَلمى وعن أمِّ سالمِ

* وقلت في أخرى:

عنِ المنزلِ العالي أُموِّه بالنَّقا وأكني بسلمى عن حبيبِ الضَّمائرِ

* وكثيراً ما ينشدون قولَ القائل[2]:

---

(١) في (أ): الباهج العلي، وفي (ب): الحلي، والمثبت من (ج).

(٢) جاء في المطبوع فقط بعد قوله: وكثيراً ما ينشدون قوله القائل، ما نصه.

كتمتُ الهوى عن غيرِ أهلِ صبابةٍ لحفظِ الهوى حتّى تَلفتُ كآبة
فلم يبقَ في كاسي هواها صُبابةٌ وإني لأخشى أنْ أموتَ صَبابة
وفي النفس حلجات بليلى كما هيا =

وإنّـي لأخشـى أن أمـوتَ صبـابـةً وفي النَّفسِ حاجاتٌ بليلى كما هيا
علـى مثـل ليلـى يَقتُـلُ المـرءُ نفسَـهُ وإنْ بات من ليلى على اليأس طاويا[1]

* وأنشد بعضهم[2]:

علـيَّ لـربـعِ العـامـريـةِ وقفـةٌ يُمِلُّ[3] عليها الشَّوقُ[4] والدَّمعُ كاتبُ
ومن مذهبي حبُّ الدِّيارِ لأهلِها وللنَّـاسِ فيمـا يَعشقـونَ مَـذاهـبُ

* وأنشد آخر:

مـا كـلُّ مُقتبـسٍ نـاراً تلـوحُ لـه أنـوارُ ليلـى ولا ليلـى لـه تَعِـدُ

* وأنشد آخر:

فلـو داواكَ كـلُّ طبيـبِ ديـرٍ بغيـرِ كـلامِ ليلـى مـا شفـاكـا

* وأنشدَ آخرُ:

ومُستخبـرٍ عـن سـرِّ ليلـى رددتُـهُ فـأصبـحَ فـي ليلـى بغيـرِ يقيـنِ
يقـولـونَ أخبـرنـا فـأنـتَ أمينُهـا ومـا أنـا إنْ أخبـرتُهُـم بـأميـنِ

* وأنشد آخرُ:

من سارَرُوه فأبدى السِّرَّ مُجتهداً لم يأمنوه على الأسرارِ ما عاشا
وبـاعـدوه ولـم يسعـدْ بقـربهِـمُ وأبـدلـوه مـن الإينـاسِ إيحـاشـا
لا يصطفون مُذيعاً بعضَ سرِّهم حاشا ودادهم من ذاك ما حاشا[5]

= ومـن فـارقَ العيشَ الهنيء وأُنسَـهُ حقيـقٌ عليـه أن يـلازمَ رَمْسَـهُ
فـلا بـأسَ فـي ذا حبُّهـا ذاقَ بـأسَـهُ علـى مثـل ليلـى يقتـلُ المـرءُ نفسَـهُ
وإن بـاتَ مـن ليلـى علـى اليـأس طـاويـا

(١) البيتان لمجنون ليلى الديوان ٢١٥ .
(٢) البيتان لأبي فراس الحمداني الديوان صفحة ٤٢ .
(٣) جاء في هامش (أ): املت الكتاب، أمليته على الكاتب ليكتبه.
(٤) في الديوان: تُملُّ عليَّ الشوق.
(٥) في روض الرياحين ٣٠١ (حكاية ٢٤٤): في ذلكم حاشا.

* وقيل: كان الشيخ الكبير العارف أبو علي السُّناط[1] قدَّس الله روحه، وأعادَ علينا من بركته، إذا خرجَ من مكَّةَ للعُمرة، يأخذُ طريقاً غير طريقِ الناس، ويُنشد:

أعينـيْ مَهـاة القفـرِ عنّـي إليكمـا ... لليلـى علينـا بـالفـلاةِ رقيـبُ

فسألني بعضُ الأصحاب أن أزيدَ عليه بيتاً آخر، فاعتذرتُ، وقلت: إذاً يكونُ هذا البيتُ من ذهبٍ، والذي أقوله من خشب، فلمَّا رأيتهُ راغباً في ذلك، قلتُ هذه الأبيات الثلاثة على حسب ما اتَّفق:

أَمـرُّ طـريقـاً بـاللِّـوى إن مَـررتمـا ... بـوادِ النَّقـا خـوفَ الـرَّقيـبِ أَغيـبُ

فـإنْ نظـرتْ عينـاي يـومـاً إليكمـا ... غضضتُهمـا كيـلا يَغـارَ حَبيـبُ

فحسبـي حبيـبٌ فـي الفـؤادِ مُخيِّـمٌ ... وعيـشٌ لليلـى عـن سـواه يطيـبُ

* وسَمِعَ الشيخُ الجليل العارف أبو بكر الشبلي رضي الله عنه مُنشداً يقول:

أُسائلُ عن سلمى فهل من مخبِّرٍ ... يكـونُ لـه علـمٌ بهـا أيـنَ تنـزلُ

فصاح، وقال: واللهِ ما عنه في الدَّارين مخبر.

* وأنشد آخر:

ألا يـا نسيـمَ الـرِّيـحِ مـا لـكَ كلَّمـا ... تبـاعـدتَ ميـلاً زادَ نشـرُكَ طيبـا

كـأنَّ سُليمـى خُبِّـرتْ بسقَـامنـا ... فـأعطتْـكَ ريّـاهـا فجئـتَ طبيبـا

* وقال الشيخ العالم العارف أبو سُليمان داود الشاذلي[2] رضي الله عنه في بعض قصائده:

أيا نفسُ للمغنَى[3] الأجلِّ تطلّبي ... وكُفّي عن الدَّارِ التي قد تقضَّتِ

فكم أبعدتْ إلفاً وكم كدَّرتْ صفا ... وكم جدَّدتْ من تَرحةٍ بعد فَرحةِ

---

(١) في هامش (ج): السناط بالكسر والضم الكوسج. لا لحية له أصلاً.

(٢) داود بن ماخلا السكندري الشاذلي أبو سليمان شيخ الطريق في عصره، انتهت إليه تربية المريدين بالنظر، كان أُمياً، وله عدة مؤلفات، عمل شرطياً ببيت والي الإسكندرية، أخذ عنه محمد وفا، مات حوالي سنة ٧٣٥. انظر طبقات المناوي ٢/ ٤١٠.

(٣) في (أ) و(ب): للمعنى.

كذا أوضعت كيما تغرّى إلى العلا فتكديرُها من سرٍّ لطفٍ وحكمةِ
فلو جُعلت صفواً شُغلت بحبِّها ولم يك فرقٌ بين دنيا وجنَّةِ
لعمرُك ما الدُّنيا بدارِ أخي حِجا فيلهو بها عن دارِ فوزٍ وعزَّةِ
عن الموطنِ الأسنى عنِ القُربِ واللِّقا عن العيشِ كلُّ العيشِ عند الأحبَّةِ
فواللهِ لولا ظُلمةُ الذَّنبِ لم يطبْ لك العيشُ يوماً دونَ مَيَّ وعزةِ

* وقيل: كان لبعض الملوك جاريةٌ يقال لها جوهرة، فأعتقها، فمرّت بأبي عبد الله البَراثي[1]، وهو في كوخٍ له يتعبَّدُ، فتزوّجت به، وتعبَّدت معه، فرأتْ في المنام خياماً مَضروبةً، فقالت: لمن ضُربت هذه الخيام؟ فقيل: للمتهجّدين[2] بالقرآن. وكانت بعدُ لا تنام، وكانت توقظُ زوجَها، وتقول: عبد الله، قد سارت القافلة.

* وأنشد بعضُهم:

أراني بعيدَ الدَّارِ لم أقربِ الحمى وقد نُصبتْ للسَّاهرين خيامُ
علامةُ طردي طولَ ليلي نائمٌ وغيري يرى أنَّ المنامَ حرامُ

* وقيل: سُمعت عابدةٌ في الليل في بعض البراري تقول:

وكيفَ تَنامُ العينُ وهي قريرةٌ ولم تدرِ في أيِّ المحَلَّينِ تنزلُ

* وكانت عَمْرَةُ امرأةُ حبيب العجمي توقظُهُ بالليل، وتقول: قم يا رجل، فقد ذهبَ اللَّيلُ، وبين يديك طريقٌ بعيد، وزادُنا قليل، وقوافل الصَّالحين قد سارت قدَّامنا، وبقينا نحن.

* وأنشدَ الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه[3]:

بقدرِ الكدِّ تُكتسبُ المعالي ومن رامَ العُلا سهرَ الليالي

---

(١) عابد زاهد متقرب لله، له خوارق ومكاشفات، دارت شهرته على فوائده ومناجاته. انظر طبقات المناوي ١/٥٥٣.
(٢) في (ج) والمطبوع: للمجتهدين.
(٣) الديوان صفحة ١٥٦.

* وأنشد آخر[1]:

ذريني أنلْ ما لا يُنالُ من العُلا ... فصعبُ العُلا في الصَّعبِ والسَّهلُ في السهلِ

تُريدين إدراكَ المعالي رخيصةً ... ولابدَّ دونَ الشَّهدِ من إبرِ النَّحلِ

* وأنشد آخر[2]:

وما كلُّ من آوى[3] إلى العزِّ نالَهُ ... ودونَ العُلا ضربٌ يدمّي النَّواصيا

* وتزوَّجَ رياحُ القيسي[4] امرأةً كانت تقومُ بالليل وتوقظُهُ، فيقول: نعم، فتعاودُه، فيقول: نعم، سأقعد. فتقول: يا ليت شعري، من غرّني بك يا رياح؟

* وأنشدَ بعضُهم:

واللهِ لو علمتْ نفسي بمن عَلِقَتْ ... قامتْ على رأسِها فضلاً عن القدمِ

* وخطب بعضُ الملوك بنتَ الشيخ الأجل العارف أبي الفوارس، شاه بن شُجاع الكرماني[5] رضي الله عنه، بعد ما تركَ الشيخُ المُلْكَ، ودخلَ في طريق القوم، فلم يزوّجها منه. ورأى بعضَ الفقراءِ في بعض المساجد يُصلّي، فأعجبته صلاتُه، فعرضَ عليه بنتَه، فقال: أنا رجل فقير. فقال: ما نكلّفُكَ شيئاً. ثم رجع إلى بنته، وذكر لها الفقيرَ، ومدحَهُ ورغّبها فيه، فقبلت، فزوّجها منه، وجهَّزها له، وحملها إليه ليلاً، فلما أصبح الفقيرُ أخرجَ نصفَ قرصٍ، بقية عشائه، وقرَّبه إليها، فأعرضتْ عنه، فقال: أنا أعرفُ أنَّ بنت شاه الكرماني تتكبَّرُ عليّ، وتُعرضُ عني، ولا ترضى بما عندي. فقالت: ما أعرضتُ عنك لفقرك، وازدراء عيشك، وإنَّما أعرضتُ عنك لأنَّ والدي مدحَك لي، فوجدتُكَ تبيتُ على معلومٍ، وأنا لا أرضى بمن يبيتُ على معلوم[6].

---

(١) البيتان للمتنبي، الديوان ٢/ ٤.

(٢) البيت للشريف الرضي الديوان ٦٠٠.

(٣) في المطبوع: من أومى.

(٤) رياح بن عمرو القيسي، بصري زاهد متأله، سمع مالك بن دينار والحسن البصري. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٥.

(٥) شاه بن شجاع صاحب دين متين، ومروءة وفراسة، أصله من أبناء الملوك، ترك الدنيا وتبع الآخرة، له كلام عال، كان بينه وبين يحيى بن معين صداقة، مات بعد سنة ٢٧٠هـ.

(٦) روض الرياحين ٢٥٩ (الحكاية ١٩٢).

* وكانت امرأةٌ في بعض بلاد اليمن تخرجُ من بيت أهلها، ولا يدرون أين تذهب، وهي شابةٌ، فخرج أهلُها يطلبونها، وأرادوا قتلها تهمةً فيها، فوجدوها في بعض البراري تُصلّي، ووجدوا عندها أسدين يَحرسانها، فحملا عليهم، لولا هي ردَّتْهما عنهم، فعرفوا حالَها، وطابت نفوسُهم.

* وكان أُويسٌ[1] رضي الله عنه، يقتاتُ من المزابل، ويكتسي منها، وأهلُهُ يقولون: هو مجنون، وأقاربُهُ يَستهزئون به، والصِّغارُ به يتولّعون، وبالحجارةِ يرجمون، ولسانُ الحال يُنشد قولَ المحبِّ الذي يقول[2]:

فليتـكَ تحلـو والحيـاةُ مـريـرةٌ ... وليتـكَ تـرضـى والأنـامُ غِضـابُ
وليـتَ الـذي بيني وبينـكَ عـامرٌ ... وبينـي وبيـنَ العـالميـن خـرابُ
إذا صحَّ منكَ الودُّ يا غايةَ المُنى[3] ... فكـلُّ الـذي فـوق التُّـرابِ تُـرابُ

وينشدُ قول الآخر[4]:

قالوا جُننتَ بمن تَهوى فقلتُ لهم ... مـا لـذَّةُ العيـشِ إلاّ للمجـانيـنِ
هذا جنوني وهاتوا من جُننْتُ به ... إن كان يسوي جنوني لا تلوموني[5]

* وقيل لبعض العقلاء المجانين: لِمَ لا تُصلّي؟ فتكلَّمَ بكلامٍ عجيب غريب، وأنشدوا في معناه:

يقولون زرنا واقضِ واجبَ حقِّنا ... وقد أسقطتْ حالي حقوقَهم عني
إذا هم رأوا حالي فلم يأنفوا لها ... ولم يأنفوا منها أنفتُ لهم منّي

---

(١) أويس بن عامر القرني من الزهاد العباد المقدمين، ومن سادات التابعين، سكن القفار والرمال، أدرك النبي ﷺ ولم يره، حبسه عنه برُّه بوالدته، وفد على عمر بن الخطاب، شهد وقعة صفين مع علي بن أبي طالب واستشهد فيها.

(٢) الأبيات لأبي فراس الحمداني، الديوان ٤١.

(٣) في الديوان روايتان: إذا صح منك الود فالكل هيّنٌ. والثانية: فالمال هين.

(٤) البيت الأول لابن المعتز. الديوان ٤٢٤، ورواية صدره فيه: قالوا جننت بلا شكٍّ...

(٥) هذا البيت ليس في (ب) ولا في (ج).

* وقيل لآخر، وقد أقبلَ من بعض المقابر: من أين جئت؟ فقال: من عند هذه القافلة النازلة، قيل له: ماذا قلت لهم؟ وماذا قالوا لك؟ قال: قلت لهم: متى ترحلون؟ فقالوا: حين تقدمون.

* وقال هو أو غيرُه: أجالسُ قوماً إن حضرتُ لم يؤذوني، وإنْ غبتُ لم يغتابوني. يعني الموتى.

* وكان بعضُهم قد حفر لنفسه قبراً في بيته، وكان يدخلُ فيه، ويمتدُّ مثلَ الميت، ويتذكَّرُ الموتَ، ويعظُ نفسَه ويقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، ثم يقوم ويقول: قد رجعناك، فاعمل.

* وأنشد بعضهم:

تـزوَّدْ قـريـنـاً مـن فعـالِـكَ إنَّمـا قرينُ الفتى في القبرِ ما كان يَعملُ
ألا إنَّمـا الإنسـانُ ضيـفٌ لأهلـهِ يقيـمُ قليـلاً عنـدهـم ثـم يَـرحـلُ

* وأنشد آخر:

وقفتُ على التَّوباذِ[1] حين رأيتُهُ فكبَّـرَ للـرَّحمـنِ حيـن رآنـي
فقلـتُ لـه أيـن الـذيـن عهـدتُهـم حـواليـك فـي أمـنٍ وحفـظِ زمـان
فقال مضوا واستودعوني رحالَهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

* وذكر بعضُ العلماء الأئمةُ في بعض مُصنفاته، أنَّ يُونسَ عليه السلام قال لجبريل صلوات الله عليه: دلَّني على أعبدِ أهلِ الأرض، فأتى به على رجلٍ قد قطعَ الجُذامُ يديه ورجليه، وهو يقول: متَّعتني بهما حيث شئت، وسلبتَهُما حيث شئت، وأبقيتَ لي فيك الأمل يا بارُّ يا وَصول. فقال يونس: يا جبريل، سألتك أن تُريني صوَّاماً وقوَّاماً. فقال: قد كان قبلَ البلاء هكذا، وقد أُمرتُ أن أسلبَهُ بصرَهُ، فأشار إلى عينيه، فسالتا، فقال: متَّعتني بهما حيثُ شئتَ، وسلبتَهُما حيثُ شئت، وأبقيتَ لي فيك الأمل، يا بارُّ يا وَصول. فقال جبريل: هلم تدعو وندعو معك، ويردُّ الله عليك يديك ورجليك وبصرك، وتعودُ إلى العبادة التي كنتَ عليها. فقال: ما أحبُّ ذلك. فقال: ولم؟ قال: إذا كانت محبَّتُهُ في

---

(١) التَّوباذ: جبل بنجد. معجم البلدان.

هذا، فمحبَّتُهُ أحبُّ إليَّ. فقال يونس: ما رأيتُ أحداً أعبدَ من هذا. فقال جبريل: هذا طريقٌ لا يُوصلُ إلى رضا الله سبحانه بشيءٍ أفضل منه[1].

* وأنشدوا:

قالتْ لطيفِ خيالٍ زارَها ومضى ... بـالله صِفْـهُ ولا تنقـصْ ولا تَـزِدِ

فقـال خلّيتُـهُ لـو مـاتَ مـن ظمـأٍ ... وقُلتِ قفْ عن وردِ الماءِ لم يَرِدِ

قالتْ صدقتَ الوفا في الحبِّ عادتُهُ ... يا بردَ ذاك الذي قالتْ على كبدي

* ودخلوا على سُويد بن منعة، وقد أُضني على فراشه، فلولا أنَّ امرأتَهُ كلَّمته ما علموا أنَّ تحت الثوب أحداً، فقال: واللهِ، ما أحبُّ أنَّ الله فيه نقصني[2] منه قُلامةَ ظفرٍ.

* ودخلوا على عابدٍ، وهو على سريرٍ مثقوب، وروحهُ في بعض بدنه، فقالوا له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من مُلك الدنيا مُنقطعاً إلى الله سبحانه وتعالىٰ، ما لي إليه حاجةٌ، إلاّ أن يتوفّاني على الإسلام.

* ودخلوا على عابدٍ آخر مُبتلىً، كلُّ عضوٍ منه يألَمُ على حِدَته، فسألوه عن وجعه، فقال: أحبُّهُ إليَّ أحبُّه إلى الله عزَّ وجلَّ.

* وأنشدوا:

تَفيـضُ نفـوسٌ بـأَوصـابِهـا[3] ... وتكتـمُ عـوّادَهـا مـا بهـا

ومـا أنصفـت مقلـةٌ تَشتكـي ... إلـى غيـرِ أحبـابِهـا مـا بهـا

* وقال سمنون المحبُّ رضي الله عنه: ذهبَ المحبُّون بشرف الدُّنيا والآخرة، لقوله ﷺ: «المرءُ مع من أحب»[4].

---

(١) روض الرياحين ٣٨١ (الحكاية ٣٣٦).

(٢) في (ب): يقضني، وفي (ج): يقضيني.

(٣) في هامش (أ): الوصب الألم والوجع، وهو التعب والمشقّة.

(٤) رواه البخاري ١٠/ ٥٥٧ (٦١٦٨) في الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، ومسلم (٢٦٤٠) في البر والصلة، باب المرء مع من أحب، والترمذي ٥/ ٥٤٥ (٣٥٣٥) في الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار.

* وقال الشيخُ العارف أبو سعيد الخرّاز[1]: رأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم، فقلتُ: يا رسول الله، أعذرني، فإنَّ محبّة الله شغلتني عن محبّتك. فقال: يا مُبارك، من أحبَّ الله فقد أحبَّني.

* وقيل: أوحى الله تعالىٰ إلى داودَ عليه السلام: يا داود، كذبَ من ادَّعى محبَّتي، إذا جنَّهُ الليلُ نامَ عنّي.

* وأنشدَ بعضُ المحبين:

نهـاري نهـارُ النَّـاسِ حتَّـىٰ إذا بـدا ... لِيَ اللَّيلُ هزَّتني إليك المضاجعُ
أُقضِّي نهاري بالحديثِ وبالمُنَى ... ويجمعني والهمَّ باللَّيلِ جامعُ[2]

* وقيل: من أَنِسَ بالله استوحشَ من كلِّ شيءٍ، وأَنِسَ به كلُّ شيءٍ، ومن خافَ اللهَ لم يخفْ من كلِّ شيءٍ، وخافه كلُّ شيءٍ.

* وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه: كنتُ في البادية مرةً، فسرتُ في وسط النهار، فوصلتُ إلى شجرةٍ، فنزلتُ تحتها، فإذا بسَبُعٍ عظيمٍ أقبل، فاستسلمتُ، فلمَّا قربَ منّي إذا هو يعرجُ، فهمهَمَ، وبركَ بين يدي، ووضعَ يده في حجري، فنظرتُ فإذا يدُهُ مُنتفخةٌ، فيها قيحٌ ودم، فأخذت خشبةً، وشققتُ الموضعَ الذي فيه القيح، وشددتُ على يده خرقةً، ومضى، فإذا أنا به بعد ساعةٍ معه شبلان يُبصبصان[3] لي، وحملا إليّ رغيفين[4].

* قلت: وسألتُ بعضَ الإخوان الصالحين المُنقطعين في البراري، فقلتُ له: كيف كان حالُكَ مع الأسود؟ فقال: أُلبستُ هيبةَ الله تعالىٰ، فكنتُ أسدَ الأسودِ، وكانتْ إذ رأتني هربت.

---

(١) أبو سعيد الخراز أحمد بن عيسى شيخ الطائفة، وإمام القوم في كل فن، قيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، كان يقال: الخراز قمر الصوفية، له تصانيف في علوم القوم. مات سنة ٢٧٧، وقيل غير ذلك. طبقات المناوي ١/ ٥١٠.

(٢) البيتان لمجنون ليلى. الديوان صفحة ١٨٥، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد الفراج.

(٣) بصبص: حرك ذنبه وتملّق.

(٤) روض الرياحين ٣١٨ (الحكاية: ٢٦٧).

* وأنشدوا في هذا المعنى:

هُمُ الأُسْدُ ما الأُسدُ الأسودُ تهابهم[1] ... وما النمرُ ما أظفارُ فهدٍ ونابُهُ
وما الرَّميُّ بالنشَّاب، ما الطَّعنُ بالقنا ... وما الضربُ بالماضي الكمي ما ذُبابُهُ
من اللهِ خافوا لا سواه فخافَهم ... سواه جماداتُ الورى ودوابُهُ
لهم هِمَمٌ للقاطعاتِ قواطعٌ ... لهم قلبُ أعيانِ المُرادِ انقلابُهُ
أولئك هم أهلُ الولايةِ نالَهم ... من اللهِ فيها فضلُهُ وثوابُهُ
وقربٌ وأُنسٌ واجتلاءُ معارفٍ ... ووارِدُ تكليمٍ يلذُّ خطابُهُ
وأسرارُ غيبٍ عندهم علمُ كشفِها ... وقد سكروا ممَّا يَطيبُ شرابُهُ
عليهم من الرَّحمن أزكى تحيةٍ ... وأفضلُ رضوانٍ ولا زالَ بابُهُ
مدى الدَّهر مفتوحاً لإكرامِ وافدٍ ... به أقبلت تفري الفيافي ركابُهُ
ولا زال ذاك القربُ والأنسُ والصَّفا ... ولا حالَ من دون الحبيبِ حجابُهُ

* وقال بعضُهم: كنتُ عند ذي النون المصري، فتذاكرنا المحبَّةَ، فقال ذو النون: كفُّوا عن هذه المسألةِ؛ لا تسمعُها النُّفوسُ فتدّعيها، ثم أنشأ يقول:

الخوفُ أولى بالمُسيء ... إذا تألَّه والحَزَنْ
والحبُّ يَجملُ بالتَّقيِّ ... وبالنَّقيِّ من الدَّرَنْ

* وقال أبو القاسم الجُنيدُ رضي الله عنه: دفع إليَّ السَّريُّ[2] رقعةً، وقال: هذه خيرٌ لك من سبع مئة قصة[3]، وكذا وكذا، فإذا فيها:

ولمَّا ادّعيتُ الحبَّ قالت كذَّبتني ... فما لي أرى الأعضاءَ منك كواسيا
فما الحبُّ حتى يلصقَ الجلدُ بالحشا ... وتذبُلَ حتّى لا تُجيبَ مُناديا
وتَنْحَلَ حتّى لا يُبقّي لك الهوى ... سوى مُقلةٍ تبكي بها وتُناجيا[4]

---

(١) المثبت في روض الرياحين ٣٢٠ (الحكاية: ٢٧٠): هم الأسد ما الآساد إلا تهابهم.

(٢) السري بن المغلس السقطي من كبار المتصوفة، أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته، وهو خال الجنيد. توفي ببغداد سنة ٢٥٣هـ.

(٣) في (ج): فضة.

(٤) الأبيات لمجنون ليلى. انظر الديوان.

* وقال بعضهم: سمعت سمنوناً وهو جالسٌ في المسجد يتكلَّمُ في المحبَّةِ، إذ جاء طيرٌ صغير قرب منه، ثم قرب، فلم يزلْ يدنو حتى جلسَ على يده، ثم ضربَ بمنقاره إلى الأرض حتى سالَ منه الدَّمُ، ثم مات.

* وتكلَّمَ يوماً في المحبَّةِ أيضاً فتكسَّرت قناديلُ المسجدِ كلُّها.

* وقال بعضهم عند توديعه لبعضِ الفقراء: إذا رأيتَ محزوناً، فأقرئه منّي السلام.

* وقال سُفيان الثوري: أعزُّ الخلقِ خمسةُ أَنفسٍ: عالمٌ زاهد، وفقيهٌ صوفي، وغنيٌّ مُتواضعٌ، وفقيرٌ شاكر، وشريف سُنّي.

* وقال سهل بن عبد الله: خمسةُ أشياء من جواهرِ النفس: فقيرٌ يُظهر الغنى، وجائعٌ يُظهر الشِّبَع، ومحزونٌ يُظهر الفرح، ورجلٌ بينه وبين رجلٍ عداوة فيُظهرَ له المحبة - يعني عداوةً في الدُّنيا لا في الدين - ورجلٌ يَصومُ بالنهار ويقوم بالليل، ولا يُظهر ضعفاً.

* وقال أبو نصر السَّرَّاج[1]: النَّاسُ في الأدب على ثلاثِ طبقات: أمَّا أهلُ الدنيا فأكثرُ آدابهم في الفصاحة والبلاغة، وحفظ العلوم، وأسماءِ الملوك، وأشعار العرب. وأمَّا أهلُ الدِّين فأكثر آدابهم في رياضات النفوس، وتأديبِ الجوارح، وحفظ الحدود، وترك الشهوات. وأمَّا أهلُ الخصوصية، فأكثر آدابهم في طهارة القلوب، ومراعاةِ الأسرار، والوفاءِ بالعهود، وحفظِ الوقت، وقلّة الالتفات إلى الخواطر، وحسنِ الأدب في مواقف الطلب، وأوقات الحُضور، ومقامات القرب[2].

* وقال بعضهم: كان عندنا بمكَّةَ فتى عليه أطمارٌ[3] رثَّةٌ، وكان لا يُداخلنا ولا يُجالسنا، فوقع محبَّتُهُ في قلبي، ففُتح لي بمئتي درهم من وجهٍ حلال، فحملتُها إليه، ووضعتها على طرفِ سجّادته، وقلتُ له: إنه فُتح لي ذلك من وجهٍ حلال، فاصرفْها في بعض حوائجك. فنظرَ إليَّ شزراً، ثم قال: اشتريتُ هذه الجِلسةَ مع الله على الفراغِ بسبعين ألف دينار غير الضياعِ والمستَغلاَّت، تُريدُ أن تخدعني عنها بهذه، وقام وبدَّدها، وقعدتُ

---

(١) عبد الله بن علي الطوسي، أبو نصر السراج، زاهد، شيخ الصوفية على طريقة السنة، له أشهر كتب التصوف «اللمع» توفي سنة ٣٧٨ هـ.

(٢) روض الرياحين صفحة ٤٨.

(٣) في هامش (ج): الأطمار جمع طِمر بالكسر، الثوب البالي من غير الصوف.

التقطُ، فما رأيتُ كعزّه حين مرّ، ولا كذلّي حين كنتُ ألتقطُها.

* وقال بعضُهم: لو سقطَ من السماء قلنسوةٌ، ما وقعتْ إلاّ على رأس من لا يُريدها.

* وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: طلبنا الفقرَ، فاستقبلنا الغنى، وطلبَ النّاسُ الغنى فاستقبلهم الفقر.

* وقال الجُنيد: الشُّكر أن لا تستعينَ بشيءٍ من نعم الله على معاصي الله.

* وقال: إذا خالفتِ النّفسُ هواها، صار داءَها دواؤها.

* وقال: من أرادَ أن يسلم له دينُهُ، ويستريحَ بدنه، فليعتزلِ الناس، فإن هذا زمانُ وحشةٍ، فالعاقل من اختار فيه الوحدة.

* وقال الشيخ العارف أبو بكر الشبلي رضي الله عنه: الزمِ الوحدةَ، وامحُ اسمكَ عن القوم، واستقبل الجدارَ حتى تموت.

* وقال السيد الجليل الإمام داود الطائي[1] رضي الله عنه: صُمْ عن الدُّنيا، واجعل فطرَكَ الموتَ، وفرَّ من الناسِ كفرارِك من الأسد.

* وقال بعضُهم: الأخيار يشغلونَكَ، والأشرارُ يضلّونَك[2].

* وذكر الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه: أنّه أدركَ بعض الشيوخ بمكّةَ لا يحضر الصلاةَ في المسجد الحرام، قال: فسألته عن سبب تخلُّفه، فذكر كلاماً معناه: أنّه يدخلُ عليه في خروجه من الضَّررِ أكثرُ ممّا يدخلُ عليه من النفع.

قلت: وكذلك كان سيدُنا الشيخُ نجمُ الدين الأصبهاني رضي الله عنه، يُصلّي مدّةً فوق جبل أبي قُبيس[3] مقتدياً بالإمامِ، مقلّداً لبعض المذاهب[4].

---

(١) داود بن نصير الطائي، من أئمة المتصوفة، مولده في الكوفة، ورحل إلى بغداد، فأخذ عن أبي حنيفة وغيره، وعاد للكوفة، فاعتزل الناس، ولزم العبادة إلى أن مات سنة ١٦٥هـ.

(٢) في (ب) والمطبوع: يقتلونك.

(٣) أبو قُبيس: اسم الجبل المشرف على مكة. معجم البلدان.

(٤) اشترط الجمهور ـ خلا المالكية ـ لصحة الاقتداء اتحاد مكان صلاة الإمام والمقتدي برؤية أو سماع أو مبلغ، فلو اختلف مكانهما لم يصح الاقتداء. قالت المالكية: لا يشترط هذا الشرط، فاختلاف مكان الإمام والمأموم لا يمنع صحة الاقتداء، ووجود حائل من نهر أو جدار لا يمنع الاقتداء. الفقه=

وكذلك أدركتُ سيدنا الشيخَ أبا هادي المغربي رضي الله عنه يُصلّي كذلك في جبالِ مكّةَ مُقتدياً بإمامِ الجماعة، فأنكرَ عليه أناسٌ، فكانَ يقولُ إذا جئتُ إليه: ما يقولُ هؤلاء المَثْعُوبُون[1]..

وحكاياتُ المشائخ في ذلك تطول، وكذلك العلماءُ منهم الإمامُ الغزالي كان مُعتزلاً إحدى عشرة سنة، منها سنتان في منارةِ مسجدِ دمشق.

وأدركت منهم في بلاد اليمن غيرَ واحدٍ يُصلّون الفرائضَ في بيوتهم، وبعضُهم مع ذلك يدرّسُ العلمَ في بعض الأوقات. وهم من أكابرِ العلماء الأولياء.

وعلى الجملة؛ فقد قال الشيوخُ المُقتدى بهم: من وجدَ قلبَه في مكانٍ، أو شيءٍ مخصوصٍ فليلزمه، وفي ذلك قلت:

فلازمْ مَكاناً حين تَعتزلُ الورى ... إذِ القلبُ مجموعٌ وصدرُكَ يُشرحُ
فقد قالَ أشياخُ الطَّريقةِ من يجدْ ... بخلوتِهِ جَمعاً فلا قَطُّ يَبرحُ
وكم عالمٍ قد كانَ يعتزلُ الورى ... ويُلقي علوماً بعد وقتٍ ويَشرحُ
وفي مثلِ هذا الوقتِ جاءتْ صحيحةٌ ... أحاديثُ في مدحِ اعتزالٍ تُصرِّحُ[2]

= الإسلامي وأدلته. تأليف الدكتور وهبة الزحيلي ٢/ ٢٢٨.

(١) الضبط من (أ) و(ج).

(٢) جاء في هامش (ج):

عن أبي سعيد رضي الله عنه قيل: يا رسول الله، أيُّ الناس أفضل؟ قال: «مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله» قيل: ثم من؟ قال: «رجل في شعب من الشعاب، يتقي الله، ويدع الناس من شره» أخرجه الشيخان.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غنيمة له يؤدي حقَّ الله تعالى فيها. ألا أخبركم بشرِّ الناس؟ رجل يُسألُ بالله فلا يُعطي» أخرجه مالك، والترمذي، والنسائي.

وعن عيسى بن واقد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت سنة ست وثمانين ومئة أحللت لأُمّتي الغربة والترهّب في رؤوس الجبال» أخرجه رزين. عن «التيسير».

وروى رزين عن عبد الواحد مرفوعاً قال: «صلاة الرجل في الفلاة إذا أتمّها تُضاعف على صلواته في الجماعة بمثلها». عن «التيسير».

وينبغي للمعتزل أن يحرصَ على حضور الصلواتِ في الجماعات، فإن تضرَّر بالخروج، فليلتمسْ إنساناً يُصلّي معه في الخلوات، ولا يُصلّي وحدَه؛ فتفوته الفضائلُ العظيمة، والدرجاتُ العاليات.

* وقال السيد الجليل الإمامُ سُفيانُ الثوريُّ رضي الله عنه: من خالطَ النّاسَ داراهم، ومن داراهم راآهم، ومن راآهم وقعَ فيما وقعوا، فهلك فيما هلكوا.

* وعنه أنه قال: واللهِ الذي لا إله إلاّ هو، لقد حلّتِ العزلةُ في زماننا هذا.

* وقال بعضُ العارفين بعده: إن كانت حلَّتْ في زمانه، فقد وجبت في زماننا.

* وقال يحيى بن معاذ الرّازي: ليكن بيتُكَ الخلوةَ، وطعامُكَ الجوعَ، وحديثُكَ المناجاةَ، فإمّا أن تموتَ بدائك، أو تصلَ إلى دوائك.

* وأنشد بعضهم:

سألتُ طبيبي عن دوائي فقالَ لي	تموتُ فتنجو أو تعيشَ فتحزنا
فإنْ متَّ من وجدي ظفرتَ بجنَّتي	وإنْ عشتَ مَحزوناً كتبتُكَ مُحسنا
كذا سيرتي في أهلِ ودِّي وصفوتي	فإنْ كنتَ مَشغوفاً تأهَّبْ لقُربِنا
فقلتُ مليكي ليس لي ما أُريدُه	فجُدْ لي بما يُرضيكَ يا غايةَ المُنى

* وقال الشيخُ العارفُ أبو بكر الورّاق[1] رضي الله عنه: وجدتُ خيرَ الدُّنيا والآخرة في الخلوة والقلَّةِ، وشرَّهما في الكثرةِ والاختلاط.

* وقال بعضُهم: أعزمُ على أُمورٍ من أفعالِ الخيرِ، فإذا خرجتُ إلى الناس حلّوا عزائمي عُقدةً عُقدةً حتى لا يبقى منها شيءٌ.

* وقال آخر: إذا أرادَ اللهُ أن ينقلَ العبدَ من ذلِّ المعصيةِ إلى عزِّ الطاعة آنسهُ بالوحدة، وأغناه بالقناعة، وبصَّرَه عيوبَ نفسه. فمن أُعطي ذلك فقد أُعطيَ خيرَ الدُّنيا والآخرة.

---

(١) أبو بكر الوراق محمد بن عمر الحكيم،أصله من ترمذ، وأقام ببلخ، له كتب في أنواع الرياضات والمعاملات والآداب، أسند الحديث، لقي أحمد بن خضرويه وصحبه. طبقات الصوفية للسُّلمي ٢٢١.

* وقال الفُضيل بن عياض رضي الله عنه: جُعلَ الشرُّ كلُّه في بيتٍ، وجُعل مفتاحُهُ حبَّ الدنيا، وجُعلَ الخيرُ كلُّه في بيتٍ، وجُعل مفتاحُه الزهد.

* وأنشد بعضهم[1]:

أنستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي	فطابَ الأُنسُ لي وصفا السُّرورُ[2]
وأدَّبني الزَّمانُ فلا أُبالي	هُجِرتُ فلا أُزارَ ولا أَزورُ
ولستُ بسائلٍ ما عشتُ يوماً[3]	أَسارَ الجُندُ أم ركبَ الأميرُ

* وقال الشيخ أبو عُثمان المغربي[4] رضي الله عنه: من اختارَ الخلوةَ على الصُّحبة، ينبغي أن يكونَ خالياً من جميع الأذكار إلاّ ذكر ربِّه، خالياً من جميع الإرادات إلاّ رضا ربِّه، خالياً من مُطالبة النَّفسِ من جميعِ الأسباب، فإن لم يكن بهذه الصفة فإنَّ خلوتَهُ تُوقِعُه في فتنةٍ أو بلية.

* وقال شيخُ الطريقة ولسانُ الحقيقة أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: اهربْ من خيرِ الناس أكثر ممَّا تهربُ من شرِّهم، فإنَّ خيرَهم يُصيبُكَ في قلبك، وشرَّهم يُصيبُكَ في بدنك، ولأن تُصابَ في بدنك خيرٌ لك من أن تُصاب في قلبك، ولعدوٌّ تصلُ به إلى الله خيرٌ لك من صديقٍ يَقطعُكَ عن الله، فعُدَّ إقبالَهم عليك ليلاً، وإدبارَهم عنك نهاراً، ألا تراهم إذا أقبلوا فتنوا؟

* وقال رضي الله عنه: جعتُ مرةً ثمانين يوماً، فظننتُ أنَّه قد حصلَ لي نصيبٌ من الأنسِ بالله تعالىٰ، فخرجتِ امرأةٌ من مغارةٍ[5]، كأنَّ وجهها ضياءُ الشمس حُسناً، وقالت لي: منحوسٌ، منحوسٌ جاعَ ثمانين يوماً وأخذَ يُدلُّ على الله تعالىٰ بعمله، وها أنا مُنذ ستة أشهرٍ لم أذق شيئاً.

---

(١) الأبيات للخليل بن أحمد، انظر الديوان صفحة ٣٥٨.

(٢) رواية الديوان: ونما السرور.

(٣) رواية الديوان: ما دمت حياً.

(٤) أبو عثمان المغربي سعيد بن سلام من ناحية القيروان، أقام بالحرم مدة، وكان شيخَه، كان الأوحد في طريقته وزهده، لم يُر مثله في علو الحال وصحة الحكم بالفراسة، وقوة الهيبة، ورد نيسابور، ومات بها سنة ٣٧٣. طبقات الصوفية ٤٧٩.

(٥) في (أ) و(ج): مفازة.

* وقيل للفُضيل بن عياض رضي الله عنه: إنَّ ابنك علياً[1] يقول: وددتُ أنّي في مكانٍ أرى النَّاسَ من حيث لا يرونني، فبكى، وقال: يا ويحَ عليٍّ، ليتَه أتمها، فقال لا أراهم ولا يرونني.

* وقال رضي الله عنه في النوم: إذا أردتَ كذا وكذا فأذِبْ هذه الشحمةَ، وفارقِ الخلق، يوصي بهذه الوصية، من ليستْ له همَّةٌ علية، ولا فيه قطُّ رجولية، كذَّابٌ خوّان، ذو إساءةٍ بلا إحسان، يقولُ ولا يفعل، ويتعلَّمُ ولا يعمل.

إلهي ها أنا العاصي خليًّا ... من الإحسانِ حاوٍ للمساوي
فلا فعلي لأقوالي مُناسب ... ولا قولي لأفعالي مُساوي
كذوباً خائناً لم أوفِ عهداً ... ولم أصدقْ بمضمونِ الدَّعاوي
فسامحْ مُذنباً وارحمْ ضعيفاً ... وآنسْ مُوحشاً في القبر ثاوي
فقد عوَّدْتَنا السَّراءَ فضلاً ... وعنَّا أنتَ للضرَّاءِ زاوي
لنا معروفُكَ المعروفُ بحرٌ ... به العطشانُ للغفرانِ راوي

قلت: أُوصي من حضر موتي أن يكتبَ هذه الأبيات، ويدفنَها معي في القبر، ولا يكتبْ معها شيئاً من القرآن الكريم، وسائرِ الأسماء الحُسنى، والأذكارِ صيانةً لها عن النَّجاسة في القبر من الصَّديد والدُّود وغيرِ ذلك.

* ولله درُّ الشيخ العارف ابن الفارضِ[2] رضي الله عنه حيث قال في بعض قصائده ما يُناسبُ أحوالنا[3]:

---

(١) علي بن الفضيل بن عياض القانت لله الخاشع، الرباني كبير الشأن، وبعضهم فضله على أبيه، مات قبل الكهولة سنة ١٧٤، روى الحديث، وخرّج له النسائي. طبقات المناوي ١/ ٣٧٦.

(٢) عمر بن علي الفارض بن مرشد (٥٧٦-٦٣٢) الحموي، المصري المولد والدار والوفاة، سلطان العاشقين، كان أبوه يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، فغلب عليه لقب الفارض، أخذ الحديث عن ابن عساكر، واشتغل بفقه الشافعية، ثم حبب إليه طريق الصوفية، فتزهد وتجرد، وذهب إلى مكة، فكان يصلي في الحرم ويكثر العزلة في وادٍ بعيد عن مكة، وفي تلك الحال نظم أكثر شعره، وبعد خمسة عشر عاماً عاد إلى مصر، وكان يعشق مطلق الجمال، اختلف في حاله كشأن ابن عربي.

(٣) ديوان ابن الفارض ١٣٤ من قصيدة مطلعها: هو الحب فاسلم.

رضوا بالأماني وابتُلوا بحُظوظِهم وخاضوا بحارَ الحبِّ دَعوى فما ابتلّوا
فهم في السُّرى لم يَبرحوا من مكانِهم وما ظعنوا في السَّيرِ عنه وقد كلّوا
فإن شئتَ أن تحيا سعيداً فمتْ به شهيـداً وإلاّ فـالغـرامُ لـه أهـلُ

هيهات هيهات، أينَ الكاذبُ من الصادق ؟ وأين المتخلّفُ من السابق ؟

* روينا عن بعضهم أنّه سافرَ للحجِّ على قدمِ التجريد، وعاهدَ الله تعالىٰ أنّه لا يسألُ أحداً شيئاً، فلمّا كان في بعضِ الطريق مكثَ مُدةً لا يُفتحُ عليه بشيءٍ، فضعفَ عن المشي، ثم قال: هذا حالُ ضرورةٍ، وقد قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وإذا لم أسألِ انقطعتُ عن القافلة، وهلكت، ثم عزمَ على السؤال، فلمّا همَّ بذلك انبعثَ منه خاطرٌ ردَّه عن ذلك العزم، ثم قال: أموتُ ولا أنقضُ عهداً بيني وبين الله تعالىٰ، فمرَّتِ القافلةُ، وانقطعَ، واستقبلَ القبلةَ مُضطجعاً ينتظرُ الموتَ، فبينما هو كذلك إذا بفارسٍ قائمٍ على رأسه، معه إداوةٌ[1]، فسقاه، وأزالَ ما به من الضَّرورة، وقال له: أتريدُ القافلةَ ؟ فقال: وأين منّي القافلة ؟ فقال له: قم، وسار معه خطواتٍ، ثم قال له: قف ها هنا والقافلةُ تأتيك. فوقفَ، وإذا بالقافلة مقبلةً من خلفه. حيَّ الله أولئك الرجال، ونفعنا بهم[2].

* وقال بعضُ العارفين: الصادقُ تحت خفارةِ صدقِهِ. يعني إذا ارتكب المهالكَ عن صدقٍ، حماه صدقُهُ عن الهلاك، وانقلبَ ذلك الهلاكُ نجاةً بإذن الله تعالىٰ.

* ومن ذلك: قضية السيد الجليل أحمد بن أبي الحواري[3] عندما أمره شيخُه أبو سليمان الدّاراني[4] أن يدخلَ في التنور، وفيه النار، بعد أن عاهدَه أن لا يُخالفه في شيءٍ، فدخلَه ومكث ساعةً، ثم أمر الشيخُ بإخراجه، فأُخرج ولم يحترقْ منه شيءٌ؛ وذلك لقوة

---

(١) في هامش (أ) و(ج): الإداوة بالكسر إناء صغير من جلد.
(٢) روض الرياحين ١٦٨ (الحكاية ٨٧) والصفحة ٥٥٣.
(٣) أحمد بن أبي الحواري ميمون من أهل دمشق، من بيت ورع وزهد، صحب الكثير من المشايخ، أسند الحديث، مات سنة ٢٣٠هـ. طبقات الصوفية للسُّلمي ٩٥.
(٤) أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن عطية زاهد صالح عالم، سمع الحديث ورواه، مات بقريته التي نُسب إليها داريا ـ جنوب دمشق بـ ٨ كم ـ سنة ٢١٥ هـ.

يقينهم، وشدّة صدقهم، فهم المحبُّون المحبوبون[1].

* ومن ذلك أيضاً: قضية أبي حمزة الخراساني، قال: حججتُ سنةً من السنين، فبينما أنا أمشي إذ وقعتُ في بئرٍ، فنازعتني نفسي أن أستغيثَ؛ فقلتُ لها: لا واللهِ، لا أستغيثُ، فما استتمَّ هذا الخاطرُ حتى مرَّ برأسِ البئر رجلان، فقال أحدُهما للآخر: تعالَ حتى نسدَّ رأسَ هذا البئر، لئلا يقعَ فيه أحدٌ، فأتوا بقصبٍ وبارِيَةٍ[2]، وطمسوا رأسَ البئر، فهممتُ أن أصيحَ، ثم قلتُ في نفسي: إلى من هو أقربُ منهما، فسكتُّ، فبينما أنا بعد ساعةٍ إذا بشيءٍ جاءَ وكشفَ عن رأس البئر، وأدلى رجلَه، وكأنَّهُ يقولُ تعلّق بي في همهمةٍ[3] منه، كنتُ أعرفُ منه ذلك، فتعلّقتُ به، فأخرجني، فإذا هو سَبُعٌ، فمرَّ وهتفَ بي هاتفٌ: يا أبا حمزة، أليسَ هذا أحسن؟ نجّيناكَ من التَّلفِ بالتَّلفِ، فمشيتُ وأنا أقول:

نهاني حيائي منك أنْ أكشفَ الهوى ... وأغنيتني بالفهم منكَ عن الكشفِ

تلطَّفْتَ في أمري فأَبديتَ شاهدي ... إلى غائبي واللُّطفُ يُدْرَكُ باللُّطفِ

تراءيتَ لي بالغيبِ حتى كأنَّما ... تُبشِّرني بالغيبِ أنَّك في الكفِّ

أراكَ وبي من هيبتي لك وحشةٌ ... وتُؤنسني باللُّطفِ منك وبالعطفِ

وتُحيي مُحبًّا أنتَ في الحُبِّ حتفُهُ ... وذا عجبٌ كونُ الحياةِ مع الحتفِ[4]

* ولمّا سُعي بالصوفية إلى بعض الخلفاءِ، أمرَ بضربِ رقابهم، فأمَّا الجُنيدُ فتستَّرَ بالفقه، وكان يُفتي على مذهب أبي ثور[5]، وأمَّا الشحَّامُ، والرقَّام، والنُّوريُّ فقُبض عليهم، وبُسط النِّطعُ[6]؛ لضرب رقابهم، فتقدَّمَ النُّوريُّ، فقال السياف: أتدري إلى

---

(١) روض الرياحين ٥٥٣.

(٢) البارية: الحصير المنسوج.

(٣) في هامش (أ): أصل الهمهمة صوت البقر، وتستعمل في كل كلام خفي.

(٤) روض الرياحين ١٨٩ (الحكاية: ١١٧).

(٥) أبو ثور هو إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وخيراً، صنف الكتب، وفرّع على السنن. كان أولاً يتفقه بالرأي ويتكلم فيه، ويذهب إلى قول أهل العراق حتى قدم الشافعي بغداد، فاختلف إليه، ورجع عن الرأي إلى الحديث. له مسائل في الفقه أغرب فيها. انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٧٤.

(٦) في هامش (ج): النطع بالكسر، والفتح، وبالتحريك، وكنعب: بساط من الأديم.

ما تُبادر ؟ فقال: نعم. فقال: ما يُعجلُكَ ؟ فقال: أُوثِرُ أصحابي بحياةِ ساعةٍ، فتحيَّرَ السيافُ، وأنهى الأمرَ إلى الخليفة، فتعجَّبَ الخليفةُ ومَن عنده من ذلك، وكان القاضي عنده، فاستأذنَ الخليفةَ أن يذهبَ إليهم ليبحثَ معهم، ويختبرَ حالهم، فأذنَ له الخليفةُ في ذلك، فأتاهم، وقال: يخرجُ إليّ واحدٌ منكم، حتى أبحثَ معه. فخرجَ إليه النُّوريُّ رضي الله عنه، فألقى عليه القاضي مسائلَ فقيهة، فالتفتَ عن يمينه، ثم التفتَ عن يساره، ثم أطرقَ ساعةً، ثم أجابه عن الكلِّ، ثم أخذَ يقول: وبعد؛ فإنَّ لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله، وسردَ كلاماً أبكى القاضي، ثم سأله القاضي عن التفاته. فقال: سألتني عن المسائل، ولا أعرفُ لها جواباً، فسألت عنها صاحبَ اليمين، فقال: لا علم لي، ثم سألتُ صاحبَ الشمال، فقال: لا علم لي، فسألتُ قلبي فاخبرني عن ربّي، فأجبتُك بذلك، فأرسلَ القاضي إلى الخليفة: إن كانَ هؤلاء زنادقةً[1] فليس على وجهِ الأرض مسلم[2].

* وسمع الشيخُ أبو الحسين النُّوريُّ مُنشداً يقول:

ما زلتُ أنزلُ من ودادِكَ مَنزلاً   تتحيَّرُ الألبابُ دون نزولِهِ

فتواجَدَ، وهام في الصحراء، فوقعَ في أجمةِ[3] قصبٍ، قد قُطع وبقي أصولُهُ مثلَ السيوف. فكان يمشي عليها، ويُعيدُ البيت إلى الغداة، والدَّمُ يسيلُ من رجليه، ثم وقعَ مثلَ السكران، فورمت[4] قدماه، ومات رحمه الله.

* وأخبرني بعضُ الإخوان الصالحين، وهو الشيخ علي التُّكروري[5] المدفون في القَرَافة[6] رحمه الله، ونفعنا ببركته: أنّه حضرَ في وقتٍ ميعاداً[7] وسَمِعَ، فوردَ عليه واردٌ، ولبث مدةً يرى أنهاراً من خمرٍ يُسقاها ولا يَرْوَى، وليست من خمرِ الدنيا، رأى ذلك في

---

(١) في هامش (ج): الزنديق: بالكسر، الذي يُبطن الكفر ويُظهر الإيمان.
(٢) روض الرياحين ٥٥.
(٣) في هامش (ج): الأجمة: محركةً: الشجر الكثير الملتف جمعه أُجم بالضم.
(٤) في (ج): فتورمت.
(٥) في هامش (ج): التكروري: نسبةٌ إلى تُكرور، بالضم، بلد بالمغرب.
(٦) جاء في هامش (ج) أيضاً: القرافة كسحابة: مقبرة مصر، بها قبر الشافعي.
(٧) في هامش (أ) و(ج): الميعاد: مجلس ذكر وطعام.

اليقظة، ثم صارَ بعد ذلك يرى نوراً، وكان حين يُسقى يجدُ قوّةً وأحوالاً، لولا أنّه يُمسكه عند ذلك سبعةٌ من الرّجال الأقوياء، لهامَ ورمى نفسه في المهالك، وحين رأى النور وجدَ ضعفاً.

وسألني بعضُ الصالحين: أيُّ الحالين أفضل؟ فقلت: هذا شيءٌ لم يبلغْهُ حالي، فكيفَ أتكلَّمُ في شيءٍ لا أعرفه؟[1].

* وأنشدَ بعضُهم:

سقوني وقالوا لا تُغَنِّ ولو سَقَوا   جبالَ حُنينٍ ما سقوني لغنّتِ

* وروى بعضُهم عن الشيخ المُزَيّن الكبير[2]، أنّه قال: كنتُ بمكّةَ، فوقع بي انزعاجٌ، فخرجتُ أُريد المدينةَ، فلمّا وصلتُ إلى بئرِ ميمون[3]، إذا بشابٌّ مطروحٍ، وهو في النزع، فقلت: لا إله إلا الله، ففتحَ عينيه، وأنشأ يقول:

أنا إنْ متُّ فالهوى حَشو قلبي   وبداءِ الهوى يموتُ الكرامُ

ثم مات. قال: فغسّلتُهُ، وكفّنته، وصلّيتُ عليه، فلمّا فرغتُ من دفنه، سكنَ ما كان بي من إرادةِ السفر، فرجعتُ إلى مكّة[4].

* وقال الشيخ أبو بكر الكتّاني رضي الله عنه: جرتْ مسألةٌ بمكّة أيام الموسم في المحبّةِ، فتكلَّمَ الشيوخُ فيها، وكان الجُنيدُ أصغرَهم، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي. فأطرقَ رأسه، وذرَفَتْ عيناه، ثم قال: [المحبُّ] عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه، مُتّصلٌ بذكرِ ربِّه، قائمٌ بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه بقلبه، أحرقَ قلبَه أنوارُ هيبته[5]، وصفا شربُه من كأس ودّه، وانكشفَ له الجبارُ من أستار غيبه، فإنْ تكلَّمَ فبالله، وإنْ نطقَ فمن الله، وإنْ تحرَّكَ

(١) روض الرياحين ٣٨٧ (الحكاية ٣٤٥).

(٢) أبو جعفر المزين الكبير، جاور الحرم سنين ومات به، كان مجتهداً متعبداً، وكان من أورع القوم، وأكملهم حالاً، توفي سنة ٣٢٨. انظر الطبقات الصغرى للمناوي ١١٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/٢٣٢.

(٣) بئر ميمون بأعلى مكة منسوب لمن حفره، عنده قبر أبي جعفر المنصور. وفي الأصول ميمونة، والمثبت من معجم البلدان.

(٤) روض الرياحين ١٦٤ (الحكاية ٨٢).

(٥) في (ج): أنوار حكمته.

فبأمر الله، وإن سكنَ فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. فبكى الشيوخ، وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله، يا تاج العارفين[1].

* وأنشد بعضهم:

أنعي إليكَ قلوباً طالَما هطلت سحائبُ الوحي فيها أبحرَ الحِكَمِ

* وقيل لعبد الله بن سعيد بن كُلاَّب[2]: أنت تتكلَّم على كلامِ كلِّ واحدٍ، وههنا رجلٌ يُقال له الجُنيد، فانظر هل تعترض عليه أم لا؟ فحضر حلقته، فسأل الجُنيدَ عن التوحيد، فأجابه، فتحيَّر عبدُ الله، وقال: أعدْ عليّ ما قلتَ، فأعاده ولكن لا بتلك العبارة، فقال عبدُ الله: هذا شيءٌ آخر لم أحفظه، فأعده عليَّ مرَّةً أُخرى، فأعاده بعبارةٍ أُخرى، فقال عبدُ الله: ليس يُمكنني حفظُ ما تقول، فأملِهِ علينا. فقال: إن كنتُ أُجريه فأنا أُمليه، فقام عبدُ الله، وقال بفضله، واعترفَ بعلوِّ شأنه[3].

* واجتاز أبو العباس بن سُريج[4] الفقيهُ الإمام، الشافعيُّ المذهب، الملقَّبُ بالباز الأشهب[5] بمجلس الأستاذِ الإمام العارف بحرِ المعارفِ أبي القاسم الجُنيد رضي الله عنهما، فسمعَ كلامَه، فقيل له: ما تقول في هذا؟ فقال: لا أدري ما أقول، ولكني أرى لهذا الكلام صولةً، ليست بصولةِ مُبطل. وما مات ابنُ سُريج حتى اعتقدَ الصُّوفيةَ، واستحسن طريقتهم.

* وقال بعضُهم: حضرتُ مجلسَ أبي العباس بن سُريج، فتكلَّمَ في الفروع والأصول

---

(١) روض الرياحين ١٧٨ (الحكاية: ١٠٠).

(٢) عبد الله بن سعيد بن كُلاَّب، أبو محمد القطان، متكلم من العلماء، له كتب منها: خلق الأفعال، والصفات، والرد على المعتزلة، مات سنة ٢٤٥هـ. وكلاّب لُقِّبَ به لأنه كان يجتذب الناس إلى معتقده إذا ناظر عليه كما يجتذب الكلاب الشيء.

(٣) روض الرياحين ٥٤.

(٤) في (ب) و(ج): شريح.

(٥) أحمد بن عمر سُريج القاضي أبو العباس (٢٤٩ـ٣٠٦) فقيه الشافعية، له نحو ٤٠٠ مؤلف، ولي القضاء بشيراز، وقام بنشر المذهب الشافعي في الآفاق، وقيل: منَّ الله بابن سريج في المئة الثالثة فنصر السنن وخذل البدع، وكان حاضر الجواب، له مناظرات ومساجلات.

بكلامٍ حسنٍ، أُعجبتُ منه، فلمَّا رأى إعجابي قال: لا تعجبْ، أتدري من أين هذا؟ هذا من بركةِ مُجالستي أبا القاسم الجنيد.

* وذكر الجُنيد أنَّ شيخَه العارف بالله السريَّ رضي الله عنهما، كان يقول له: تكلَّمْ على الناس، قال الجُنيد: وكان في قلبي حِشمةٌ[1] من الكلام على الناس، وكنتُ أتَّهمُ نفسي في استحقاق ذلك، فرأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام في ليلة جمعةٍ، فقال لي: تكلَّمْ على الناس. فانتبهت، وأتيتُ باب السَّريِّ قبل أن أُصبحَ، فدققتُ عليه الباب. فقال: لم تَصدِّقنا حتَّى قيلَ لك. فقعدَ للنَّاس في الجامع بالغداة، وانتشرَ في الناس أنَّ الجُنيد قد قعدَ يتكلَّمُ على الناس، فوقفَ عليه غلامٌ نصرانيٌّ مُتنكِّر، وقال: أيُّها الشيخ، ما معنى قول رسول الله ﷺ: «اتَّقوا فِراسةَ[2] المؤمن فإنَّه ينظر بنورِ الله»؟[3]، فأطرقَ الجُنيد ثم رفع رأسه، وقال: أسلم؛ فقد حان وقتُ إسلامك، فأسلم الغلام[4].

* ورُوي أنَّ النَّجيبَ بن النجيب أبا المعالي إمامَ الحرمَيْنِ[5] رضي الله عنه، كان يُدرِّسُ يوماً في المسجد بعد صلاة الصُّبح، فمرَّ عليه بعضُ شيوخ الصوفية، ومعه أصحابُهُ من الفقراء، وقد دُعوا إلى بعض المواضع، فقال إمامُ الحرمين في نفسه: ما شغلَ هؤلاء إلاَّ الأكلُ والرقص. فلمَّا رجع الشيخُ من الدعوة مرَّ عليه، وقال: يا فقيه، ما تقول فيمن يُصلِّي الصُّبحَ وهو جنب، ويقعدُ في المسجد ويُدرِّسُ العلوم، ويغتابُ الناس؟ فذكر إمامُ

---

(١) في (أ) و(ج): الحِشمة بالكسر: الحياء.

(٢) جاء في هامش (أ): الفراسة نوعان: أحدهما ما يُوقع في قلوب أوليائه، فيعلمون بعض للآخر، بنوع كرامةٍ وإصابة الظنِّ والحدس، ومنه «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله». والثاني يُتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق.

(٣) رواه الترمذي (٣١٢٧) في التفسير، باب ومن سورة الحجر، وفي سنده عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٤) روض الرياحين ٢١٠ (الحكاية: ١٣٢).

(٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبو المعالي، ركن الدين الملقب بإمام الحرمين (٤١٩-٤٧٨هـ) أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي، جاور في مكة أربع سنين، ثم ذهب إلى المدينة، فأفتى ودرّس جامعاً طرق المذاهب، ثم عاد لبلده نيسابور، فكان يحضر دروسه أكابر العلماء، له مصنفات كثيرة.

الحرمين أنّه كان عليه غسلٌ، ثم حسن اعتقاده بعد ذلك في الصوفية[١].

* وبلغنا أنَّ الشيخَ العارف بالله المشهور الفقيه الإمامَ الورع المشكور شمسَ الزمن، ومُفتي اليمن، ذا السيرة الحميدة، والمجدِ الأثيل، أحمدَ بن موسى بن العُجيل[٢] رضي الله عنه، ونفعنا به، سُئل عن سماع الصوفية، فقال: إن أبحتُهُ فلستُ من أهله، وإنَ أنكرتُه فقد سمعَهُ من هو خيرٌ منّي.

* وجاء جماعةٌ من فقهاء اليمن إلى الشيخِ بحرِ الحقائق، وموضحِ الدقائق، أبي الغيث بن جميل[٣] قدّسَ الله روحه ونفع به، يمتحنونه في شيءٍ، فلمّا دنوا منه قال: مَرحباً بعبيد عبدي. فاستعظموا ذلك، ورجعوا، فلقوا شيخَ الطَّريقين، وإمامَ الفريقين، أبا الذَّبيح إسماعيل بن محمد الحضرمي[٤] رضي الله عنه، فأخبروه بما قالَ الشيخُ أبو الغيث لهم، فضحكَ وقال: صدق، أنتم عبيدُ الهوى. والهوى عبدهُ[٥].

* وكان الشيخُ أبو الغيث المذكور أميًا، ويحضرُ مجلسَهُ فقهاءُ البلاد يمتحنونه بالمسائل الدَّقيقة، فيجيبُهم.

* وقالَ له الفقراء في بعض الأيام: نشتهي اللَّحم. فقال: اصبروا إلى اليوم الفلاني، وكان يومَ سوقٍ تأتيه القوافل، فلمّا جاء ذلك اليومُ جاءَ الخبرُ أنَّ قطاعَ الطريق أخذوا القافلةَ، ثم جاء بعضُ القطّاع الحرامية بحَبٍّ، وجاء آخرُ منهم بثورٍ، فقال الشيخُ للفقراء: تصرّفوا فيه. فتصرَّفوا، وأحضروا العيشَ، فتنحّى الفقهاء، فدعاهم الفقراءُ للأكل، فامتنعوا، فقال الشيخُ للفقراء: كلوا، الفقهاء ما يأكلون الحرام. فلمّا فرغوا من الأكلِ جاءَ

---

(١) روض الرياحين ٥٤.

(٢) أحمد بن موسى بن عُجيل اليمني الفقيه الزاهد المجمع على إمامته وولايته، كان عارفاً بالفقه والأصول، والنحو والحديث والتصوف، وكان ذا كرامات كثيرة، توفي سنة ٦٩٠. طبقات الصوفية للمناوي ٢/ ٣٨٠.

(٣) أبو الغيث بن جميل الملقب بشمس الشموس اليمني أصله من قطاع الطرق، تاب وصلح حاله، وظهرت على يديه كرامات وخوارق للعادات، كثر أتباعه ومال إليه جمع كبير، مات بقرب بيت عطا في اليمن سنة ٦٥١هـ. طبقات الصوفية للمناوي ٢/ ٣٦١.

(٤) إسماعيل بن محمد بن علي الحضرمي قطب الدين، زاهد صوفي واصل من فقهاء الشافعية، مولده ووفاته في قرية قرب زبيد باليمن، ولي قضاء الأقضية، له مصنفات جمّة، توفي سنة ٦٧٦هـ.

(٥) روض الرياحين ٥٥.

إنسانٌ إلى الشيخ، وقال: يا سيدي، نذرتُ للفقراء كذا وكذا من الحَبِّ، فأخذه الحراميَّةُ. وجاء آخرُ إليه أيضاً، وقال: نذرت للفقراء ثوراً، فنُهب. فقال لهما الشيخ: قد وصلَ إلى الفقراء متاعُهم. فبقي الفقهاء يضربون يداً على يدٍ متندمين على تركِ موافقة الفقراء[1].

* وكان الشيخ رضي الله عنه يُنكر السَّماع[2]، ويُقاتل من يتعاطاه في أوّلِ أمره، ثم رجعَ عن ذلك في الآخر، وسببُهُ أنَّه قدمَ عليه بعضُ المشايخ الكبار في جمعٍ من الفقراء، عازمين على أن يدخلوا عليه قريتَهُ بالسَّماع، فأمرَ أهلَ قريته أن يخرجوا لقتالهم بالعِيدان، وخرجَ معهم، فلمَّا تقاربوا، والقادمون في حال السماع، أخذه حالٌ، وصارَ يدورُ كما يدور أهلُ السماع الواجدون، فتعجَّبَ أصحابهُ منه، وكلَّموه في ذلك، فقال: وعزَّةِ من له العزَّةُ، ما دُرْتُ حتى رأيتُ السماءَ دارت[3].

* وأنشدوا[4]:

يُـرنِّحُنـي إليـكَ الشَّـوقُ حتَّـى ... أَميـلُ مـن اليميـنِ إلـى الشِّمـالِ
كمـا مـالَ المُعـاقـرُ عـاودتْـهُ ... حُميّـا الكـأسِ حـالاً بعـد حـالِ
ويـأخـذنـي لـذكـراكَ ارتيـاحٌ ... كمـا نشِـطَ الأسيـرُ مـن العِقـالِ

* وكان هذا الشيخُ رضي الله عنه صبّاغاً، أعني يصبغُ النّاسَ، وينقلُهم من الصِّفات الدَّنية إلى الصفاتِ السَّنية.

* رُوي أنَّه وقفتْ بين يديه مغنيةٌ، فغشيت ووقعت، فلمَّا أفاقتْ، طلبتِ التوبةَ وصحبةَ الفقراء، وكانت من المُترفات المترعّنات[5]، فقال لها الشيخ: إنَّا نذبحُكِ، أتصبرين على الذبح؟ فقالت: نعم. فأمرها أن تسقي الماءَ للفقراء. فمكثت ستَّة أشهرٍ تحملُ الماءَ على ظهرها، قد تبذَّلتْ وتبدَّلت عن حالها الأول. ثم قالت للشيخ: إنّي قد اشتقتُ إلى ربِّي. فقال لها الشيخ: يومَ الخميس تلقين ربَّك. فماتت يوم الخميس رحمها الله[6].

---

(١) روض الرياحين ٣٦٤ (الحكاية: ٣١٦).
(٢) في هامش (ج): السماع كلُّ ما يستلذه الإنسان من صوت حسنٍ طيبٍ.
(٣) روض الرياحين ٣٢٨ (الحكاية: ٢٧٩).
(٤) الأبيات للشريف الرضي. انظر الديوان صفحة ٤٢٣.
(٥) في هامش (أ): الرعونة ضد الخشونة، أي المنعّمات.
(٦) روض الرياحين ٣٦٤ (الحكاية: ٣١٦).

* ومن كلام هذا الشيخ المذكور: أهلُ الحضرة على أربعة أقسام: رجلٌ خُوطبَ فصارَ كلُّه أذناً، ورجُلٌ أُشهدَ فصار كلُّه عيناً، ورجلٌ مصطلمٌ تحت أنوار التجلّي، والرابعُ لسان حالِ الشفاعة، وهو أكملُ.

* وأنشدَ بعضُ السادات الأولياء، الأكابرِ الفضلاء، من أهلِ اليمن لمّا ذكرَ بعضُ الناس بين يديه مشايخَ «الرسالة» معظماً لهم، في معرض التعريض، بخمولِ ذكر شيوخ اليمن:

أَلا قلْ لساري اللَّيلِ لا تخشَ ضِلّةً ... سعيدُ بنُ سلْمٍ ضوءُ كلِّ بلادِ

لنا سيِّدٌ أربى على كلِّ سيدٍ ... جَوادٌ حثا في وجهِ كلِّ جوادِ

وقيل: أراد الشيخَ أبا الغيث، أنشدني البيتين المذكورين بعضُ علماء اليمن.

* ومن المشهور ما سمعنا، ورواه الكبارُ من الشيوخ عن الشيخ الكبير العارف الربّاني، المربي عيسى المعروف بالهِتّار اليمني[1]، أنّه مرَّ يوماً على امرأةٍ بغيّ، فقال لها: بعد العشاء آتيكِ. ففرحت بذلك وتزيّنتْ، وتعجَّبَ مَنْ سمعَ منه ذلك، فلمّا كان بعد العشاء دخلَ عليها، فصلّى ركعتين في البيت، ثم خرجَ، فقالت له: أراكَ خرجتَ! فقال: حصلَ المقصودُ. فتمزّقتْ عن حالها، وخرجتْ بعد الشيخ تائبةً، وخرجتْ عن كلِّ ما تملكه، فزوَّجها الشيخُ لبعض الفقراءِ، وقال: اعملوا الوليمة عصيدة[2]، ولا تشتروا لها إداماً. ففعلوا ذلك، وأحضروه، فذهبَ إنسانٌ إلى أميرٍ رفيقٍ لتلك المرأة، فقال له: فلانةٌ تابت. فقال: إيش تقول؟ قال: إي والله تابت، وقد تزوَّجها بعضُ الفقراء، وأولموا بعصيدةٍ، وقد أحضروها، وما معهم إدامٌ. فأخرجَ له قارورتين فيهما خمرٌ، وقال: اذهب بهما إلى الشيخ، وسلِّم عليه، وقل له: سرّني ما سمعتُ، وبلغني أن ما عندكم إدامٌ للوليمة، فخذوا هذا تأدَّموا به. وأراد يَستهزئ بالفقراء ويفضحُهُم، فلمّا دنا رسولُ الأميرِ من الشيخ، قال

---

(١) عيسى بن إقبال الهِتّار أحد مشايخ اليمن الكبار، برع في حل المشكلات من المسائل، كان صاحب أحوال ومقامات عوالٍ، ومكاشفات وكرامات، مات سنة ٦٠٦ هـ عن ١٦٠ سنة، وقيل بل ٢٠٠، وقيل ٣٠٠. طبقات الصوفية للمناوي ٢/ ٥١٠.

(٢) في هامش (أ): العصيدة دقيق يُعصد ـ يلتُّ ـ بسمنٍ ويُطبخ.

له: أبطأت. ثم تناول إحدى القارورتين منه، وخضَّها[1]، ثم صبَّها على العيش، ثم كذلك فعلَ بالأُخرى، ثم قال للرسول: اجلس، فكُلْ. قال الرسول: فطعمتُ سمناً لم أرَ أطيبَ منه. ثم رجعَ إلى الأمير فأخبره بالقصة، فجاء الأميرُ، فرأى شيئاً حيّره، فتاب أيضاً على يد الشيخ المذكور رضي الله عنه ونفع به[2]، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

فلا ينبغي أن يُنكرَ على أحدٍ منهم، ويُساءَ الظنُّ به، فقد قالوا: أقلُّ عقوبةِ المُنكر على الصالحين أن يُحرمَ بركتهم، قالوا: ويُخشى عليه سوءُ الخاتمة.

* قلتُ: أخبرني الشيخُ أبو العباس [ابنُ] المَيْلق الشَّاذلي[3]، قال: أخبرني الشيخ ياقوتُ الشَّاذليُّ[4]، قال: أخبرني الشيخ أبو العباس المُرسي الشاذلي[5]، قال: أخبرني الشيخُ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنهم أجمعين، ونفع بهم، أنَّ الشيخَ ابن حرازم[6] خرجَ على أصحابه يوماً ومعه كتابٌ، فقال: أتعرفون هذا الكتاب؟ قالوا: نعم، هذا من «إحياء علوم الدين» للغزالي، وكان الشيخ المذكور يُسيءُ الظنَّ به، ويَطعنُ في كلام الإمام حجَّةِ الإسلام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه ونفعَ به، وينهى عن قراءة «الإحياء» ثم كشفَ لهم الشيخُ المذكورُ عن جسمه، فإذا هو مضروبٌ بالسياط، وقال: أتاني في النوم رجلٌ من

---

(١) في (أ) و(ج): خاضها. وفي هامشهما: أي حركها.
(٢) روض الرياحين ٣٦٥ (الحكاية: ٣١٧).
(٣) شهاب الدين ابن الميلق الواعظ المربي، صاحب الكرامات والإشارات، المدفون في قرافة الشاذلية الكبرى بمصر، تلميذ ياقوت العرشي. طبقات الشاذلية صفحة ١٥٠ ضمن ترجمة شمس الدين الحنفي.
(٤) ياقوت العرشي، أبو الدر بن عبد الله الحبشي الشاذلي (٦٢٧-٧٠٧هـ) من أجلِّ من أخذ عن أبي العباس المرسي، وسمي بالعرشي لأن قلبه كان لم يزل تحت العرش، وقيل لأنه كان يسمع أذان حملة العرش، له مناقب كثيرة، توفي في الإسكندرية. طبقات الشاذلية ١٢١.
(٥) أبو العباس المرسي أحمد بن عمر شهاب الدين فقيه متصوف، أعظم تلامذه أبي الحسن الشاذلي، من أهل الإسكندرية، أصله من مُرسية في الأندلس، توفي سنة ٦٨٦.
(٦) ابن حرازم أبو الحسن شيخ مطاع في بلاد المغرب. قال السبكي في طبقاته ٦/٢٥٨: ابن حِرزهم بكسر الحاء المهملة، وسكون الراء، وبعدها زاي، وربما قيل ابن حرازهم. قال اليافعي في نشر المحاسن الغالية صفحة ٢٢٢: . . . والمعروف بين الناس ابن حِرازم.

صفته كذا وكذا ـ يصف الغزالي ـ فقال لي: أنا أدعوك إلى رسولِ الله ﷺ، فمشيتُ معه، فلمَّا وقفنا بين يدي النَّبيِّ ﷺ، قال: يا رسول الله، هذا يزعمُ أنِّي أقولُ عنكَ ما لم تَقُلْ. قال: فأمرَ النَّبيُّ ﷺ بضربي، فضُربت، ثم تابَ الشيخُ المذكور من حينئذٍ وحسُنَ اعتقاده في أبي حامد[1].

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: ولقد مات وأثرُ السِّياط ظاهرٌ على جسمه.

* وبالإسناد المذكور إلى الشيخِ القطب أبي الحسن الشاذلي المذكور أنَّه رأى النَّبيَّ ﷺ في النوم، باهى موسى وعيسى صلى الله عليهما بالإمام الغزاليِّ، وقال: أفي أُمَّتِكُما حَبْرٌ كهذا؟ فقالا: لا[2].

* وروى الشيخ تاج الدين ابنُ عطاء الله[3]، عن شيخه أبي العباس المُرسي، عن شيخه أبي الحسن الشاذلي قدَّسَ الله أرواحهم، أنَّه قال لأصحابه: من كان منكم له إلى الله حاجةٌ فليتوسَّلْ إليه بالإمام أبي حامد الغزالي.

وقال الشيخ أبو العباس المُرسي: إنَّا لَنَشهدُ له بالصدِّيقية العُظمى. يعني: الغزالي.

* وأخبرني السيدُ الجليلُ العالم الصالح حسن الصعيدي[4]، عن الشيخ الجليل الصالح هارون المقدسي سماعاً منه، أنَّه كان في الشام رجلٌ يُحبُّ الغزالي، فلما علم منه الحشويةُ ذلك صاروا يغيظونه، ويطعنون في الغزالي، فقال: فنمتُ يوماً فرأيتُ حلقتين: حلقةً في قبَّة النَّسر[5]، وحلقةً في موضع آخر ـ سمّاه ـ في مسجد بني أمية، والتي في قبة

---

(1) طبقات السبكي ٦/٢٥٨.

(2) روض الرياحين ٢٥٣ (الحكاية: ١٨١).

(3) أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري الشاذلي متصوف، له مصنفات أشهرها الحكم العطائية، توفي سنة ٧٠٩هـ.

(4) في (ج) السعدي، وفي المطبوع: السعيدي.

(5) قبة النسر في المسجد الأموي من الرصاص سامية في الهواء، عظيمة الاستدارة، قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها، يتصل من المحرابِ إلى الصحن، فإذا استقبلتها أبصرت منظراً هائلاً يُشبّهه الناس بنسر طائر، كأن القبة رأسه، والغارب صدره، ونصف جدار البلاط عن يمين ونصف عن شمال جناحاه، ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة على كل علوّ، كأنها معلقة في الجو. الجامع الأموي تأليف علي الطنطاوي صفحة ٧١ عن رسالة لابن جُبير في أواخر القرن السادس.

النَّسر أصغرُ من الحلقة الأُخرى، ولكن هذه الصغرى أَبهى من الكُبرى، فقصدتُ الحلقةَ الصُّغرى، فإذا مقدّمُها الإمامُ الشافعي رضي الله عنه، فلمَّا رآني أشارَ إليَّ أن آتي الحلقةَ الأُخرى الكبرى، فجئتُ فإذا مقدمُها الإمامُ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه، فلمَّا رآني قال: غفر الله لهم، ثم قرأت عليه سورة تبارك الملك على قصدِ البركة.

* وروينا عن الشيخ الفقيه الإمام العارف بالله، رفيعِ المقام الذي اشتهرت عنه الكرامات العظيمة، وترادفت، وقال يوماً للشمس: قفي فوقفت، حتى وصل إلى زَبيد[1]، من مكان بعيد، أبي الذَّبيح إسماعيل ابن الشيخ الفقيه الإمام العارفِ، ذي المناقب والكرامات والمعارف، محمدِ الحضرمي رضي الله عنهما، أنَّه سأله بعضُ الطاعنين في الإمام حجَّةِ الإسلام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه، في فُتيا أَرسلَ بها إليه: هل تجوز قراءةُ كتبِ الغزالي؟ فقال رضي الله عنه في الجواب: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. محمدُ بنُ عبد الله سيِّدُ الأنبياء، ومحمدُ بنُ إدريس سيِّدُ الأئمةِ، ومحمدُ بنُ محمد بن محمد الغزاليُّ سيد المُصنِّفين. هذا آخر جوابه رضي الله عنه.

قلتُ: وإنَّما سمَّاه سيد المصنفين: لأنَّه تميَّزَ عن المصنفين بكثرةِ المُصنَّفات البديعات، وغاصَ في بحار العلوم[2]، واستخرجَ منها الجواهرَ النفيسات، وسحرَ العقولَ بحسن العبارات، وملاحةِ الأمثلة وبداعة الترتيب والتقسيمات، والبراعةِ في الصناعة العجيبة، مع جزالةِ الألفاظ، وبلاغةِ المعاني الغريبات، والجمعِ بين علوم الشريعة والحقيقة، والأصول والفروع، والمعقول والمنقول، والتَّدقيق والتحقيق، والعلمِ والعمل، وبيانِ معالم العبادات والعادات، والمُهلكات والمُنجيات، وإبرازِ محاسنِ أسرارِ المعارف المحجّبات العاليات[3]، والانتفاع بكلامه علماً وعملاً، لاسيما أرباب الديانات، والدعاء إلى الله سبحانه برفض الدنيا والخلق، ومحاربةِ الشيطان والنفس، بالمجاهدة والرِّياضات، وإفحامُ الفِرَقِ أيسرُ عنده من شربِ الماء بالبراهين القاطعات، وتوبيخ علماء السوء الرَّاكنين إلى الظُّلَمة، والمائلين إلى الدنيا الدنية، أُولي الهممِ الدَّنيَّات، وغيرِ ذلك ممَّا لا يُحصى، مما جمع في تصانيفه من المحاسن الجليلات، مما لم يجمعه مصنفٌ فيما علمنا، ولا يجمعهُ

---

(١) زبيد مدينة مشهورة باليمن، أحدثت في أيام المأمون، بإزائها ساحل المندب. معجم البلدان.

(٢) صنف الدكتور عبد الرحمن بدوي كتاباً عن مؤلفات الغزالي وما نسب إليه فبلغت ٤٥٧ كتاباً.

(٣) في (ب) و(ج): الغاليات.

فيما نظنُّ ما دامتِ الأرضُ والسموات؛ فهو سيدُ المصنِّفين عند المُنصفين، وحجةُ الإسلام عند أهل الاستسلام، لقبول الحقّ من المحققين في جميع الأقطار والجهات، وليس نعني أَنَّ تصانيفه أصحُّ، فـ «صحيح البخاري» ثم «صحيح مسلم» أصحُّ الكتبِ المُصنَّفات، فقد بلغنا عن بعض الأولياء الأكابر والعلماء الجامعين بين علمِ الباطن والظاهر أَنَّه قال: لو كان نبيٌّ بعد النبيِّ ﷺ لكان الغزالي، وأَنَّه يحصلُ ثبوتُ معجزاته ببعضِ مصنَّفاته، وهذا القول محمولٌ على أَنَّه قاله وهو غيرُ مستحضرٍ للخبرِ الواردِ في عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1].

وقد وصفَه بعضُ العارفين ممَّن هو بعلومِ الشريعة والحقيقة خبير، بصاحبِ العلم الغزير، والقلبِ المُستنير، ومدحه بمدحٍ كثير.

وكذلك الشيخ الفقيه الإمامُ عمدةُ المسندين، ومفتي المسلمين، جامعُ الفضائل قطبُ الدين محمدُ بن الشيخ العارف أبي العباس القسطلاني[2] رضي الله عنهما صنَّفَ كتاباً أَنكرَ فيه على بعض الناس، وأثنى على الإمامِ أبي حامد الغزالي ثناءً حسناً، وذمَّ إنساناً ذمَّهُ، وقال في أثناء كلامه: ومن نظرَ في كتبِ الغزالي، وكثرةِ مصنفاته، وتحقيق مقالاته، عرفَ مقداره، واستحسنَ آثارَه، واستصغرَ ما عظمَ من سواه، وعظَّم قدرَه فيما أمدَّه اللهُ من قُواه، ولا مُبالاة بحاسدٍ قد تعاطى ذمَّه، أو معاندٍ أبعد اللهُ عنه إدراكَ معاني كلامه فهمَّه، فهو كما قيل لمن عن فضائله تعامى: لن تعدم الحسناءُ ذامًّا[3]. هذا بعضُ كلامه بحروفه.

وقد قال جماعةٌ من العلماء رضي الله عنهم، منهم الشيخ الإمام الحافظُ ابنُ عساكر[4] في الحديثِ الورادِ عن النبيِّ ﷺ في أَنَّ الله تعالىٰ يُحدثُ لهذه الأمَّةِ من يجددُ لها دينَها على

---

(١) أخرج الترمذي (٣٦٨٧) في المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والحاكم في مستدركه ٣/ ٨٥، وصححه ووافقه الذهبي عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب».

(٢) محمد بن أحمد بن علي، قطب الدين القسطلاني (٦١٤ـ٦٨٦هـ) الفقيه المحدث الأديب الصوفي، ولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة، كان لا يأكل من طعام الولاة. طبقات السبكي ٨/ ٤٣.

(٣) كذا في الأصل مشدداً، وفي مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢١٣: لا تعدم الحسناء ذاماً. الذَّام: العيب.

(٤) تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. صفحة ٥٣ مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧.

رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ[١]: أنّه كان على رأسِ المئةِ الأولى عمرُ بنُ عبد العزيز رضي الله عنه، وعلى رأس المئة الثانية الإمامُ الشّافعيُّ رضي الله عنه، وعلى رأس المئةِ الثالثة الإمامُ أبو الحسن الأشعري[٢] رضي الله عنه، وعلى رأس المئة الرَّابعة الإمامُ أبو بكر الباقلاني[٣] رضي الله عنه، وعلى رأس المئة الخامسة الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه.

ورُوي ذلك عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في الإمامين الأولين أعني: عمر بن عبد العزيز، والشافعي.

قال بعضُ العلماء المالكية، والمشايخ العارفين الصوفية: الناس في فضلة[٤] علوم الغزالي، معناه أنهم يستمدُّون من علومه ومدده، ويستعينون بها على ما هم بصدده، زاده الله فضلاً ومجداً على رغم الحسَّادِ والعِدى.

قلت: لم أُكثر من ذكر هذه الروايات في فضل أبي حامد إلاّ لمّا أكثرَ المحرومون الطعنَ فيه، لعدم توفيقهم، كما قد طعنوا في غيره من الصالحين؛ وفضلُهُ أكثرُ من أن يُحصر، وأَشهرُ من أن يُذكر، حتى سمعتُ من غيرِ واحدٍ من الفِرَق المخالفة يدّعون أنّه منهم؛ لكبرِ شأنه، وعلوِّ منزلته، وكثرةِ علومه الدَّقيقة في الشريعة والحقيقة، وفضائلِهِ ونُصْحِهِ للأمّة في أمر الدين، وردِّه على كلِّ المعتدين، بقواطع الحجج والبراهين، وصاروا يتمنَّون ذلك، ويدَّعونه على طريق البهت، كما تداعتِ الأممُ الخليلَ إبراهيم ﷺ، وفي ذلك أقولُ في بعض قصائدي:

وإحيا علومِ الدِّين طَالعْهُ تَنتَفعْ ... ببحـرِ علـومِ المُتسنيـر المُحصِّـلِ

---

(١) روى أبو داود في سننه، (٤٣٩١) في الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المئة عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها».

(٢) أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل بن إسحاق (٢٦٠-٣٢٤هـ)، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، بلغت مصنفاته ثلاث مئة كتاب.

(٣) محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر الباقلاني (٣٣٨-٤٠٣هـ) قاضٍ من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد بالبصرة وتوفي ببغداد، كان جيد الاستنباط سريع الجواب، وجهه عضد الدولة إلى ملك الروم سفيراً، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. له العديد من المؤلفات.

(٤) في (ب): في فضل.

أبـي حـامـدٍ غـزّالِ غـزلٍ مُـدَقِّـقٍ لـدى كـلِّ فِـرَقٍ كـالخليـلِ المُبجَّـلِ
به المصطفى باهى لعيسى بنِ مَريمٍ لـه قـال صـدقـاً خـاليـاً عـن تَقـوّلِ
أَحَبْـرٌ كهـذا فـي حَـواريكَ قـالَ لا وناهيك في هذا الفَخارِ المؤثَّلِ
دُعـي حجَّـةَ الإسـلام لاشـكَّ أنَّـهُ لـذا الاسـم كفـوٌ كَـامـلٌ للتَّـأمُّـلِ
لـه فـي منـامـي قلـتُ آأنـت حجَّـةٌ لإسلامنا لي قال ما شئتَ بي قُلِ

وكذلك لمَّا تكلَّم بعضُ النَّاس في كتاب «المهذب»[1] وطعنَ في مرتبته العلية، وزعمَ أنَّه ليس فيه شيءٌ من المسائلِ الفقهية، قلت في هذه الأبيات:

إذا الغِرُّ عن غُرِّ المسائلِ سائلٌ وقالَ افتني أينَ استقرّتْ فجوِّبِ
وقـلْ غُـرُّهـا عـن درِّ فقـهٍ تبسَّمـتْ ملاحُ الحلى حلَّتْ كتابَ المُهذَّبِ
عذارى المعاني قد زهتْ في خدورِها علـى غيـرِ كفـوٍ لازمـاتُ التحجُّـبِ
ذراري أبـي إسحـاق أكـرم بسيِّـدٍ إمـــامٍ نجيـــبٍ للبعيـــدِ مُقـــرِّبِ
بمـــدحِ عُـــلاه لا أقـــومُ وإنَّمـــا أذبُّ مقـالَ الطَّـاعـنِ المُتعصِّـبِ
فهـذا جـوابـي حـامـداً ومصلِّيـاً جوابُ فقيرٍ يافعي الأصلِ مُذنبِ

قلت: وأنا أُحبُّ ثلاثةً من أصحابنا من أئمَّةِ الشافعية حبًّا كثيراً، هذان الإمامان المذكوران، والثالثُ الإمام محيي الدِّين النَّواوي، وقد قدَّمت مدحَه في أول هذا الكتاب[2] لأمرٍ اقتضى ذكره هناك، وليس ذلك لأجلِ علمهم فحسب، فالعلماءُ كثيرون، وإنَّما ذلك لانضمامِ العملِ إليه والورعِ والزُّهد والعبادة والصلاة المشتهر، وبركة كتبهم، والانتفاع بها، وغيرِ ذلكَ من المحاسن، زادهم اللهُ من فضله، ونعمِهِ وجمَعَ الله بيننا وبينهم بمنِّهِ وكرمه، مع جميع الأحباب والمسلمين.

* وأخبرني بعضُ أهلِ العلمِ أنَّ الإمامَ عزَّ الدين ابنَ عبد السلام الفقيه الشافعيَّ[3]

---

(١) كتاب المهذب في الفروع للإمام إبي إسحاق إبراهيم بن محمد الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ بدأ في تصنيفه سنة ٤٥٥ وفرغ منه سنة ٤٦٩، وهو كتاب جليل القدر، اعتنى بشأنه فقهاء الشافعية، وله شروح عدة. انظر كشف الظنون ١٩١٢.

(٢) انظر صفحة: ٢٧.

(٣) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام سلطان العلماء (٥٧٧ـ٦٦٠هـ) فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، =

رضي الله عنه، احتلمَ في ليلةٍ باردةٍ، فأتى إلى الماءِ وهو جامدٌ، فكسرَهُ واغتسلَ، وكادت روحُهُ تخرجُ من شدَّةِ البرد، ثم احتلمَ ثانياً[1]، فأتى إلى الماءِ واغتسلَ، فغُشي عليه، فسمعَ يُقال له: لأعوِّضنَّكَ بها عزَّ الدنيا والآخرة.

* وكذلك الشيخُ الجليل العارف نجمُ الدِّين الأصبهانيُّ رُوي عنه أنّه اغتسلَ في ماءٍ باردٍ قد جمدَ، قال: وما عهدي بنفسي إلاّ حين دخلتُ في الماء، ثم أفقتُ وأنا في مسجدٍ، وقد قرّبَ إليَّ إنسانٌ مجمرةَ نارٍ يُدفئني بها.

* وقال رضي الله عنه: قال لي شيخٌ في بلاد العجم: إنَّك ستلقى القطبَ في الدِّيار المصرية. فخرجتُ لذلك، فبينما أنا في بعض الطريق؛ إذ خرجَ عليَّ جماعةٌ، فأمسكوني وكتَّفوني، وقالوا: هذا جاسوس، وقال بعضهم: نقتله، وقال بعضهم: لا. فبتُّ مكتوفاً، وبقيتُ أفكِّرُ في أمري وما بي جزعُ الموت، وإنَّما بي أنْ أموتَ قبلَ أن أعرف ربِّي، فنظمتُ أبياتاً وضمّنتُها قولَ امرئ القيس، ومن جملة أبياتهِ التي ذكرَ هذان البيتان:

وقــد أوطــأتُ نعلــي كــلَّ أرضٍ وقــد أتعبــتُ نفســي بــاغتــرابِ
(وقـد طـوَّفـتُ فـي الآفـاقِ حتَّـى رضيـتُ مـن الغنيمـة بـالإيـابِ)[2]

فما أتممتُ الإنشادَ حتى انقضَّ عليَّ رجلٌ من صفتهِ كذا وكذا، كانقضاضِ البازي، وقال: قم يا عبد الله، فأنا مَطلوبُكَ. وحلَّ كتافي، فلمَّا قدمتُ الدِّيار المصرية، سمعت بشيخ يُقال له أبو العباس المُرسي، فلمَّا رأيتهُ عرفتُ أنّه الذي أطلقني، ثم تبسَّمَ، وقال لي: لقد أعجبني إنشادُكَ وتضمينُكَ، وقولك كذا وكذا ليلةَ أُسرتَ. فصحبَهُ ولازمه إلى أن تُوفِّي، ثم أُمِرَ الشيخُ نجمُ الدِّين بالذَّهابِ إلى مكّة، فجاورَ بها إلى أن ماتَ رضي الله عنهما، وعن جميعِ الصالحين، ونفعنا بهم وجميع المسلمين آمين.

* ومن كرامات الشيخ نجم الدين: أني رأيتُهُ في النوم بعد موته، وكنتُ مضطراً إلى

= ولد ونشأ بدمشق، فتولى الخطابة والتدريس في الجامع الأموي، ولمّا سلّم الصالح إسماعيل بن العادل قلعة صفد للفرنج اختياراً، أنكر عليه ابن عبد السلام، ولم يَدعُ له، فغضب وحبسه، ثم أطلقه، فخرج إلى مصر. فولاّه الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة، ومكّنه من الأمر والنهي، ثم اعتزل ولزم بيته. له العديد من المؤلفات.

(١) في (أ) و(ج): ثم احتلم في ليلة ثانياً.

(٢) بيت امرئ القيس: الديوان صفحة ٧٣. دار صادر.

حاجةٍ تعسَّرتْ عليَّ، ورأيتُ إنساناً بين يديه، والشيخُ مُقبلٌ عليه يكلِّمُه، ولم أدرِ بأيِّ شيءٍ يُكلِّمه، فسلَّمتُ على الشيخ، ومشيتُ خلفه، وعرضتُ عليه شيئاً، فاستحسنَهُ ـ أعني جواباً أجبتُ به ـ ثم ودَّعته، وإذا قائل يقول لي: الظاهرُ أنَّ اللهَ يريدُ بك خيراً، ولكنَّك تحتاجُ إلى صبرٍ، إذِ الصبرُ من شأن الأجواد، وأبشرْ بكذا وكذا، يبشِّرني بقضاءِ تلك الحاجة، ثم انتبهتُ، وسُررتُ بما رأيت، وخطرَ لي أن أبشِّرَ ذلك الإنسانَ الذي رأيتُ الشيخَ يُكلِّمه بإقبال الشيخ عليه، فإذا به قد جاءني بقضاءِ تلك الحاجة التي طلبتها، ففهمتُ أنَّ الشيخَ ما كانَ يُكلِّمه إلاَّ من أجلي، نفع الله به، وجزاه عنَّا أفضل الجزاء.

* وكان رضي الله عنه صاحبَ همَّةٍ عالية، وصورةٍ حسنةٍ حالية، ولحيةٍ مليحة طويلة، وهيبةٍ في القلوب، ومنزلةٍ جليلة، وكان لا يكادُ يضحك، فلمَّا كانَ بعضُ الأيام خرجَ مع جنازةِ بعضِ الصالحين، فضحكَ حين تلقين المدفون، فسألَهُ بعضُ أصحابه عن ضحكِهِ، فزجره عن سؤاله، فلمَّا كان بعد ذلك قال: ما ضحكتُ إلا لأنَّهُ لما جلسَ المُلقِّنُ على القبرِ يُلقِّنُ، سمعتُ صاحبَ القبرِ يقول: ألا تعجبونَ من ميتٍ يُلقِّنُ حيّاً ؟!

* وقال بعضهم: الصُّوفيُّ لا يموت.

* ورأيتُ شيخَ شيخنا السيد الجليل جامعَ الخصال الحميدة، ذا السِّيرةِ السنية السديدة، أبا الخطاب عمرَ بنَ علي الصفَّار بعد موته في النوم رضي الله عنه، فقلت له: يا سيدي، أنت ما متَّ ؟ قال: عجبٌ أن يُقالَ إنِّي متُّ، ثم مسحَ على صدري، ودعا لي فقال: أصلحكَ الله صلاحاً لا فسادَ له.

* وكذلك رأيتُ الشيخ الإمامَ محيي الدِّين النواوي رضي الله عنه، وعليه هيبةٌ عظيمةٌ تزلزلُ الجبال كأنَّما القيامةُ قد قامت، وهو يذكرُ اللهَ ويمجِّدُه، ويعظِّمُ وعدَهُ ووعيده، ثم دعا لي فقال: ثبَّتَكَ اللهُ بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرة. فالله تعالىٰ يستجيب منهما ذلك بجاههما عليه.

* وقد قيل: النَّاسُ موتى إلاَّ العالمين، والعالمونُ نائمون إلاَّ العاملين، والعاملون مَغرورون إلاَّ الخائفين، والخائفون هالكون إلا المُخلصين، والمخلصون على خطرٍ.

* وقال ذو النُّون المصري: ثلاثٌ من علامات الإخلاص: استواءُ المدحِ والذمِّ من العامة، ونسيانُ رؤيةِ الأعمال، واقتضاءُ ثواب العمل في الآخرة.

* وقالَ السَّريُّ: من تزيَّنَ للنَّاسِ بما ليس فيه، سقطَ من عين الله.

* وقال الفُضيل: تركُ العمل من أجلِ الناس رياءٌ، والعملُ من أجلِ الناسِ شركٌ، والإخلاصُ أن يُعافيك اللهُ عنهما.

* وقال الإمام الجليلُ السيد الحفيل الحارثُ المُحاسبي[1]: الصادقُ هو الذي لا يُبالي لو خرجَ كلُّ قدرٍ له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحبُّ الاطلاعَ على مثاقيل الذَّر من حُسْنِ عمله، ولا يَكرهُ أن يطَّلعَ الناسُ على السيِّئ من عمله، فإنَّ كراهته لذلك تدلُّ على أنَّه يُحبُّ الزيادة عندهم.

* وقال بعضُهم: من صحبَ الكتاب والسنة، وتغرّبَ عن نفسه والخلق، وهاجرَ بقلبه إلى الله فهو الصادق.

* وقال الأستاذُ أبو القاسم القُشيريُّ[2]: أقلُّ الصِّدقِ استواءُ السرِّ والعلانية[3].

* وقال: والحياء على وجوهٍ:

حياءُ الجناية، كآدم ﷺ لما قِيل له: أفراراً منَّا؟ قال: بل حياءً منك.

وحياءُ التقصير كالملائكة، يقولون: [سبحانك] ما عبدناكَ حقَّ عبادتك.

وحياءُ الإجلال كإسرافيل عليه السلام تسربل بجناحه حياءً من الله.

وحياء الكرم كالنبيِّ ﷺ، كان يَستحي من أمَّته أن يقول اخرجوا، فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وحياءُ حشمةٍ كعليٍّ رضي الله عنه؛ حين سأل المقدادَ رضي الله عنه، حتى سألَ رسولَ الله ﷺ عن حكم المذي، لمكانِ فاطمةَ رضي الله عنها.

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبي من أكابر الصوفية، كان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مبكياً، وله تصانيف في الزهد، والرد على المعتزلة، وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره، توفي ببغداد سنة ٢٤٣هـ.

(٢) أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن (٣٧٦ـ٤٦٥هـ) زين الإسلام، شيخ خراسان في عصره زهداً وعلماً بالدين. كانت إقامته بنيسابور، وتوفي فيها، وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه. من أشهر كتبه الرسالة القشيرية.

(٣) الرسالة القشيرية صفحة ٣٣٣، باب الصدق.

وحياءُ الاستحقارِ كموسى عليه السلام، قال: إنَّه لتعرضُ لي الحاجةُ من الدنيا، فأستحي أن أسألكَ يا ربُّ. فقال له: سلني حتى مِلحَ عجينك، وعلفَ شاتك.

وحياءٌ [الإنعام] هو حياءُ الرَّبِّ سبحانه وتعالى، يدفعُ إلى العبدِ كتاباً مختوماً بعد ما عبرَ الصراط، وإذا فيه مكتوب: يا عبدي، فعلتَ ما فعلت، ولقد استحييتُ منك أن أُظهرَه عليك. وقال يحيى بنُ معاذ: سبحانَ من يُذنبُ العبدُ فيستحي منه[1].

* وقال أبو بكر الورَّاق رضي الله عنه: ربَّما أُصلّي لله ركعتين، فأنصرف عنهما، وأنا بمنزلةِ من ينصرفُ عن السرقةِ من الحياء.

* وقال الأستاذ أبو القاسم الجُنيد رضي الله عنه: الفتوَّة بالشَّام، واللِّسانُ بالعراق، والصِّدق بخراسان.

* وقيل: سأل شقيقُ البلخيُّ[2] السيدَ الجليل، معدنَ الفتوَّة، وسلالةَ النبوة، جعفرَ بنَ محمد[3] عن الفتوّة، فقال له: ما تقولُ أنت؟ فقال شقيق: إن أُعطينا شكرنا، وإن مُنعنا صبرنا، فقال جعفر: الكلاب بالمدينة كذلك تفعل. فقال شقيق: يا ابنَ بنتِ رسولِ الله ﷺ، ما الفتوةُ عندكم؟ فقال: إن أُعطينا آثرنا، وإن مُنعنا شكرنا.

* وقيل: إنَّ رجلاً نامَ بالمدينة من الحاجِّ، فتوَّهمَ أنَّ هِمْيانه[4] سُرق، فخرجَ في طلبه، فرأى جعفراً الصادق، فتعلَّقَ به، وقال: أخذت هِمْياني. فقال له: إيشٍ كان فيه؟ قال: ألفُ دينار. فأدخله دارَه، ووزنَ له ألفَ دينار، فرجع الرجلُ إلى منزله، فرأى هِمْيانه في بيته، وكان قد توهَّمَ أنَّهُ سُرقَ، فخرجَ إلى جعفرٍ مُعتذراً، وردَّ عليه الدنانير، فأبى أن يقبل،

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٣٩. باب الحياء، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٢) شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي زاهد صوفي، من مشاهير المشايخ في خراسان، ولعله أول من تكلم في علوم القوم بكور خراسان، وكان من كبار المجاهدين، استشهد في غزوة كولان بما وراء النهر سنة ١٩٤هـ.

(٣) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين الهاشمي أبو عبد الله الملقب بالصادق (٨٠ـ١٤٨هـ)، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، أخذ عنه جماعة منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك، ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قطُّ. كان جريئاً صداعاً بالحق، مولده ووفاته في المدينة.

(٤) الهِمْيان: كيس للنفقة يُشدُّ في الوسط. متن اللغة (همن).

وقال: شيءٌ أخرجته من يدي، لا أستردُّهُ. فقال الرجل: من هذا؟ فقيل: جعفر الصادق.

* وقال الشيخ العارف الرباني أبو الفوارس شاهُ بنُ شجاع الكرماني: من غضَّ بصرَهُ عن المحارم، وأمسَكَ نفسه عن الشهوات، وعمّرَ باطنه بدوام المُراقبة، وظاهرَهُ باتِّباعِ السُّنة، وتعوَّدَ أكلَ الحلال لم تُخطئ فِراسته.

* وقيل: كان سهلُ بن عبد الله يوماً في الجامع، فوقع حمامٌ في المسجدِ من شدَّةِ الحرِّ، فقال سهل: إن شاهَ الكرمانيَّ مات الساعة إن شاء الله. وكتبوه، فكان كما قال.

* وقال أبو سعيد الخرّاز: دخلتُ المسجدَ الحرام، فرأيت فقيراً عليه خِرقتان يسألُ شيئاً، فقلتُ في نفسي: مثلُ هذا كَلٌّ على الناسِ، فنظر إليَّ وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. فاستغفرتُ في سرّي، فناداني: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]. لما تخلّقوا بأخلاقِ الملك الغفار، أطلعَهم على غيوبِ الأسرار.

* قال أبو علي الدقاق: إنَّ الله تعالىٰ خصَّ نبيَّه ورسولَهُ ﷺ بما خصَّه به، ثم لم يُثنِ على شيءٍ من خصاله بمثلِ ما أثنى عليه من خُلقه، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

* وقيل للأحنف بن قيس[1]: ممَّن تعلَّمتَ الخُلُق؟ فقال: من قيس بن عاصم المِنْقَري. قيل: وما بلغَ من خُلقِهِ؟ قال: بينما هو جالسٌ في داره، إذ جاءت خادمةٌ له بشواءٍ، فسقطَ من يدها على ابنٍ له، فمات، فدهشتِ الجاريةُ، فقال لها: لا رَوعَ عليك، أنت حرَّةٌ لوجه الله تعالىٰ.

* وقيل إنَّ الشيخَ أبا عثمان الحيري اجتازَ بسكَّةٍ وقتَ الهاجرة، فأُلقي عليه رمادٌ من سطحٍ، فتغيَّرَ أصحابُهُ، وبسطوا ألسنتهم في المُلقي، فقال أبو عثمان: لا تقولوا شيئاً، من

---

(١) الأحنف بن قيس التميمي سيد بني تميم، وأحد الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب به المثل في الحلم، وفد على عمر بن الخطاب، شهد الفتوح، واعتزل الفتنة يوم الجمل، وشهد صفين مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مات سنة ٧٢هـ.

استحقَّ أن يُصبَّ عليه النَّار، فصُولحَ على الرَّمادِ لم يجزْ له أن يغضب.

* وقيل: كان لبعض النسَّاكِ شاةٌ، فرآها على ثلاث قوائم، فقال: من فعل هذا بها؟ فقال غلام له: أنا. فقال: لِمَ؟ قال: لأغِمَّكَ بها. فقال لا، بل لأُغِمَّنَّ من أمرَكَ بها، اذهبْ فأنت حرٌّ.

* وشتم رجلٌ الأحنفَ بنَ قيس، وكان يتبعُهُ، فلمَّا قربَ من الحيِّ قال: يا فتى، إن بقي في قلبك شيءٌ فقله لكيلا يسمعَكَ بعضُ سفهاء الحيِّ فيجيبك.

* ولله درُّ القائل[1]:

ومـا النَّـاسُ إلاّ واحـدٌ مـن ثـلاثـةٍ	شـريـفٌ ومَشـروفٌ ومثـلٌ مُقـاومُ
فـأمَّـا الـذي فـوقـي فـأعـرفُ حقَّـه	وأتبـعُ فيـه الحـقَّ والحـقُّ لازمُ
وأمَّـا الـذي مثلـي فـإنْ زلَّ أو هفـا	تفضَّلتُ إنَّ الحرَّ بالفضلِ حاكمُ[2]
وأمّا الذي دوني فإنْ قالَ صنتُ عن	مقـالتِـهِ عِـرضـي وإنْ لامَ لائـمُ
سأُلزمُ نفسي الصَّفحَ عن كلِّ مُذنبٍ	وإن كثـرتْ منـه علـيَّ الجـرائـمُ

* قالت امرأةٌ لمالك بن دينار: يا مُرائي. فقال: يا هذه، وجدتِ اسمي الذي أضلَّه أهلُ البصرة.

* وقال: لو قيلَ ليخرجْ شرُّ من في المسجد، ما سبقني إلى الباب أحد.

قال ابنُ المبارك: بهذا صارَ مالكٌ مالكاً.

ولما ذكرَ الناسُ لمالكِ بن دِينار الاستسقاءَ قال: أنتم تنتظرونَ المطرَ، وأنا أنتظرُ الحجارة.

* قلتُ: وقد رأى بعضُ الإخوان الأخيارُ في النوم أنَّ حجارةً عظيمةً يُرمى بها من السماء إلى الأرض. وذُكرَ لي منامٌ منذ شهر قبلَ تأليف هذا الكتاب، أنَّ منادياً يُنادي من السماء: جاءتكم النار، ورأيتُ أنا النارَ مراراً، وكذا الدَّابة في مناماتٍ هائلات يطول ذكرها، نعوذ بوجه الله الكريم من عذابه الأليم.

---

(١) الأبيات للخليل بن أحمد، انظر الديوان صفحة ٣٥٨.

(٢) رواية الديوان: إن الفضل بالعزِّ حاكم.

* وأخبرنا بعضُ الأولياء منذ تسعةِ أشهرٍ من التأليف المذكور: أنه رأى في النوم أربعَ طوائفَ ساجدات إلى أربع جهات؛ واحدةٌ ساجدةٌ إلى القبلة، وثلاثٌ إلى غير القبلة، وذكر أنَّ إحدى الثلاث المذكورات من الظَّلَمَة، والثانيةُ من الفقهاء، والثَّالثةُ من الفقراء، والرابعة الساجدةُ إلى القبلة من العالمين العاملين، المُطيعين لله، المستضعفين الصابرين على البلاء، نعوذُ بالله من سوءِ القضاء، ونسأله الصَّبرَ والشُّكر والرِّضا، وأن يتوفَّانا مُسلمين سالمين، من كلِّ فتنةٍ ومحنةٍ في عفوٍ وعافية في الدين والدنيا والآخرة وجميع المسلمين، آمين.

* وقيل: كان لبعضهم صديقٌ، فحبسه السُّلطان، فأرسل إليه، فقال له صاحبُهُ: اشكرِ الله، فضُربَ الرجل، فكتب إليه، فقال: اشكرِ الله، فجيء بمجوسيٍّ محبوس مَبطون، وقُيِّدَ، وجُعل حلقةٌ من قيده على رجلِ هذا، وحلقةٌ على رجل المجوسيِّ، فكان المجوسيُّ يقومُ بالليل مرَّات، وهذا يحتاجُ إلى أن يقف على رأسه حتى يفرغَ، فكتبَ إلى صاحبه، فقال: اشكرِ الله، فقال: إلى متى تقول، وأيُّ بلاءٍ فوق هذا؟ فقال صاحبُهُ: لو وُضِعَ الزُّنارُ الذي في وسطه في وسطك كما وضِعَ القيدُ الذي في رجله في رجلك ماذا كنتَ تصنع؟

* وقيل: دخلَ رجلٌ على سهلِ بنِ عبد الله، وقال: إنَّ اللصَّ دخلَ داري وأخذَ متاعي. فقال: اشكرِ الله؛ لو دخلَ اللصُّ قلبكَ ـ وهو الشيطان ـ وأفسدَ التوحيد، ماذا كنتَ تصنع؟

* وعن إبراهيمَ بنِ أدهم رضي الله عنه، أنَّه قال لرجلٍ في الطَّواف: اعلم أنَّك لا تنالُ درجةَ الصَّالحين حتى تجوزَ ستَّ عقبات، أولها: تُغلقُ بابَ النِّعمة، وتفتحُ باب الشدَّةِ، والثانية تُغلقُ بابَ العزِّ، وتفتحُ باب الذُّلِّ، والثالثةُ تُغلقُ بابَ الراحة، وتفتحُ باب الجهد، والرابعة تُغلقُ باب النوم، وتفتحُ باب السهر، والخامسة تُغلق بابَ الغنى،وتفتحُ بابَ الفقر، والسادسةُ تُغلقُ بابَ الأمل، وتفتحُ باب الاستعداد للموت.

* ورُوي أنَّه ركبَ عليُّ بنُ موسى الوزير في موكبٍ عظيم، فجعلَ الغُرباءُ يقولون: من هذا؟ من هذا؟ فقالت امرأةٌ قائمةٌ على الطريق: إلى متى تقولون من هذا، من هذا؟ هذا عبدٌ سقطَ من عين الله، فابتلاه اللهُ بما ترون. فسمعَ عليُّ بن موسى ذلك، فرجعَ إلى منزله، واستعفى من الوزارة، وذهبَ إلى مكَّة، وجاور بها.

* وفي الرِّياسة قلتُ في بعض القصائد:

وإيّـاكَ إيّـاكَ الـرِّيـاسـةَ إنّهـا | هي الدّاءُ كلُّ الدّاءِ للدِّينِ تَجرحُ
هل الجاهُ أياماً على الجاهِ سَرمداً | يرجّحُ إلا مَن به الحمقُ يرجحُ
تواضعْ وشمِّرْ والزمِ الزُّهدَ واجتهدْ | ونفسَكَ جاهدْها عسى هي تفلحُ
متى تُدركِ العلياءَ والعزمُ باردٌ[1] | وهـل بـاردُ العـزمِ العـزائـمِ يَنجـحُ

* وقلتُ أيضاً في الولايات، في بعض القصائد:

وإيّـاكَ إيّـاكَ الـولايـاتِ إنّهـا | لها قُحَمٌ تُولي الرّدى مَن لها وَلي
وأعظـمْ بـأمـرٍ فـرَّ منـه أئمّـةٌ | كبارُ الملا من كلِّ كفوٍ لها ولي

* وعن أبي يزيد البِسطامي رضي الله عنه، قال: كنت ثنتي عشرة سنة حدّادَ نفسي، وكنتُ خمسَ سنين مرآةَ قلبي، وسنةً[2] أنظرُ فيما بينهما، فإذا في وسطي زنارٌ، فعملتُ في قطعه خمسَ سنين، أنظرُ كيف أقطعُهُ، فكُشِفَ لي، فنظرتُ إلى الخلقِ، فرأيتهم موتى، فكبَّرتُ عليهم أربعَ تكبيرات.

* وقال بعضهم: وقفتُ على بابِ قلبي عشرين سنة، ما جاز به شيءٌ لغيرِ الله سبحانه إلا رددتُهُ.

* وقال أبو القاسم القُشيري رضي الله عنه: اعلم أنّ المجاهدةَ، ومِلاكَها: فَطْمُ النّفسِ عن المألوفات، وحملُها على خلافِ هواها في عموم الأوقات، وللنّفسِ صفتان [مانعتان لها من الخير]: انهماكٌ في الشهوات، وامتناعٌ عن الطاعات، فإذا جمحتْ عندَ ركوبِ الهوى، يجبُ كبحُها بلجام التقوى، وإذا خرجتْ[3] عن القيام بالموافقاتِ يجبُ سوقُها على خلافِ الهوى، وإذا ثارتْ عند غضبها، فمن الواجبِ مُراعاةُ حالها، فما من منازلةٍ أحسنَ عاقبةً من غضبٍ كُسر[4] سلطانُهُ بخُلقٍ، وتُخمدُ نيرانُه برفقٍ، وإذا استحلّتْ شرابَ الرعونة، وضاقتْ إلا عن إظهار مناقبها والتزيّن لمن ينظرُ إليها، فمن الواجبِ كسرُ ذلك

---

(١) هنا ينتهي ما وجد من النسخة المخطوطة (ج).

(٢) في المطبوع: وستّةً.

(٣) في الرسالة القشيرية ١٩٩: حرنت.

(٤) في الأصل سُكّن، والمثبت من الرسالة القشيرية.

عليها [وإحلالها بعقوبة الذل] بما يُذكِّرُها منْ حقارةِ قدرِها، وخساسةِ أصلِها، وقذارةِ فعلِها. وجهدُ العوام في توفية[1] الأعمال، وقصدُ الخواصِّ إلى تصفيةِ الأحوال، فإنَّ مقاساةَ الجوعِ والسهر يَسير، ومعالجةَ الأخلاق والتنقّي عن سفاسفها صعبٌ شديد، ومن غوامضِ آفاتِ النفس ركونُها إلى استحلاءِ المدح، فإنَّ من تحسَّى منه جَرعةً حَمَلَ السَّمواتِ والأرضين مثلاً على أشفاره[2]، وأمارةُ ذلك أنَّه إذا انقطعَ عنه ذلك الشَّرابُ آلَ حالهُ إلى الكسلِ والفشل[3].

* وقال: من لم يكنْ في بدايتهِ صاحبَ مُجاهدةٍ، لم يجد من هذه الطريقة شمّةً.

* وقال يحيى بنُ معاذ: من لم ينظرْ في الدَّقيقِ من الورع، لم يصل إلى الجليل من العطاء.

* وقيل: إنَّ مالكَ بن دينار رضي الله عنه مكثَ في البصرة أربعين سنةً لم يأكلْ من تمرِ[4] البصرة، ولا من رُطبِها، حتى مات ولم يذقه. وكان إذا انقضى وقتُ الرُّطب قال: يا أهل البصرة، هذا بطني ما نقصَ منه شيءٌ، ولا زاد فيكم.

* وقيل لإبراهيم بن أدهم: ألاَ تشربُ من ماء زمزم؟ فقال: لو كان لي دلوٌ لشربت.

* وكان رجلٌ يكتبُ رقعةً وهو في بيتٍ بكراء، فأرادَ أن يترِّبَ الكتابَ من جدارِ البيتَ، فخطرَ بباله أنَّ البيت بالكراء، ثم إنَّه خطرَ بباله: لا خطرَ لهذا، فترَّبَ الكتابَ، فسمعَ هاتفاً يقول: سيعلمُ المُستخفُّ بالتُّرابِ ما يلقاه غداً من طولِ الحساب.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: جلساءُ الله غداً أهلُ الورع والزهد.

* وقال الأُستاذ أبو علي الدَّقاق رضي الله عنه: الزُّهدُ أن تتركَ الدُّنيا كما هي، لا تقولُ: أبني رباطاً، وأعمِّرُ مسجداً.

* وأنشد بعضهم:

إذا ما لم تكنْ مَلِكاً مُطاعاً ... فكنْ عبداً لمالِكِهِ مُطيعا

---

(١) في المطبوع: ترقية.

(٢) في هامش (أ): الشفر بالضم، وقد تفتح حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر. «النهاية».

(٣) الرسالة القشيرية ١٩٨، باب المجاهدة.

(٤) في (ب): ثمر.

وإن لـم تُـدركِ الـدُّنيـا[1] جميعـاً   كمـا تختـارُ فـاتـركْهـا جميعـا
همـا شيئـانَ مـن مُلْـكٍ ونُسْـكٍ   يُنيـلانِ الفتـى شَـرفـاً رَفيعـا
ومـن يقنـعْ مـنَ الـدُّنيـا بشـيءٍ   سـوى هـذيـن يحيـاهـا[2] وضيعـا

* وقيل: الزهدُ عزوفُ[3] النفس عن الدُّنيا بلا تكلُّفٍ.

* وقال أبو سليمان الدّاراني رضي الله عنه: الصوفُ عَلَمٌ من أعلام الزُّهد، فلا ينبغي أن يلبسَ صوفاً بثلاثة دراهم، وفي قلبه رغبةٌ بخمسة دراهم.

* وقال أيضاً: لكلِّ شيءٍ عَلَمٌ، وعَلَمُ الخذلان تركُ البكاء، ولكلِّ شيءٍ ضدٌّ، وضدُّ نورِ القلبِ شبعُ البطن، وأفضلُ الأعمال خلافُ هوى النَّفس، وكلُّ ما شغلك عن الله تعالىٰ من أهلٍ، ومالٍ، وولدٍ فهو عليك شؤم.

* وقال بعضُهم: الزُّهد في الدنيا تركُ ما فيها على من فيها.

* وقال سهلُ بنُ عبد الله رضي الله عنه: أعمالُ البرِّ كلُّها في صحائف الزاهدين.

* قلت: هذا قولُ عارفٍ صدِّيق، في نهاية التحقيق، وبيانه مختصراً: أنَّ أهلَ الدنيا يُخرجُ بعضُهم بعضَ ماله في بعضِ أعمال البرِّ، وهو يحبُّ كثرةَ المال، واتِّساعَهُ، ويتعرَّضُ به للفتنة، ويشغلُهُ عن أنواع الطاعة، والزُّهاد خرجوا عن الكلِّ لله تعالىٰ بالفعل والنية، بغضاً للدُّنيا، وتفرُّغاً للطاعات السنية، وجمعوا بين العبادات القلبية والبدنية، والمالية؛ واطَّلعَ الحقُّ سبحانه على قلوبهم، فلم يجدْ فيها حبًّا لغيره، فأكرمَهُم بقُربه، ووهبَ لهم ما لا تفهمُهُ العقولُ من فضله وخيرِه. اللهم لا تحرمنا خيرَكَ لشرِّنا، وهبْ من فضلك العظيم لنا، واجعل بك شغلَنا، بجاه نبيِّك الكريم، عليه أفضلُ الصلاة والتسليم، إنَّك الملكُ المنَّان، ذو الفضلِ العظيم.

* وقال الفُضيل رضي الله عنه: من عدَّ كلامَهُ من عملِهِ قلَّ كلامُهُ إلاّ فيما يعنيه.

* قال الإمام الشافعيُّ رضي الله عنه: إذا أرادَ الكلام فعليه أن يُفكِّرَ قبلَ كلامه، فإن ظهرتِ المصلحةُ تكلَّمَ، وإن شكَّ لم يتكلَّمْ حتى تظهر.

---

(١) جاء في هامش (أ): وفي نسخة: تملك الدنيا.

(٢) في الأصل: يحيا بها. وأثبت ما يناسب الوزن.

(٣) في هامش (أ): عزفت نفسي عنه تعزف عزوفاً: زهدت فيه، وانصرفت عنه.

* وقال القشيري رضي الله عنه: السكوتُ في وقته صفةُ الرّجال، كما أَنَّ النُّطقَ في موضعهِ أشرفُ الخصال[1].

* وقيل: إنَّ داود الطائي[2] رضي الله عنه لما أرادَ أن يقعدَ في بيته، اعتقدَ أن يحضرَ مجلسَ الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، إذ كان تلميذاً له، ويقعدَ بين نظرائه من العلماء، ولا يتكلَّم في مسألةٍ، فلمَّا قويتْ نفسُهُ على ممارسة هذه الخصلة سنةً كاملة، قعدَ في بيته عند ذلك، وآثر العزلة.

* وقال بشرُ بن الحارث رضي الله عنه: إذا أعجبَكَ الكلامُ فاصمُتْ، وإذا أعجبك الصَّمتُ فتكلَّم.

* وقيل: إنَّ أبا حمزة البغدادي رضي الله عنه كان حسنَ الكلام، فهتفَ به هاتفٌ: تكلَّمتَ فأحسنت، بقي أن تسكتَ فتُحسن[3]، فما تكلَّمَ بعد ذلك حتى مات، ومات قريباً من هذه الحالةِ على رأس أسبوع، أو أقلَ، أو أكثر.

* وقال السيد الجليل طاووس[4] رضي الله عنه، وقد سُئلَ عن مسألةٍ: أخافُ إنْ تكلَّمتُ، وأخافُ أن أسكتَ، وأخاف أن أُوخذَ بين الكلام والسكوت.

* وعن السَّريّ السَّقطي رضي الله عنه قال: إنِّي لأنظرَ إلى أنفي في اليوم كذا وكذا مرةً؛ مخافةَ أن يَسودَّ، لما أخافه من العقوبة.

* وقالت بنتُ الرَّبيع بنِ خُثيم[5] رضي الله عنه: يا أبتِ، ما لي أرى الناس ينامون،

---

(١) الرسالة القشيرية: ٢٢٧. باب الصمت.

(٢) داود بن نصير الطائي أبو سليمان من أئمة المتصوفة، كان في أيام المهدي العباسي، أخذ عن أبي حنيفة، اعتزل الناس في الكوفة ولزم العبادة إلى أن مات سنة ١٦٥ هـ.

(٣) في هامش (أ): فتُحسن السكوت.

(٤) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني (٣٣-١٠٦هـ) من أكابر التابعين تفقهاً في الدين، ورواية للحديث، وتقشفاً في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والأمراء، مولده ومنشؤه في اليمن، توفي حاجاً بالمزدلفة.

(٥) الربيع بن خُثيم خير التابعين زهداً وورعاً، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبَّك، كثير الصدقات، طويل الصمت، مات في أواخر أيام معاوية سنة ٦٧هـ. طبقات الصوفية للمناوي ١/ ٢٨٠.

وأنت لا تنام ؟ فقال: يا بُنيةُ، إنَّ أباك يخاف البيات.

* وكان بشرُ بنُ الحارث رضي الله عنه لا ينامُ إلاّ أنْ يُغلبَ، فقيل له: ما لك لا تنام ؟ فقال: أنا رجلٌ مطلوب.

* وكان أبو سليمان الدّاراني رضي الله عنه، يبكي حتّى يثبَ الدّمعُ من عينه ولا يجري.

* وكان عطاء السُّلمي[1] رضي الله عنه يبكي حتى لا يقدرَ أن يبكي.

* وكان مالك بن دينار رضي الله عنه يبكي حتى يقعَ صريعاً، فيُحمل إلى منزله.

* وكان عبد الواحد بن زيد[2] رضي الله عنه يبكي حتى يُغشى عليه.

* وبكى العلاءُ بن زياد[3] رضي الله عنه حتى عَمي[4] بصره.

* وبكى هشام الدَّسْتُوائي[5] رضي الله عنه حتى فسدتْ عينهُ.

* وبكى سعيد بن جُبير[6] رضي الله عنه حتى عمش.

---

(١) عطاء السُّلمي زاهد متعبد، أدرك أنس بن مالك، ولقي الحسن البصري ومالك بن دينار، شغلته العبادة عن الرواية. صفة الصفوة ٣/ ٣٢٥ وفيه السُّليمي.

(٢) عبد الواحد بن زيد القانت الزاهد الواعظ، أسند الحديث، وروى عن جماعة من الأعيان منهم الحسن وعطاء بن أبي رباح، وهو متروك الحديث، مات بعد الخمسين ومئة. طبقات الصوفية للمناوي ١/ ٣٦٠.

(٣) العلاء بن زياد القدوة العابد، كان ربانياً تقياً قانتاً لله بكّاء من خشية الله، حدّث عن أبي هريرة، وقد أرسل عن النبي ﷺ. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٢، وفي الأصول: بن زيد، والمثبت من مصادر ترجمته.

والخبر في السير: قال قتادة: كان العلاء بن زياد قد بكى حتى غشِيَ بصره.

(٤) في المطبوع: حتى عشا.

(٥) هشام الدستوائي الحافظ الحجة الإمام الصادق، كان يتّجر بالقماش الذي يجلب من دَسْتُوا وهي من أعمال الأهواز فنُسب إليها. حديثه في الدواوين كلها إلا الموطأ. مات سنة ١٥٤هـ. سير أعلام النبلاء ٧/ ١٤٩.

(٦) سعيد بن جبير أبو عبد الله الكوفي (٤٥ـ٩٥هـ) تابعي أصله من الحبشة، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، خرج على بني أمية فقتله الحجاج. قال الإمام أحمد: قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه.

* وبكى ثابتٌ البُناني[1] رضي الله عنه حتى عمي.

* وبكى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حتى بكى الدَّمَ.

* وكان عليُّ بنُ الفضيل رضي الله عنه يبكي ويقول: آهِ كم من قبيحةٍ تكشفها القيامة غداً!

* وكان الحسنُ البصري رضي الله عنه شديدَ الخوفِ، كثيرَ البكاء، فسُئل عن دوام حزنه، فقال: أخافُ أن يطرحني في النار ولا يُبالي.

* وقال بعضُهم: أخافُ أن يكون رآني يوماً فيما لا يُرضيه، فقال: اذهب، لا غفرتُ لك بعدها، أو كما قال رضي الله عنه.

* وكان الأحنفُ بنُ قيسٍ رضي الله عنه يقدِّمُ أُصبعَهُ إلى السِّراج، فإذا وجدَ الحرارةَ قال لنفسه: يا حُنَيْفُ، ما حَملَكَ على ما صنعت يوم كذا وكذا؟

* وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه، إذا تنفَّسَ تُشمُّ منه رائحةُ الكبدِ المشوية.

* وكان في خدِّ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه خطّان أسودان من البُكاء.

* وكان عثمان رضي الله عنه يبكي حتى يَبُلَّ لحيته.

* وكان عليٌّ رضي الله عنه يبيت في المحراب يتقلقل[2] ويتململ، ويأخذ لحيتَهُ بيده، ويحاسبُ نفسَه ويُخاصمُها.

* وكان في وجهِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما مثلُ الشِّراكِ[3] البالي من البكاء.

* وكان عبدُ الله بن رواحة[4] رضي الله عنه يبكي، فتقول له زوجته: لِمَ تبكي؟ فيقول: أُنبئت أنّي واردٌ، ولم أُنبأ أنّي صادر.

---

(١) ثابت بن أسلم البناني الإمام القدوة، شيخ الإسلام، كان من أئمة العلم والعمل، مات حوالي سنة ١٢٥. سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠.

(٢) في هامش (أ): التقلقل: الخفة والإسراع.

(٣) الشِّراك: سير النعل الذي على ظهرها.

(٤) عبد الله بن رواحة الصحابي، يُعَدُّ من الأمراء والشعراء الراجزين، كان يكتب في الجاهلية، شهد العقبة، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية، كان أحد الأمراء في غزوة مؤتة، واستشهد فيها سنة ٨ هـ.

* وغير هؤلاء السادات ممن لا يُحصى من الصحابة، وأكابر التابعين، وسادات السلف الصالحين رضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا بهم آمين. حكى ذلك عنهم أهلُ العلم في كتبهم. هذا حالُهم، وهم الأحبابُ أولو الفضائل والصلاح، ونحن أيُّها المغرورون استولتْ علينا الغفلةُ، وعميت منّا القلوبُ، وعظمتِ الذنوبُ، وكثرتِ العيوب القباح، نعوذ بالله من مقت الله وغضبه، وجميع عذابه، ونسألُهُ التوفيقَ، وحسن الخاتمة، والقربَ من جنابه، ولله درُّ القائل:

أنوحُ على نفسي وأبكي خطيئةً ... تقودُ خطايا أثقلتْ منّيَ الظَّهرا

فيا لذةً كانت قليلاً بقاؤها ... ويا حسرةً دامتْ ولم تُبق لي عُذرا

وفي الحديث، قال النبيُّ ﷺ: «كلُّ عينٍ باكيةٍ يوم القيامة إلا عيناً غضَّتْ من محارم الله، وعيناً سهرت في سبيل الله، وعيناً يخرجُ منها مثلُ رأس الذُّباب من خشيةِ الله»[1].

* وكان من دعائه ﷺ: «اللهم، ارزقني عينين هطّالتين تبكيان بذروف الدُّموع، وتشفيان[2] القلب من خشيتك، من قبل أن يكون الدَّمعُ دماً، والأضراسُ جمراً»[3].

* وكان ﷺ مُتواصلَ الأحزان وهو سيدُ العالمين، وحبيبُ الرحمن، ويقول: «لو تعلمون ما أَعلمُ، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[4] ﷺ وشرَّفَ وكرَّمَ، وجزاهُ عنّا أفضلَ الجزاء.

* روينا أنَّه أُتي إلى مَسلمةَ بنِ عبد الملك[5] وهو في المسجد الحرام بحجرٍ أسودَ

---

(1) ذكره الديلمي في الفردوس ٣/ ٢٥٦ (٤٧٥٩) عن أبي هريرة، قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ١٦٠ (١٩٢٩): رواه الأصبهاني.

(2) في الأصول: تشفقان، وفي المطبوع: وتشقيان. والمثبت من مصادر التخريج.

(3) رواه ابن المبارك في الزهد ١/ ١٦٥، وأبو عاصم في الزهد ١/ ١٠، والديلمي في الفردوس ١/ ٤٦٩ (١٩٠٨).

(4) أخرجه البخاري ١١/ ٢٧٣ في الرقائق، باب قول النبي: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم..» والترمذي (٢٣١٤) في الزهد، باب قول النبي: «لو تعلمون ما أعلم».

(5) مسلمة بن عبد الملك بن مروان أمير قائد، بطل، لقب بالجرادة الصفراء له فتوحات مشهورة، سار إلى القسطنطينية في ١٢٠ ألفاً سنة ٩٦ هـ، وغزا الترك والسند. قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوانه.

مكتوبٍ فيه بالحميريَّة: يا ابن آدم، لو رأيتَ يسيرَ ما بقي من أجلك، لزهدتَ في طول ما ترجو من أملك، وقصَّرت من حرصك وحيلك، وابتغيتَ الزِّيادة في عملك، وإنَّما تلقى النَّدم، لو قد زلَّ بك القدم، وأهملك وأسلمك الأهلُ والحشم، وانصرفَ عنك الحبيبُ، وأسلمكَ القريبُ، فلا أنتَ إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد، فاعملْ ليوم القيامة، يومِ الحسرةِ والندامة.

* وأنشد بعضهم:

مقيمٌ إلى أنْ يبعثَ اللهُ خلقَهُ ... لقاؤكَ لا يُرجى وأنتَ قريبُ
تزيدُ بلىً في كلِّ يومٍ وليلةٍ ... وتُنسى كما تبلى وأنت حَبيبُ

* وقال بعضُ السلف: رأيتُ شابًا في سفح جبلٍ عليه آثارُ القلق، ودموعُهُ تجري، فقلتُ: من أنت؟ قال: آبقٌ من مولاه. قلت: فتعود وتعتذر. قال: العذرُ يحتاجُ إلى إقامةِ حُجَّةٍ، فكيف يعتذرُ المقصِّرُ؟ قلت: يتعلَّقُ بمن يشفع[1]. فقال: كلُّ الشُّفعاء يخافون منه. قلتُ: من هو؟ قال: مولاي ربَّاني صغيراً، فعصيتُهُ كبيراً، فواحيائي من حُسن صُنعه، وقبح فعلي، ثم صاحَ صيحةً وخرَّ ميّتاً. فخرجتْ عجوزٌ فقالت: من أعان على قتل البائسِ الحيران[2]؟ فقلت: أُقيمُ عندك أعينُك على تجهيزه. قالت: خلِّه ذليلاً بين يديْ قاتله، فعسى يراه بغيرِ مُعينٍ، فيرحمه.

* ويُروى عن بعض السلف أنَّه رأى بعضَ الموتى في النوم ممَّن كان معروفاً بالخيرِ، فسأله عن حاله، فقال: انسلخَ لحمُ وجهي، لمَّا وقفتُ بين يدي الله تعالىٰ حياءً منه من أجلِ نظرةٍ نظرتُها في حياتي إلى شابٍّ.

* وأنشد بعضهم:

أمــا واللهِ لــو عَلِــمَ الأنــامُ ... لِما خُلقوا لَمَا غفلوا ونَاموا
لقد خُلقوا لِما لو أبصرَتْهُ ... عيونُ قلوبِهم ساحوا وهاموا
ممــاتٌ ثــم قبــرٌ ثــم حَشْــرٌ ... وتوبيخٌ وأهوالٌ عِظامُ

---

(١) في (أ) يتعلق بمن يشفع لك.

(٢) في هامش (أ): وفي نسخة الحزين.

لِيومِ الحشرِ قد عملتْ رجالٌ فصلَّوا من مَخافتِهِ وصاموا
ونحن إذا أُمرنا أو نُهينا كأهلِ الكهفِ أَيقاظٌ نِيامُ

* وقال ابنُ المبارك رضي الله عنه: الذي يهيّجُ الخوفَ حتى يسكنَ في القلب دوامُ المراقبةِ في السّرّ والعلانية.

* وقيل: مرضَ سُفيان الثوري رضي الله عنه، فعُرضَ ماؤه على الطبيب، فقال: هذا رجلٌ قد قطّع الخوفُ كبدَه.

* ورُوي عن السَّريّ رضي الله عنه مثلُ ذلك في المحبّةِ، بدلاً عن الخوف.

* وقال حاتم الأصم[1] رضي الله عنه: لا تغترَّ بموضعٍ صالح؛ فلا مكانَ أصلحُ من الجنة، فلقي آدمُ صلوات الله عليه فيها ما لقي، ولا تغترَّ بكثرةِ العلم؛ فبلعام[2] كان يُحسنُ الاسم الأعظم، فانظر ماذا لقي، ولا تغترَّ بكثرة العبادة؛ فإن إبليس بعد طول عبادته لقي ما لقي، ولا تغترَّ برؤيةِ الصَّالحين، فلا شخصَ أكبرُ من المصطفى ﷺ، لم ينتفعْ بلقائه أقاربُهُ، يعني الذين لم يسلموا.

* وأنشد بعضهم[3]:

أحسنتَ ظنَّكَ بالأيامِ إذ حَسُنَتْ ولم تَخَفْ سوءَ ما يأتي به القَدَرُ
وسالمَتْكَ الليالي فاغتررْتَ بها وعندَ صفوِ الليالي يَحدُثُ الكَدَرُ

* وقال الأستاذ أبو علي الدّقاق: الخوفُ على مراتب: الخوف، والخشية، والهيبة، فالخوفُ من شرط الإيمان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، والخشيةُ من شرطِ العلم، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]،

---

(١) حاتم بن عنوان البلخي المعروف بحاتم الأصم ـ لُقّب بالأصم لأن امرأة سألته مسألة، فخرج منها صوت ريح، فخجلت، فقال لها: ارفعي صوتك. وأراها من نفسه أنه أصم ـ أسند الحديث عن بعض التابعين، صحب شقيقاً البلخي، اعتزل الناس ثلاثين سنة لا يُكلّمهم إلا ضرورة، وهو من أجل مشايخ خراسان، اجتمع بأحمد بن حنبل، شهد بعض معارك الفتوح، توفي سنة ٢٣٧ هـ.

(٢) بلعام بن باعورا كان من عبّاد بني إسرائيل وعلمائها، ثم نقض وارتدَّ، قال عنه الله تعالى في سورة الأعراف ١٧٥: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾.

(٣) ينسبان لعلي بن أبي طالب الديوان صفحة ٥٩، وهما في ديوان الشافعي ٨٩، ويرويان لأبي العتاهية، وهما في محاضرات الأدباء ٢/ ١٦٦ من غير عزو.

والهيبةُ من شرطِ المعرفة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

* وعن الشيخ أبي الغيث اليمني رضي الله عنه، قال: إنّي لأرى سيفَ القدرةِ مُعلّقاً فوق رأسي بشعرةٍ، لو مِلتُ كذا وكذا لقَطَعَ رأسي، أو كما قال.

* وقال الشيخ أبو علي الرُّوذباري[1]: الخوفُ والرجاء هما كجناحي الطير، إذا استويا استوى الطير، وتمَّ طيرانُهُ، فإذا انقبضَ أحدُهما وقعَ فيه نقصٌ، وإذا ذهبا صارَ الطائرُ في حدِّ الموت.

* وقال الأستاذ أبو عليٍّ الدَّقاق: صاحبُ الحزن يقطعُ في طريق الله في شهرٍ ما لا يقطعُهُ من فَقَدَ حزنَهُ في سنين.

* وتكلَّمَ النَّاسُ في الحزن، وكلُّهم قالوا: إنَّما يُحمدُ حزنُ الآخرة، فأمَّا حزنُ الدنيا فغيرُ محمودٍ، إلا أبا عثمان الحِيري فإنَّه قال: الحزنُ بكلِّ وجهٍ فضيلةٌ وزيادةٌ للمؤمن؛ ما لم يكن بسبب معصيةٍ، لأنَّه إن لم يُوجب تخصيصاً، فإنَّه يوجب تمحيصاً.

* وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: وقع لي تردُّدٌ في بدايتي بين الانقطاع في البراري والقِفار، والرُّجوع إلى العمران والديار، وصحبةِ العلماء والأخيار، فوُصِفَ لي وليٌّ في رأسِ جبلٍ، فقصدتُهُ، فوصلتُ بعد ما أمسيت، فقلت: ما أدخلُ عليه في هذه الليلة إلى الصُّبح، فبتُّ على بابِ المغارة، فسمعتُهُ يقول من داخلٍ: اللَّهُمَّ، إنَّ أُناساً من عبادك سألوكَ أن تسخِّرَ لهم خلقَكَ، فسخَّرتهم لهم، فرضوا منك بذلك، وإنّي أسألُكَ أن تُعوّج عليَّ خلقَكَ حتى لا يكون لي ملجأً إلاّ إليك. فقلتُ: اسمعي يا نفس، من أيِّ بحرٍ يَغترفُ هذا الشيخ. فلمَّا أصبحتُ دخلتُ عليه، وسلَّمتُ، ومُلئتُ منه رعباً، وقلت له: يا سيدي، كيف حالك؟ قال: أشكو إلى الله من بردِ الرِّضا والتَّسليمِ، كما تشكو أنت من حرِّ التدبير والاختيار. فقلت: يا سيدي، أمَّا حرُّ التَّدبيرِ والاختيار، فأنا أعرفه، وأنا فيه الآن، فما بَرْدُ الرِّضا والتسليم؟ ولِمَ تشكو ذلك؟ فقال: أخافُ أن تُشغلني حلاوتُهما عنه. فقلت: يا سيدي، سمعتُكَ تقول: اللَّهُمَّ، إنَّ أُناساً من عبادِكَ سألوك، وذكرت

---

(١) أبو علي الروذباري أحمد بن محمد من أئمة المتصوفة وعلماء الشافعية، كان عالماً محدثاً صوفياً، صحب في التصوف الجنيد، والفقه ابن سريج، والحديث إبراهيم الحربي، والنحو جماعةً منهم ثعلب. مات بقرافة مصر سنة ٣٢٢هـ. طبقات المناوي ٢/ ١٨.

ما تقدم. فتبسَّمَ وقال: يا بُنيّ، عوَضَ ما تقول سخّر لي، قل: كن لي، أترى من كان له يحتاجُ إلى شيءٍ آخر ؟! فما هذه الجبانة[1] ؟

* وقال الشيخ أبو الحسن أيضاً: رأيتُ النبيَّ ﷺ في ليلةِ القدرِ، وكانت ليلةَ سبعٍ وعشرين من شهرِ رمضان ليلةَ جمعةٍ، فقال لي: يا عليُّ، طهِّرْ ثيابك من الدَّنس، تحظَ بمددِ الله في كلِّ نَفَس. فقلتُ: يا رسول الله، وما ثيابي ؟ فقال: اعلم أنَّ الله تعالىٰ قد خلعَ عليك خَمْسَ خلَع؛ خِلعَة المحبّة، وخلعةَ المعرفة، وخلعَة التوحيد، وخلعةَ الإيمان، وخلعة الإسلام، ومن أحبَّ الله هانَ عليه كلُّ شيءٍ، ومن عرفَ الله صَغُرَ في عينيه كلُّ شيءٍ، ومن وحَّد الله لم يُشرك به شيئاً، ومن آمن بالله أَمِنَ من كلِّ شيءٍ، ومن أسلمَ لله لم يعصه، وإن عصاه يعتذرُ إليه، وإنِ اعتذرَ إليه قَبِلَ عذرَهُ. ففهمتُ عند ذلك تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[2] [المدثر: ٤].

* وقال سهلُ بنُ عبد الله: لمَّا خلقَ الله الدنيا جعلَ الله في الشِّبع المعصية والجهلَ، وجعلَ في الجوع العلمَ والحكمة.

* وقال يحيى بن معاذ: الجوعُ نورٌ، والشِّبعُ نار، والشهوةُ مثلُ الحطب يتولَّد منه الاحتراق، ولا تنطفئ نارهُ حتّى تحرقَ صاحبَه.

* وقيل لأبي يزيد: متى يكونُ الرَّجُلُ مُتواضعاً ؟ فقال: إذا لم يرَ لنفسِهِ مَقاماً ولا حالاً، ولا يرَى في الخلقِ من هو شرٌّ منه.

* وقال إبراهيم بنُ شيبان[3]: الشَّرفُ في التواضع، والعزُّ في التَّقوى، والحريةُ في القناعة.

* وعن رجاءِ بنِ حيوة[4] أنه قال: قُوِّمتْ ثيابُ عمرَ بن عبد العزيز وهو يخطبُ بإثني

---

(١) روض الرياحين ٣٥٧ (الحكاية: ٣٠٦) وفيه: فما هذه الجناية.

(٢) روض الرياحين ٣٥٤ (الحكاية: ٣٠٥).

(٣) إبراهيم بن شيبان القرميسيني شيخ الجبل، صحب الخواص وغيره، له كلام نفيس في التصوف، مات سنة ٣٣٢. طبقات المناوي ٢/ ٩.

(٤) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام: شيخ أهل الشام، من الوعاظ الفصحاء العلماء، كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز في إمارته وخلافته، وهو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر.

عشر درهماً، وكانت قباءً، وعمامةً، وقميصاً، وسراويلَ، ورداءً، وخفين، وقلنسوة.

* وقال إبراهيم بن أدهم: ما سُررتُ في إسلامي إلاّ ثلاثَ مرّات؛ مرّةً كنتُ في سفينةٍ وفيها رجلٌ مِضحاكٌ، كان يقول: كنا نأخذُ العلجَ في بلادِ الترك هكذا. ويأخذ بشعر رأسي ويهزني، فسرَّني ذلك؛ لأنّه لم يكن في تلك السفينة أهونُ منّي، ولا أحدٌ في عينه أحقرَ منّي، والثانية: كنت عليلاً في مسجدٍ، فدخل المؤذّنُ فقال: اخرج. فلم أطقْ، فأخذ برجلي، وجذبني إلى خارجٍ، والثالثة: كنتُ في الشام، وعليَّ فروةٌ، فنظرتُ فيه، فلم أميّزْ بين ظاهره وباطنه، من كثرة القملِ، فسرَّني ذلك.

* وفي حكايةٍ أُخرى عنه قال: ما سُررتُ بشيءٍ كسروري إذ كنتُ جالساً، فجاء إنسانٌ وبالَ عليَّ.

* وعن أبي جعفر الحدّاد قال: جاءني أبو تُراب النَّخْشَبي وأنا في البادية جالسٌ على بركةِ ماءٍ، ولي ستةَ عشرَ يوماً لم آكل ولم أشرب، فقال لي: ما جلوسُكَ؟ فقلت: أنا بين العلمِ واليقين، انظرُ ما يغلب، فأكون معه ـ يعني إنْ غلبَ العلمُ شربت، وإن غلبَ اليقين مَررتُ ـ فقال: سيكونُ لك شأنٌ.

* وقال الجُنيد: قد مشى رجالٌ باليقين على الماء، وماتَ بالعطش أفضلُ منهم يقيناً.

* وقيل: وقفَ رجلٌ على الشبلي فقال: أيُّ صبرٍ أشدُّ على الصابرين؟ فقال: الصبرُ في الله. فقال: لا. فقال: الصَّبرُ لله. فقال: لا. فقال: الصبرُ مع الله. قال: لا. قال: فأيش؟ فقال: الصبر عن الله. فصرخَ الشبليُّ صرخةً كادت روحُهُ تتلف.

* قلت: هذا الصبرُ المذكورُ في هذه الألفاظ قد انقسمَ على أربعةِ أقسامٍ، لكلِّ قسمٍ معنىً يطولُ في شرحه الكلامُ، ويدقُّ معناه على بعضِ الأفهام، وها أنا أُشيرُ إلى ذلك بعضَ الإشارة بواضحِ العبارة، ممثّلاً كلَّ قسمٍ بمثالٍ ممّا ظهرَ لي في الحال، راغباً إلى الله الكريم في التوفيقِ وصلاحِ الحال، وغفرانِ أقوالٍ لا تناسبُ الأفعال، وأفعالٍ لا تناسبُ الأقوال.

وأمّا القسم الأول وهو الصبر في الله: فمثالُهُ احتمالُ المشقَّةِ في مصالح المسلمين.

وأما القسمُ الثاني، وهو الصبر لله: فمثالهُ احتمالُ الشَّدائدِ والبلاء، وامتثالُ الأوامر، واجتنابُ النواهي في جميعِ أحكام الدين.

وأمّا القسمُ الثالث، وهو الصبر مع الله: فمثالهُ مُجاهدةُ النَّفسِ في نفي الغفلة، وإلزامُها

دوامَ النَّظرِ إلى الله سبحانه وتعالىٰ، حتَّى يرتقي العبدُ من مقامِ الغافلين إلى مقامِ المُراقبين، وبدوامِ المُراقبة يرتقي إلى مقام المُشاهدين.

وأمَّا القسمُ الرابع وهو الصبرُ عن الله: فلا أراه إلا مَخصوصاً بأهل المُشاهدةِ المحبين؛ لأنَّهم إذا حيلَ بينهم وبين مُشاهدة الجمال بإرخاءِ الحجابِ، لاقوا في ذلك من العذابِ ما لا يلقاهُ المُضطرُّ المُشرفُ على الهلاك منَّا إذا حيلَ بينه وبين الطَّعام والشراب، إذ كلُّ أحدٍ يتعبُ لمفارقةِ أحبَّته على مقدارِ محبَّتِهِ، وليس يشبهُ محبتَهم شيءٌ من المحبّات، ولا محبوبَهم شيءٌ من المحبوبات، فنظرةٌ من جماله تُغيِّبُ الناظرَ[1] عن الأكوان، وتتركُهُ جميعَ الدَّهر سكران، وليسَ النَّارُ التي تَحرقُ المُحبّين ويخافونَ منها إلا نارَ الحجاب التي هي عندهم أشدُّ الشدائدِ، وإلى شيءٍ من ذلك أشرتُ بقولي في بعضِ القصائد.

ويـا شـوقـاً إلـى حُسـنٍ بـديـعٍ	مَنيـعٍ دونَـهُ ضَـرْبُ الـرِّقـابِ
أرى الأَحبابَ أَمسوا قد أَباحُوا	دمـاءَ العـاشقيـنَ بكـلِّ بـابِ
بـلا ذنـبٍ ولا جُـرمٍ جَنـوه	ولا حـقٌّ حقيـقٍ بـالعقـابِ
سـوى لمـحٍ إلـى غـالـي جمـالٍ	جميـلٍ لاحَ مـن تحـتِ النِّقـابِ
فلمَّـا غـابَ عنهـم أَحـرَقَتهـم	علـى فقـدانِـهِ نـارُ الحِجـابِ

* وقيل: ضُرب بعضُ المحبِّين مئة سوطٍ، وهو ساكتٌ، ثم ضُربَ بعدَ ذلك سوطاً واحداً فصاحَ، فقيل له: صبرتَ على مئة، ولم تصبرْ على واحدٍ! فقال: كنت في المئة مشاهداً للحبيب الذي ضُربت من أجله، وفي الواحدِ غابَ عنّي. أو كما قال.

* وأنشدَ بعضُهم:

إذا كنتَ قوتَ النَّفسِ ثم هجرتَها	فكم تَلبثُ النَّفسُ التي أنتَ قوتُها
ستبقى بقاءَ الضَّبِ في الماءِ أو كما	يعيـشُ ببيـداءِ المفـاوزِ حـوتُهـا

* وأنشد آخر:

الصَّبرُ يَجملُ في المَواطنِ كلِّها	إلاَّ عليـكَ فـإنَّـهُ لا يَجمُـلُ

(١) في هامش (أ): وفي نسخة: تغيب الظاهر.

* وأنشد آخر:

صبرتُ ولم أُطلعْ هواكَ على صَبري وأَخفيتُ ما بي منكَ عن موضعِ الصَّبرِ
مخافةَ أن يَشكو ضميري صَبابتي إلى دَمعتي سرًّا فتجري ولا أدري

* وسُئل السَّريُّ عن الصَّبر، فجعلَ يتكلَّم فيه، فدبَّتْ على رجلِهِ عقربٌ، وهي تضربُهُ بإبرتها ضرباتٍ كثيرةً، وهو ساكتٌ[1]، فقيل له: لِمَ لمْ تُنحِّها؟ فقال: استحيتُ من الله، أن أتكلَّمَ في الصبر ولم أصبر.

* وقال ابن عُيينة[2] في معنى قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [السجدة: ٢٤]، قال: لما أخذوا برأسِ الأمرِ جعلناهم رؤوساً.

* وقال السيد الجليل الشيخُ العارفُ الجَريريُّ[3] رضي الله عنه: أمرنا هذا مبنيٌّ على فصلَيْن: أن تُلزمَ نفسَكَ المُراقبة لله، ويكونَ العلمُ على ظاهرك قائماً.

* وقال بعضُهم: أفضلُ ما يلزمُ الإنسانُ نفسَهُ في هذه الطريقة الصدقُ، والمُحاسبةُ، والمُراقبةُ، وسياسةُ عمله بالعلم.

* وقال بعضُهم: المُراقبةُ مراعاةُ السرِّ لملاحظةِ الحقِّ مع كلِّ خطرٍ.

* وسُئلتِ السيدةُ الجليلة، العارفةُ الربانية رابعةُ العدوية رضي الله عنها: متى يكونُ العبدُ راضياً؟ فقالت: إذا سرَّتْهُ المُصيبةُ كما تسرُّهُ النعمة.

* وقيل للحسن بنِ علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: إنَّ أبا ذرٍ يقول: الفقرُ أحبُّ إليَّ من الغنى، والسُّقمُ أحبُّ إليَّ من الصِّحة. فقال: رحمَ الله أبا ذر، أمَّا أنا فأقول: من اتَّكلَ على حُسنِ اختيارِ الله له، لم يتمنَّ غيرَ ما اختارَ اللهُ له.

* وقال النُّوري: الرِّضا سرورُ القلبِ بمرِّ القضا.

---

(١) في المطبوع: ساكنٌ.

(٢) سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي (١٠٧-١٩٨هـ) محدث الحرم المكي، كان حافظاً ثبتاً ثقة، واسع العلم، كبير القدر، وكان أعور، له كتب عدّة.

(٣) أحمد بن محمد بن الحسين الجريري، وقيل محمد بن محمد: من كبار أصحاب الجنيد، وقعد في مجلسه من بعده بوصية منه، كان عظيم الشأن، له نظم ونثر في التصوف، مات سنة نيف وثلاث مئة. طبقات المناوي ٢/ ٢٣.

* وعثرتْ بعضُ الوليّات، فدميت إصبعُها، فضحكت، فقيل لها في ذلك، فقالت: شغلني سرورُ الأجر عن ألمِ المُصيبة. رضي الله عنها.

* وقال الأستاذ أبو علي الدَّقاق: ليس شيءٌ أشرفَ من العبودية، ولا اسمٌ أتمَّ للمؤمن من الاسمِ له بالعبودية، ولذلك قال سبحانه في صفةِ النبيِّ ﷺ ليلةَ المعراج، وكانت أشرفَ أوقاته في الدنيا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]. وقال تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]. فلو كان اسمٌ أجلَّ من العبودية لسمَّاه به.

* وقال سهل بن عبد الله: لا يَصلحُ[1] التعبُّدُ لأحدٍ حتى لا يجزعَ من أربعةِ أشياء: من الجوعِ، والعُري، والفقرِ، والذُّلِّ.

* وقال الجَريري: عبيدُ النِّعمِ كثيرٌ عديدُهم، وعبيدُ المُنعم عزيزٌ وجودهم.

* وقال الجُنيد: سمعت السَّريَّ يقول: إنَّ نفسي تُطالبني منذ ثلاثين أو أربعين سنة أن أغمسَ جزرةً في دبسٍ، فما أطعتُها[2].

* وقال السيد الجليل يوسفُ بنُ أسباط[3]: لا يَمحو الشهواتِ من القلب إلاّ خوفٌ مُزعجٌ، أو شوقٌ مُقلق.

* وقال الخوّاص: من تركَ شهوةً ولم يجدْ عوضَها في قلبه فهو كاذبٌ في تركها.

* وقال جعفرُ بنُ نُصير[4]: دفعَ إليَّ الجُنيدُ درهماً، وقال: اشترِ به التينَ الوزيري. فاشتريتهُ فلمّا أفطرَ، أخذَ واحداً، ووضعه في فمه، ثم ألقاه وبكى، وقال: احمله. ثم قلت له في ذلك، فقال: هتفَ في قلبي: أما تستحي مَنْ تركتَها من أجله، ثم تعودُ إليها.

---

(١) في المطبوع: لا يصحُّ.

(٢) في المطبوع: أطعمتُها.

(٣) يوسف بن أسباط أحد مشايخ الطريق، المشهورين بالتحقيق، كان عظيم العلم، شديد المجاهدة لنفسه، أخذ عن سفيان الثوري، وزائدة، مات سنة ١٩٢ هـ. طبقات المناوي ١/ ٤٨٩.

(٤) جعفر بن محمد بن نصير الخواص، ويعرف بالخلدي، كان ملجأ القوم في فهم كلامهم وحكاياتهم، حتى قال: عندي مئة ونيف وثلاثون ديواناً من دواوين الصوفية، حج نحو ستين حجة، سمع الحديث من أهل العراق ومصر ومكة، كان ثقة صدوقاً ديناً فاضلاً. مات سنة ٣٤٨. طبقات الصوفية للمناوي ٢/ ٦٥.

* وقال إبراهيمُ الخواص: كنتُ في جبل لُكام[١] فرأيتُ رمّاناً، فاشتهيتُهُ، فدنوتُ وأخذتُ منه واحداً، فشققتُهُ، فوجدته حامضاً، فمضيتُ وتركتُ الرُّمان، فرأيتُ رجلاً مَطروحاً قد اجتمعَ عليه الزَّنابيرُ، فقلت: السلامُ عليك. فقال: وعليكَ السلام يا إبراهيم. فقلت: كيفَ عرفتني ؟ فقال: من عرفَ الله تعالىٰ لا يخفى عليه شيءٌ. فقلت له: أرى لك حالاً مع الله تعالىٰ، فلو سألتَهُ أن يحميك ويقيكَ من هذه الزَّنابير. فقال: وأرى لك مع اللهِ تعالىٰ حالاً، فلو سألتَهُ أن يقيكَ شهوةَ الرُّمان؛ فإنَّ لدغَ الرُّمانِ يجدُ الإنسانُ ألمَهُ في الآخرة، ولدغَ الزنابيرِ يجدُ ألمه في الدنيا، فتركتُهُ ومشيت[٢].

* وأنشدوا:

نُونُ الهوانِ من الهَوى مَسْروقةٌ ... فأسيرُ كلِّ هوىً أسيرُ هوانِ

* وقال يحيى بن مُعاذ: ليكن حظُّ المؤمن منك ثلاثَ خصالٍ: إن لم تنفعْهُ فلا تضرَّه، وإن لم تُسرَّه فلا تغمَّه، وإن لم تمدحْهُ فلا تذمَّه.

* وقال الجُنيد: كنتُ جالساً في مسجدِ الشُّونيزية[٣] أنتظرُ جنازةً أُصلّي عليها، وأهلُ بغداد على طبقاتهم جلوسٌ ينتظرونَ الجنازة، فرأيت فقيراً عليه أثرُ النُّسكِ يَسألُ الناس، فقلت في نفسي: لو عملَ هذا عملاً يَصونُ به نفسَه كان أجملَ به. فلمَّا انصرفتُ إلى منزلي، وكان لي شيءٌ من الوِردِ بالليل حتَّى البكاء والصلاة وغيره، فثقلَ عليَّ جميعُ أورادي، فسهرتُ وأنا قاعدٌ، وغلبتني عيني، فرأيتُ ذلك الفقيرَ جاؤوا به على خِوانٍ ممدودٍ، وقالوا لي: كلْ لحمَه، فلقد اغتبتَهُ. وكُشِفَ لي عن الحال، فقلتُ: ما اغتبتُهُ، إنَّما قلتُ في نفسي شيئاً، فقيل لي: ما أنتَ ممَّن يُرضى منك بمثْلِهِ، اذهبْ فاستحلَّه. فأصبحتُ ولم أزلْ أتردَّدُ حتى رأيتُهُ في موضعٍ يلتقطُ من الماءِ أوراقاً من البقلِ ممّا تساقطَ من غسلِ البقل، فسلَّمتُ عليه، فقال: تعودُ يا أبا القاسم ؟ فقلت: لا. فقالَ: غفرَ اللهُ لنا ولك[٤].

---

(١) جبل اللُّكّام: بالضم وتشديد الكاف، ويروى بتخفيفها الجبل المشرف على أنطاكية والمصيصة وطرسوس، فيه جميع الفواكه والزروع، وفيه يكون الأبدال من الصالحين. معجم البلدان. واسمه قديماً جبال الأمانوس.

(٢) روض الرياحين ٢٠٩ (الحكاية: ١٢٩).

(٣) الشونيزية: مقبرة ببغداد، في الجانب الغربي. معجم البلدان.

(٤) روض الرياحين ٢٠٨ (الحكاية: ١٢٨).

* وقال ذو النون: منْ قنعَ استراحَ من أهلِ زمانه، واستطالَ على أقرانه.

* ولله درُّ القائل:

حَذفتُ فضولَ النَّفسِ حتَّى رَدَدْتُها ... إلى دونِ ما يَرضى به المُتعفِّفُ
وأمَّلتُ أنْ أجري خفيفاً إلى العُلا ... فإنْ رُمتمُ أنْ تَلحقوا بي فخفِّفوا
لأبتذِلَنَّ النَّفسَ حتَّى أصونَها ... وغيري في قيدٍ من الذُّلِّ يرسِفُ[1]

* وقيل: رأى رجلٌ رجلاً حكيماً يأكلُ ما تساقطَ من البقلِ على رأسِ ماءٍ، فقال: لو خدمتَ السُّلطان، لم تحتجْ إلى أكلِ هذا. فقال الحكيمُ: وأنتَ لو قنعتَ بهذا، لم تحتجْ إلى خدمةِ السُّلطان.

* وأنشدَ بعضُهم:

أرى رجالاً بأدنى الدِّين قد قَنعوا ... ولا أراهم رَضوا في العيش بالدُّونِ
فاستغنِ بالدِّين عن دُنيا المُلوكِ كما ... استغنى الملوكُ بدُنياهم عن الدِّينِ

* ورُوي أنَّه جاءَ إنسانٌ إلى الجُنيد، وحوله جماعةٌ كثيرةٌ من العجم والمُولَّدين[2] بخمس مئة دينار، ووضعها بين يديه، وقال: تفرِّقُها على هؤلاء. فقال: ألكَ غيرُها؟ فقال: نعم، لي دنانيرُ كثيرةٌ. فقال: أتريدُ غيرَ ما تَملك؟ فقال: نعم. فقال الجُنيد: خذْها؛ فإنَّكَ أحوجُ إليها منَّا. ولم يقبلها.

* وأنشدنا بعض الصالحين الأخيار:

لَكسرةٌ من جَريشِ الخُبزِ تُشبعني ... وشربةٌ من قَراحِ الماءِ تَرويني
وخرقةٌ من جشيرٍ[3] الثَّوبِ تكفيني ... حياً وإن مـتُّ تكفيني لتكفيني

* وقيل لإبراهيم الخواص: حدِّثنا بأعجبَ ما رأيتَ بأسفارك. فقال: لقيني الخضرُ، فسألني الصُّحبةَ، فخشيتُ أن يُفسدَ عليَّ توكُّلي بسكوني إليه ففارقته.

---

(١) جاء في هامش (أ): يرسف يزحف والرسيف مشي المقيد إذا جاء يتحامل برجله مع القيد.
(٢) في (أ): وحوله جماعة كثيرون العجم والمولدون.
(٣) الجشير: خريطة الراعي لزادة وأدواته، والجوالق الضخم.

* وقيل: إنَّ بُناناً الحمّال[1] احتاجَ إلى جاريةٍ تخدمه، فانبسطَ إلى إخوانه، فجمعوا له ثمنها، وقالوا: هو ذا يجيءُ النَّفرُ فنشتري ما يوافق. فلمَّا وردَ النَّفرُ اجتمعَ رأيُهم على واحدةٍ، وقالوا: إنَّها تصلحُ له. فقالوا لصاحبها: بكم هذه؟ فقال: إنَّها ليستْ للبيع، فألحّوا عليه، فقال: إنَّها لبُنان الحمَّال، أهدتها له امرأةٌ من سمرقند، فحُملت إلى بُنان، وذُكرت له القصة.

* وقال الشيخ العارف أبو الرَّبيع، صاحبُ الكرامات والمقام الرفيع المَالَقي[2] رضي الله عنه: سمعتُ بامرأةٍ من الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرُها، وكان من دأبِنا أن لا نزورَ امرأةً، فدعتِ الحاجةُ إلى زيارتها للاطِّلاع على كرامةٍ اشتُهرت عنها، وكانت تدعى بالفضة، فنزلنا القريةَ التي هي فيها، فذُكر لنا أنَّ عندها شاةً تحلبُ لبناً وعسلاً، فاشترينا قدحاً جديداً لم يُوضع فيه شيءٌ، ومضينا إليها، وسلَّمنا عليها، ثم قلنا لها: نُريد أن نرى هذه البركةَ التي ذُكرت لنا عن هذه الشاة التي عندكم. فأخذنا الشاةَ، وحلبناها في القدح، فشربنا لبناً وعسلاً. فلمَّا رأينا ذلك سألناها عن قصَّةِ الشاة، فقالت: نعم، كانت لنا شُوَيْهَةٌ، ونحن قومٌ فقراء، ولم يكن لنا شيءٌ، فحضر العيد، فقال لي زوجي، وكان رجلاً صالحاً: نذبحُ الشاة في هذا اليوم. فقلتُ له: لا تفعل؛ فإنَّه قد رُخِّصَ لنا في الترك، واللهُ يعلمُ حاجتنا إليها. فاتَّفقَ أن استضافَ بنا في ذلك اليوم ضيفٌ، ولم يكن عندنا قِراه، فقلتُ له: يا رجل، هذا ضيف، وقد أُمرنا بإكرامه، فخذْ تلك الشَّاةَ فاذبحْها. قال: فخفنا أن يبكي[3] عليها صغارُنا، فقلت له: أخرجْها من البيت إلى وراءِ الجدار فاذبحها، فلمَّا أراقَ دَمها، قفزتْ شاةٌ على الجدار، فنزلتْ إلى البيت، فخشيتُ أن تكون قد انفلتت منه، فخرجتُ لأنظرها، فإذا هو يسلخُ الشاة، فقلت له: يا رجل، عجباً، وذكرتُ له القصة، فقال: لعلَّ اللهَ أن يكونَ قد أبدلنا خيراً منها. فكانت تلك تحلبُ اللبن، وهذه تحلبُ اللَّبنَ والعسل ببركة إكرامنا الضيف، ثم قالت: يا أولادي، إن شُوَيهتنا هذه ترعى في قلوبِ

---

(١) بنان بن محمد الحمال الواسطي ثم المصري له كرامات سنية، ومواقف عليه، أسند الحديث، مات سنة ٣١٦ في مصر.

(٢) أبو الربيع الكفيف المالقي من أكابر الأولياء، وأعاظم الأصفياء، له كلام عال في الطريق. الطبقات الصغرى للمناوي ١٣٣.

(٣) في (أ): فقال: نخشى أن يبكي.

المُريدين، فإذا طابت قلوبُهم طابَ لبنُها، وإن تغيَّرت تغيَّر لبنُها، فطيِّبوا قلوبكم[١].

* قال الشيخ الإمام الحسيب النَّسيب، شرفُ العارفين، وإمام المعرّفين، قدوة المُريدين، وسرُّ عباد الله المريدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد القُرشي الهاشمي[٢]، قدَّس الله رُوحه، ونوَّرَ ضريحه، ونفعنا والمسلمين ببركته: إلزمِ الأدبَ وحدَّك[٣] من العبودية، ولا تتعرَّض لشيءٍ؛ فإن أرادكَ له أوصلكَ إليه.

* وأنشد الشيخُ العالم العارف تاج الدين ابن عطاءِ الله رضي الله عنه لنفسه:

وكنتُ قديماً أطلبُ الوصل منهمُ ... فلمَّا أتاني الحُلمُ وارتفعَ الجهلُ
تَيقَّنــتُ أنَّ العبــدَ لا طلــبٌ لــه ... فإنْ قرّبوا فضلٌ وإن أبعدوا عدلُ
وإن أظهرُوا لم يُظهروا غيرَ وصفِهم ... وإن ستروا فالسِّترُ من أجلهم يَحلوُ

* وأنشد بعضهم:

ولو طَردوني كنتُ عبداً لعبدِهم ... وإنْ أبعدوني زدتُ في الحبِّ والودِّ
ولي عندهم هجرٌ كما حكمَ الهوى ... وهـم لهـمُ وصـلٌ ومنـزلـةٌ عنـدي

* وأنشد بعضهم:

مـا عـوَّدونـي أحبـابـي مُقـاطعـةً ... بل عوَّدوني إذا قاطعتُهم وَصَلوا
مـا فـيَّ جـارحـةٌ إلاَّ مُجـرَّحـةٌ ... كـلا ولا مِفصـلٌ إلاَّ ومُنفصـلُ

* وقال القُرشي رضي الله عنه: لقيتُ من المشائخ قريباً من ست مئة شيخ، فاقتديتُ منهم بأربعةٍ: الشيخ أبي زيد القرطبي، والشيخ أبي الربيع المالقي، والشيخ أبي العباس الجوزي، والشيخ أبي إسحاق بن طريف[٤] رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) روض الرياحين ١٣٠ (الحكاية: ٥٣).

(٢) محمد بن أحمد القرشي أبو عبد الله عارف جليل، أصله من الأندلس من الجزيرة الخضراء، ثم تحول إلى مصر فقطنها، ثم إلى بيت المقدس، لقي نحو ست مئة شيخ، أخذ عنه كثيرون، مات ببيت المقدس سنة ٥٩٦هـ. طبقات المناوي ٢/ ٢٨٣.

(٣) في المطبوع: وجدك. والمثبت من روض الرياحين ٥٣١ (الحكاية: ٤٨٧).

(٤) في المطبوع: ظريف، والمثبت من طبقات الصوفية للمناوي ٢/ ٢٠٧، وهو إبراهيم بن طريف شيخ ابن عربي.

* وقال رضي الله عنه: لو لم ألقَ من المشائخ من رأيتُ لتوهَّمتُ أنَّ الطريقَ ما عليه الناسُ اليوم، وما عندَ القومِ من الطريقِ إلاَّ الاسم، إلاَّ من سلَكَ منهم على التحقيق.

* وقال رضي الله عنه: ما أَحوجنا في هذا الوقت لأحدِ رجلين؛ إمام عالم رباني، تأخذهُ لله تعالىٰ حميَّةُ غضبٍ، فيحلُّ بنا مؤلمَ أدبٍ، يحملهُ على ذلك علمُهُ بما فاتنا من الحظوظ، بتركِ الانقيادِ للحقِّ، وحرصُهُ على أن لا يقطعَ أحدٌ نَفَساً ولا وقتاً إلاّ في الاشتغالِ بما يُقرِّبُهُ من مولاه، ويُقدّمه بين يديه، وإمّا عالمٍ روحاني قد استغرقتْهُ معرفةُ مواقعِ الأقدارِ، ورؤيةُ وقوعِ البلاء، بمختارٍ وغير مختار، يستنزلُ من الله رحمَتَه الواسعة بالدُّعاء، وينقلُنا من ظاهرِ الحالِ عمَّا نحن عليه بلطفٍ ورفقٍ، يحمله على ذلك الشفقةُ والحنان، ومعرفتُهُ بسعةِ الجودِ والإحسان.

* وقال شيخُ الشيوخِ صاحبُ المعارف والمقام العالي الشريف أبو العباس ابن العريف[1] رضي الله عنه ونفع به: أصبحتُ يوماً مهموماً، فقلتُ للشيخ أبي القاسم بن رَوْبيل[2]: حدّثني بحكايةٍ عسى أن يُفرّجَ اللهُ ما بي، فقال: نعم، وُصِفَ لي رجلٌ ببعضِ السواحلِ يُعرف بأبي الخيار، فقصدتُهُ، فوجدتُهُ على ساحلِ البحر، فسلّمتُ عليه، وجلستُ، فلم يتكلَّم، ولم أُكلِّمه حتى إذا كان وقتُ الصلاة أقبلَ نفرٌ من بعض الأودية متفرّقون، فاجتمعوا إليه، فتقدَّمهم واحدٌ منهم، فصلّى بهم، ثم افترقوا، ولم يُكلِّمْ أحدٌ منهم أحداً، وجلسَ الشيخُ مكانه، وجلستُ عنده، حتى إذا كان وقتُ الصلاةِ أقبل النَّفرُ، وصلّوا، ثم انصرفوا، حتى حانَ وقتُ صلاة العصر اجتمعوا وصلّوا، ثم جلسوا بعد ذلك، وتذاكروا في سِيَرِ الصالحين، ومقامات الأولياء إلى قريبِ الاصفرار، ثم تفرَّقوا، واجتمعوا للمغرب ثم تفرَّقوا، فجلستُ عندَهُ ثلاثةَ أيامٍ، وهم على ذلك، ثم وقع في نفسي أن أسألَهُ عن مسألةٍ أستفيدُها، فتقدَّمتُ إليه، وقلتُ: أيُّها الشيخ، مسألةٌ أسألُ عنها. فقال: قل. فنظرَ الجماعةُ إليَّ كالمُنكرين، ففزعتُ، فقلتُ له: أيُّها الشيخ، متى يَعلمُ المريدُ أنَّهُ مُريد؟ قال: فأعرضَ عنّي، ولم يُجبني، فخفت أن أكونَ أغضبتُهُ، فقمتُ عنه، فلمَّا كان

---

(١) أحمد بن محمد بن موسى أبو العباس بن العريف (٤٨١ـ٥٣٦هـ) الصنهاجي الأندلسي المقرئ صاحب المقامات والإشارات، ازدحم الناس عليه يسمعون كلامه ومواعظه، فخاف ابن تاشفين أمير المغرب من ظهوره فيقال إنه قتله سراً فسقاه. مات بمراكش. سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١١١.

(٢) ضبط رَوْبيل من (أ) و(ب).

في اليوم الثاني، قلت: لابدَّ أن أسألَهُ عن المسألةِ، وعزمتُ على ذلك، فتقدَّمتُ إليه، وقلتُ: أيُّها الشيخ، متى يعلمُ المريدُ أنَّهُ مُريد؟ فأعرضَ عنّي كالأول، ولم يجاوبني، فقمت، وعدتُ في اليوم الثالث، فسألتُهُ عن المسألةِ بعينها، فاجتمعَ وقال: لا تقل هكذا، أظنُّكَ تريدُ أن تسألَ عن أولِ قدمٍ يضعُهُ المُريد في الإرادة؟ فقلت: نعم. فقال لي: إذا اجتمعَ فيه أربعُ خصالٍ؛ أحدُها: أن تُطوى له الأرض، وتكونَ عنده كقدمٍ واحدٍ، وأنْ يمشي على الماء، وأن يأكلَ من الكونِ متى أراد، وأن لا تُردَّ له دعوة، فعند ذلك يضعُ أولَ قدمٍ في الإرادة، وأمَّا متى علِم المريدُ عندنا أنَّهُ مُريدٌ سقطَ من حدِّ الإرادة. قال الشيخ أبو العبّاس بن العريف: فصحتُ صيحةً كادتْ نفسي تذهب معها، ثم قلت له: آه، آيَسْتَنا من الإرادة يا أبا القاسم. وتعجَّبتُ من علوِّ همَّةِ هذا الشيخ[1].

* وقال الشيخ أبو الربيع رضي الله عنه: كنّا عند جماعةٍ[2] من الفقراء بمكَّة، وكان فيهم رجالٌ لهم سياحاتٌ وأحوالٌ عهدوها من أنفسهم، وكنتُ قد وقفَ بي بحثي عن نفسي على أني لم أجدْ لي عملاً صالحاً، فتفكَّرتُ في نفسي: هل لي حالٌ أنتظرهُ في المستقبل يرِدُ عليَّ؟ فوجدتني فقيراً منه، فقلتُ: من العجزِ انتظارُ ما لم يكن. فتعلَّقتُ بفعلِ ما يلزمني في الوقت، فوجدتُ أنَّه ليس عملٌ أفضلَ من الطواف، فكنتُ أُكثرُ منه، فكانَ بعضُهم يقول لي: إلى كم تدورُ كحمار السَّانية[3]، أفي كلِّ هذا العمل أنت واجدٌ قلبك؟ فقلت: لا، ولا أعرفُ لي قلباً أجده، ولا أعرفُ له مكاناً فأطلبه، ولكنّي سمعتُ قولَه تعالىٰ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، فأنا أعملُ على ظاهرٍ من الأمر.

* وقال الشيخ أبو الرَّبيع أيضاً رضي الله عنه: كنتُ في بعضِ سياحتي مُنفرداً، فقيَّضَ اللهُ لي طيراً، إذا كان الليلُ ينزلُ قريباً منّي، يبيتُ يُسامرني، فكنتُ أسمعُهُ اللَّيلَ كلَّه ينطقُ: يا قدُّوس، يا قدُّوس، فإذا أصبحَ صفَّقَ بجناحيه، وقال: سبحان الرزَّاق، ثم يغيب عنّي، فإذا كان اللَّيلُ رأيتُهُ يأتي فيقولُ مثل ذلك، فلم يزلْ كذلك مدَّةَ إقامتي في تلك السفرة.

---

(١) روض الرياحين ٥٠٣ (الحكاية: ٤٦٤).
(٢) في (أ): كنا جماعةً.
(٣) السَّانية: الغَرْبُ وأداته: الناقةُ يُستقى عليها وهي النواضح، ومنه المثل: سير السَّواني سفر لا ينقطع. متن اللغة (سني).

* وقال الشيخ الكبير العارفُ بالله أبو إسحاق بنُ طريف رضي الله عنه: خرجتُ من الإسكندرية قاصداً إلى المغرب، وأمشي على الصحراءِ، فبقيتُ أياماً لم يُفتحْ عليَّ شيءٌ، ففُتِحَ عليَّ شيءٌ، فأكلتُ، فنمت، فاحتلمت، وكان الماءُ بعيداً من الموضع، فخرجتُ مُهْتَمًّا صارخاً، ويدي على رأسي ـ أو قال: طارحاً بيدي على رأسي ـ لفوات وِردي، فسمعتُ هاتفاً: يقولُ المهديُّ القائمُ بأمرِ الله: الجوعَ الجوع، فقلتُ: نعم نعم.

* وقال الشيخ أبو عبد الله القُرشي رضي الله عنه: كنتُ عند الشَّيخ أبي إسحاق بن طريف رضي الله عنه، فأتى إليه إنسانٌ، فسأله: هل يجوزُ للإنسانِ أن يعقدَ على نفسهِ عقداً لا يُحِلُّهُ إلاَّ بنيلِ مطلوبه؟ فقال له: نعم، واستدلَّ بحديث أبي لُبابة الأنصاري رضي الله عنه، في قصَّةِ بني قريظة، وقوله ﷺ: «أما إنَّهُ لو أتاني لاستغفرتُ له، ولكن إذ قد فعلَ ذلك بنفسه فدَعوه حتى يحكمَ اللهُ فيه»[1]، قال: فسمعتُ هذه المسألةَ وعقدتُ على نفسي أني لا أتناولُ شيئاً إلا بإظهار قدرةٍ، فمكثتُ ثلاثةَ أيام، وكنتُ إذ ذاك أعملُ صناعتي في الحانوت، فبينما أنا جالسٌ على الكرسي إذ ظهرَ لي شخصٌ بيده شيءٌ في إناء، فقال لي: اصبرْ إلى العشيِّ، تأكل من هذا، ثم غاب عنّي، فبينما أنا في وِرْدي بين العشاءين إذ انشقَّ الجدارُ، فظهرتْ لي حوراءُ بيدها ذلك الإناء الذي كان بيد ذلك الشخص، فيه شيءٌ يُشبه العسل، فتقدَّمتْ إليَّ، وألْعقتني منه ثلاثاً، فصَعقتُ وغُشي عليَّ، ثم أفقتُ وقد ذهبَتْ،

(١) لما نقضت يهود بني قريظة العهد مع المسلمين، وجاهروا بسبِّ رسول الله ﷺ، حاصرهم رسول الله ﷺ، فأرسلت بنو قريظة إلى أبي لبابة بعد أن جمعوا إليه أبناءهم ونساءهم ورجالهم، وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح إن فعلتم. ثم ندم في الحين، وعلم أنه خان الله ورسوله، فانطلق إلى المدينة، ولم يرجع إلى النبي ﷺ، فربط نفسه في ساريةٍ، وأقسم ألا يبرح من مكانه حتى يتوب الله عليه، فكانت امرأته تحلُّه لوقت كل صلاة، قال ابن عيينة وغيره: وفيه نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الآية [الأنفال: ٢٧]. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «أما إنه لو أتاني لاستغفرت له، وأما إذ فعل ما فعل فلا أطلقه حتى يطلقه الله تعالىٰ» فأنزل الله تعالىٰ في أمر أبي لبابة: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الآية [التوبة: ١٠٢]. فلما نزل فيه القرآن أمر رسول الله ﷺ بإطلاقه. وكان ما كان من أمر الفتح. رواه البيهقي في الدلائل ٤/ ١٤، وابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ١١٩. انظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٤٠.

فلم يطبْ لي بعد ذلك طعامٌ، وأُشربَ قلبي تلك الصُّورةَ، فما استحسنتُ بعدها شخصاً، ولا كنتُ أتمكَّنُ من سماعِ كلامِ الخلق، وأقمتُ على ذلك مُدَّة[1].

* وقال أبو عبد الله القرشيِ رضي الله عنه: قد يمنعُ اللهُ العبدَ من العمل اختباراً له؛ لينظر حالَه عند الفقد لذلك في تَضرُّعِهِ وافتقاره، أو غفلته واستغنائه.

* وقال رضي الله عنه: إنَّ الله تعالىٰ يُعيد من بركاتِ حركاتِ الظواهر على البواطن ما يكونُ سبباً في تنويرها وصلاحها، حتى إذا صفت السرائرُ، وتخلَّصت من شوائبِ الكدورات، عادتْ بالصلاح على الأعمال الظواهر، فَزَكتِ الأعمالُ، وارتفعت الأحوال بطهارة أصولها، وثباتِ أساسها.

* وقال رضي الله عنه: رؤيةُ الفضلِ والمِنّةِ في العمل وإن قلَّ، أتمُّ في حقِّ واجبِ الرُّبوبية من رؤية التَّقصير، عن القيام بحقِّ العبودية.

* وقال رضي الله عنه: المُريدُ إذا خدمَ المشايخ والإخوان بالأدب، أعادَ اللهُ عليه من بركاتِ أحوالهم ما لم يكن يبلغهُ بعملٍ؛ لأن ما يَردُ عليه منهم هو ثوابُ أعمالهم المُتقبَّلة، وما يَردُ عليه منه هو ثوابُ عمله، ولا يقدرُ على تخليصه.

* قلت: كنتُ طالعْتُ منذ زمانٍ في كلام سيدنا الشيخ أبي عبد الله القُرشي المذكور نفعنا الله به، فرأيتُ بعد ذلك في النوم بعضَ الصالحين، وإذا هو يقول لي: أنت الذي كانَ معكَ كلامُ أبي عبد الله القرشي، لقد كان يفوحُ ههنا. يعني مسكاً.

* وقال القرشيُّ رضي الله عنه: كنتُ مُراداً بالتقليل، لم يكن يصفو لي شبعٌ ولا رِيٌّ ولا كسوة، ولقد أقمتُ مقدارَ سنةٍ وعليَّ خَلَقُ جبّةٍ صوفٍ كنت أضمُّها عليَّ كيلا تنكشفَ عورتي، ولقد كانت عليَّ بمكَّةَ محشوَّةٌ تقطَّعتْ بطانتُها، فصارَ القملُ يسكنُ في القطن، فكنتُ أُقاسي منها شدَّةً، فاتفقَ يومٌ من الأيام أنّي كنتُ أغتسلُ في السَّحرِ عند بئرٍ هناك، فجاء حَرّابٌ[2]، فأخذها، فوجدتُ بردَ راحتي منها، وفرحتُ بأخذها، فمضى بعضُ أصحابي يستعيرُ ما ألبسه، وإذا بالحرّابِ قد نظرَها في السِّراج، فوجدها لا تساوي شيئاً،

---

(١) روض الرياحين ٨٤ (الحكاية: ١٤).

(٢) الحرّاب: المُسْلِّح الناهب، الذي يُعرّي الناسَ ثيابهم. متن اللغة (حرب). وفي طبقات الصوفية للمناوي ٢/ ٢٨٤: لص.

فجاء وطرحَها إليَّ، وقال: خذها لا طرحَ اللهُ لك فيها بركةً، أتعبتني على لا شيء، فلقد وجدتُ نفسي أثرَ ردِّها، بعد استشعار الراحةِ منها.

* وقال رضي الله عنه: لقيتُ الشَّيخَ أبا مدينَ[1] رضي الله عنه ببِجَاية[2]، وكانت له العبارةُ وشرفُ الهمَّةِ، وأقمتُ عنده أحضرُ مجلسَه، وأسمعُ كلامَه، وكنت آوي في سور البلد، ولا أُخالطُ من أصحابه أحداً، وأقمتُ مريضاً بحمّى الرِّبْع[3] مدَّة ثلاثةَ أشهرٍ، وأنا مطروحٌ تحت السور.

* وقال رضي الله عنه: من فوائدِ الفقرِ وثمراتِهِ وجودُ ألَمِ الجوعِ والعُري، والتلذُّذُ بهما، والزِّيادةُ منهما، والمنافسةُ فيهما.

* وكان يُنشد:

أحرى الملابسِ أنْ تلقى الحبيبَ به ... يومَ الزِّيارةِ في الثَّوبِ الذي خُلِعَا
فقرٌ وصبرٌ هما ثوبايَ تحتهما ... قلبٌ يَرى إلفَهُ الأعيادَ والجُمعا
الدَّهرُ لي مأتمٌ إنْ غبتَ يا أملي ... والعيدُ ما كنتَ لي مرأى ومُستمعا

* وقال رضي الله عنه: سمعت الشَّيخَ أبا مَدْيَن رضي الله عنه يقول: المُلْكُ مُلكان: ملكُ البلاد، ومُلكُ قلوبِ العباد، والملوكُ على الحقيقة هم الزُّهاد.

* وقال رضي الله عنه: دخلَ على الشيخِ أبي مدين رضي الله عنه في بعضِ الأيام له ولدٌ صغيرٌ من المكتب، فالتفتَ إلى أصحابهِ وقال: هذا أفسدَ عليَّ مملكتي. فعن قريبٍ تُوفِّي الصغير.

* وقال رضي الله عنه: بينما أنا أسيرُ على بعض السواحل، إذ خاطبتني حشيشةٌ: أنا شفاءُ هذا المرض الذي بك، فلم أتناولْها، ولم أستعملْها.

---

(١) أبو مدين شعيب المغربي العارف الكبير، رأس الصوفية، ولد ببجاية، أخذ عنه الكبراء كابن عربي، وكان سلطان الوارثين، له عدّة مؤلفات مع أنه كان أمياً، له كرامات، مات سنة نيف وثمانين وخمس مئة. طبقات المناوي ٢/ ٢٣٧.

(٢) بجاية: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية (تونس) والمغرب. انظر معجم البلدان.

(٣) حمّى الرِّبْع: التي تأتي يوماً وتترك يومين وتعود في الرابع. متن اللغة (ربع).

* وقال بعضُهم: كنتُ أرى موضعَ قدمَي الشيخِ أبي عبد الله القرشي رضي الله عنه، إحداهما ذهباً، والأُخرى فضةً.

* وقال رضي الله عنه: آخرُ ما تصورّتْ لي الدُّنيا في صورةِ امرأةٍ حسناء شابّةٍ، بيدها مِكنسةٌ، وهي في المسجدِ الذي كنتُ فيه تكنِسُهُ، فقلت: ما شأنُك؟ فقالت: جئتُ لأخدمِكَ. فقلت: لا واللهِ. فقالت: لابدّ، وأشرْتُ عليها بعصاً كانت معي، وعزمتُ على ضربها، فعادت عجوزاً، وجعلتْ تكنسُ المسجد، ثم غفلتُ عنها، فعادت مثل ما كانت، فهممتُ بإخراجها، فانقلبتْ عجوزاً ضعيفة، فرحمتُها، ثم غفلتُ عنها، فصارت شابةً، فتغيّرتُ عليها، وانزعجتُ لذلك، فقالت لي: تطيلُ أو تقصر هكذا أخدمُكَ، وهكذا خدمتُ إخوانك. فمن ذلك اليوم لم يتعذَّر عليَّ شيءٌ من الأسباب[1].

* وقال رضي الله عنه: قال الشيخُ أبو مدين رضي الله عنه: إنَّما فُضِّلتْ صلاةُ الجماعةِ على صلاةِ الفذِّ، لأنَّهُ يُكتبُ لكلِّ عبدٍ من صلاتهِ ما قامَ به منها؛ فيُكتبُ من صلاةٍ عُشرُها، ومن صلاةٍ ثُلُثها، ونصفُها، إلى غير ذلك[2]، فترتفعُ للجميعِ صلاةٌ من تكملةِ الأجزاءِ بعضها ببعض، فيُعيدُ الله تعالىٰ بركةَ الكمال والإتمام على الجماعةِ، فيكتبُ لكلِّ واحدٍ منهم صلاةً كاملةً ببركة الاجتماع والحضور.

* وقال الشيخ أبو العباس ابنُ العريف رضي الله عنه: إذا أرادَ اللهُ أن يُهيِّئَ عبداً للإمامةِ والاقتداء، شغلَهُ في أيام غفلته بعلمِ الظاهرِ من القرآن، والعربية، والفقه، والحديثِ، ثم ينقلُهُ إلى علمِ الأحوال والمقامات، فعند ذلك يستحقُّ الإمامةَ والتقدُّمَ.

---

(١) روض الرياحين ٥٣٠ (الحكاية: ٤٨٧).

(٢) روى البخاري في صحيحه ٢/١٠٩ في صلاة الجماعة، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، ومسلم (٦٥٠) في المساجد، باب فضل صلاة الجماعة، والموطأ ١/١٢٩ في الجماعة، باب فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ، والترمذي (٢١٥) في الصلاة، باب ما جاء في فضل صلاة الجماعة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة». والفذ: الفرد.

وروى أبو داود (٧٩٦) في الصلاة، باب ما جاء في نقصان الصلاة بسندٍ صحيح عن عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرجل لينصرف وما كُتب له إلا عُشر صلاته، تُسعُها، ثُمُنها، سبُعُها، سُدُسُها، خُمسها، رُبعها، ثُلثُها، نصفُها».

* وأنشدَ ابنُ العريف:

بَدا لكَ سِرٌّ طالَ عنكَ اكتتامُهُ ... ولاحَ صباحٌ كنتَ أنتَ ظلامُهُ
فأنتَ حجابُ القلبِ عن سرِّ غيبِهِ ... ولولاكَ لم يُطبعْ عليه ختامُهُ
فإن غبتَ عنه حلَّ فيه وطنَّبتْ ... على مركبِ الكشفِ المَصونِ خيامُهُ
وجاءَ حديثٌ لا يُمَلُّ سماعُهُ ... شَهيٌّ إلينا نثرُهُ ونظامُهُ

* وأنشدتْ رابعةُ العدوية رضي الله عنها:

إنِّي جعلتُكَ في الفؤادِ مُحدِّثي ... وأبحتُ جسمي من أرادَ جلوسي
فالجسمُ منِّي للجليسِ مُؤانسٌ ... وحبيبُ قلبي في الفؤادِ أنيسي

* وقال ذو النُّون رضي الله عنه: رأيتُ ببعضِ سواحل الشام امرأةً، فقلتُ: من أين أقبلتِ؟ فقالت: من عندِ أقوام ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، فقلت: وأين تُريدين؟ قالت: إلى ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، فقلت: صِفيهم لي، فأنشأت[1] تقول:

قومٌ همومُهُمُ باللهِ قد عَلِقتْ ... فما لهم هممٌ تَسمو إلى أحدِ
فمطلبُ القومِ مولاهم وسيِّدُهم ... يا حُسنَ مَطلبِهم للواحدِ الصَّمدِ
ما إن تُنازعهم دنيا ولا شرفٌ ... من المطاعمِ واللذَّاتِ والولدِ
ولا لباسٌ لثوبٍ فائقٍ أنِقٍ ... ولا لروحِ سرورٌ حلَّ في بلدِ[2]
فهمْ رهائنُ غُدرانٍ وأوديةٍ ... وفي الشوامخ تلقاهم مع العددِ

* وقال شيخُ الطريقةِ وبحرُ الحقيقة، محيي الدِّين ابنُ عربي رضي الله عنه: كنتُ أنا وصاحبٍ لي في المغرب الأقصى بساحلِ البحر المحيط، وهناك مسجدٌ يأوي إليه الأبدال، فرأيتُ أنا وصاحبي رجلاً وضعَ حصيراً في الهواء على مقدارِ أربعةِ أذرعٍ من الأرض، وصلّى عليه، فجئتُ أنا وصاحبي ووقفت تحته، وقلت:

---

(١) في (ب): فأنشدت.
(٢) في روض الرياحين ١٩٣ (الحكاية ١٢٠):
ولا لباسٌ لثوبٍ فائقٍ أنقٍ ... ولا التزيُّدُ في الأموالِ والولدِ

شُغِلَ المحبُّ عنِ الحبيبِ بسرِّهِ في حبِّ من خَلَقَ الهواءَ وسخَّرَهْ
العارفونَ عقولُهم مَعقولةٌ عن كلِّ كونٍ ترتضيه مُطهَّرهْ
فهمو لديه مُكرَّمونَ وعندَهُ أسرارُهم مَحفوظةٌ ومحرَّرهْ

قال: فأوجزَ في صلاته، وقال: إنَّما فعلتُ هذا لأجلِ هذا المُنكرِ الذي معك، وأنا أبو العباس الخضر. ولم أكنْ أعلمُ أنَّ صاحبي يُنكرُ كراماتِ الأولياء، فالتفتُّ إليه وقلت: يا فلان، أكنتَ تُنكرُ كراماتِ الأولياء ؟ قال: نعم. قلت: فما تقول الآن ؟ قال: ما بعد العيان ما يُقال.

* وقال أيضاً: دعانا بعض الفقراءِ إلى دعوةٍ بزقاقِ القناديل[1] بمصر، فاجتمعَ بها جماعةٌ من المشايخ، فقُدِّمَ الطعامُ، وعجزتِ الأوعية، وهناك وعاءُ زجاجٍ جديدٍ قد اتُّخذَ للبولِ، ولم يُستعملْ بعدُ، فغرفَ فيه ربُّ المنزلِ الطعامَ، فالجماعة يأكلون، وإذا الوعاءُ يقول: منذ أكرمني الله بأكلِ هؤلاء السَّاداتِ منِّي، لا أرضى لنفسي أن أكونَ بعد ذلك محلاً للأذى، ثم انكسرَ نصفين، قال فقلتُ للجميع: سمعتم ما قالَ الوعاء ؟ قالوا: نعم. قلت: ما سمعتم ؟ فأعادوا القولَ الذي تقدَّم، قال: فقلتُ: قال قولاً غيرَ ذلك. قالوا: وما هو ؟ قلت: قال: كذلك قلوبُكم، قد أكرمها اللهُ بالإيمان، فلا ترضوا لها بعد ذلك أن تكونَ محلاً لنجاسةِ المعصية وحبِّ الدنيا.

* وقال بعضُهم: همَّةٌ تجولُ حول العرش، وهمَّةٌ تجولُ حول الحَشِّ[2]، فمن كانت همَّتُهُ ما يدخل، كان قيمتُهُ ما يَخرج[3].

* وقيل: قصدَ جماعةٌ من الفقهاء زيارةَ بعضِ المشائخ، فلمَّا أتوه صلُّوا خلفه، فسمعوه يلحَنُ، فتغيَّرَ اعتقادُهُم فيه، فلمَّا باتوا تلك الليلة أجنبوا كلُّهم، فخرجوا في السَّحر يغتسلون، ووضعوا ثيابَهم عند بركةِ ماءٍ هناك، ونزلوا في الماء، فجاء الأسدُ وجلسَ على ثيابهم، فلاقوا شدَّةً من شدَّةِ البرد، ولم يقدروا أن يخرجوا، فجاءَ الشيخُ، وأخذ بأُذنِ الأسد، وقال: أما قلتُ لك لا تتعرَّض لضيفاني ؟ ثم قال لهم: أنتم اشتغلتم بتقويم الظاهر، فخفتم الأسدَ، ونحن اشتغلنا بتقويم الباطن، فخافنا الأسدُ.

---

(١) زقاق القناديل: تجاه الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص. الخطط المقريزية ٣/ ١٦٥ (سوق الكتبيين).
(٢) في هامش (أ): أي بيت الخلاء.
(٣) في (أ): فمن كان همُّه ما يُدخلُ، كان قيمته ما يُخرجُ.

* وعن إبراهيم بنِ أدهم رضي الله عنه، قال: لَحنَّا في أقوالنا فأعربنا، ولحنَّا في أفعالنا فلم نُعرب.

* قلت: وأخبرني بعضُ الإخوان الأخيار أنَّ الشيخَ والفقيهَ السيِّدين الجليلين، إمامَيْ وقتهما المشهورَيْنِ، في عوّاجة من بلاد اليمن رضي الله عنهما، ونفع بهما، تذاكرا يوماً في الفقراءِ والفقهاء، أيُّهم خير؟ فقال الشيخ الحكمي للفقيه البجلي: نادِ لي فقيهاً وفقيراً، حتى أُبيّنَ لك حالَهما، فاستدعا بهما، فلمَّا جاء الفقيهُ، قال له الشيخ: يا فقيه، في نفسي منك شيءٌ. فقال الفقيه: وأنا في نفسي منك شيئان. ثم جاء الفقير، فقال له الشيخ: يا فقير، في نفسي منك شيءٌ، فقال الفقيرُ: يا سيدي، أنا! أستغفرُ الله.

* وقال بعضُهم: يكفيك في الفرقِ بين الفقيرِ والفقيهِ أنَّ الفقيرَ يجلسُ في آخر المجلس مَسروراً بذلك، ولو جلسَ هناك الفقيهُ لضاقتْ عليه الدُّنيا.

* وتذاكرتُ مرَّةً مع بعض أهل العلم الفُضلاء الأتقياء بمكَّةَ، خلف المقام، فقلتُ: فقيرٌ صاحبُ قلبٍ أفضلُ عندي من ألف فقيهٍ من فقهاء الدنيا. فقال لي: إذا كان يوم القيامة يُنصبُ ميزانٌ للفقير والفقيه، فلمَّا قمتُ من ذلك المجلس التقيتُ بعضَ الشيوخِ على الفور، فقال لي ابتداءً كلاماً ذكرَ فيه أنَّ الشيخَ الفقيه الإمام ابنَ دقيقِ العيد رحمه الله ذكر بَعضَ الفقراء، ثم قال: هو عندي خيرٌ من ألف فقيهٍ، فتعجَّبتُ من ذلك إذ لم يطَّلعْ مُذاكرتنا أحدٌ، هذا أقولهُ محبةً للفقراء، مع أني كما قال الله تعالىٰ: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [النساء: ١٤٣]. وكما قالَ القائل:

قد بقينا مُذبذبينَ حَيارى ... نَطلبُ الوصلَ ما إليهِ سَبيلُ
فدواعي الهوى تخفُّ علينا ... وخلافُ الهوى علينا ثقيلُ

نسألُ الله الكريمَ التوفيقَ وصلاحَ الحال، والاستعدادَ للمآل، والتوجّه إليه، والإقبالَ عليه.

* وذكر بعضُ العلماء في بعض مُصنَّفاته: أنَّه كان ببغداد بعضُ الفقهاء الفضلاء، يُدرِّسُ اثني عشرَ علماً، فبينما هو يمشي ذاتَ يومٍ إلى المدرسة سمعَ مُنشداً يقول:

إذا العشرونَ من شَعبانَ ولَّتْ ... فواصلْ شربَ ليلِكَ بالنَّهارِ
ولا تشربْ بأَقداحٍ صغارٍ ... فقد ضاقَ الزَّمانُ عن الصِّغارِ

ففهم من ذلك شيئاً أزعجَه، وأخرجه هائماً على رأسه إلى مكَّةَ، فجاور بها وتعبَّدَ، وتركَ التَّدريسَ.

قلتُ: وهذا الشعرُ المذكورُ يَفهمُ منه الموفَّقُ أَنَّ عمرَه قد ولّى، وقاربَ الفوت، وضاقَ عن الاتساع للاشتغال بالاستعدادِ للموت، فيبادرُ بالعزائم الكبار إلى مُواصلة الأعمال بالليل والنهار، ويطربُ فيها كما يطربُ شاربُ العُقار، متلذِّذاً بالخدمة والمُنادمة للملك الغفَّار، مُعرضاً عن دارِ الاغترار، مُشتاقاً إلى دار القرار.

* وقال الشيخُ الكبيرُ العالمُ العارفُ سُفيان اليمني[1] رضي الله عنه، ونفعَ به: قيل لي: إذا أردْتَنا فأتركِ القولين والوجهين.

* وبلغني أَنَّ الشيخَ الإمامَ السيد محيي الدِّين النواوي رضي الله عنه أوصى إخوته عند موته بالتعبُّدِ، ونهاهم عن التغلغل في الاشتغالِ بالعلوم.

* وقال القاضي الإمام أبو بكر ابن عربي[2] رضي الله عنه في بعض كتبه: لقيتُ الإمامَ أبا حامدٍ الغزالي رضي الله عنه في البرّية، وعليه مُرقَّعةٌ، وبيده ركوةٌ وعكاز[3]، وقد كان يحضرُ مجلسه نحو مئة عمامةٍ من أبناءِ الأمراء، أو كما قال ـ وقال غيره: كان يُدرّس ثلاث مئة ـ وقال ابنُ عربي: فقلتُ له: يا إمام، أليسَ تدريسُ العلم ببغداد خيرٌ من هذا؟ فنظر إلى شزراً، وقال: لما بزغَ بدرُ السعادة في ملك الإرادة ـ أو قال: في سماء الإرادة ـ وجنحتْ شمسُ الأُصول إلى مغارب الوصول:

تركتُ هوى سُعدى وليلى بمعزلٍ وعـدْتُ إلـى تَصحيـحِ أوَّلِ مَنـزلِ
ونـادتْ بـي الأَشـواقُ مهـلاً فهـذه مَنـازلُ مـن تهـوى روديـكِ فـانـزلِ

---

(١) سفيان بن عبد الله الأبيني اليمني فقيه عارف عالم زاهد، له كرامات، مات أواخر القرن السابع. طبقات المناوي ٢/ ٤١٨.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي المالكي أبو بكر بن العربي (٤٦٨ـ٥٤٣ هـ). قاضٍ من حفاظ الحديث، رحل للمشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد، صنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والتاريخ والأدب، ولي قضاء إشبيلية، مات بقرب فاس.

(٣) في هامش (أ): أي عمي.

* وقال لي مرةً بعضُ الصالحين: عجبتُ من هؤلاء الفقهاء الذين ما شُغْلُهم إلاّ بالكتب.

* قلتُ: ووقعَ لي خاطران في بدايةِ اشتغالي بالعلم: أحدُهما يدعوني إلى العلم، والآخرُ إلى التعبُّدِ، وتَعبتُ في مُجاذبتهما، حتَّى فرَّجَ الله تعالىٰ، وله الحمدُ بإشاراتٍ منها: أني كنتُ مَهموماً في ذلك في باطني مثلَ النار، ففتحتُ كتاباً، فواجهتني ورقةٌ ليستْ من الكتاب، ولم أرها فيه قبلَ ذلك، وإذا فيها أبياتٌ ما كنتُ سمعتُها، فلمَّا قرأتُها ذهبَ همّي وبردَ احتراقي، وسكنَ اضطرابُ الخاطرَيْنِ المذكورين، وهي هذه الأبيات:

كُــنْ عــن همــومِــكَ مُعــرضــا ... وكِــلِ الأُمــورَ إلــى القَضَــا
فلــربَّمــا اتَّســعَ المضيــ ... ــقُ ولــربَّمــا ضــاقَ الفَضَــا
ولــــربَّ أَمـــرٍ مُتعــبٍ ... لــك فــي عــواقِبِــهِ رِضــا
الله يَفعــلُ مــا يشــا ... ءُ فــلا تكــنْ مُتعــرّضــا

* وغيره مخمسٌ:

فناديتُ قلبي اسمعْ وخذْ بالإشارة ... فيا حُسنَ ما في ضِمنِها من بشارة
وُدرْ بعدُ مع ريحِ القَضَا حيثُ دارت ... وسلّمْ لسَلْمى ثم سِرْ حيثُ سارتِ

عسى من خدورِ الحيِّ تبدو بدورُها

إذا ما بدتْ ناديتُ في كلِّ حلّةٍ ... ألا يا لقومي أعلموني بحيلةِ
إلى وصلِ خُوداتٍ كعابٍ جميلةٍ ... أراكَ الحمى قل لي بأيِّ وسيلةِ

توسَّلتَ حتَّى قبَّلتْكَ ثغورُها

بقطعٍ لأصلي مع فراقي لبلدتي ... وذُلّي وسَيحي في البلادِ وغُربتي
وإيباسِ نفسي بعد زهري وخضرتي ... رحمتُ على صبري على كلِّ كربتي

فصُفِّي لنفسي بالوصالِ سرورُها

قلت: وهذه الأقوالُ التي ذكرناها تدلُّ على شدَّةِ الاعتناءِ بالعمل، ولا يتوهَّمَ أحدٌ أنَّ مُرادي بذكرها أن يُتركَ العملُ أو يُهمل، أو ذمُّ الأخيارِ من العلماء الأفاضل، ومدحُ من هو بمعرفةِ ما يلزمُهُ معرفته جاهلٌ من فروضِ العبادات، والعقيدة الصحيحة، وكيف أُريد ذلك

وأنا القائلُ في القصيدةِ المُسمَّاة بـ «الدُّرةُ الفصيحة في الوعظِ والنَّصيحة» بعد ما قلتُ:

ويعـدُ فهـذي دُرَّةُ الحُسـنِ أَقبلـتْ ... بها ما استحقّت أجلَه الحبَّ تُمنحُ
ثلاثُ خصالٍ سوفَ نأتي بشرحها ... حَوتها جميلاتٌ لها الشرحُ يُمدحُ
جمـالٌ وديـنٌ فـالنَّصيحـةُ دينُهـا ... لقد نهضتْ بالعزمِ والحزمِ تَنصحُ
تُحِبُّ بني الأخرى وتُطري بمدحهم ... وتُقلي بني الدُّنيا وتهجو وتفضحُ
وقـد سنحـتْ أنـوارُ أعـلامِ دينهـا ... ونورُ طرازِ الحُسنِ من بعدُ يسنحُ
وثـالثُهـا أعنـي بتلـكَ شـريعـةً ... بطيبةِ مَنشاهـا فبـالطيـبِ تَـرشَـحُ
طبـاقـاً ولفّـاً ثـم نَشـراً مُجـانسـاً ... يقـابلـهُ ممَّـا استعـارت مُـرشَّـحُ
ورَدُّ اعتـراضٍ بـالتفـاتٍ مُـراجـعٍ ... مُـدبـج تـرصيـع[1] الطِّرازِ مُوشَّـحُ
كستها المعاني أخضرَ اللَّونِ سُندساً ... وأصفـرَ ديبـاجـاً وأحمـرَ يَملـحُ
معـانٍ عـوالٍ فـي الثُّـريـا مَحلُّهـا ... غوالٍ لها بالشِّعرِ أَصبحتُ أُمدحُ
تغزَّلتُ في بعض المعاني وبعضُها ... أشارت بتركِ قلتُ ما فيه أسمحُ
فقالتْ دَعِ التَّطويلَ كم ذا تَغزلاً ... وكم في ملاحاتِ المِلاحِ تُرنِّحُ
قمِ انهضْ إلى النُّصحِ الذي قد وُعدتَهُ ... وشمِّـر ففيـه للتجـارةِ مَـربـحُ
فقلتُ لها ما لي بربحِكِ حاجةٌ ... فنحـنُ أُنـاسٌ بـالسَّـلامـةِ نَفـرحُ
فقالتْ فأَهلُ الفَضْلِ فيه تَكلَّموا ... وللنُّطـقِ بـالخيـرِ الشَّـريعـةِ نمـدحُ
فقلتُ دَعيني في السُّكوتِ سلامةٌ ... وتلك هي الخيرُ الذي هو يَملحُ
فقالتْ وفي الأخلاقِ أيضاً ملامةٌ ... وتلـك هـي الشَّـرُّ الـذي هـو يَقبحُ
فقلتُ أَجَلْ بـالنُّصحِ ابـداً وإنَّني ... مُقـرٌّ بـأنِّـي مـا لـذلـكَ أصلـحُ
فيـا ربِّ أصلحنـا بجـاه مُحمَّـدٍ ... وأيِّـدْ ووفِّقنـا لمـا هـو أصلـحُ
أيا طالبَ الأخرى وقِيتَ مِنَ الرَّدى ... ولقِّيـتَ تـوفيقـاً لقلبـكَ يُصلـحُ
عليك بتقوى اللهِ يُخرجْكَ من ردىً ... ويـرزقْـكَ مـن غيـبٍ وأنـتَ مُرَوحُ
هي العُروةُ الوثقى هي الخيرُ كلُّه ... هي الرِّبحُ كلُّ الرِّبحِ يا مترِبِّحُ

---

(١) في المطبوع: ترشيح.

وشيخٌ بـه اقتـدِ أو كتـابٌ وسُنَّـةٌ إذا لـم تجـدْ شيخـاً يُـربّـي ويُلقِـحُ
فقيهاً وصوفياً فَكُنْ ليس واحداً فـإنّـي وحـقِّ اللهِ إيّـاكَ أنصـحُ
فهذاك قاسٍ يابسٌ لم يذقْ هوىً وهذا جَهولٌ كيفَ ذو الجهلِ يفلحُ

والمُرادُ بهذا الجاهل، جاهلٌ بحكم فرض العين، دونَ فرض الكفايات.

والذي أراه وأقولُ به: إنَّ الأفضل في الاشتغال بالعلمِ أو بالعبادة يختلفُ باختلاف الناس في أحوالهم، وذوقهم، وقابلياتهم، وأذهانهم، ونياتهم، ويَنقسمون في ذلك فيما ظهرَ لي خمسةَ أقسام:

القسم الأول: رجالٌ غلبت عليهم أحوالٌ قويةٌ أزعجتهم، واضطرّتهم إلى الاشتغالِ بالله وحده، ولم تدع فيهم للاشتغالِ بغيره بقيةً، فهؤلاء تحتَ حكم حالهم، وقد أقامَهم الحقُّ سبحانه وتعالىٰ في هذا المقام، فليس لنا عليهم حكمٌ، ولا لنا معهم كلامٌ، فهم الفرسانُ في الحقيقة، والرِّجالُ الذين ليس لغيرِهم معهم في ميدان المحبّةِ مجال، والذين صدق قائلهم، وأحسن حيث قال:

كـانـتْ لقلبـيَ أهـواءٌ مُفـرَّقـةٌ فاستجمعتْ إذ رأتْكَ العينُ أهوائي[1]
وصـارَ يَحسـدنـي مَن كنتُ أَحسـدُهُ وصِرتُ مولى الورى مُذْ صرتَ مَولائي
تـركـتُ للخلـقِ دُنيـاهـم ودينَهُـمُ شغـلاً بحبِّـكَ يـا دينـي ودنيـائـي

وقال الآخر:

كأنَّ رقيباً منك يَرعى خواطري وآخـرَ يَـرعـى نـاظـري ولسـانـي
فمـا رَمقـتْ عينـاي بعـدَكَ مَنْظَـراً يَسـوءكَ إلاّ قُلـتُ قـد رَمقَـانـي
ولا بـدَرتْ مـن فـيَّ دونَـكَ لفظـةٌ لغيـرِكَ إلاّ قلـتُ قـد سمعـانـي
ولا خَطرتْ في السرِّ بعدَكَ خَطرةٌ لغيـرِكَ إلاّ عـرَّجـا بعنـانـي
وإخوانِ صدقٍ قد سئمتُ حديثَهم وألهيـتُ عنهـم نـاظـري ولسـانـي
وما الزُّهدُ أَسلى عنهُمُ غيرَ أنَّني وجـدتُـكَ مَشهـودي بكـلِّ مَكـانـي

---

(١) في روض الرياحين ٥٦: مذ رأتك.

وقال الآخر، وهو الشيخ العارف ابنُ الفارض رضي الله عنه في بعضِ قصائده[1]:

إذا أنعمــت نُعــمٌ علــيَّ بنظــرةٍ ... فلا أَسعدتْ سُعدى ولا أَجملتْ جملُ

حرامٌ شِفا سُقْمي لديها رضيت ما ... به حكمتْ لي في الهوى ودمي حِلُّ

فحالي وإنْ ساءتْ فقد حَسُنَتْ بها ... وما حطَّ قدري في هواها به أعلو

فنافسْ ببذلِ النَّفسِ فيها أخا الهوى ... فـإنْ قَبلَتْهـا مِنْـكَ يـا حَبَّـذا البَـذْلُ

فمن لم يَجُدْ في حبِّ نُعمى بنفسه ... وإنْ جادَ بالدُّنيا إليه انتهى البُخلُ

ولـولا مُـراعـاةُ الصبـابـةِ[2] غيـرةً ... وإن كثـروا أَهـلُ الصبـابـةِ أو قلُّـوا

لقلـتُ لعشّـاقِ المـلاحـةِ أقبلـوا ... إليها على رأيي[3] وعن غيرها ولُّوا

وإنْ ذُكـرتْ يـومـاً فخـرُّوا لـذكـرِهـا ... سجوداً وإنْ لاحتْ إلى وجهها صَلُّوا

القسم الثاني: قومٌ لهم ذوقٌ في العبادات، وأنسٌ في الخلوات، وحلاوةٌ في مُناجاة مولاهم ولذَّات، ويلحقُهم تغيُّرٌ وتكدُّرٌ في المخالطات ويلحقُهم أيضاً تفرُّقُ الهمِّ بالله، وعدمُ الانجماعِ عند الاجتماع في الاشتغال بالعلم بالبحث والمذكرات، وبالدَّرسِ والمُطالعات، وخصوصاً عند المُماراة والمُجادلات، فهؤلاء إن عرفوا الزِّيادةَ في قلوبهم وأحوالهم من النقصان، لزموا الذي يجدون به الزِّيادة حيث ما كان، وإنْ لم يعرفوا ذلك فينبغي أن يُكثروا من صلاةِ الاستخارةِ والدُّعاء، والتضرُّعِ إلى مُجيب الدَّعواتِ في التَّوفيقِ للأفضلِ في حقِّهم من العلم والعمل، هذا كلُّه بعد تعلُّم أَحكامِ فرضِ العين الذي لابدَّ لكلِّ مُكلَّفٍ من معرفته، ولا يجوز الإقدامُ عليه بجهالته، كعلم صحيحِ العقيدات، وعلمِ صلاح القلبِ وطهارته من الصِّفات المَذمومات، وعلمِ أحكامِ ما يلزمُ من سائرِ العبادات؛ كالصلاة، والصوم، والطَّهارات، وكذا الحجِّ إنْ وجبَ عليهم، ومثلُهُ الجهادُ والزَّكاة، ويلزمُهُم في جميعِ ذلك تعلُّمُ أصولِ المسائل، وما يقع منها في الغالب دون الفروعِ النادرات، ومع هذا فالذي أراه لمن عرف من نفسِهِ نجابةً في الاشتغالِ بالعلم، وقابليةً،

---

(١) الديوان ١٣٧، من قصيدة مطلعها:

هو الحبُّ فاسلمْ بالحشا ما الهوى سهل ... فمـا اختـاره مُضنًـى بـه ولـه عقـل

(٢) في الديوان: مراعاة الصيانة.

(٣) في (ب) والمطبوع: رأسي.

وصلاحَ نيّةٍ من هذا القسم أن يشتغلَ مع التشتُّتِ والتّفرّقِ بفروضِ الكفايات، مع مزجِ العلمِ بالعمل، ولزومِ طُرق الزُّهدِ، والاحترازِ في الخلطة ممّا يقعُ فيها من الآفات وتضييعِ جواهرِ الأوقات النّفيسات.

القسم الثالث: ناسٌ لهم رغبةٌ في العلم، وذوقٌ وذكاء، ونيّاتٌ صالحات، فهؤلاء ينبغي أن يَبذلوا الجهدَ في الاشتغال بالعلوم، بتقديمِ المهمّ منها فالأهمّ بحسبِ الأشخاص والأوقات، مع التقلُّلِ من الدُّنيا، ولزومِ سيرةِ العلماء الأخيار أُولي التقوى والسِّيرِ الحميدات، والاتّصافِ بما قاله الإمام الشّافعيُّ، ذو الفضائل والسُّؤدد رضي الله عنه، حيث أنشد[1]:

أخـي لـن تنـالَ العلـمَ إلا بستّـةٍ ... سـأُنبيـكَ عـن مَكنـونِهـا ببيـانِ
ذكـاءٌ وحِـرْصٌ واجتهـادٌ وبُلغـةٌ[2] ... وإرشـادُ أُستـاذٍ وطيـبُ زمـانِ

وقال الآخر:

يا طالبَ العلمِ صارمْ كلَّ بطّالٍ ... وكـلَّ غـاوٍ إلـى الأهـواءِ ميّـالِ
واعمَـلْ بعلمِـكَ سـرًّا أو عَـلانيـةً ... ينفعْكَ يوماً على حالٍ من الحالِ

وبما قال الآخر:

يـا طـالـبَ العلـمِ بـاشـرِ الـورعـا ... ثـم اهجـرِ النّـومَ واتـركِ الشّبعـا
واقبـلْ علـى الـدَّرسِ لا تُفـارقْـهُ ... فـالعلـمُ بـالـدَّرسِ قـامَ وارتفعـا

القسم الرابع: أناسٌ في أذهانهم بلادَةٌ، لا يجيءُ منهم إفادةٌ ولا استفادة، فهؤلاء ينبغي لهم بعد تعلُّمِ فرضِ العين، أن يَستغرقُوا أوقاتهم في العبادة.

القسم الخامس: ناسٌ فيهم دواعي العلمِ، وجودةُ الأفهامِ الزكية، ولكنّهم مع ذلك خلوٌ من صلاحِ النيّةِ، فينبغي لهؤلاء أن يُجاهدوا نفوسَهم في تحصيلِ الإخلاصِ، ويُذكّروها فناءَ الدُّنيا وحقارتها، وغرورها وفتنتها، وما جاء في الوعدِ والوعيدِ، وعُسرِ الخلاص، وتشبيه بعضِ العلماء بالحميرِ والكلاب، في نصّ الكتاب، لركونهم إلى الدُّنيا، وتركِ العمل واتّباع

---

(١) ديوان الشافعي صفحة ١٨٨.

(٢) في هامش (أ): واحتياطٌ وبلغة، والبُلغة بالضمّ: ما يتبلّغ به من العيش.

الهوى، مع الوعيدِ الشَّديدِ لهم في الآيِ السَّنية، والأحاديثِ النبوية، وينبغي بعد تعلُّمِ فرضِ العينِ المذكور، أن يشتغلوا بذكرِ الله وعبادته في اللَّيلِ والنهار، لكي يُعيدَ اللهُ من بركات العبادةِ على قلوبهم، حتَّى تَصلحَ وتشرقَ فيها الأنوار، وحينئذ يُنتجُ اشتغالُهم بالعلم النفعَ، ويثمرُ أزكى الثمار.

وقد ذكرتُ العلماءَ والفقراءَ في أوَّلِ هذا الباب الثاني[1]، بعد أوراق يسيرة نحوِ من كراسة صغيرةٍ، وذكرتُ هناك قولَ الفُضيلِ رضي الله عنه: كان العلماءُ ربيعَ النَّاسِ، إذا رآهم المريضُ لم يسرَّهُ أن يكونَ صحيحاً، وإذا نظرَ إليهم الفقيرُ لم يودَّ أن يكون غنياً، قد صاروا اليوم فتنةً للناس. وقولَ الشيخ أبي الحسين النُّوري رضي الله عنه: كانتِ المُرقَّعاتُ غطاءً على الدُّرِّ، فصارَتِ اليوم مزابلَ على جيفٍ.

هذا ما أردتُ من التَّنبيه والتَّفريقِ بين الأقسامِ المذكورة، وحكم كلِّ فريقٍ، واللهُ أعلم، وبه العونُ والتوفيق.

وينبغي لكلِّ قسمٍ من هذه الأقسام أن يُشمِّرَ عن ساقِ الجدِّ، ولا يَقتدي بأمثالي من أهل الكسلِ والمللِ والبطالات، فقد ندبَ الحقُّ سبحانه وتعالىٰ إلى الاستباقِ في الخيرِ، فقال عزَّ من قائل: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨].

* وقال النَّبيُّ ﷺ فيما وردَ من الأخبار: «اليومَ المضمار، وغداً السباق، والغايةُ الجنة أو النار»[2].

* وقال الشيخ أبو الرَّبيع رضي الله عنه: سيروا إلى الله عُرجاً ومَكاسير، ولا تنتظروا الصحَّةَ؛ فإنَّ انتظارَ الصحَّةِ بطالة.

* وقال بعضهم: قلتُ لبعضِ الصالحين: دلَّني على عملٍ أعملُهُ. فقال: أنا أعرضُ عليك طُرقاتِ القوم، ومسالكَهم، فأيَّ طريقٍ أعجبك فخذه واسلكه؛ فإنَّ منهم أربابَ العباداتِ والأعمال، ومنهم أربابُ المُجاهداتِ والمُكابدات، ومنهم التاركون للدُّنيا، الزاهدون فيها، ومنهم المُنقطعون عن الخلقِ والمُتوكِّلون، ومنهم المتلبِّسون بالأسباب

---

(١) انظر الصفحة ٦٣، ٦٤.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ٣/٣٠٧ (٣٢٤١) عن عائشة، والحاكم في مستدركه ٤/٦٥١ عن حذيفة.

الخارجون عنها، ومنهم من اقتطعَهُ الحقُّ عن هذا كلِّه إليه، ومنهم من أقامَهُ الله في الأسباب لنفسه ولغيره، ومنهم من شغله اللهُ بواردات العلوم. قال: وذكرَ من هذه الأحوالِ ما لا يحضرني ذكره الآن.

* وأنشد بعضُهم:

رفعتْ مقاماتُ الوصولِ حجابي حتى أحتجبت بكم عن الحجَّابِ
ولـزمـتُ مِحـرابـي لـزومَ مجمّـعٍ فرأيتُ وجهَ الحقِّ في المحرابِ
وخـرقـتُ لـوحَ سفيتنـي لأعيبَهـا فنجـوتُ مـن مَلِـكٍ لهـا غصَّـابِ
وقتلـتُ مـن نفسـي غـلامـاً قتلُـهُ سببُ النَّجـا من أَعظـمِ الأسبـابِ
وكشفتُ عن قلبي جدارَ حجابِهِ عـن كنـزِهِ البـاقـي بغيـرِ ذهـابِ
ورقيتُ في السَّبعِ السَّمواتِ العُلا حتـى دنـوتُ فكنـتُ مثـلَ القَـابِ

* وأنشدنا الشيخُ السيد الجليل، ذو المجدِ الأثيل، ناصرُ الدِّين لوالده الشيخِ الكبير، العالم الربَّاني، ذي المقام الرفيعِ الدَّاني، سيدنا إبراهيم بن مِعْضادِ الجَعْبري[1] رضي الله عنهما:

أحنُّ إلى لمعِ السَّرابِ بأرضِكُمْ فكيفَ إلى ربعٍ به مَجمعُ الشُّربِ
فـوا أسفـا دونَ الشَّـرابِ وإنَّنـي أخافُ بأن يقضي عليَّ ظَما نحبي
ومُذْ بانَ ذاكَ الرَّكبُ عنِّي لم أزلْ أُعفِّـرُ منّـي الخـدَّ فـي أثـرِ الـرَّكـبِ

* ودخل عليه يوماً بعضُ أصحابه، وقال له: يا سيِّدي، سمعتُ بيتين أعجباني. قال: قلهما لي. فأنشدَ:

وقـائلـةٍ أنفقـتَ عُمـرَكَ مُسـرفـاً علـى مُسـرفٍ فـي تيهِـهِ ودلالِـهِ
فقلـتُ لهـا كُفّـي عـن اللّـومِ إنَّنـي شُغلـتُ بـه عـن هجـرِهِ ووصـالِـهِ

---

(١) إبراهيم بن معضاد الجعبري الفقيه الشافعي الشيخ الصالح، ولد بجعبر قرب الرقة على الفرات سنة ٥٩٩ هـ، سمع الحديث. وله مكاشفات وأحوال وكرامات، حضر وفاة ابن الفارض لمّا سأل الله أن يرسل له ولياً يحضر موته، أقام بالقاهرة، وأنشأ زاوية فيها. مات سنة ٦٨٧ هـ. طبقات المناوي ٢/ ٣٣١.

فقال له الشيخُ: ما هذا مقامُك، ولا مقامُ شيخِكَ. فأطرقَ ساعةً، ثم رفعَ رأسهُ وقال: يا سيدي، وقعَ لي بيتان غيرُهما. قال: قلهما. فأنشد:

وقــائلــةٍ طــالَ انتســابُــكَ دائمــاً ... إليــه فهــلْ يــومــاً خطــرتَ ببــالِــهِ
فقلــتُ لهــا مــا كنــتُ أهــلاً لهجــرِهِ ... فمــا تعتــريني شُبهــةٌ فــي وصــالِــهِ

فقال الشيخ: هذا مقامُكَ ومقامُ شيخك.

* وأنشدني الشيخُ الجليل جمالُ الدين الحُويزَائي رحمه الله لنفسه:

فلو في التُّقى أَحصنْتِ يا نفسُ عفَّةً ... فــروجَ هــواكِ عــن فجــورِ التفــرُّقِ
تمثَّلَ روحُ القُدسِ في الحالِ مُلقياً ... عليــك كشــوفــاتٍ بنُصــحٍ مُحقَّــقِ

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: رأيتُ البارحةَ عبدَ القادر الجيلاني[1] النقَّادَ في المنام، فقال لي: أعرشيٌّ أنتَ أم كُرسيّ؟ فقلت له: دع عنك ذا، الطِّينةُ أَرضية، والنَّفسُ سماوية، والقلبُ عرشيٌّ، والرُّوحُ كرسيٌّ، والسرُّ مع الله بلا أين، والأمر يتنزَّلُ فيما بين ذلك، ويتلوه الشاهدُ منه.

* وأنشدَ بعضُهم[2]:

أبــــداً تَحِــــنُّ إليكُــــمُ الأَرواحُ ... ووصــــالُكُــم ريحــانُهــا والــرَّاحُ
وقلــوبُ أهــلِ ودادِكُــم تَشتــاقُكــم ... وإلــى كمــالِ جمــالِكُــم تَــرتــاحُ[3]
يــا رحمــةً للعــاشقيــن تحمَّلــوا ... ثقــلَ المحبَّــةِ والهــوى فضّــاحُ
بــالسرِّ إن بــاحــوا تُبــاح دمــاؤهــم ... وكــذا دمــاءُ البــائحيــن تُبــاحُ

* وقال الشيخ أبو عبد الله القُرشي رضي الله عنه: حقيقةُ المحبّةِ أنْ تهبَ كلَّكَ لمن أحببتَ، فلا يبقى لك منك شيء.

---

(١) عبد القادر بن موسى الكيلاني أو الجيلاني أو الجيلي (٤٧١ـ٥٦١ هـ) مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفة، تفقه وسمع الحديث، وبرع في أساليب الوعظ، تصدر للتدريس والإفتاء في بغداد، له كتب كثيرة.

(٢) الأبيات لشهاب الدين السهروردي، انظر الكواكب الدرية للمناوي ٢/ ٣١٢.

(٣) في طبقات المناوي: وإلى لذيذ وصالكم ترتاح.

* وقيل: اجتمعَ الشَّيخان العارفان الإمامان المحقِّقان، الرَّبانيان المُربيان الشيخ شهابُ الدِّين السُّهْرَوَرْدي[1]، والشيخُ محيي الدِّين بنُ عربي رضي الله عنهما، فأطرقَ كلٌّ واحدٍ منهما ساعةً، ثم افترقا من غيرِ كلامٍ، فقيل لابن عربي: ما تقولُ في الشيخِ شهابِ الدِّين السُّهروردي؟ فقال: مملوءٌ سُنَّةً من قرنِهِ إلى قدمه. وقيل للسُّهروردي: ما تقولُ في الشيخ محيي الدين؟ فقال: بحرُ الحقائق.

* وبلغني عن بعض الشيوخ العارفين، أنّه كان يقرأ عليه أصحابُه كلامَ ابنِ عربي ويشرحُهُ لهم، فلمَّا حضرته الوفاةُ نهاهم عن مُطالعة كُتبِ ابنِ عربي، وقال: أنتم ما تفهمون مُرادَه، ومعاني كلامه.

* وسمعت أنَّ الشيخَ الفقيه الإمام عزَّ الدِّين بنَ عبد السلام كان يطعنُ في ابنِ العربي، ويقول: هو زنديق. فقال له يوماً بعضُ أصحابه: أُريدُ أن تُريني القطبَ، فأشارَ إلى ابن عربي، وقال: هذاك هو. فقيل له: فأنت تطعنُ فيه. فقال: حتَّى أصونَ ظاهرَ الشرع، أو كما قال رضي الله عنهما. أخبرني بذلك غيرُ واحدٍ ما بين مشهورٍ بالصلاح والفضل، ومعروفٍ بالدِّين ثقةٍ عدلٍ من أهلِ الشام ومن أهل مصر، إلا أنَّ بعضَهم روى: أُريد أن تريني ولياً. وبعضهم روى: القطب.

وقد مدحَهُ وعظَّمَهُ طائفةٌ لاسيما من شيوخِ الطريقة وعلماء الحقيقة كالشيخ الجَريري، والشيخِ نجم الدِّين الأصبهاني، والشيخ تاج الدين ابنِ عطاء الله، وغيرهم ممَّن يكثرُ عددُهم، ويعلو مجدُهم، وطعن فيه طائفةٌ ولاسيما من الفقهاء، وتوقَّفَ فيه طائفةٌ. وليس الطَّاعنُ فيه بأعلمَ من الخضر، إذ هو أحدُ شيوخه، وله معه اجتماعٌ كثير.

قلت: ما نُسبَ إلى المشايخ رضي الله عنهم ممَّا يُخالفُ العلمَ الظَّاهرَ فله محاملُ:

الأول: أن لا تُسلَّمَ نسبتُهُ إليهم حتَّى تصحَّ عنهم.

---

(١) شهاب الدين السُّهْرَوَرْدي يحيى بن حبش (٥٤٩ـ٥٨٧ هـ) اختلف المؤرخون في اسمه، كان عِلْمُهُ أكثر من عقله، أفتى علماء حلب بقتله بعد أن نُسب إلى انحلال العقيدة، فسُجن بقلعة حلب، وخُنق بها. له كتب في التصوف كثيرة، كان رديء الهيئة، زري الخلقة، لا يغسل له ثوباً ولا جسماً، ولا يقص ظفراً ولا شعراً، له شعر رائق، وقد مرّت أبياته قبل أسطر: أبداً تحن.

الثاني: بعد الصحّة يُلتمسُ له تأويلٌ موافق، فإن لم يوجدْ له تأويلٌ قيل: لعلَّ له تأويلاً عند أهل العلم الباطن العارفين بالله تعالىٰ.

الثالث: بعد الصحّة أن يكون صدرَ ذلك عنهم في حالِ السُّكرِ والغيبة، والسَّكرانُ سُكراً مُباحاً غيرُ مؤاخذ؛ لأنَّه غيرُ مُكلَّفٍ في ذلك الحال، فسوءُ الظَّنِّ بهم بعد هذه المخارجِ من عدمِ التوفيق، نعوذُ بالله من الخذلان، وسوءِ القضاء، ومن جميع أنواع البلاء.

* وقيل: كانَ الشيخُ الكبيرُ العارفُ أحمد الرِّفاعي[1] قدَّسَ الله رُوحه كثيراً ما يُنشدُ هذا البيت:

فـإنْ عَبَـرَتْ وأنـتَ سَليـمُ قلـبٍ ... مـن البَلْـوى فتهنيـكَ السَّـلامـهْ

يعني: تعبرُ سفينتهُ في بحرِ الدنيا.

* وقال رضي الله عنه: تعلَّموا علمَ الصوفية تعلُّماً، فإنَّ جذَباتِ الحقِّ قد قلَّتْ في هذا الزمان.

* وزار في بدايته بعضَ المشايخ، ثم قال للشيخ عند مُفارقته: أَوصني. فقال له الشيخ: اسمعْ ما أقولُ لك: مُتلفِّتٌ لا يَصلُ، ومُتَسَلِّلٌ لا يفلح، ومن لا يعرفُ من نفسِهِ النقصان، فكلُّ أوقاته نقصان. فذهب من عنده، ولبثَ سنةً يردِّدُ هذه الكلمات مع نفسه، ثم عادَ إلى زيارةِ الشيخِ، فلمّا أرادَ مُفارقته قال له: أوصني. فقال الشيخ: ما أقبحَ العلَّةَ بالأطباء، والجهلَ بالألبّاء، والجفاءَ بالأحياء. فذهبَ ومكثَ سنةً أيضاً يردِّدُها، حتى كان من شأنِهِ ما كان رضي الله عنه ونفع به.

* واضطجعَ يوماً، ومدَّ رقبته، وقال: وحُمَيْد منهم. فورَّخوا ذلك الوقت، فكانَ وقتاً قالَ فيه الشَّريفُ صاحبُ المقام المنيف خاصُّ الخواص الأكابر الشيخُ عبد القادر الكيلاني قدَّسَ الله روحه، قالَ وهو على المنبر: قدمي هذا على رقابِ جميعِ الأولياء، فطأطأ الأولياءُ رقابهم في ذلك الوقت في الشرقِ والغرب إلاّ بعضَهم، فعُوقبَ من لم يفعل ذلك،

---

(١) أحمد بن علي الرفاعي (٥١٢ـ٥٧٨ هـ) الإمام الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعية، تفقه وتأدب في واسط، انضم له كثير من الفقراء حتى قال ابن المهذب: إن عدد خلفاء الرفاعي وخلفائهم بلغ مئة وثمانين ألفاً. مات في قريته أم عبيدة بالبطائح بين واسط والبصرة، وقبره مقصود بالزيارة.

وينفّذ ويخضع له؛ إذ لم يكنْ ذلك من تلقاءِ نفسِهِ، بل هو عن واردٍ من قِبَلِ الحقّ.

* وهو القائلُ رضي الله عنه:

ما في الصَّبابةِ[1] مَنهلٌ مُستعذَبٌ ... إلاّ ولـي فيـه الأَلَـذُّ الأطيـبُ

أوَ في الزَّمانِ مكانةٌ مَخصوصةٌ ... إلاّ ومنـزلتـي أعـزُّ وأقـربُ

وهبَتْ لـي الأيـامُ رونـقَ حُسنِها ... فصفـا منـاهلُها وطـابَ المَشـرَبُ

أنـا مـن رجـالٍ لا يَخـافُ جليسُهـم ... ريبَ الزَّمانِ ولا يَرى ما يُرهَبُ

قـومٌ لهـم فـي كـلِّ مجـدٍ رتبـةٌ ... علـويّـةٌ وبكـلِّ جيـشٍ مَـوكـبُ

أنـا بلبـلُ الأفـراحِ أمـلأُ دوحَهـا ... طَـرَبـاً وفـي العليـاءِ بـازٌ أشهـبُ

ما زلتُ أرتعُ في ميادينِ الرِّضا ... حتـى وهِبْـتُ مكـانـةً لا تُـوهـبُ

أفلتْ شمـوسُ الأوّليـنَ وشمسُنـا ... أبـداً علـى فَلَـكِ العُـلا لا تَغـربُ

فأجابه ابنُ [أبي] جرادة الواعظُ[2] وقال:

بـكَ الشُّهـورُ تهنّـأُ والمَـواقيـتُ ... يـا مـن بـألفـاظِـهِ تَغْلـو اليَـواقيتُ

أَشمُّ من قدميكَ الصِّدقَ مُجتهداً ... لأنّـــهُ قَـــدَمٌ فـــي نعلِـهِ الصِّيـتُ

البـازُ أنـتَ فـإنْ تَفخـرْ فـلا عَجَـبٌ ... وسائرُ النَّاسِ في عيني فواخيتُ[3]

* وقيل: جاءت امرأةٌ إلى الشيخ الكبيرِ، العارفِ بالله، أحمدَ بنِ جعد اليمني[4] قدَّس الله روحَه، وقالت له: ادعُ الله أن يَرزقني ولداً ذكراً. قال: ستُرزقينَ ذلك. ثم إنّها وضعتْ بنتاً، فقالت له في ذلك، فقال: واللهِ، ما قلتُ لك ذلك إلاّ بعدَ ما مسستُ ذَكَرَه بيدي هذه، ولكنَّ الله أرادَ أن يكذِّبَ هذه اللحية.

---

(١) في هامش (أ): الصبابة أي العشق.

(٢) محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة الحلبي (٥٤٠ـ٦٢٨) واعظ صالح زاهد من فضلاء النساخ، قال ابن الأثير المؤرخ في وصفه: لو قال قائل إنه لم يكن في زمانه أعبد منه لكان صادقاً.

(٣) الفواخيت: مفردها فاختة ضرب من الحمام المطوق. متن اللغة (فخت). وجاء في هامش (أ): طير ضعيف لا فيه شجاعة ولا قوة.

(٤) أحمد بن الجعد الأبيني اليمني من كبار مشايخ الطريقة، صاحب السيرة المحمودة، صحب الأهدل ـ كبير مشايخ اليمن ـ أخذ عنه جمع عظيم، وكان كثير المجاهدة، أُقعد آخر حياته، مات لبضع وتسعين وست مئة. طبقات المناوي ٢/ ٣٨٢.

* ومرَّ في بدايته رضي الله عنه على جيفةِ جملٍ ميتٍ، فنفرتْ نفسهُ من ريحه، فقال: يا نفسُ، هذه الجيفةُ أطيبُ منك، وحلفَ أنْ لا بُدَّ أن تدخلي فيها، فدخلَ فيها، ثم خرجَ، ومكثَ مُدةً يُشمُّ منه ريحُ المسكِ.

* وكان رضي الله عنه يُنشد:

قد كانَ ذلكَ في الزُّجاجةِ باقياً　　　وأنا الوحيدُ شربتُ ذاكَ الباقي

* وكان بعضُ أهلِ المُشاهدة والاستماع يُشمُّ منه ريحُ الطِّيبِ الفاخر عند المرور والاجتماع، فأنشدوا:

تفوحُ أرواحُ نَجْدٍ من ثيابِهِمُ　　　عندَ القُدومِ لقُربِ العَهْدِ بالدَّارِ

* وقال بعضُهم: الصِّدقُ سيفٌ، ما وضِعَ على شيءٍ إلاّ قطعه.

* وقال أبو القاسم الجُنيد رضي الله عنه: لو أقبلَ صادقٌ على الله ألفَ سنةٍ، ثم أعْرضَ عنه لحظةً لكان ما فاتَهُ من الله أكثرَ ممَّا ناله.

* وقال أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه: إنْ كنتَ مُحتاجاً إليه، فالزمْ بابَه حتى يفتحَهُ لك.

* وقال رضي الله عنه: الوليُّ في بدايته هو الحَريصُ على أخبارِ الأولياء وأحوالِهم، يسمعُ الحقَّ فلا يُنكره، ولا يعترضُ عليه، يَشتاقُ إلى الأحوالِ، ويَحرصُ على حصولها، ويتمنَّى المقامات ووصولها، والوليُّ في نهايتِهِ هو الذي يفيدُ ويستفيد، ويجدُ في أحوالِهِ وعلومه وأعماله البركةَ والمزيدَ.

* وقال الشيخُ أبو عثمان: شكرُ العامَّةِ على المَطعمِ والملبس والمشرب، وشكرُ الخاصَّةِ على ما يردُ على قلوبهم من المعاني.

* ورُوِيَ عن الشيخ ممشاذ الدِّينوري[1] أنّه قال: مُذْ عَلمتُ أنَّ أحوالَ الفقراءِ جدٌّ كلُّها لم أُمازح فقيراً؛ وذلك أنَّ فقيراً قَدِمَ عليَّ فقال: أيُّها الشيخ، إنِّي أُريد أن تتخذَ لي عَصيدةً، فجرى على لساني: إرادةٌ وعصيدة! فتأخَّرَ الفقيرُ، ولم أشعرْ به، فأمرتُ باتِّخاذِ عصيدةٍ،

---

(١) ممشاذ الدينوري من كبار المشايخ، وكان رأساً عظيماً في الزهد، متين الديانة.له أوراد كثيرة، مات سنة ٢٩٠ هـ. طبقات المناوي ١/ ٧١٨.

وطلبتُ الفقيرَ فلم أجدْه، فتعرَّفتُ خبرَه، فقيل: إنَّهُ انصرفَ من فوره، وكان يقول في نفسه: إرادةٌ وعصيدةٌ، وهامَ على وجهِهِ حتى دخلَ البادية، ولم يزل يقول هذه الكلمة حتى مات.

* وقال أبو بكر الزَّقَّاق[1]: آفةُ المُريد ثلاثةُ أشياء: التزوُّجُ، وكتبةُ الحديث، والأسفار.

* وقيل لبشرِ بنِ الحارث: الناس يتكلَّمونَ فيك. فقال: ما يقولون؟ قال: يقولون هو تاركٌ للسُّنة ـ يعنون ترك التزوّج ـ فقال: قل لهم: أنا مشغولٌ بالفرضِ عن السُّنة.

* وقال رضي الله عنه: لو علتُ دجاجةً، لخشيتُ أن أكونَ جلاّداً على الجسر.

* وقال الكتَّاني: من حُكمِ المُريد أن يكونَ فيه ثلاثةُ أشياء: نومُهُ غلبةٌ، وأكلهُ فاقةٌ، وكلامُهُ ضرورةٌ.

* وقال [أبو] عبد الله ابن خفيف رضي الله عنه: الإرادةُ استدامةُ الكدِّ، وتركُ الراحة.

* وقال: ربَّما كنتُ في ابتداءِ أمري أقرأُ في ركعةٍ واحدةٍ عشرةَ آلاف ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وربَّما كنتُ أقرأُ في ركعةٍ واحدةٍ القرآنَ كلَّه، وربَّما كنتُ أُصلّي من الغداةِ إلى العصرِ ألفَ ركعة.

* وقال بعضُهم: كيف يفلحُ من أَلِفَ الراحة؟

* وقال الجُنيد: إذا أرادَ اللهُ بالمُريد خيراً، أوقعه إلى الصوفية، ومنعَهُ صُحبةَ القرّاء.

* وقال أبو بكر الزَّقاق: لا يكونُ المُريدُ مُريداً حتى لا يَكتبَ عليه صاحبُ الشِّمالِ عشرين سنة.

* وقال بعضُهم: إذا رأيتَ المُريدَ يشتغلُ بالرُّخصِ والكسبِ، فليسَ يجيءُ منه شيءٌ.

* وقال بعضُهم: إذا رأيتَ ضوءَ الفقيرِ في ثوبهِ ـ أو قال: في ظاهره ـ فلا ترجُ خيرَه، أو كما قال.

---

(١) أبو بكر الزقاق نسبة إلى بيع الزقّ، أثنى عليه الإمام النووي في كتابه بستان العارفين وقال: كان من كبار الصوفية أصحاب الكرامات الظاهرة، والمعارف المتظاهرة. توفي في القرن الرابع للهجرة. طبقات المناوي ٢/ ٤٧.

* وقيل للجُنيد: ما للمُريدين في مجاراة الحكايات؟ فقال: الحكاياتُ جندٌ من جنودِ الله تَقْوى بها قلوبُ المُريدين. فقيل له: وهل في ذلك شاهد؟ قال: نعم، قولهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

* وقال أبو علي الدقّاق: المُريدُ مُحتمل، والمُراد محمول.

* وقيل: أرسلَ ذو النون إلى أبي يزيد رجلاً وقال: قل له: إلى متى النَّومُ والراحة، وقد جازت القافلة؟ فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النُّون: الرَّجلُ من ينامُ اللَّيلَ كلَّه، ثم يُصبحُ في المنزل[1] قبل القافلة. فقال ذو النون: هنيئاً له، هذا كلامٌ لا تبلغُهُ أحوالُنا.

* وقال بعضُهم: كنْ طالبَ الاستقامة لا طالبَ الكرامة، فإنَّ نفسَكَ مُتحرّكةٌ في طلبِ الكرامة، وربُّكَ يُطالبُكَ بالاستقامة.

* وقال الواسطي: الخصلةُ التي كملتْ بها المحاسنُ الاستقامة.

* وقال الجُنيد رضي الله عنه: لقيت شاباً من المُريدين في البادية تحت شجرةِ من أمّ غَيلان، فقلت: ما أجلسَكَ ها هنا؟ فقال: حالي افتقدتُهُ. فمضيتُ وتركتهُ، فلمَّا انصرفتُ من الحجِّ، إذا أنا بالشابِّ قد انتقلَ من موضعٍ قريبٍ من الشجرة، فقلت: ما جلوسُك هاهنا؟ فقال: وجدتُ ما كنتُ أطلبُهُ في هذا الموضع، فلزمته. قالَ الجُنيد: فلا أدري أيُّهما كانَ أشرفَ؛ لزومُهُ لافتقادِ حاله، أو لزومُهُ للموضعِ الذي نالَ فيه مُراده.

* وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: إنَّ الحرَّ الكريمَ يخرجُ من الدُّنيا قبلَ أن يُخرجَ منها.

* وقال أيضاً: لا تصحبْ إلاّ حراً كريماً يَسمعُ ولا يتكلَّم.

* وقيل: كان شابٌ يصحبُ الجُنيد، وكانَ يتكلَّمُ على خواطرِ الناس، فقال له الجنيد: أيشٍ هذا الذي ذُكر عنك؟ فقال للجُنيد: اعتقدْ شيئاً. فقال: اعتقدتُ. فقال: اعتقدتَ كذا وكذا. فقال الجُنيد: لا. فقال: اعتقدِ الثانيةَ. ففعل، فقال: اعتقدتَ كذا وكذا. فقال: لا. فقال: ثالثاً. ففعل، فقال مثله، فقال الشابُ: هذا عجبٌ، أنتَ صدوقٌ، وأنا أعرفُ

---

(١) في المطبوع: في المنزلة.

قلبي. فقالَ الجُنيد: صَدقتَ في الأُولى، والثانيةَ، والثالثة، ولكنّي أردتُ أن أمتحنَكَ، هل يتغيَّرُ قلبُكَ ؟

* ورُوي عن السَّريِّ أنَّهُ قال: كنتُ أطلبُ رجلاً صدِّيقاً مرةً من الأوقات، فمررتُ في بعضِ الجبال، فإذا أنا بجماعةٍ زمنى[1]، وعميان، ومرضى، فسألتُ عن حالهم، فقالوا: ههنا رجلٌ يخرجُ في السَّنةِ يَدعو لهم، فيجدونَ الشفاءَ، فصبرتُ حتى خرجَ، ودعا لهم، فوجدوا الشفاء، فقفوت أثرَهُ، وتعلَّقتُ به، وقلتُ: بي علَّةٌ باطنةٌ، فما دواؤها ؟ فقال: يا سريُّ، خلِّ عني، فإنَّهُ غيورٌ، لا يراكَ تُساكنُ غيرَه، فتسقطُ من عينه.

* وقيل: إنَّ إبراهيمَ بنَ أدهم قال لرجلٍ: تحبُّ أن تكونَ لله ولياً ؟ فقال: نعم. فقال: لا ترغبْ في شيءٍ من الدُّنيا والآخرة، وفرِّغْ نفسكَ لله، وأقبلْ بوجهك عليه ليُقْبِلَ عليك ويُواليك.

* وقال ابن السَّمَّاك[2] في وعظه: من أعرضَ عنِ الله بكلِّيته أعرضَ اللهُ عنه جملةً، ومن أقبل على اللهِ بقلبه، أقبلَ اللهُ برحمته عليه، وأقبلَ بجميعِ وجوه الخلقِ إليه، ومن كان مرَّةً ومرة، فاللهُ يرحمه وقتاً ووقتاً، أو كما قال.

* وقال الخرَّاز: إذا أرادَ اللهُ أن يُوالي عبداً من عبيده فتحَ عليه بابَ ذِكْرِه، فإذا استلذَّ الذِّكرَ فتحَ عليه بابَ القُربِ، ثمَّ رفعَهُ إلى مَجالسِ الأنس، ثم أجلسَهُ على كرسيِّ التَّوحيد، ثم رفعَ عنه الحجاب، وأدخلَه دارَ الفَردانية، وكشفَ له حجابَ الجلالِ والعَظمة، فإذا وقع بصرُهُ على الجلالِ والعظمة بقي بلا هو، فحينئذ صارَ العبدُ زمناً فانياً، فوقعَ في حفظِهِ سبحانه، وبرئَ من دَعاوى نفسه.

* وقال النُّوري: أمَّا القُربُ بالذَّاتِ، فتعالى المَلِكُ عنه، وأنَّهُ مُتقدِّسٌ عن الحدودِ والأقطار، والنهايةِ والمقدار، ما اتَّصلَ به مخلوقٌ، ولا انفصل عنه حادثٌ مسبوق، جلَّتِ الصمديَّةُ عن قبولِ الوصلِ والفصل، فقربٌ هو في نعته مُحال، وهو تداني الذَّوات، وقُربٌ

---

(١) زمنى: مقعدون.

(٢) ابن السماك محمد بن صبيح العجلي الزاهد القدوة، روى عن الأعمش وطائفة، وعظ هارون الرشيد، توفي سنة ١٨٣ هـ. طبقات المناوي ١/ ٤٣٣.

هو في نعتِهِ واجبٌ، وهو قربٌ بالعلم والرؤية، وقربٌ هو جائزٌ في وصفه، يخصُّ به من يشاءُ من عباده وهو قُربُ الفعلِ باللُّطفِ.

* وسئل سهلُ بن عبد الله عن ذاتِ الله فقال: ذاتُ الله موصوفةٌ بالعلم، غيرُ مُدرَكَةٍ بالإحاطة، ولا مَرئيةٍ بالأبصارِ في دارِ الدُّنيا، وهي موجودةٌ بحقائقِ الإيمان من غيرِ حدٍّ ولا إحاطةٍ ولا حُلولٍ، وتراه العيون في العُقبى ظاهراً في مُلكه وقدرتِهِ، قد حَجَبَ الخلقَ عن معرفة كُنْهِ ذاتِهِ، ودلَّهم عليه بآياته، فالقلوبُ تعرفُهُ، والعقولُ لا تُدركُهُ، ينظرُ إليه المؤمنون بالأبصارِ من غير إحاطةٍ ولا إدراكِ نهايةٍ.

* وسُئل ذو النون عن التوحيد، فقال: أن تعلمَ أنَّ قدرةَ الله في الأشياء بلا مزاجٍ، وصنعَهُ للأشياء بلا علاجٍ، وعلَّةُ كلِّ شيءٍ صنعُهُ، ولا علَّةَ لصنعه، ومهما تصوَّر في نفسك من شيءٍ فالله تعالىٰ بخلافه.

* وقال النُّوري: أعرفُ الناسِ بالله أشدُّهم تحيُّراً فيه.

* وأنشدَ بعضُهم:

وما احترتُ حتى اخترتُ حبَّكَ مَذهباً　　فواحيرتي إنْ لم تكنْ فيك حيرتي

* وقال ذو النون: علامةُ العارفِ ثلاثٌ: لا يُطفيءُ نورُ معرفته نورَ ورعِهِ، ولا يعتقدُ باطناً من العلم ينقضُ عليه ظاهراً من الحكم، ولا يحملهُ كثرةُ نِعَم الله على هتكِ أستارِ محارمِ الله.

* وقال رجلٌ للجنيد: مِنْ أهلِ المعرفة أقوامٌ يقولون بتركِ الحركاتِ من البرِّ والتَّقوى. قال الجُنيد: إنَّ هذا قولُ قومٍ تكلَّموا بإسقاطِ الأعمال، وهو عندي عظيم، والذي يزني ويسرقُ أحسنُ حالاً من الذي يقول هذا؛ فإنَّ العارفين بالله أخذوا الأعمالَ عن الله، وإلى اللهِ رجعوا فيها، ولو بقيتُ ألفَ عامٍ لم أَنقصْ من أعمالِ البرِّ ذرةً.

* وعن أبي الحسن المُزيِّنِ أنَّه قال لبعضِهم في النزع: قل لا إله إلاّ الله، فتبسَّمَ، وقال: إيايَ تعني ؟! وعزَّةِ من لا يذوقُ الموتَ، ما بيني وبينه إلاّ حجابُ العزَّة، وانطفى من ساعته.

وكان المزيِّنُ يأخذُ بلحيته ويقول: حجامٌ مثلي يلقِّنُ أولياءَ الله الشهادة! ؟ واخجلتاه منه. وكان يبكي إذا ذكرَ هذه الحكاية.

* وقيل: فتح عبدُ الله بنُ المبارك عينَه عند الوفاة وضحكَ، وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

* وقيل: دخلَ ابنُ عطاء[1] على الجُنيد، وهو يجودُ بنفسه، فسلَّمَ، فأَبطأَ في الجواب، ثم ردَّ وقال: اعذرني؛ فإني كنتُ في وردي، ثم مات.

وفي روايةٍ: قيل له: أفي مثلِ هذا الوقت؟ فقال: ومن أحوجُ منّي إلى ذلك، وها هو ذا تُطوى صحيفتي الآن.

* وعن أبي سعيد الخرّاز قال: تهتُ في البادية، فكنتُ أقول:

أَتيهُ فلا أدري من التِّيهِ مَنْ أنا	سِوى ما يَقولُ النّاسُ فيَّ وفي جنسي
أَتيهُ على جنِّ البلادِ وإنسِها	فإنْ لم أَجِدْ شخصاً أتيهُ على نفسي

قال: فسمعتُ هاتفاً يهتفُ بي ويقول:

أيا مَنْ يَرى الأسبابَ أَعلى وجودِهِ	ويفرحُ بالتِّيهِ الدَّنيِّ وبالأُنسِ
فلو كنتَ من أهلِ الوجودِ حقيقةً	لغبتَ عن الأكوانِ والعرشِ والكُرسي
وكنتَ بلا حالٍ مع اللهِ واقفاً	تُصانُ عن التَّذكارِ للجنِّ والأنسِ

* وقال رجلٌ لسهل بنِ عبد الله: أُريدُ أن أصحبَكَ يا أبا محمد. فقال: إذا ماتَ أحدُنا فمن يَصحبُ الباقي؟ فقال: الله. قال: فليصحبْهُ الآن.

* وقيل: كان إبراهيمُ بنُ أدهم إذا صحبَهُ أحدٌ شارطَهُ على ثلاثةِ أشياء: أن تكونَ الخدمةُ والأذان له، وأن تكونَ يدهُ في جميع ما يُفتحُ عليهم كيدِهِمْ. فقال له يوماً رجلٌ من أصحابه: أنا لا أقدرُ على هذا. فقال: أعجبني صدقُكَ.

* وعن إبراهيم بن شيبان، قال: كنّا لا نصحبُ من يقولُ نعلي. يعني من يخصُّ نفسَهُ بالمُلك.

---

(١) ابن عطاء أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي عارف ورع، وزاهد مجاهد، كان ذا ديانة ورتبة عالية، فكان يختم كل ليلة ختمة، صحب الجنيد، مات سنة تسع وثلاث مئة. وفي الأصل ابن عطاء الله. انظر طبقات المناوي ٢/ ٣٤.

* قلت: فهذه نبذةٌ من محاسنِ القوم ذكرناها في هذا الباب كراهةَ أن يخلو عن ذكرِهم هذا الكتاب، وهي بالنِّسبةِ إلى هذا الكتاب كثيرةٌ، وبالنسبةِ إلى محاسنهم يسيرةٌ، فهم صفوةُ الأمة، أربابُ العزائم والهمَّة، وأنشد بعضهم:

تخالفَ النَّاسُ في الصُّوفيِّ واختلفوا ... وكلُّهم قالَ قولاً غيرَ مَعروفِ
ولستُ أَمنحُ هذا الاسمَ غيرَ فتىً ... صافا فصُوفيَّ حتَّى سُمِّي الصُّوفي

* * *

الباب الثالث

في فضلِ الذَّاكرين، والذكر مُطلقاً، والحثّ عليه

اعلم أنَّ الأذكارَ عظيمةُ الفضائل، إلى نيلِ فضلِ الله من أفضل الوسائل، من أطال المواظبة عليها نالَ كلَّ نيلٍ طائل، قد تظاهرت في الدَّلالةِ على فضائلها قواطعُ الدلائلِ من الآياتِ الكريمات الصَّريحات، والأحاديثِ النَّبويات الصحيحات، وبلغتْ في الكثرةِ والشهرة مبلغاً يخرجُ عن حصرِ التعداد، ويُغني عن الاستشهاد؛ ولكنَّا نذكرُ شيئاً منها على سبيلِ التبرُّكِ بكلام الله تعالىٰ، وحديثِ رسول الله ﷺ، والتنبيهِ على سعةِ كرم الله سبحانه لمن يجهل، والتَّذكيرِ لمن يعلم، فإنَّ الذِّكرى تنفع المؤمنين، ونبدأ بآيات الكتاب المبين:

قال الله العظيم، أصدقُ القائلين: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ـ٤٢].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال سبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ـ١٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

والآيات في ذلك كثيرةٌ، وآيةٌ واحدةٌ تكفي من له بصيرة.

وأمّا الأحاديثُ فكثيرةٌ مُنتشرة، ونقتصرُ منها في هذا الباب على عشرةٍ:

الحديث الأول: روينا في صحيحي «البخاري» و«مسلم» عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإنْ ذكرني في نفسهِ ذكرتهُ في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأٍ ذكرتهُ في ملأٍ خيرٍ منهم»[1].

الحديث الثاني: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هُريرة أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفرِّدون» قالوا: وما المُفرِّدون يا رسول الله؟ قال: «الذَّاكرون الله كثيراً والذاكرات»[2].

الحديث الثالث: روينا في «كتاب الترمذي» عن أبي الدَّرداءِ رضي الله عنه، قال: قال

---

(١) رواه البخاري ١٣/٤٢٨ في التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، ومسلم (٢٦٧٥) في الذكر، باب الحث على ذكر الله تعالىٰ.

(٢) صحيح مسلم (٢٦٧٦) في الذكر، باب الحث على ذكر الله. وانظر شرح المفرِّدون صفحة ١٧٧.

رسول الله ﷺ: «ألا أُنبئُكم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليككم، وأرفعِها في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاقِ الذَّهبِ والوَرِق، وخيرٍ لكم من أن تلقوا عدوَّكم، فتضربوا أعناقَهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ذكرُ الله».

قال الحاكم أبو عبد الله في كتابه «المستدرك على الصحيحين»: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد[1].

الحديث الرابع: روينا في «كتاب الترمذي» أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ: أيُّ العبادِ أفضلُ [وأرفع] درجةً عند الله تعالىٰ يوم القيامة؟ قال: «الذَّاكرونَ الله كثيراً» قلت: يا رسولَ الله، ومِنَ الغازي في سبيل الله عزَّ وجلَّ؟ قال: «لو ضربَ بسيفهِ في الكفَّارِ والمشركين حتى ينكسرَ، ويختضِبَ دماً لكانَ الذَّاكرونَ الله تعالىٰ أفضلَ منه»[2].

الحديث الخامس: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هُريرة، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَقعدُ قومٌ يَذكرونَ الله تعالىٰ إلاَّ حفَّتْهُم الملائكةُ، وغَشيتهم الرَّحمةُ، ونزلتْ عليهم السَّكينةُ، وذكرَهُم اللهُ فيمن عنده»[3].

الحديث السادس: روينا في «صحيح مسلم» أيضاً عن معاويةَ رضي الله عنه أنَّه قال: خرجَ رسول الله ﷺ على حَلْقَةٍ من أصحابِهِ فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكرُ الله تعالىٰ، ونحمدُه على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا، قال: «آلله ما أجلسَكُم إلاَّ ذاك؟» [قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال:] «أمَا إنِّي لم أستحلفْكم تُهمَةً لكم، [ولكنَّهُ] أتاني جبريل فأخبرني أنَّ الله تعالىٰ يُباهي بكم الملائكة»[4].

الحديث السابع: روينا في الصَّحيحين عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله تعالىٰ ملائكةً يَطوفونَ في الطُّرقِ يَلتمسونَ أهلَ الذِّكر، فإذا وجدوا

---

(١) رواه الترمذي مرفوعاً (٣٣٧٤) في الدعوات، باب (٦) والحاكم في المستدرك ١/ ٦٧٣.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٣) في الدعوات، باب (٥) وفيه: «ويختضب دماً، فإن الذاكر لله أفضل درجةً».

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٠) في الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، عن الأغر قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقعد..».

(٤) رواه مسلم (٢٧٠١) في الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن. وما بين معقوفين مستدرك منه.

قوماً يذكرونَ اللهَ عزَّ وجلَّ تنادَوْا: هلمُّوا إلى حاجاتكم. فيحفُّونَهم بأجنحتهم إلى السماءِ الدُّنيا، فيسألُهُم ربُّهم وهو أعلمُ بهم: ما يقولُ عبادي ؟ قال: يقولون: يسبِّحونَك ويكبِّرونك ويحمدُونك ويمجِّدونك. فيقول: هل رأوني ؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني ؟ قالَ: يقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ تمجيداً، وأكثرَ لك تسبيحاً. فيقول: فما يَسألون ؟ قال: يقولون: يسألونَكَ الجنَّة. قال: يقول: هل رأوها ؟ قال: يقولون: لا واللهِ يا ربِّ ما رأوها. يقول: كيف لو رأوها ؟ قال: يقولون: لو أنَّهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً، وأشدَّ لها طلباً، وأعظمَ فيها رغبةً. قال: يقول: فممَّ يتعوَّذون ؟ قال: يقولون: يتعوَّذون من النار. قال: فيقول: وهل رأوها ؟ قال: يقولون: لا واللهِ ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها ؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً، وأشدَّ لها مخافةً. قال: فيقول: فأُشهدُكم أنِّي قد غفرتُ لهم. قال: يقول ملكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنَّما جاءَ لحاجةٍ. قال: هم الجلساء لا يَشقى جليسُهم».

وفي روايةٍ لمسلم نحوٌ من هذا، قال في آخر ذلك: «يقولون يا ربَّنا فيهم فلانٌ عبدٌ خطَّاء، إنَّما مرَّ فجلسَ معهم. فيقول: وله قد غفرتُ، هم القومُ لا يشقى جليسهم»[1].

الحديث الثامن: روينا في «كتاب الترمذي» عن عبد الله بن بُسْر ـ بضم الباء الموحدة، وإسكان المهملة ـ الصَّحابي رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، إنَّ شرائعَ الإسلام قد كثرتْ عليَّ، [وأنا قد كبرت] فأخبرني بشيءٍ أتشبَّثُ به [ولا تكثر عليَّ فأنسى]. قال: «لا يزالُ لسانُكَ رطباً بذكرِ الله تعالىٰ»[2]. قال الترمذي: حديثٌ حسن.

الحديث التاسع: روينا في «صحيح البخاري» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَثَلُ الذي يذكرُ ربَّه والذي لا يذكرُ [ربَّهُ] مثلُ الحيِّ والميِّت».

وروينا في «صحيح مسلم»: «مَثَلُ البيتِ الذي يُذكرُ اللهُ فيه والبيتِ الذي لا يُذكرُ الله فيه مَثَلُ الحيِّ والميت»[3].

---

(١) رواه البخاري ١١/ ١٧٧ في الدعوات، باب فضل ذكر الله، ومسلم (٢٦٨٩) في الذكر، باب فضل مجالس الذكر.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٢) في الدعوات، باب فضل الذكر، وإسناده صحيح.

(٣) رواه البخاري ١١/ ١٧٥ في الدعوات، باب فضل ذكر الله عزَّ وجلَّ، ومسلم (٧٧٩) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته.

الحديث العاشر: روينا في «كتاب الترمذي» عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلَّى الفجرَ في جماعةٍ، ثم قعدَ يذكرُ الله تعالىٰ حتَّى تطلُعَ الشَّمسُ، ثم صلَّى ركعتين، كانتْ له كأجرِ حجَّةٍ وعمرةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ تامَّة». قال الترمذي: حديث حسن[1].

* قال الإمام أبو محمد البغوي في «شرح السنة»: قال علقمةُ بنُ قيس: بلغنا أَنَّ الأرضَ تعجُّ[2]. إلى الله تعالىٰ من نومةِ العالم بعد صلاةِ الصُّبح.

* وقال الأُستاذ أبو عليٍّ الدَّقاق رضي الله عنه: الذِّكرُ منشورُ الولاية[3]، فمن وفِّقَ للذِّكرِ فقد أُعطي المنشورَ، ومن سُلب الذِّكر فقد عُزل.

* وقيل إنَّ الشِّبليَّ كان في ابتداءِ أمره ينزلُ كلَّ يوم سَرَبا[4]، ويحملُ مع نفسه حزمةً من القضبان، فكان إذا دخلَ قلبَه غفلةٌ، ضربَ نفسَه بتلك الخشبةِ حتّى يكسرَها على نفسه، وربَّما كانتِ الحزمةُ تفنى قبل أن يُمسي، فكان يضربُ بيديه ورجليه على الحائط.

* وقال بعضُهم: ذكرُ الله في القلب سيفُ المريدين، به يُقاتلون أعداءهم، وبه يَدفعون الآفاتِ التي تقصدهم.

* وسُئل الواسطي عن الذِّكرِ، فقال: الخروجُ عن ميدان الغفلة إلى فضاءِ المُشاهدة على غلبةِ الخوفِ وشدَّةِ الحبِّ.

* وقال ذو النُّون المصري: مَنْ ذكرَ الله تعالىٰ على الحقيقةِ نسي في جَنْبِ ذكرِهِ كلَّ شيءٍ، وحفظَ اللهُ عليه كلَّ شيءٍ، وكان له عِوضاً عن كلِّ شيءٍ.

* وسُئل الشيخ أبو عثمان، فقيل له: نذكرُ اللهَ، ولا نجدُ في قلوبنا حلاوةً. فقال: احمدوا الله على أن زيَّنَ جارحةً من جوارحكم بطاعته.

---

(١) رواه الترمذي (٥٨٦) في الصلاة، باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس.
(٢) في هامش (أ): تعجُّ: ترفع صوتها بالاستغاثة.
(٣) في هامش (أ): أي الأعلام.
(٤) السَّرَب: البيت أو الحفير تحت الأرض. متن اللغة (سرب).

* وقال حامد الأسود: كنتُ مع إبراهيم الخواص في سفرٍ، فجئنا إلى موضعٍ فيه حيَّاتٌ كثيرة، فوضعَ ركوتَهُ وجلس، وجلستُ، فلمَّا بردَ اللَّيلُ وبردَ الهواء خرجتِ الحيَّاتُ، فصحتُ بالشيخ، فقال: اذكرِ الله. فذكرتُ فرجعت، ثم عادتْ، فصحتُ به، فقال مثل ذلك، ولم أزلْ إلى الصَّباح في مثل تلك الحالة، فلمَّا أصبحنا قامَ ومشى ومشيت معه، فسقطَ من وطائه حيةٌ عظيمةٌ، وقد تطوّقت، فقلت: ما أحسست بها ؟! فقال: لا، منذ زمانٍ ما بتُّ أطيبَ من البارحة.

* وقال بعضهم: إذا تمكَّنَ الذِّكرُ من القلب، فإن دنا منه الشَّيطانُ صُرِعَ كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمعُ عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا ؟ فيُقال: قد مسَّه الإنسُ.

* قلت: طالعتُ في بعضِ الأيام كتاباً لبعض المشايخ، وهو يقول في كلامه: لن تسلمَ من الشَّيطانِ ووسوسته، وإلقائه، ونفثه إلاّ برجوعِكَ إلى من هو أقربُ إليك منه، وهو الله تعالىٰ، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ثم نمتُ، فرأيت رؤيا طويلةً مَضمونها: كأنَّ الشيطانَ تصوَّرَ لي في أقبح صورةٍ لا تضبطها العبارةُ، ودنا منّي، وتواقحَ عليَّ، فأُلهمتُ في نومي بعضَ الأذكار والتَّعويذ، فكنتُ أتعوَّذُ وهو يذوبُ ويضمحلُّ من أسفله حتى لم يبقَ إلاّ رأسُهُ في الهواء، فحملتُ عليه، وقلتُ: بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء وهو السميع العليم، فذهبَ رأسُهُ، فإذا قائلٌ آخرُ يقول لي: قم كم تنام ـ وأشكُّ هل أمرني مع ذلك أن أُصلّي.

* ونمتُ مرَّةً في ثاني يومٍ من رمضان المعظَّم يوم الاثنينِ المُبارك في مسجدِ رسول الله ﷺ المُشرَّف، بعد أنْ قلتُ: بسم الله على نفسي وديني، وعلى كلِّ ما أعطاني ربِّي، وأشكُّ هل قلتُ مع ذلك: أستودعُ الله ديني، وأمانتي، وخواتيمَ عملي، تحصَّنتُ بالحيِّ القيّومِ الذي لا يَموتُ أبداً، ودفعتُ عنّي السُّوءَ بلا حولَ ولا قوَّةَ إلاّ بالله العليِّ العظيم، فرأيتُ كأنَّ شخصاً أتاني، وقال لي: أردتُ أن أسلبَكَ كذا وكذا. وذكرَ بعضَ نعمِ الله تعالىٰ، قال: فقيل لي: لا سبيلَ إلى ذلك، فقلتُ له: وهل عندي شيءٌ يُسلب ؟ فقال: نعم. ثم قال: السَّلبُ سلبان: سلبُ الإيمان، وسلبُ غيره، وفهمتُ منه أنَّ الذي أرادَ سلبَه منّي غيرَ الإيمان من النِّعم الدينية، فلما انتبهتُ، فهمتُ أنَّ دفعَ السُّوءِ حَصلَ

تصديقاً لحديث: «بسمِ الله على نفسي» الآتي ذكرهُ بعد إنْ شاءَ الله تعالىٰ[1].

* وحكى لي بعضُ الإخوان الصَّالحين الذَّاكرين، وكان في بعض البراري، قال: غضبتُ على نفسي يوماً، فقلتُ: اليومَ أرميك في المهالك. وكنتُ في موضعٍ قريبٍ من الأسود، فجئتُ واضطجعتُ بين شبلين صغيرين، ثم أقبل أبوهما بعد ساعةٍ، وهو حاملٌ في فيه لحماً، فلمَّا رآني وضعه من فيه، وجلسَ بعيداً مني، ثم أقبلتْ أُمُّهما وهي حاملةٌ لحماً أيضاً، فلمَّا رآتني صاحت، ورمتِ اللَّحمَ، وحملتْ عليَّ، فتلقَّاها الأسدُ بيده، ومنعها، فجلستُ ولم يتحرَّكا، فمكثنا ساعةً، ثم جاءَ الأسدُ أبوهما يمشي قليلاً قليلاً، فأخذهما بلطفٍ، ورماهما إلى أُمِّهما واحداً بعد واحدٍ، وهذا الأخُ المذكورُ من الذَّاكرين الله كثيراً، الصَّادقين المجرّدين، وهذا من عجيب لطفِ صُنعِ الله تعالىٰ بأهلِ طاعته وذكرِه.

* وقال بعضهم: ذكرتُ الله تعالىٰ ثلاثينَ سنةً، فكنتُ أسمعُ الذِّكرَ عشر سنين من لساني، وعشرَ سنين من قلبي، وعشر سنين من الكون.

* وقال الجَريري رضي الله عنه: كان بين أصحابنا رجلٌ يُكثرُ أن يقول: الله الله، فوقعَ يوماً على رأسِهِ جذعٌ، فانشجَّ رأسُهُ، ووقع الدَّمُ، فانكتَبَ على الأرض: الله الله.

* وقال بعضُهم: لو خرجَ منّي نَفَسٌ بغيرِ ذكرِ الله، ذبحتُ نفسي.

* وقال الكتَّاني رضي الله عنه: لولا أَنَّ ذِكْرَهُ فرضٌ عليَّ لما ذكرته إجلالاً له، مثلي يذكرُهُ ولم يغسلْ فمهُ بألفِ توبةٍ مُتقبَّلةٍ عن ذكره!

* وأنشدَ بعضُهم:

ما إنْ ذكرتُكَ إلاّ هَمَّ يَلعنني[2] قلبي وسرِّي وروحي عند ذِكراكا
حتّى كأنَّ رقيباً منكَ يهتفُ بي إيّاكَ ويحكَ والتَّذكارَ إيّاكا

* وأنشد آخر:

ما إنْ ذكرتُكُمُ إلاَّ نَسيتُكمُ نسيانَ إجلالِ لا نِسيانَ إهمالِ

---

(1) انظر صفحة ٢٠٩.

(2) كذا في (أ) والمطبوع، وفي (ب): يعلني. ولعلَّ الصواب يتبعني.

وإذا تذكَّرتُ من أنتم وكيفَ أنا　　أجللتُ ذِكرَكمُ يَجري على بالي

* وأنشدَ بعضُهم:

عجبتُ لمن يقولُ ذَكرتُ ربِّي　　وهل أنسى فأذكرُ ما نَسيتُ

شربتُ الحبَّ كأساً بعدَ كأسٍ　　فما نَفِدَ الشَّرابُ ولا رويتُ

* وأنشدَ الشِّبليُّ رضي الله عنه:

ذكرتُكَ لا أنّي نَسيتُكَ لمحةً　　وأيسرُ ما في الذِّكرِ ذكرُ لساني

وكدتُ بلا وجدٍ أموتُ من الهوى　　وهامَ عليَّ القلبُ بالخفقانِ

فلمَّا أراني الوجدُ أنَّكَ حاضري　　شهدتُكَ موجوداً بكلِّ مكانِ

فخاطبتُ موجوداً بغيرِ تكلُّمٍ　　ولاحظتُ معلوماً بغيرِ عَيانِ

* وأنشد ذو النُّون المصري رضي الله عنه:

ولا عيشَ إلاّ معْ رجالٍ قلوبُهم　　تحنُّ إلى التَّقوى وتَرتاحُ للذِّكرِ

* وقال رُويمٌ رضي الله عنه: حضرتُ وفاة أبي سعيد الخرّاز رضي الله عنه، وهو يقول:

حنينُ قلوبِ العاشقين إلى الذِّكرِ　　وتَذكارُهُم عند المُناجاةِ للسرِّ

أُديرتْ كؤوسٌ للمنايا عليهُمُ　　فأغفوا عن الدُّنيا كإغفاءِ ذي السُّكْرِ

همومُهُمُ جوّالةٌ بمُعَسْكرٍ　　به أهلُ ودِّ اللهِ كالأنجمِ الزُّهرِ

فأجسامُهم في الأرضِ قتلى بحبِّهِ　　وأرواحُهم في الحُجْبِ نحو العُلى تَسري

فما عرَّسُوا إلاّ بقُربِ حبيبِهم[1]　　وما عَرَّجوا عن مسِّ بؤسٍ ولا ضرِّ

* وقيل للأستاذ أبي القاسم الجُنيد رضي الله عنه: إنَّ أبا سعيد الخرَّاز كان كثيرَ التَّواجدِ عند الموت. فقال: لم يكن بعجيبٍ أنْ تطيرَ روحُهُ اشتياقاً.

---

(١) في المطبوع: فما عرَّسوا إلاّ بذكر.

* وقال بعضهم: وُصف لي ذاكرٌ في أَجَمَةٍ، فبينا هو جالسٌ إذا سَبُعٌ عظيمٌ ضربه ضربةً، فاستلبَ منه قطعةً، فغُشي عليه وعليَّ، فلمَّا أفقتُ قلتُ له: ما هذا؟ فقال: قيَّضَ اللهُ هذا السَّبُعَ عليَّ، فكلَّما داخلتني فترةٌ، عضَّني كما رأيت.

* وقال الأستاذ أبو القاسم القُشيري[1] رضي الله عنه: الذِّكرُ ركنٌ قويٌّ في طريقِ الله سبحانه، بل هو العُمدةُ في هذا الطريق، ولا يصلُ أحدٌ إلى الله إلاَّ بدوامِ الذِّكر.

* قلت: أقوالُ المشايخِ في ذلك كثيرةٌ، وكذلك الأخبارُ والآثار، ومَيلُنا إلى الاختصار.

واختلفَ العلماءُ بماذا يصيرُ الإنسان من الذَّاكرين الله كثيراً:

* فروينا عن الإمامِ أبي الحسنِ الواحدي[2] رضي الله عنه، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: إذا ذَكَرَ اللهَ في أدبارِ الصَّلوات، وغدوًّا، وعشياً، وفي المضاجع، وكلَّما استيقظَ من نومِهِ، وكلَّما غدا أو راح من منزله.

* قال: وقال مُجاهد[3]: لا يكونُ من الذَّاكرين اللهَ كثيراً حتى يذكرَ اللهَ تعالىٰ قائماً وقاعداً ومُضطجعاً.

* وسُئل الشيخ الإمام أبو عَمرِو بن الصلاح[4] عن القدْرِ الذي يَصيرُ به من الذَّاكرين الله كثيراً، فقال: إذا واظبَ على الأذكارِ المأثورةِ المُثبتة صباحاً ومساءً، في الأوقات والأحوال المختلفة، ليلاً ونهاراً، وهي مُبيَّنةٌ في كتاب «عمل اليوم والليلة» كان من الذَّاكرين اللهَ كثيراً، والله أعلمُ.

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٤٥، باب الذكر.

(٢) الواحدي علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن، مفسر عالم بالأدب، نعته الذهبي: بإمام علماء التأويل، له كتاب البسيط والوجيز والوسيط كلها في التفسير، وشرح ديوان المتنبي، وأسباب النزول، مات سنة ٤٦٨ هـ.

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي (٢١-١٠٤هـ) تابعي مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس ثلاث مرات.

(٤) عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان الشهرزوري الكردي أبو عمرو (٥٧٧-٦٤٣ هـ) أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه، انتقل في البلاد حتى حلَّ في دمشق، فتولى التدريس في دار الحديث، له كتاب معرفة أنواع علم الحديث يعرف بمقدمة ابن الصلاح وغيره.

* واختلفوا في قوله ﷺ: «سبقَ المفرِّدون» الحديث المتقدّم[١]:

فقال ابنُ الأعرابي[٢]: يُقال فرّد الرَّجلُ بتشديد الرَّاء، إذا تفقَّهَ واعتزلَ الناس، وخلا بنفسِهِ وحده، مُراعياً لأمرِ الله ونهيه.

وقال ابنُ قُتيبة[٣]: هم الذين هُتكت لذَّاتهم من الناس، أو قال: هم الذينَ هَلَكَ أقرانُهم من النَّاس، وبقوا هم يَذكرون الله.

وقال الأزهريُّ[٤]: هم المتخلّون عن النَّاس بذكرِ الله، لا يخلطون به غيرَه، وقيل غير ذلك.

وقد تقدَّم في الحديثِ الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «هم الذَّاكرونَ اللهَ كثيراً والذَّاكرات»[٥].

* * *

(١) تقدم صفحة: (١٦٩).

(٢) ابن الأعرابي محمد بن زياد (١٥٠ـ٢٣١ هـ). راوية نسَّابة علاَّمة باللغة، من أهل الكوفة، كان أحول، وكان له مجلس يجيب عمَّا يُسأل دون كتاب، ولم ير أحد في الشعر أغزر منه، له تصانيف كثيرة منها: أسماء الخيل وفرسانها، النوادر...

(٣) ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (٢١٣ـ٢٧٦ هـ) من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين، سكن الكوفة، وولي قضاء دينور، وتوفي ببغداد، من كتبه: الشعر والشعراء، الإمامة والسياسة، المعارف، كتاب المعاني.

(٤) محمد بن أحمد الأزهري الهروي (٢٨٢ـ٣٧٠ هـ) أحد أئمة اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان، عني بالفقه، ثم غلب عليه التبحر بالعربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل، من كتبه: تهذيب اللغة.

(٥) انظر الصفحة: (١٦٩).

الباب الرابع

في فضل تلاوة القرآن، وأهلِه العاملين به

قال الله تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

[آل عمران: ١١٣ـ١١٤].

والآياتُ في ذلك كثيرة.

وأمّا الأحاديث فلا يُمكنُ استيفاؤها، ونقتصرُ منها على أحاديثَ يسيرةٍ، وهي عشرونَ حديثاً في هذا الباب، يُستدلُّ بها على سعةِ الفضلِ والثَّواب:

الحديث الأول: روينا في الصَّحيحين[١] عن أبي أمامة[٢] رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآنَ؛ فإنَّه يأتي يومَ القيامة شفيعاً لأصحابه».

الحديث الثاني: روينا في «صحيح مسلم» أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يُؤتى يومَ القيامة بالقرآنِ وأهلِهِ الذين كانوا يَعملون به في الدُّنيا، تَقْدُمُهُ سورةُ البقرة، وآل عمران، تحاجّان عن صاحبهما»[٣].

الحديث الثالث: روينا في الصَّحيحين عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الذي يقرأُ القرآنَ وهو ماهرٌ به مع السَّفرةِ[٤] الكِرامِ البَرَرة، والذي يقرأُ

---

(١) الحديث رواه مسلم فقط (٨٠٤) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن.

(٢) في الأصول والمطبوع أبي هريرة، والمثبت من صحيح مسلم.

(٣) رواه مسلم (٨٠٥) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، والمؤلف ذكر الحديث مختصراً.

(٤) السفرة هم الملائكة، جمع سافر، والسافر في الأصل الكاتب، سُمّي به لأنه يبين الشيء ويوضحه. النهاية (سفر).

القرآن ويَتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ له أجران»[1].

الحديث الرابع: روينا في «كتاب الترمذي» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتابِ الله فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالها، لا أقولُ ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف»[2]. قال الترمذي: حديث حسنٌ صحيح.

الحديث الخامس: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «يُقال لصاحبِ القرآن: اقرأ وارقَ[3]، ورتِّلْ كما كُنتَ تُرتِّلُ في الدنيا، فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرأ»[4]. قال الترمذيُّ: حديثٌ حسن صحيح.

الحديث السادس: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» أيضاً عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضتْ عليَّ أجورُ أُمَّتي، حتى القَذاةَ يُخرجُها الرَّجلُ من المسجد، وعُرِضتْ عليَّ ذنوبُ أُمَّتي، فلم أرَ ذنباً أعظمَ من سورةٍ من القرآن أو آيةٍ أُوتيها رجلٌ ثم نَسيها»[5].

الحديث السابع: روينا في «سنن أبي داود» و«مسند الدَّارمي» عن سعد بنِ عُبادة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «من قرأ القرآنَ ثم نَسيه، لقي الله تعالىٰ يومَ القيامة أجذم»[6].

---

(١) رواه البخاري ٨/ ٥٣٢ في تفسير سورة عبس، ومسلم (٧٩٨) في صلاة المسافرين، باب فضل الماهر بالقرآن.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩١٢) في ثواب القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن. وفي (أ): عن مسعود، وفي المطبوع: عن أبي مسعود.

(٣) في (أ): وارتق.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩١٥) في ثواب القرآن، باب (١٧) وأبو داود (١٤٦٤) في الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة.

(٥) رواه الترمذي (٢٩١٧) في ثواب القرآن، باب ما تقرب العبد بمثل القرآن، وأبو داود (٤٦١) في الصلاة، باب في كنس المسجد.

(٦) رواه أبو داود (١٤٧٤) في الصلاة، باب التشديد فيمن حفظ القرآن، وإسناده ضعيف، والدارمي ٢/ ٥٢٩ (٣٣٤٠) وكلاهما بلفظ: «ما من امرئ يقرأ القرآن. . .».

الحديث الثامن: روينا في «صحيح البخاري» عن أبي سعيد رافعِ بن المُعلّى[1] رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «ألاَ أُعلِّمُكَ أعظمَ سورةٍ من القرآن قبل أن تَخرجَ من المسجد؟» فأخذ بيدي، فلمّا أَردنا أن نخرجَ، قلتُ: يا رسول الله، إنّك قلتَ لأعلّمنّكَ أعظمَ سورةٍ من القرآن، قال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي السَّبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيتُه»[2].

الحديث التاسع: روينا في «صحيح البخاري» أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: «والذي نفسي بيده، إنّها لتعدِلُ ثُلثَ القرآن»[3].

وروينا في «صحيح مسلم» نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه[4].

الحديث العاشر: عن أنسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، إنّي أُحبُّ هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: «إنَّ حبَّها أدخلَكَ الجنة».

رويناه في «كتاب الترمذي» وقال: حديث حسن. ورواه البخاري في «صحيحه» تعليقاً[5].

الحديث الحادي عشر: روينا في «صحيح مسلم» عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ألم تر آياتٍ أُنزلَتْ عليَّ هذه الليلة، لم يُرَ مثلُهنَّ قطُّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[6].

= والأجذم: المقطوع اليد.

(١) قال الحافظ في فتح الباري: وليس لأبي سعيد في البخاري سوى هذا الحديث، واختلف في اسمه فقيل رافع، وقيل الحارث، وقيل أوس.

(٢) رواه البخاري ٧/ ١١٩ في تفسير سورة فاتحة الكتاب، باب ما جاء في فاتحة الكتاب.

(٣) رواه البخاري ٩/ ٥٣، في فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(٤) رواه مسلم (٨١٢) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(٥) ذكره البخاري تعليقاً (٧٤١) في صفة الصلاة، باب الجمع بين سورتين في الركعة، والترمذي (٢٩٠٣) في ثواب القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص.

(٦) رواه مسلم (٨١٤) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين.

الحديث الثاني عشر: روينا في «صحيح مسلم» أيضاً عن أُبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المُنذر، أتدري أيَّ آيةٍ من كتابِ الله أعظمَ معك؟» قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ فضربَ في صدري، وقال: «ليهنيكَ العلمُ يا أبا المنذر»(١).

الحديث الثالث عشر: روينا في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وكَّلني رسولُ الله ﷺ بحفظِ زكاةِ رمضان، فأتاني آتٍ، فجعلَ يَحثو من الطَّعام، فأخذتُهُ، فقلتُ: لأرفعنَّكَ إلى رسولِ الله ﷺ. فقال: إنِّي مُحتاجٌ، وعليَّ عيال، وبي حاجةٌ شديدة. فخلّيتُ عنه، فأصبحتُ، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعلَ أسيرُكَ البارحة؟» فقلتُ: يا رسول الله، شكا حاجةً وعيالاً، فرحمتُهُ، وخلّيتُ سبيلَه. قال: «أما إنَّه قد كَذَبَكَ وسيعود» فعرفتُ أنَّهُ سيعود لقولِ رسولِ الله ﷺ، فرصدتُهُ، فجعلَ يَحثو من الطَّعام، [فأخذته] وقلت: لأرفعنَّكَ إلى رسولِ لله ﷺ. قال: دعني، فإنِّي مُحتاجٌ، وذكرَ مثلَ الذي تقدَّمَ من قوله، ومن قولِ النبيِّ ﷺ إلى أن تكرَّرَ ذلكَ في ثلاثِ ليال، قال في آخرها: تزعمُ أنَّك لا تعودُ ثم تعود! فقال: دعني، فإنِّي أُعلِّمُكَ كلماتٍ يَنفعُكَ اللهُ بها. قلت: ما هنَّ؟ قال: إذا أويتَ إلى فراشِكَ، فاقرأ آيةَ الكُرسيِّ، فإنَّه لن يزالَ عليك من اللهِ حافظٌ، ولا يقربُكَ شيطانٌ حتَّى تُصبح، فخلّيتُ سبيلَه، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «ما فعلَ أسيرُكَ؟» قلت: يا رسول الله، زعمَ أنَّهُ يُعلّمني كلماتٍ يَنفعني اللهُ بها، فخلّيتُ سبيله. قال: «وما هي؟» قلت: قال: إذا أويتَ إلى فراشِكَ وذكر الذي قاله، فقال النبيُّ ﷺ: «أما إنَّهُ قد صدَقَكَ وهو كذوب، تَعلمُ من تُخاطبُ منذ ثلاثٍ يا أبا هريرة؟» قلت: لا. قال: «ذاك شيطان»(٢).

الحديث الرابع عشر: روينا في الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري البدري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «من قرأ بالآيتين من آخرِ سُورةِ البقرة في ليلةٍ كفتَاه»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٨١٠) في صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي.

(٢) ذكره البخاري تعليقاً ٤/٣٩٦ في الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز.

(٣) رواه البخاري ٩/٥٠ في فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، ومسلم (٨٠٨) في صلاة المسافرين، باب فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة.

اختلف العلماء في معنى «كفتاه» قيل: كفتاه من الآفات في ليلته. وقيل: كفتاه من قيامِ ليلته. قال الإمام النواوي رضي الله عنه: ويجوز أن يُرادَ به الأمران.

الحديثُ الخامس عشر: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتَكُم مقابرَ، إنَّ الشَّيطانَ ينفرُ من البيتِ الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»[1].

الحديث السادس عشر: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مِنَ القرآنِ سورةٌ ثلاثونَ آيةً شفعتْ لرجلٍ حتَّى غُفر له، وهي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[2]. قال الترمذي: حديث حسن. وفي رواية أبي داود: «تشفع [لصاحبها]».

الحديث السابع عشر: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلونَ كتابَ الله ويَتَدارسونَه بينهم إلاَّ نزلتْ عليهم السَّكينةُ، وغَشيتهُم الرَّحمةُ وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرَهُم اللهُ فيمن عنده»[3].

الحديث الثامن عشر: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» و«النسائي» عن عبد الله بن خُبيب ـ بضم الخاء المعجمة ـ رضي الله عنه قال: خرجنا في ليلةِ مطرٍ وظُلمةٍ شديدةٍ نطلبُ النبيَّ ﷺ ليُصلّي لنا، فأدركناه، فقال: [«أصليتم ؟» فلم أقل شيئاً، فقال:] «قل»[4]. فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل» قلت: يا رسولَ الله، ما أقول ؟ قال: «قل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تُمسي وحين تُصبح ثلاثَ مرّات تكفيكَ من كلِّ شيءٍ»[5]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

---

(١) رواه مسلم (٧٨٠) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته.

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩٣) في ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، وأبو داود (١٤٠٠) في الصلاة، باب في عدد الآي.

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن.

(٤) في الأصلين: فلم أقل شيئاً ثم قال: «قل» مكررة.

(٥) رواه الترمذي (٣٥٧٠) في الدعوات، باب (١٢٧)، وأبو داود (٥٠٨٢) في الأدب، باب في التسبيح عند النوم، وما بين معقوفين مستدرك منه، والنسائي ٨/ ٢٥٠، في الاستعاذة، باب في فاتحته.

الحديث التاسع عشر: روينا في الكتبِ الثلاثة المذكورةِ قبله عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه قال: أمرني رسولُ الله ﷺ أن أقرأ بالمعوّذتين دُبرَ كلِّ صلاةٍ[1].

وفي رواية أبي داود: «بالمعوذات» فينبغي أن يضاف إليهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

الحديث العشرون: روينا في «الصحيحين» عن عائشةَ رضي الله عنها، أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أوى إلى فِراشِهِ كلَّ ليلةٍ جمعَ كفَّيه، ثم نفثَ فيهما، فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم مسحَ بهما ما استطاعَ من جسده، يبدأ بهما على رأسِهِ ووجهه، وما أقبلَ من جسده، ويفعلُ ذلك ثلاثَ مرّاتٍ[2].

قال أهل اللغة: النفث نفخٌ لطيفٌ بلا ريق.

* قلتُ: وقد روى الأئمةُ أحاديثَ كثيرةً في قراءةِ سورٍ في اليوم والليلة: منها: يس، وتبارك الملك، والدخان، والواقعة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ: «من قرأ يس في يومٍ وليلةٍ ابتغاءَ وجه الله تعالىٰ غُفر له»[3].

* وفي روايةٍ له، «من قرأ سورة الدخان في ليلةٍ أصبحَ مغفوراً له»[4].

* وفي روايةٍ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة في كلِّ ليلةٍ لم تُصبْه فاقةٌ»[5].

* وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ لا ينامُ كلَّ ليلةٍ حتى يقرأ ﴿الم تَنزيلُ﴾، وتبارك الملك[6].

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٠٤) في ثواب القرآن، باب ما جاء في المعوذتين، وأبو داود (١٤٦٢) في الصلاة، باب في المعوذتين، والنسائي ٢/ ١٥٨ في افتتاح الصلاة، باب القراءة في الصبح بالمعوذتين.

(٢) رواه البخاري ٩/ ٥٦ في فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، ومسلم (٢١٩٢) في السلام، باب رقية المريض.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه ٦/ ٣١٢، والدارمي ٢/ ٥٤٩ والطبراني في المعجم الأوسط ٤/ ٢١، والصغير ١/ ٢٥٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٧٩.

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده: ١١/ ١٠٥ (٦٢٣٢).

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٩٢ (٢٥٠٠).

(٦) رواه الترمذي (٢٨٩٤) في ثواب القرآن، باب ماجاء في فضل سورة تبارك.

* وفي روايةِ أبي هريرة رضي الله عنه: «من قرأ في ليلةٍ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ كانت له كعدلِ نصفِ القرآن، ومن قرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ كانت له كعدلِ ربعِ القرآن، ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ كانت له كعدلِ ثُلث القرآن»[١].

* وفي رواية: «من قرأ آيةَ الكُرسي، وأوّلَ حم، عُصم ذلك اليوم من كلِّ سوءٍ»[٢].

* وروينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» أنَّه كان ﷺ يقرأُ المُسبّحات[٣] قبل أن يرقد[٤]. قال الترمذي: حديث حسن.

* وروينا عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا ينامُ حتَّى يقرأ بني إسرائيل[٥] والزُّمر[٦]. قال الترمذيُّ: حديث حسن.

* وروينا فيهما أيضاً عن نوفل الأشجعيِّ رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ثم نم على خاتمتها؛ فإنَّها براءةٌ من الشِّرك»[٧].

* وروى الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود[٨] بإسنادِهِ عن عليٍّ رضي الله عنه، قالَ: ما كنتُ أرى أحداً يعقلُ ينامُ قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة[٩]. إسنادُهُ صحيحٌ على شرطِ البُخاري ومسلم.

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (٢٨٩٦) في ثواب القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت.

(٢) رواه ابن كثير في التفسير ٤/ ٧٠ أول سورة المؤمن، وبنحوه الترمذي (٢٨٧٩).

(٣) المسبحات: هي السور التي في أولها: ﴿سبّح لله﴾ أو ﴿يسبح لله﴾ أو ﴿سبح اسم ربّك﴾ جامع الأصول ٤/ ٢٦٥ (٢٢٥٣).

(٤) رواه الترمذي (٣٤٠٣) في الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ من القرآن عند المنام، وأبو داود (٥٠٥٧) في الأدب، باب ما يقال عند النوم.

(٥) سورة بني إسرائيل هي سورة الإسراء.

(٦) رواه الترمذي (٣٤٠٢) في الدعوات، باب (٢٢).

(٧) رواه الترمذي (٣٤٠٠) في الدعوات، باب (٢٢)، وأبو داود (٥٠٥٥) في الأدب، باب ما يقال عند النوم.

(٨) أبو بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٣٠ـ٣١٦ هـ) من كبار حفاظ الحديث، كان إمام أهل العراق، رحل مع أبيه رحلة طويلة، وشاركه في شيوخه بمصر والشام، توفي ببغداد، له تصانيف منها: المصاحف والمسند.

(٩) مسند الدارمي ٢/ ٥٤١ (٣٣٨٤).

* وروى أيضاً عن عليٍّ رضي الله عنه: ما أرى أحداً يعقلُ دخلَ في الإسلام ينامُ حتَّى يقرأ آيةَ الكرسيِّ[1].

* وقال إبراهيم الخوَّاص رضي الله عنه: دواءُ القلبِ خمسةُ أشياء؛ قراءةُ القرآن بالتدبُّرِ، وخلاءُ البطن، وقيامُ الليل، والتضرُّعُ عند السحر، ومُجالسةُ الصالحين.

* وقال بعضُهم: إذا طهرَ القلبُ لم يشبعْ من تلاوةِ القرآن.

* وقد ختمَ بعضُهم في اليومِ والليلة ثمان ختمات، أربعاً في الليل، وأربعاً في النهار، وممَّن بلغَ هذا القدر المذكور السيدُ الجليل ابنُ الكاتب الصُّوفي، قال الإمام أبو زكريا النَّواوي[2] رضي الله عنه: وهذا أكثرُ ممّا بلغنا.

* وقال الإمام أبو حامد الغزاليُّ رضي الله عنه فيمن يختم ختمتين في الجمعة[3]: الأفضلُ أنْ يختمَ ختمةً باللَّيلِ وأُخرى بالنَّهارِ، ويجعلُ ختمةَ النَّهارِ يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما، ويجعلُ ختمةَ اللَّيلِ ليلةَ الجمعةِ في ركعتي المغربِ أو بعدهما.

* قال الإمام النَّواويُّ[4] رضي الله عنه بعد أن ذكرَ اختلافَ النَّاسِ في الختمات: المختارُ أنَّ ذلك يَختلفُ باختلافِ الأشخاص، فمن كان يظهرُ له بدقيقِ الفِكر لطائفُ ومعارفُ فليقتصرْ على قدرٍ يحصلُ معه له كمالُ فهمِ ما يقرأ، وكذا من كان مشغولاً بنشرِ العلم، أو فصلِ الحكومات بين المسلمين، أو غير ذلك من مُهمات الدِّين، ومصالحِ العامَّةِ للمسلمين فليقتصرْ على قدرٍ لا يحصلُ بسببه إخلالٌ بما هو مُرصَدٌ له، ولا فوات كماله، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروجٍ إلى حدِّ الملل والهَذرمة[5] في القراءة، وممَّن ختمَ القرآن في ركعةٍ: عثمان بن عفان، وتميم الدَّاري، وسعيدُ بن جُبير، رضي الله عنهم.

* وروينا عن الشيخِ الإمام العارفِ نجمِ الدِّين الأصفهاني رضي الله عنه، أنَّه رأى إنساناً

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٤٠ (٢٩٣١٥).

(٢) الأذكار صفحة ١٢٣ أول كتاب تلاوة القرآن.

(٣) إحياء علوم الدين ١/ ٢٧٦ في آداب التلاوة، في ظاهر آداب التلاوة.

(٤) الأذكار صفحة ١٢٤ أول كتاب تلاوة القرآن.

(٥) الهذرمة: السرعة في القراءة والكلام.

من أهلِ اليمن في الطَّواف ختمَ القرآن في شوطٍ ـ أو في سبعٍ أَشكُّ في ذلك ـ قال: فقلتُ له: إنَّ الله قد أطلعني عليك، وأريدُ أن تختمَهُ بين يديَّ. قال: فافتتحَ، وقرأ، وذكرَ كلاماً معناه أنَّهُ ختمَ في الحالِ خلف مقامِ إبراهيم صلوات الله عليه وعلى نبينا وسلم.

* وقد ذكرَ بعضُ المشايخ: أنَّه كما يُطوى المكانُ لهم يُطوى الزَّمان، وكذا تُطوى الحروف، ويَذهبُ جرمُها تحت الأنوار الواردةِ عليهم.

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه فيما روي عنه: ينبغي لحاملِ القرآن أن يُعرفَ بليله إذ النَّاسُ نائمون، وبنهاره إذ النَّاسُ مُفطرون، وبحزنهِ إذ الناسُ يَفرحون، وببكائِهِ إذ النَّاسُ يضحكون، وبصمته إذ الناسُ يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون.

* وعن الفُضيل بنِ عياض رضي الله عنه أنَّه قال: ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجةٌ إلى الخلفاء، فمن دونهم.

* وللقارئ والقراءة آدابٌ كثيرةٌ لا يسعُها إلاَّ مجلدات. وقد صنَّفَ الأئمةُ في ذلك كتباً نفيسةً، من المَبسوطات والمُختصرات، ومن أنفسِ مُختصراتها كتاب «التِّبيانُ في آداب حملة القرآن» للإمام السيد الجليل محيي الدِّين النَّواوي رضي الله عنه.

وكذلك فضائلُ القرآن أكثرُ من أن تُحصر، لا يسعُ قطرةً من بحرها هذا المختصرُ.

* وعن الإمامِ أحمدِ بنِ حنبل رضي الله عنه قال: رأيتُ ربَّ العزَّةِ سبحانه في النوم، فقال لي: يا أحمد، ما تقرَّبَ إليَّ المُتقرِّبون بمثلِ كلامي. قلت: يا ربُّ، بفهمٍ أو بغيرِ فهم؟ قال: بفهمٍ أو بغيرِ فهم.

* والحكايةُ المشهورة عن حمزةَ بنِ حبيب الزيَّات[1] رضي الله عنه، أنَّه دخلَ عليه مُجَّاعةُ بنُ الزُّبير[2] وهو يبكي، فقال: ما يُبكيك؟ فقال: وكيف لا أبكي، أُريتُ في منامي كأنِّي عُرضتُ على الله جلَّ ثناؤه، فقال: يا حمزة، اقرأ القرآن كما علَّمتُك. فوثبتُ قائماً،

---

(١) حمزة بن حبيب التيمي الزيات (٨٠ـ١٥٦ هـ) أحد القراء السبع، كان من موالي التيم فنسب إليهم، كان يجلب الزيت من الكوفة إلى سواد العراق، كان عالماً بالقراءات، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول.

(٢) مجاعة بن الزبير البصري الأزدي أحد العلماء العاملين، أثنى عليه شعبة، وقال عنه: الصوام القوّام، انظر سير أعلام النبلاء ٧/ ١٩٦.

فقال لي: اجلسْ؛ فإني أُحبُّ أهلَ القرآن. فقرأتُ حتى بلغتُ سورة طه، فقلت: ﴿طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ [طه: ١٢-١٣]. فقال لي: بيِّنْ. فبيَّنتُ: ﴿طوى وأنا اخترتُكَ﴾[1] ثم قرأتُ حتى بلغت يس، فأردت أن أُغطّي، فقلتُ: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ٥]. فقال لي: قل: ﴿تنزيلُ العزيزِ الرَّحيمِ﴾[2] هكذا قرأتُ، وهكذا أقرأتُ حملةَ العرش، وهكذا يقرأُ[3] المقرَّبون. ثم دعا بسوارٍ، فسوّرني، فقال: هذا بصومِكَ النَّهار. ثم دعا بتاجٍ، فتوّجني. ثم قال: هذا بإقرائك الناسَ القرآن، يا حمزة. لا تدع تنزيلاً فإني نزَّلتُه تنزيلاً.

وقد رُوي عنه روايةٌ أُخرى طويلةٌ، قال في آخرها: يا حمزة. وحقِّ القرآن، لأُكرمنَّ أهلَ القرآن سيما إذا عملوا بالقرآن. يا حمزة، ثم ضمَّخني بالغالية، وقال: ليس أفعلُ هذا بكَ وحدَكَ، قد فعلتُ ذلك بنظرائك، ومَنْ فوقك، ومَنْ دونك، ومَنْ أقرأ القرآن كما قرأته، ولم يُرِدْ به غيري، وما خبَّأتُ لك يا حمزةُ عندي أكثر[4].

* وعن بعضِ الصَّالحين أنَّه قال: رأيتُ ربَّ العزَّة سبحانه في النوم، فقرأتُ عليه القرآنَ حتى ختمتُ، وأعدتُ أوَّلَ البقرة إلى قوله تعالىٰ: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٤٢]، ثم أنشدت:

يَـروي جمـالُـكَ قلبـاً أنـتَ تَعمـرُهُ ... بفضـلِ جـودِكَ لا بـالكـدِّ والعَمـلِ

* وقال الشيخ أبو الرَّبيع المالقي رضي الله عنه: كنتُ ليلةً في المسجدِ مع الشيخ أبي محمد سيِّد بنِ عليٍّ الفخار رضي الله عنه، وكان من أدبي معه أنِّي لا أقومُ لوردي حتى يقومَ، فقامَ ليلةً وتوضَّأ، وأنا مُستيقظٌ في مَضجعي، ثم استقبلَ القبلةَ، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم [أخذ] في ورده يتلوه، فرأيتُ الحائطَ قد انشقَّ وخرجَ منه شخصٌ بيده زُبديَّةٌ بيضاءُ، فيها شهدٌ أبيضُ، فكلَّما فتحَ فمَه لقَّمه ذلك الشخصُ لقمةً من ذلك الشَّهدِ،

---

(١) ﴿طوىً﴾ بالتنوين قراءة ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي وخلف. وبدون التنوين بقية القراء.

(٢) ﴿تنزيل﴾ بالفتح قراءة: ابن عامر، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف، وقراءة بقية القراء بالضم.

(٣) في (أ) يقرؤوا، وفي المطبوع: يقرؤون.

(٤) قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٧/ ١٩٧: وقد ركّب على مُجّاعة منام حمزة الزيات، وأنه سمعه منه، وذلك اختلاق.

فتعجَّبتُ ممّا رأيتُ، فاشتغلتُ به عن وردي، فلمَّا أصبحتُ قلتُ له: يا سيدي، رأيتُ كذا وكذا. فذرفتْ عيناه، وقال لي: ذلك طيبُ القرآنِ يا سليمان[1].

* قلت: وحكى لي بعضُ الإخوان من الصالحين، قال: كنتُ في مسجدٍ مُغلِقاً عليَّ الباب، فما شعرتُ وأنا أقرأُ إلاَّ وثلاثةٌ عليهم ثيابٌ بيض عندي، وذكرَ أنَّهم لم يزالوا عنده إلى أن سكتَ، ثم غابوا عن بصره.

وفضائلُ القرآن أكثرُ من أن تُحصر، وأظهرُ من أن تُشهر، فالله تعالىٰ ينفعنا ببركتِهِ في الدنيا والآخرة، ووالدينا والمسلمين، ويُكرمنا به أجمعين، ويحرسنا به من مكروه الدَّارين آمين.

* وقد رأيتُ في النَّومِ أنِّي أدعو: اللَّهُمَّ، أكرمْنا بالقرآن، واحرسْنا بالقرآن، وذلك بعد أن تعرَّضَتْ لي بعضُ السِّباع في بعضِ البراري قبلَ أن أنام، وعَدَتْ خلفي، فالتفتُّ إليها، وقرأتُ شيئاً من القرآن، فجمدَتْ ولم تتحرَّك بعد، وذلك في أول الليل، ثم رقدتُ بعد ذلك، فرأيتُ كأنَّ إنساناً يقرأ عليَّ سورةَ (تباركَ المُلك)، فلمَّا ختمها دعوتُ بالدُّعاء المذكور، ثم قمتُ آخرَ الليل، وإذا سَبُعٌ يدنو منِّي، فالتفتُّ إليه كما في أوَّل الليل، فلم أسمع له حسًّا بعدها.

* فينبغي المحافظةُ على تلاوته، والإكثار من سورة (تبارك) المذكورة، ولقد قرأتها ورأيتُ في أثنائها في بعضِ الأوقات بعضَ الصَّالحين، بعد أن غطَّى على عيني مثلُ السِّنةِ، وحِسِّي حاضرٌ، وكان بي تعطُّشٌ إلى رؤية شيخٍ أقتدي به، فقال: ما معك من كذا وكذا شيءٌ تشمِّره، شمره، وإذا أشكلَ عليك شيءٌ، فعليك بالكتابِ والسُّنة.

* وكذلك قرأتُ سورة المائدة في وقتٍ، فرأيتُ عقبها رؤيا أذكرُها، عسى أن يكونَ في ذكرها خيرٌ إن شاء الله تعالىٰ: وذلك أنَّ جماعةً من الفقراء المحبِّين لازموني في وقتٍ أن أُقيم بينهم، وقالوا: هو أصلحُ لك من الانفرادِ، فكرهتُ المُخالطةَ، ومالَ الخاطرُ إلى العُزلة، فذهبتُ إلى بعضِ المواضع، وقرأتُ سورة المائدة المذكورة، ونمتُ بعد ختمها، فرأيتُ كأنَّه قد قُرِّبَ إليَّ طعامٌ طيِّب، وقد حضرَ عندي بعضُ الناس، فأردتُ أن أُشاركَ الحاضرين في الأكل، فامتنعوا، وأعطوني نصيبي كالمؤثرين لي بشيءٍ وحدي، وشرع

---

(١) روض الرياحين ٣٨٨ الحكاية ٣٤٦ وما بين معقوفين مستدرك منه.

بعضُهم يمدحُ الوحدةَ، ويذمُّ الخُلطة، فقلتُ له: قد قالوا: المُخالطةُ أَفضلُ لمن يَسلَمُ فيها. فقال: ومن ذا الذي يَسلمُ في المُخالطة ؟! ثم سمعتُ ناساً قريباً منّا يتجادلون في الاعتقاد في مسألةِ الجهة[1]، وإذا واحدٌ منهم يقول: إنْ لم يكن جهةٌ، فليس للوجودِ صانعٌ ـ تعالىٰ اللهُ عن ذلك القول ـ ثم بعد ساعةٍ سمعتُ صوتَ إنسانٍ يُعاقَب، ثم جاء إلينا ناسٌ، فسألتُ بعضَهم عن ذلك الذي يصرخ: من هو ؟ فأخبروني أنّه الشخصُ المُعتقدُ الجهة، الذي قال القولَ المذكور.

ثم رأيتُ كأنّي في طريقٍ واسعٍ، وإذا قد دهمني جندٌ كأنّهم عسكرُ سلطان، ركبانُ على خيلٍ وحدها، أو معها هجانٌ، وهم يُمسكون النّاسَ ويمتحنونهم في اعتقادهم، فداخلني منهم خوفٌ، وخشيتُ أن يُمسكوني، فمرُّوا بجنبي، وقالوا لي: اثبتْ على اعتقادِكَ؛ فأنتَ على الحقِّ.ولم يتعرَّضوا لي بمكروه، فذهبَ عنّي الرَّوعُ، ثم ذهبوا، فرأيتُ بقربي بئرين وخضرةً كالبساتين أو المزارع هناك، وإذا إنسانٌ يقول: هذه بئرُ فلان، وذكرَ بعضَ العُلماء، ثم قال: حَسِبَ أنها أوسع، أو قال: أغزرُ ماءً من البئرِ الأُخرى، وأشارَ إلى أنّهُ أخطأَ في وهمه.

ثم استيقظتُ، وفكَّرتُ في منامي، ففهمتُ جميع إشاراته إلاّ البئرين، ونسبةَ إحداهما إلى الرَّجل المذكور، اختصاصه بها من بين الناس، وظنُّه أنّها خيرٌ من البئر الأخرى، ثم ذكرتُ بعد ساعةٍ أنَّ الشخص المذكور باعتقادِ الجهةِ مشهورٌ مُخالفٌ للجمهور، ففهمتُ عند ذلك معنى ذلك. هذا كلُّه بعد قراءة السُّورة المذكورة كما ذكرنا.

* وأخبرني بعضُ الإخوان أنّه ماتَ بعضُ الناس في بعض بلاد اليمن، فلمّا فرغوا من دفنه، وافترقَ الناسُ، بقي هناك شيخٌ من الأولياء يُقال له العابدي ـ بالدال المهملة ـ رضي الله عنه ونفع به، قعدَ يُصلّي المغربَ في مسجدٍ هناك، ثم سمع ضرباً في القبر ودقّاً عنيفاً، ثم رأى كلباً خرجَ من القبر، فقال له الشيخ: ويحك، أيشٍ أنتَ ؟ قال: أنا عملُ الميت. قال: وأيشٍ هذا الضرب الذي سمعتُ، فيك أو فيه ؟ قال: بل فيَّ، وجدتُ عنده سورةَ يس وأخواتها، وحيلَ بيني وبينه وطُردت.

* وكذلك سمعتُ الحكايةَ المُستفاضة المشهورة أنَّ الشيخَ محمدَ بنَ زاكي

---

(١) مسألة الجهة أي هل الله تعالىٰ موجود في السماء، أم هو في كلِّ مكان.

المقرئ[1] في حَرَازٍ[2] من بلاد اليمن رضي الله عنه ونفع به، قرأ عليه بعضُ المبتدعين القراءات السبع وحقَّقها، واجتمعَ له الإتقانُ وحسنُ الصوت، فلمَّا رجعَ إلى بلادهِ أعجبَ أصحابَه تحقيقُهُ وحسنُ صوته، وقالوا: ما أحسن هذا، لو كان شيخُك منّا. فقال: وما عليَّ من ذاك، أخذتُ العُسيلة، وتركتُ الظَّرف. فبلغَ الشَّيخَ محمد بنَ زاكي المذكورَ ذلك، فجمع أصحابَه وقال: اقرؤوا سورة يس حتى ترجعَ إلينا عُسيلتنا. فقرؤوا، فذهبَ حفظُ ذلك الشخص، وبقي لا يعرفُ شيئاً من القرآن أصلاً، فعرف من أين أُتي، ثم جاءَ إلى الشيخ المذكور مُستغفراً تائباً من مذهبه، ودخل في مذهب الشيخ الصالح المذكور وهو شافعيُّ المذهب، ثم ابتدأ يتعلَّمُ القرآن كما يتعلَّمُ المُبتدئ، وبلغَ إلى خمسِ روايات، ثم ماتَ رحمه الله. ولمَّا حكيتُ هذه الحكاية للسيد الجليل الشيخ الصالح أبي عبد الله القصري المُقرئ رحمه الله، ونفع به قال لي: إنْ كنتَ قرأتَ على هذا الشيخ المذكور ـ يعني ابن زاكي ـ قرأتُ عليك، يقول لي هذا وهو إذ ذاك شيخُ القرّاء، لشدَّةِ محبَّته في الصالحين، إذ كلُّ جنسٍ يميلُ إلى جنسه.

* وأخبرنا بعضُ شيوخنا رضي الله عنهم: أنَّه كان بعضُ الشيوخ في بلادِ الهند، وكان السُّلطانُ يعظِّمه، فحسده بعضُ الكفار البراهمة[3] هناك، وقال للسُّلطان: هذا ما هو على شيء، فاجمعْ بيني وبينه، حتى أُبيّنَ لك حالَه. فعقدَ له مجلساً، فلمَّا اجتمعا، واجتمعَ الناس، قال الحكيم البرهمي للشيخ المسلم المذكور: إنْ كنت صادقاً فطرْ مثلي. ثم ارتفعَ في الهواء، وبقي يعنِّفُ الشيخَ ويَعيبُهُ، ويَستهزئُ به، فأخذ الشيخُ يقرأ ويقول: اللهم انصرْ دينَك، فانقلبَ البرهميُّ على رأسهِ منكَّساً يصرخُ ويَستغيثُ، وربَّما خرجَ منه الحدثُ، فافتضحَ وأعزَّ اللهُ دينه.

* ومن بركة القرآن الكريم أيضاً أنَّه ماتَ بعضُ الناس، وكان ركيكَ الحالِ، قبيحَ

---

(١) محمد بن عبد الله بن زاكي عالم عارف بالقراءات، انتفع الناس به، وقصدوه، اشتهر عنه أنه كان يُقرئ الجن. مات سنة ٧٠٨ هـ. طبقات المناوي ٣/ ٩٥

(٢) جاء في طبقات الخواص للشرجي صفحة ١٣٩: وكان مسكن المقرئ بناحية جبل حَرَاز. وهو من جبال اليمن المشهورة.

(٣) البراهمة: عباد الهنود المجوس، ودُهارِهم، أو قوم لا يجوزون على الله بعثه الرسل. متن اللغة (برهم).

الفعال عفا الله عنَّا وعنه، وكان بيني وبينه معرفةٌ، فقرأتُ شيئاً من القرآن، وأهديتُهُ إليه. وكان غائباً في بلدٍ بعيدٍ، فجاءني الخبرُ أنَّهُ رآهُ بعضُ أصحابه في النوم، وقال له: سلِّم على فلان، وقلْ له جزاه اللهُ عنِّي خيراً كما أَهدى إليَّ القرآن.

* ورأيتُ والدي رحمه الله وعامَلَهُ بفضله وكرمه في النَّوم بعد موته، وهو كالعَتْبانِ عليَّ لكونهِ ماتَ وأنا غائبٌ غيبةً طويلة، وقال: لو كنتَ تجدُ ما أجدُ، ما كنتَ تغيبُ هذا القدر. فقلتُ له: أما علمتَ أنَّ يعقوبَ عليه السلام غابَ عنه ابنهُ كذا وكذا سنة؟ قال: يا ولدي، أو تُشبهنا بالأنبياء؟ أو قال: صَبْرنا بصبرِ الأنبياءِ؟[1] فوجَلتُ من هذه الرؤيا لكوني لم أرَ منه إقبالاً عليَّ. فلزمتُ قبرَهُ جماعةَ أيام أقرأُ عليه القرآن. فرأيتهُ في أول جمعةٍ من رجب في النوم بعد المنام الأول بليالٍ، فرَّحبَ بي، وبشَّ في وجهي، وقال: الحمدُ لله الذي منَّ عليَّ بثلاث خصالٍ: الأولى الاجتماعُ، ثم انتبهت قبل أن يذكرَ لي الخصلتين الأُخريين، وأسأل الله الكريم أن يعامله بكلِّ خير.

* وكذلك رأيتُ والدتي رحمها الله من بعد ما قرأتُ القرآن، وأهديتُهُ إليها مراراً. رأيتُ كأنَّ قبراً مفتوحاً قد دخلتُ فيه، فإذا هو واسعٌ، ولا أرى فيه أحداً إلاَّ أرجلَ سريرٍ، فرفعتُ طرفي فإذا السريرُ عالٍ، وإذا عليه شخصٌ نائم، فقلت: ما أقبحَ فعالَ بني الدنيا! ما يتركون الرُّعونة والترفُّه، حتى بعد الموت يُدخلونَ في القبورِ السُّررَ للموتى، فإذا صاحبُ السَّرير يُناديني إليه، فصعدتُ، فإذا هي والدتي رحمها الله تعالىٰ برحمته الواسعة، وجزاها عنِّي أفضلَ الجزاء، فسلَّمتْ عليَّ سلاماً بغايةِ الشَّفقةِ والرأفة، وسألتني عن أخٍ لي كان حيًّا، وودَّعتني، فانتبهتُ ووجدتُ الشَّجن بذلك السلام. والشفقةَ البالغةَ في قلبي مدَّةً طويلة، حتى إذا ذكرت ذلك وجدتُ تأثيره إلى الآن[2].

* ورأيتُ في النوم أيضاً بعضَ شيوخي الذي أقرأني القرآنَ بعد موته، وإذا هو لابسٌ في ساقيه خلخالين، ونصفُ كلِّ واحدٍ منهما ذهبٌ والنِّصفُ الآخر فضة، في جهة الطُّول، وليستْ بينهما لُحمةٌ ولا انفصالٌ أصلاً ـ أعني الذَّهب والفضة ـ وهما يحيِّران العقلَ

---

(١) في روض الرياحين ٢٤٥ (الحكاية ١٦٨): صبرنا كصبر الأنبياء.

(٢) انظر الخبر مطولاً في روض الرياحين ٢٤٣ (الحكاية ١٦٤).

بحُسنهما، وهو يتبخترُ في مشيه، فانتبهتُ وكأنّي إلى الآن أجدُ حلاوةَ حُسن الخلخالين اللّذين صاغتهما القدرة.

وسألتُ بعضَ الصُّوَّاغ: هل تمكن الصيغةُ على الصِّفة المذكورة؟ فقال: ما نقدرُ، ولا يمكنُ ذلك، ولابدَّ أن يكون بينهما[1] فصلٌ ظاهر. فعلمتُ أنّه لا يقدرُ مخلوقٌ على صنعة الخالق القادرِ سبحانه وتعالى[2].

* ومن فضائل القرآن الكريم أعادَ الله علينا من بركاته، ما رُوي عن كُرز بن وبرة[3]، وكان من الأبدالِ نفعَ الله به، قال: أتاني أخٌ لي من أهلِ الشام، وأهدى إليَّ هديةً، وقال: اقبلْ منّي هذه الهدية؛ فإنّها نعمةُ الهدية. قلت: يا أخي، من أين لك هذه الهدية؟ قال: أعطاني إيّاها إبراهيمُ التيميُّ[4]. قلت: أفلم تَسألُ إبراهيمَ التيمي من أعطاه إياها؟ قال: بلى سألته، فقال: كنتُ جالساً في فِناءِ الكعبة، وأنا في التَّهليل والتكبير والتَّسبيح والتحميد، فجاءني رجلٌ، فسلَّمَ عليَّ، وجلس عن يميني، ولم أرَ في زماني أحسنَ منه وجهاً، ولا أحسنَ منه ثياباً، ولا أشدَّ منه بياضاً، ولا أطيبَ رائحةً، قال: فقلت: يا عبد الله، من أنت، ومن أين جئت؟ قال: أنا الخَضرُ. فقلت: في أيّ شيءٍ جئتني؟ فقال: جئتك للسَّلام عليك حبًّا لك في الله عزَّ وجلَّ، وعندي هديةٌ أُريدُ أن أُهديها إليك. فقلتُ: وما هي؟ قال: أن تقرأ قبلَ طُلوعِ الشَّمسِ وانبساطها على الأرض، وقبلَ الغروب فاتحةَ الكتاب، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وآية الكرسي[5]. سبع مرات، وتقول: سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر سبعاً، وتُصلّي على النبيِّ ﷺ سبعاً، وتستغفرُ للمؤمنين والمؤمنات سبعاً، وتستغفرُ لنفسك ولوالديك سبعاً، وتقول: اللهم، افعل بي

---

(١) في (ب): لا بدَّ أن يبقى بينهما.

(٢) روض الرياحين: ٢٤٥ (الحكاية: ٢٦٧).

(٣) كرز بن وبرة الحارثي نزيل جرجان وكبيرها، دخلها غازياً سنة ٩٨ هـ. حدث عن أنس بن مالك، وحُدث عنه، له كرامات ومجاهدات، لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة. طبقات المناوي الصغرى ٥١٣.

(٤) إبراهيم بن يزيد التيمي زاهد متعبد من كبار المحدثين، خرّج له الستة، مات بسجن الحجاج ولم يبلغ الأربعين. طبقات المناوي ١/ ٢٠٨. وقد صحف في المطبوع إلى اليمني

(٥) قوله: و﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وآية الكرسي ليس في (ب) ولا في المطبوع.

وبهم عاجلاً وآجلاً في الدِّين والدنيا والآخرة ما أنتَ له أهلٌ، إنَّكَ غفورٌ رحيم سبع مرات، وانظر، ولا تدع ذلك غدوةً وعشية.

قلت: وقد قدَّمنا هذه المسبعات في الورد بعد الصبح[1]، وقد رتبناها على غيرِ هذا الترتيب، وزيادةً عليه على ما سمعناها من أهل الخير، وقد ذكرَ فيها فضائلُ عظيمةٌ حذفنا ذكرها، ويكفينا في فضائل القرآن وسائرِ الأذكار ما أخبرنا به الصادق المختار ﷺ.

وقد ذكرنا شيئاً من ذلك، وسنذكرُ شيئاً منه أيضاً فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ[2].

* * *

---

(١) انظر صفحة ٤١.

(٢) انظر صفحة ٢٠٨.

الباب الخامس

في فضل التسبيح ونحوه من الأذكار

الأحاديث في ذلك كثيرةٌ جداً، ونقتصرُ على أربعين حديثاً منها في هذا الباب يُستدلُّ بها على ما سواها من سعةِ فضلِ الله تعالىٰ:

الحديث الأول: روينا في صحيحي «البخاري» و«مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلمتانِ خَفيفتان على اللِّسانِ، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[1].

الحديث الثاني: روينا في «صحيح مسلم» عن سَمُرَةَ بنِ جُندب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أحبُّ الكلامِ إلى الله تعالىٰ أربعٌ: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلاّ الله، واللهُ أكبر، لا يَضرُّكَ بأيِّهنَّ بدأت»[2].

الحديث الثالث: روينا في الصَّحيحين عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من قالَ: لا إله إلا الله وحده، لا شريكَ له، له المُلكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، في يومٍ مئة مرَّةٍ كانت له عَدْلَ عشرِ رقاب، وكُتُبت له مئةُ حسنةٍ، ومُحيت عنه مئةُ سيئةٍ، وكانت له حِرْزاً من الشيطان يومَه ذلك حتى يُمسي. ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاءَ به إلاّ رجلٌ عملَ أكثرَ منه». قال: «ومن قال: سبحان الله وبحمده في يومٍ مئةَ مرةٍ، حُطَّتْ خطاياه، وإن كانت مثلَ زَبدِ البحر»[3].

---

(١) رواه البخاري ١١/ ١٧٥ في الدعوات، باب فضل التسبيح، ومسلم (٢٦٩٤) في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح.

(٢) رواه مسلم (٢١٣٧) في الأدب، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة.

(٣) رواه البخاري ١١/١٦٨ في الدعوات، باب فضل التهليل، ومسلم (٢٦٩١) في الذكر، باب فضل التهليل والتسبيح.

الحديث الرابع: روينا في «كتاب الترمذي» عن جابرٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، غُرستْ له نخلةٌ في الجنَّة»[1]. قال الترمذي: حديثٌ حسن.

الحديث الخامس: عن ابنِ مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لقيتُ إبراهيمَ صلوات الله عليه ليلةَ أُسري بي، فقال: يا محمد، أقرئْ أُمتَكَ منِّي السلام، وأخبرْهُم أنَّ الجنَّةَ طَيبةُ التُّربة، عذبةُ الماء، وأنَّها قِيعانٌ، وأنَّ غِراسَها: سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلاَّ الله، واللهُ أكبر» رويناه في «كتاب الترمذي»[2]. وقال: حديث حسن.

الحديث السادس: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لأن أقولَ سُبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلاَّ الله، واللهُ أكبر أحبُّ إليَّ ممَّا طلعت عليه الشمس»[3].

الحديث السابع: روينا في «صحيح مسلم» أيضاً عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأُ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ـ أو تملآن ـ ما بين السماء والأرض»[4].

الحديث الثامن: روينا في «صحيح مسلم» أيضاً عن جُويريةَ بنتِ الحارث أمِّ المؤمنين رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ خرجَ من عندها بكرةً حين صلّى الصُّبحَ، وهي في مَسجدها، ثم رجعَ بعد أن أَضحى وهي جالسةٌ؛ فقال لها: «ما زلت على الحالةِ التي فارقتُكِ عليها؟» قالت: نعم. فقال النبيُّ ﷺ: «لقد قلتُ بعدَكِ أربعَ كلمات ثلاثَ مرّات لو وزِنَتْ بما قُلتِ منذ اليوم لوزنتهنَّ: سبحان الله وبحمده، عددَ خلقه، ورضا نفسِهِ، وزنةَ عرشه، ومِداد كلماته».

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٦٠) في الدعوات، باب (٦١).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٥٨) في الدعوات، باب (٦٠).

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٥) في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح.

(٤) رواه مسلم (٢٢٣) في الطهارة، باب فضل الوضوء.

وفي روايةٍ له: «سبحانَ الله عددَ خلقِهِ، سبحانَ الله رضا نفسهِ، سبحانَ اللهِ زِنةَ عرشه، سبحان الله مِدادَ كلماته».

ورويناه في «الترمذي» كهذه الرواية مع تكرير كلِّ كلمةٍ ثلاث مرّات، إلاَّ أنَّهُ قال: «ألا أُعلِّمُكِ كلماتٍ تقولينها: سبحان الله عددَ خلقه» وكرَّرها ثلاث مرات، وكذا الباقي[1].

الحديث التاسع: روينا في الصَّحيحين عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، لهُ المُلكُ، ولهُ الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، عشر مرّات كان كَمَن أعتقَ أربعةَ أَنْفُسٍ من ولد إسماعيل»[2].

الحديث العاشر: روينا في «كتاب الترمذي» عن جابرٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أفضلُ الذِّكرِ لا إله إلا الله». قال الترمذي: حديثٌ حسن. وأخرجه ابنُ ماجه أيضاً[3].

الحديث الحادي عشر: روينا في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أدُلُّكَ على كنزٍ من كنوزِ الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله»[4].

الحديث الثاني عشر: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قال حينَ يُصبحُ وحينَ يُمسي: سُبحان الله وبحمده مئةَ مرةٍ، لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامةِ بأفضلَ ممَّا جاءَ به، إلا واحدٌ قال مثلَ ذلك أو زاد [عليه]».

وفي رواية أبي داود: «سبحان الله العظيم وبحمده»[5].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٦) في الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، والترمذي (٣٥٥٠) في الدعوات، باب (١١٧).

(٢) رواه البخاري ١١/ ١٧٠ في الدعوات، باب فضل التهليل، ومسلم (٢٦٩٣) في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٨٠) في الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، وابن ماجه (٣٨٠٠) في الأدب، باب فضل الحامدين. وتتمة الحديث: «وأفضل الدعاء الحمد لله».

(٤) رواه البخاري ١١/ ١٥٩ في الدعوات، باب الدعاء إذا علا العقبة، ومسلم (٢٧٠٤) في الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

(٥) رواه مسلم (٢٦٩٢) في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح، وأبو داود (٥٠٩١) في =

الحديث الثالث عشر: روينا بالإسناد الصحيح في «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ أبا بكر الصديقَ رضي الله عنه قال: يا رسولَ الله، مُرني بكلماتٍ أَقولُهُنَّ إذا أصبحتُ، وإذا أمسيتُ. قال: «قُل: اللَّهُمَّ فاطرَ السَّمواتِ والأرض، عالمَ الغيبِ والشَّهادة، ربَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ أشهدُ أَنْ لا إله إلاَّ أنت، أعوذُ بك من شرِّ نفسي وشرِّ الشيطان وشركِه»[1]. قال: «قلها إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضجعَك»[2]. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

وروينا نحوه في «سنن أبي داود» عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قالوا: يا رسولَ الله، علِّمنا قولاً نذكره، وزاد فيه بعد قوله «وشركه». «وأن نقترفَ سوءاً على أنفسنا أو نجرَّه إلى مُسلم»[3].

الحديث الرابع عشر: روينا في «كتاب الترمذي» عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من دخلَ السُّوقَ فقال: لا إله إلاَّ الله، وحدَه لا شريك له، له المُلكُ، ولهُ الحمدُ، يُحيي ويُميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، كتبَ اللهُ له ألفَ ألفِ حسنةٍ، ومحا عنه ألفَ ألفِ سيئة، ورفعَ له ألفَ ألفِ درجة»[4].

ورواه الحاكمُ أبو عبد الله في «المُستدرك على الصَّحيحين»[5] من طرقٍ كثيرة، وزادَ في بعضِ طرقه: «وبنى له بيتاً في الجنة»، وفيه من الزِّيادة: قال الراوي: فقدمتُ خُراسان، فأتيتُ قُتيبةَ بنَ مُسلم، فقلتُ: أَتيتُكَ بهديةٍ، فحدَّثتُهُ بالحديث، فكانَ قُتيبة بنُ مسلم يركبُ في موكبِهِ حتى يأتي السُّوقَ، فيقولها، ثم يَنصرف.

ورواه الحاكمُ أيضاً من روايةِ ابنِ عمر عن النبيِّ ﷺ[6].

= الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح.

(١) انظر الحاشية رقم (١) صفحة (٣٤).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٦٧) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، والترمذي (٣٣٩٢) في الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٨٣) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح.

(٤) رواه الترمذي (٣٤٢٤) في الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق.

(٥) المستدرك ١/ ٥٣٨.

(٦) المستدرك ١/ ٥٣٩.

وفي حديثٍ ذكره أبو السعادات في «جامع الأصول»[1] من رواية تميم الدَّاري: «من دخلَ سوقاً فنادى بأعلى صوته: لا إله إلا الله...» الحديثَ المذكور، إلاّ أنّه قالَ في آخره: «كُتبت له مئة ألف حسنة». ولم يزدْ على هذا[2].

الحديث الخامس عشر: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من عبدٍ يقولُ في صباحِ كلِّ يومٍ ومساءِ كلِّ ليلةٍ: بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء، وهو السَّميعُ العليم، ثلاث مرات إلاّ لم يضرَّه شيءٌ».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. هذا لفظ الترمذي، وفي روايةِ أبي داود «لم تُصبْه فُجاةُ بلاء»[3].

الحديث السادس عشر: روينا في الصحيحين عن عليٍّ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له ولفاطمة رضي الله عنهما: «إذا أويتما إلى فراشِكما ـ أو أخذتُما مضاجعَكما ـ فكبِّرا ثلاثاً وثلاثين، وسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ـ وفي روايةٍ: التَّسبيحُ أربعاً وثلاثين، وفي روايةٍ: التكبيرُ أربعاً وثلاثين ـ قال عليٌّ رضي الله عنه: فما تركتهُ منذ سمعتُهُ من رسولِ الله ﷺ. قيل له: ولا ليلةَ صفين[4]؟ قال: ولا ليلة صفين[5].

الحديث السابع عشر: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ قال: «من سبَّح اللهَ في دُبرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وحمد ثلاثاً وثلاثين، وكبَّر ثلاثاً وثلاثين، وقال تمام المئة: لا إله إلاّ الله، وحدَهُ لا شريك له، لهُ المُلكُ، ولهُ

---

(١) جامع الأصول ٤/ ٣٩٤ (٢٤٥٧).

(٢) المطبوع في جامع الأصول: مئة ألف ألف حسنة.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٨٥) في الدعوات، باب ما جاء إذا أصبح وإذا أمسى، وأبو داود (٥٠٨٨) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح.

(٤) صفين: موضع قرب الرقة على شاطىء الفرات، كانت به الوقعة المعروفة بين الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وبين معاوية سنة (٣٧) للهجرة.

(٥) رواه البخاري ٧/ ٥٩ في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب، ومسلم (٢٧٢٧) في الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم.

الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفرت خطاياه ولو كانت مثلَ زبدِ البحرِ»[1].

وروينا أيضاً في «صحيح مسلم» حديثاً آخرَ رواه كعبُ بنُ عُجرة رضي الله عنه، ذكر فيه أربعاً وثلاثين تكبيرة[2].

وفي الصحيحين حديثٌ آخر رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «تسبّحون وتحمدون وتكبّرون خلفَ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين»[3].

فيستحبُ الجمعُ بين الكلِّ، أعني يكبِّر أربعاً وثلاثين ثم يقول: «لا إله إلا الله...» إلى آخره.

الحديث الثامن عشر: روينا في «كتاب الترمذي» عن ثَوبان رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قالَ حينَ يُمسي: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّدٍ ﷺ نبياً، كانَ حقًّا على الله أن يُرضيه». قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

وكذلك رويناه في «سنن أبي داود» و«النسائي» بأسانيدَ جيِّدةٍ عن رجلٍ خدمَ النبيَّ ﷺ، عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام، ورواه الحاكم أبو عبد الله في «المستدرك على الصحيحين» وقال: حديثٌ صحيحُ الإسانيد، ووقع في رواية أبي داود وغيرِهِ: «وبمحمدٍ رسولاً». وفي رواية الترمذي: «نبياً»[4].

قال الشيخ الإمام أبو زكريا النواوي رضي الله عنه[5]: فيُستحبُّ أن يجمعَ الإنسانُ بينها، فيقول: «نبياً ورسولاً» قال [النووي]: ولو اقتصرَ على أحدِهما كان عاملاً بالحديث.

الحديث التاسع عشر: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله، ما لقيتُ من عقربٍ لدغتني البارحة. قال: «أما لو

---

(١) رواه مسلم (٥٩٧) في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة.

(٢) رواه مسلم (٥٩٦).

(٣) رواه البخاري ٢/ ٢٧٠ في صفة الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة، ومسلم (٥٩٥) في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة.

(٤) رواه الترمذي (٣٣٨٦) في الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح، وأبو داود (٥٠٧٢) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، والحاكم ١/ ٥١٨.

(٥) الأذكار صفحة ٩٩ باب ما يقال عند الصباح والمساء.

قلتَ حينَ أَمسيتَ: أعوذُ بكلماتِ الله التامَّاتِ من شرِّ ما خلق، لم تضرَّك»[1].

ورواه غيرُ مسلمٍ، وذكر فيه أنّها تُقال ثلاث مرات[2].

الحديث العشرون: روينا في «سنن أبي داود» بإسنادٍ جيدٍ، لم يضعِّفهُ، عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من قالَ حينَ يُصبحُ أو يُمسي: اللَّهُمَّ، إنِّي أَصبحتُ أُشهدُكَ، وأُشهدُ حملةَ عرشِكَ وملائكتكَ وجميعَ خلقكَ أنَّكَ أنتَ الله، لا إله إلاَّ أنتَ، وأنَّ محمداً عبدُكَ ورسولُكَ، أعتقَ اللهُ رُبعَه من النار، ومن قالها مرَّتين أعتقَ اللهُ نصفَهُ من النار، ومن قالها ثلاثاً أعتقَ اللهُ ثلاثةَ أرباعه من النار، فإن قالها أربعاً أعتقه الله من النار»[3].

الحديث الحادي والعشرون: روينا في «كتاب الترمذي» عن عُمارةَ بنِ شَبيب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قال: لا إله إلاَّ اللهُ، وحدَهُ لا شريكَ له، لهُ المُلكُ، ولهُ الحمدُ، يُحيي ويُميتُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، عشر مرَّات على إثرِ المغربِ، بعثَ اللهُ مَسْلَحَةً[4] يتكفَّلونه من الشيطان حتَّى يُصبحَ، وكتبَ الله تعالىٰ لهُ بها عشرَ حسناتٍ مُوجباتٍ، ومحا عنه عشرَ سيِّئاتٍ مُوبقات، وكانتْ بعدلِ عشر رقباتٍ مؤمنات»[5].

وقد رواه النسائي في كتابه «عمل اليوم والليلة»[6] من طريقين: أحدُهما هكذا، والثاني عن عمار[7] عن رجلٍ من الأنصار.

قال الحافظُ أبو القاسم ابن عساكر: هذا الثاني هو الصواب.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٩) في الذكر، باب في التعوذ من سوء القضاء.

(٢) رواه الترمذي (٣٦٠٠) في الدعوات، باب الاستعاذة من جهنم.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٦٩) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح.
في (أ): أعتقَه اللهُ تعالى كلَّهُ من النار.

(٤) المسلحة: القوم يحفظون الثغور، سُمّوا مسلحة لأنهم يكونون ذوي أسلحة يردُّون بها العدو. جامع الأصول ٤/ ٢٣٢ (٢٢١١).

(٥) الترمذي (٣٥٢٨) في الدعوات، باب (١٠١).

(٦) عمل اليوم والليلة (٥٧٧، ٥٧٨) صفحة ٣٨٥.

(٧) عُمارة بن شبيب السبئي، وقيل عمار. تهذيب التهذيب.

الحديث الثاني والعشرون: روينا في «كتاب الترمذي» أيضاً عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من قال في دُبُرِ صلاةِ الصُّبح، وهو ثانٍ رجليه، قبل أن يتكلَّمَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وحدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ المُلكُ، ولهُ الحمدُ، يُحيي ويُميتُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، عشرَ مرَّات، كَتَبَ [اللهُ] له عشر حسنات، ومحا عنه عشرَ سيِّئات، ورفعَ له عشرَ درجات، وكان يومَه ذلك في حِرزٍ من كلِّ مَكروهٍ، وحُرِسَ من الشيطانِ، ولم يَنبغِ للذنبِ أن يُدركَه في ذلك اليوم إلاَّ الشركَ بالله تعالى»[1]. قال الترمذي: حديث حسن، وفي بعضِ النُّسخِ حديثٌ حسن صحيح.

الحديث الثالث والعشرون: روينا في «سنن أبي داود» عن مُسلم بنِ الحارث التميمي الصحابي رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ أنّه أسرَّ إليه فقال: «إذا انصرفتَ من صلاةِ المغرب فقل: اللَّهُمَّ، أجرني من النّارِ، سبع مرات، فإنَّكَ إذا قلتَ ذلك ثم مُتَّ من ليلتك كُتبَ لك جوارٌ منها، وإذا صلَّيتَ الصُّبح فقل كذلك، فإنَّكَ إذا متَّ من يومك كُتب لكَ جوارٌ منها»[2].

الحديث الرابع والعشرون: روينا في الصحيحين عن المُغيرة بن شُعبة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا فرغَ من الصلاة وسلَّمَ قال: «اللَّهُمَّ، لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعطي لما منعتَ، ولا يَنفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجَدُّ»[3].

الحديث الخامس والعشرون: روينا في «صحيح مسلم» عن ثَوبان رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا انصرفَ من صلاتهِ، استغفرَ ثلاثاً، وقال: «اللَّهُمَّ، أنتَ السَّلامُ، ومنكَ السَّلامُ، تباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرام» قيل للأوزاعيِّ[4] وهو أحدُ رواة الحديث: كيفَ الاستغفارُ؟ قال: تقولُ: أستغفرُ اللهَ، أستغفرُ الله[5].

---

(١) الترمذي (٣٤٧٠) في الدعوات، باب (٦٤).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٧٩) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح.

(٣) رواه البخاري ٢/ ٢٧٥ في صفة الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة، ومسلم (٥٩٣) في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة.

(٤) الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو (٨٨ـ١٥٧ هـ) إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، أحد الكتاب المترسلين، سكن بيروت ومات فيها، وعرض عليه القضاء فامتنع، له كتاب المسائل، ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عنها كلها، وكانت الفتيا بالأندلس على رأيه.

(٥) رواه مسلم (٥٩١) في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة.

الحديث السادس والعشرون: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: علَّمني رسولُ الله ﷺ أن أقولَ عند أذانِ المغرب: «اللَّهُمَّ، هذا إقبالُ ليلكَ، وإدبارُ نهارك، وأصواتُ دُعاتك، فاغفر لي»[1].

الحديث السابع والعشرون: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» أيضاً بالأسانيد الصَّحيحة عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ أنَّه كان يقول إذا أصبح: «اللَّهُمَّ بكَ أصبحنا، وبك أَمسينا، وبكَ نحيا، وبكَ نموت، وإليكَ النُّشور» وإذا امسى قال: «اللَّهُمَّ بكَ أمسينا، وبكَ أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النُّشور». قال الترمذي: حديث حسن[2].

قلت: وهذه إحدى الرِّوايات: «وإليك النشور» في الموضعين، وفي روايةٍ: «وإليك المصير» فيهما. وفي رواية: «وإليك المصير» في الصباح، و«إليك النشور» في المساء.

الحديث الثامن والعشرون: روينا في «كتاب الترمذي» بإسنادٍ فيه ضعفٍ عن معقلِ بنِ يسار رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «من قال حين يُصبح ثلاث مرات: أعوذُ بالله السَّميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاثَ آياتٍ من سورةِ الحشر، وكَّلَ اللهُ تعالىٰ به سبعينَ ألفَ مَلكٍ يُصلُّون عليه حتى يُمسي، وإن ماتَ في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يُمسي كان بتلك المنزلة»[3].

الحديث التاسع والعشرون: روينا في «صحيح البخاري» عن حُذيفة وأبي ذرٍّ رضي الله عنهما قالا: كان رسولُ الله ﷺ إذا أَوى إلى فراشه قال: «باسمك اللَّهُمَّ أَحيا وأموت» وإذا استيقظ قال: «الحمدُ لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[4].

الحديث الثلاثون: روينا في الصَّحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أوى أحدُكم إلى فراشِهِ فلينفُضْ فراشَه بداخلةِ إزاره، فإنَّه لا يدري

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٨٣) في الدعوات، باب في دعاء أم سلمة، وأبو داود (٥٣٠) في الصلاة، باب ما يقول عند أذان المغرب.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٨) في الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، وأبو داود (٥٠٦٨) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح.

(٣) رواه الترمذي (٢٩٢٣) في ثواب القرآن، باب فضل آخر سورة الحشر.

(٤) رواه البخاري ١١/٩٦، ١١١ في الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح.

ما خَلَفَه عليه، ثم يقول: باسمك ربِّي وضعتُ جنبي، وبك أرفعُهُ، إن أمسكتَ نفسي فارحمْها، وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظُ بهِ عبادَكَ الصالحين»[1].

الحديث الحادي والثلاثون: روينا في الصحيحين أيضاً عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أتيتَ مضجَعَكَ فتوضَّأْ وضوءَكَ للصلاة، ثم اضطجع على شقِّكَ الأيمن، وقل: اللَّهُمَّ، أسلمتُ نفسي إليك، ووجَّهتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منكَ إلاَّ إليك، آمنتُ بكتابِكَ الذي أنزلت، وبنبيِّكَ الذي أرسلت. فإن متَّ متَّ على الفطرة، واجعلْهنَّ آخرَ ما تقول». هذا لفظُ إحدى روايات البخاري، وباقي رواياته وروايات مُسلم مُقاربةٌ لها[2].

الحديث الثاني والثلاثون: روينا في «صحيح مسلم» و«سنن أبي داود» و«الترمذي» عن أنسٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمدُ لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممَّن لا كافيَ له ولا مُؤوي»[3]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وروينا في «سنن أبي داود» نحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما، وزاد في آخره بعد قوله «وسقاني»: «والذي منَّ عليَّ فأفضلَ، والذي أعطاني[4] فأجزل، الحمدُ لله على كلِّ حالٍ، اللَّهُمَّ ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَهُ وإله كلِّ شيءٍ أعوذُ بك من النار»[5].

الحديث الثالث والثلاثون: روينا في «كتاب الترمذي» عن أبي سعيد الخدري رضي الله

---

(١) رواه البخاري ١١/ ١٠٧ في الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام، ومسلم (٢٧١٤) في الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) رواه البخاري ١١/ ٩٧ في الدعوات، باب ما يقول إذا نام، ومسلم (٢٧١٠) في الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٣) رواه مسلم (٢٧١٥) في الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، والترمذي (٣٣٩٣) في الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، وأبو داود (٥٠٥٣) في الأدب، باب ما يقال عند النوم.

(٤) في الأصول: أعطى.

(٥) أبو داود (٥٠٥٨) في الأدب، باب ما يقال عند النوم.

عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «من قال حين يأوي إلى فراشِهِ: أستغفرُ الله [العظيم] الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ وأتوبُ إليه، ثلاث مرات، غَفَرَ اللهُ تعالىٰ له ذنوبه، وإن كانتْ مثلَ زبدِ البحر، وإن كانتْ عددَ ورقِ الشجر[1]، وإن كانت عددَ رملِ عالج[2]، وإن كانت عدد أيام الدنيا»[3].

الحديث الرابع والثلاثون: روينا في «صحيح البخاري» عن عُبادة بنِ الصَّامت رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «من تعارَّ من الليلِ فقال: لا إلهَ إلاَّ الله، وحدَهُ لا شريك له، له المُلكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، سبحانَ الله، والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله، واللهُ أكبر، ولا حول ولا قوَّةَ إلا بالله، ثم قال: اللَّهُمَّ اغفرْ لي، أو دعا استُجيب له، فإنْ توضَّأ وصلّى قُبلتْ صلاته»[4].

وقوله ﷺ: «تعارَّ» هو بتشديد الراء. ومعناه استيقظ.

الحديث الخامس والثلاثون: روينا في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ قال: «ينزلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدُّنيا حين يبقى ثلثُ الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له ؟[5] من يسألني فأعطيَهُ ؟ من يستغفرني فأغفرَ له ؟».

وفي رواية لمسلمٍ: «ينزلُ اللهُ سبحانه وتعالىٰ إلى السَّماء الدُّنيا كلَّ ليلةٍ حين يمضي ثلثُ الليلِ الأول، فيقول: أنا الملك، من ذا الذي يَدعوني فأستجيبَ له ؟ من ذا الذي يسألني فأُعطيَهُ ؟ من ذا الذي يَستغفرني فأغفرَ له ؟ فلا يزالُ كذلك حتَّى يُضيءَ الفجر»[6].

---

(١) في الأصول والمطبوع: عدد النجوم، والمثبت من سنن الترمذي.

(٢) عالج: رملة بالبادية ينزلها بنو بحتر من طيء، لا ماء فيها، ولا يقدر أحد عليهم فيه، وهي مسيرة أربعة أيام. معجم البلدان.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٩٤) في الدعوات، باب الدعاء عند النوم.

(٤) رواه البخاري ٣/ ٣٣ في التهجد، باب فضل من تعار من الليل.

وقوله: «قبلت صلاته» المُرادُ بالقبول هنا قدرٌ زائد على الصِّحة، لذا قال الداودي: من قبل الله له حسنةً لم يعذِّبه؛ لأنه يعلم عواقب الأمور، فلا يَقبلُ شيئاً ثم يُحبطه، وإذا أمن من الإحباط أمن من التعذيب، لذا قال الحسن: وددت أني أعلم أن الله قَبِلَ لي سجدةً واحدة. فتح الباري ٣/ ٤١.

(٥) قال الحافظ في الفتح: قوله: «فأستجيبَ له»: بالنصب على جواب الاستفهام، وبالرفع على الاستئناف.

(٦) رواه البخاري ١/ ٣٨٤ في التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، ومسلم (٧٥٨) في صلاة=

وفي روايةٍ له: «إذا مضى شطرُ الليل أو ثلثاه».

قال الإمام محيي الدين النواويُّ رضي الله عنه في «شرح صحيح مسلم»[1]: هذا الحديث من أحاديث الصِّفات، وفيه مَذهبان مشهوران للعلماء ومختصرُهما: أنَّ أحدَهما وهو مذهبُ جمهورِ السَّلفِ، وبعضِ المتكلِّمين، أنَّه نؤمن بأنَّها حقٌّ على ما يليق بالله تعالىٰ، وأنَّ ظاهرها المُتعارف في حقِّنا غيرُ مراد، ولا نتكلَّمُ في تأويلها مع اعتقادنا تنزيهَ الله تعالىٰ عن صفاتِ المخلوق، وعن الانتقالِ والحركاتِ وسائرِ سمات الخلق.

والثاني: مذهبُ أكثرِ المُتكلِّمين وجماعةٍ من السَّلف، وهو مَحكيٌّ عن مالك والأوزاعي، أنَّها تُتأوَّلُ على ما يليقُ بها بحسبِ مواطنها، فعلى هذا تأوَّلوا هذا الحديث تأويلين: أحدُهما تأويل مالكِ بنِ أنس وغيره، معناه تَنزلُ رحمتُهُ تبارك وتعالىٰ، أو أمرُهُ أو ملائكتُهُ، كما يُقال: فعلَ السُّلطانُ كذا إذا فعلَهُ أتباعُهُ بأمره، والثاني على سبيل الاستعارة، ومعناه الإقبالُ على الدَّاعي بالإجابة واللُّطف، والله أعلم. هذا آخر كلام النَّواوي رحمه الله تعالىٰ.

وقال الإمامُ حجَّةُ الإسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه: ما أسهلَ على العارف إرشادُ الجاهل أن يقول: إن كانَ المُرادُ من النُّزول إلى السَّماء الدُّنيا، ليسمعنا فما سمعنا، فلا فائدةَ في النزول. فهذا معنى كلامه رحمه الله تعالىٰ.

قلت: والذي نعتقدُهُ أنَّ أحاديث الصِّفات ليست على ظاهرها، وأنَّ لها تأويلاتٍ تليقُ بجلالِ الله تعالىٰ، ولا نقطع بتعيينِ تأويلٍ منها؛ بل نكلُ ذلك إلى العليمِ الخبيرِ الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وكذلك نعتقدُ ما اعتقدَهُ العارفون والعلماء، أنَّه سبحانه استوى على العرش على الوجهِ الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواءً منزَّهاً عن الحُلولِ والاستقرار والحركة والانتقال، لا يحملُهُ العرشُ، بل العرشُ وحملتُهُ محمولون بلطفِ قدرته، لا يُقال: أين كان؟ ولا متى كان؟ كان ولا مكان ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان، تعالىٰ عن الجهاتِ والأقطار، والحدود والمقدار، لا يحلُّ في شيءٍ، ولا يحلُّه شيءٌ، كلُّ يومٍ هو في شأن في أفعاله، لا في ذاته ولا في

= المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل.

(١) شرح صحيح مسلم ٦/ ٣٦.

صفاته، لا تهتدي عقولُ العقلاء إلى إدراك معرفةِ ذاته المقدَّسة، وصفاته العظمى، يعلمُ ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يُحيطون به علماً.

الحديث السادس والثلاثون: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه، أنَّه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول: «أقربُ ما يكون الربُّ من العبدِ في جوفِ الليل الآخر، فإنِ استطعتَ أن تكونَ ممَّن يذكرُ الله تعالىٰ في تلك الساعة فكن»[1]. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

الحديث السابع والثلاثون: روينا في الصحيحين عن ابنِ مسعود رضي الله عنه قال: ذُكر عند النبيِّ ﷺ رجلٌ نامَ ليلةً حتَّى أصبحَ، قال: «ذلك رجلٌ بالَ الشيطانُ في أُذنيه»[2] أو قال: «في أذنه»[3].

الحديث الثامن والثلاثون: روينا في «سنن أبي داود» و«النسائي» بالإسناد الصَّحيح، عن أُبيِّ بنِ كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلَّمَ من الوتر قال: «سبحان الملكِ القدُّوس» وفي روايةِ النسائي: «سبحان الله الملكِ القدُّوس» ثلاث مرات[4].

الحديث التاسع والثلاثون: روينا فيهما أيضاً وفي «كتاب الترمذي» عن عليٍّ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول في آخر وتره: «اللَّهُمَّ، إنِّي أعوذُ برضاكَ من سخطك، وأعوذُ بمعافاتِكَ من عُقوبتك، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أُحصي ثناءً عليكَ، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك»[5]. قال الترمذي حديثٌ حسنٌ صحيح.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٤) في الدعوات، باب (١٢٩) أما أبو داود فقد رواه (٨٧٥) في الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود عن أبي هريرة.

(٢) اختلفوا في معنى قوله: «بال الشيطان في أذنيه» فقيل: أفسده، وقيل هو استعارة وإشارة إلى انقياده للشيطان وتحكمه فيه، وإذلاله له، وقيل: استخف به واحتقره واستعلى عليه. قال القاضي عياض: ولا يبعد أن يكون على ظاهره، قال: وخص الأذن لأنها حاسة الانتباه. أقول: لأنها حاسة الانتباه، ومركز التوازن فمن فقد توازنه تخبَّطَ وزاغ.

(٣) رواه البخاري ٣/ ٣٣ في التهجد، باب إذا نام ولم يُصلِّ بال الشيطان في أذنه، ومسلم (٧٧٤) في صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع.

(٤) رواه أبو داود (١٤٢٣) في الصلاة، باب ما يقرأ في الوتر، والنسائي ٣/ ٢٣٥ في قيام الليل، باب (٣٧).

(٥) رواه الترمذي (٣٥٦١) في الدعوات، باب في دعاء الوتر، وأبو داود (١٤٢٧) في الصلاة، باب=

الحديث الأربعون: عن أبي هُريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً، مئةً إلاَّ واحداً، من أحصاها دخلَ الجنة، إنَّه وترٌ، يُحبُّ الوتر، هو اللهُ الذي لا إلهَ إلاَّ هو، الرَّحمنُ، الرَّحيم، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلامُ، المُؤمنُ، المُهيمنُ، العزيزُ، الجبَّارُ، المتكبِّرُ، الخالقُ، البارئ، المُصوِّرُ، الغفَّارُ، القهَّارُ، الوهَّابُ، الرزَّاقُ، الفتَّاحُ، العليمُ، القابضُ، الباسطُ، الخافضُ، الرَّافعُ، المعزُّ، المُذلُّ، السَّميعُ، البَصيرُ، الحَكَمُ، العدلُ، اللَّطيفُ، الخبيرُ، الحليمُ، العظيمُ، الغفورُ، الشَّكورُ، العليُّ، الكبيرُ، الحفيظُ، المُقيتُ، الحسيبُ، الجليلُ، الكريمُ، الرَّقيبُ، المُجيبُ، الواسعُ، الحكيمُ، الودودُ، المجيدُ، الباعثُ، الشَّهيدُ، الحقُّ، الوكيلُ، القويُّ، المَتينُ، الوليُّ، الحميدُ، المُحصي، المُبدئ، المُعيدُ، المحيي، المُميتُ، الحيُّ القيّومُ، الواجدُ، الماجدُ، الواحدُ[1]، الصَّمدُ، القادرُ، المُقتدرُ، المقدِّمُ، المؤخِّرُ، الأوَّلُ، الآخرُ، الظاهرُ، الباطنُ، الوالي، المُتعالي، البرُّ، التَّوابُ، المُنعمُ[2]، المُنتقمُ، العفوُّ، الرؤوفُ، مالكُ الملكِ، ذو الجلالِ والإكرام، المقسطُ، الجامعُ، الغنيُّ، المُغني، المانعُ، الضَّارُّ، النافعُ، النُّورُ، الهادي، البديعُ، الباقي، الوارثُ، الرَّشيدُ، الصبور».

وروينا هذا الحديث في الصحيحين إلى قوله: «يحبُّ الوتر» وما بعده حديث حسنٌ رواه الترمذي وغيرُه[3].

قوله: «المُقيت» بالقاف رُوي بدله «المغيث» بالثاء، ورُوي «القريب» بدلَ «الرَّقيب» ورُوي «المُبين» بالموحَّدة بدل «المتين» بالمثناة من فوق، والمشهور المثناة[4].

= القنوت في الوتر، والنسائي ٣/ ٢٤٩ في قيام الليل، باب الدعاء في الوتر.

(١) في المطبوع: الأحد.

(٢) كلمة «المنعم» ليست في سنن الترمذي.

(٣) رواه البخاري ١١/ ١٨٠ في الدعوات، باب لله عز وجل مئة اسم غير واحد، ومسلم (٢٦٧٧) في الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، والترمذي (٣٥٠٢) في الدعوات، باب أسماء الله الحسنى بالتفصيل.

(٤) حديث ذكر أسماء الله الحسنى أخرجه الترمذي كما مر، وابن ماجه (٣٨٦١) وابن حبان ٣/ ٨٩، والبيهقي ١٠/ ٢٧، والحاكم ١/ ١٦، ١٧ مع تقديم وتأخير، وزيادة ونقص، وأكثر هذه الأسماء ورد في القرآن، ومنها ما ورد فيه الفعل أو المصدر دون الاسم، ومنها ما ليس في القرآن لا بنفسه ولا بورود فعله كالقديم والجميل. قال ابن كثير في التفسير: والذي عوَّلَ عليه جماعةٌ من الحفاظ =

ومعنى: «أحصاها»: حفظها، هكذا فسَّرهُ البُخاري والأكثرون.

قال الشيخ محيي الدين النَّواوي[1] رضي الله عنه: يؤيد هذا التفسير أَنَّ في روايةٍ في الصحيح: «من حفظها دخل الجنة».

وقيل: معناه من عرفَ معانيها، وآمنَ بها.

وقيل: معناه من أطاقَها بحسبِ الرِّعاية لها، وتخلَّقَ بما يُمكنُه من العمل بمعانيها.

* * *

قلت: وقد روى الأئمَّةُ في فضلِ الأذكار أحاديثَ كثيرةً، منها ما رووا أَنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا خافَ أن يُصيبَ شيئاً بعينه قال: «اللَّهُمَّ، باركْ فيه» فلا يضرُّهُ[2].

* ورووا أيضاً: أنَّه قال ﷺ: «من رأى شيئاً فأعجبه، فقال: ما شاء الله، لا قوَّة إلاَّ بالله، لم يَضُرَّهُ»[3].

* ورووا أيضاً أنَّه قال ﷺ: «إذا رأى أحدُكم ما يُعجبُهُ في نفسِهِ أو ماله فليبرِّكْ عليه؛ فإنَّ العينَ حقٌّ»[4].

* وذكر الإمام أبو محمد القاضي حسين من أصحابنا الشافعية في كتابه «التعليق» في المذهب، قال: نظرَ بعضُ الأنبياء صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين إلى قومِهِ، فاستكثرَهم، وأعجبوه، فمات منهم في ساعةٍ سبعون ألفاً، فأوحى الله سبحانه وتعالىٰ إليه: إنَّكَ عِنْتَهم، ولو أنَّكَ إذ عِنْتَهُم حصَّنتهم لم يهلكوا. قال: وبأيِّ شيءٍ أُحصِّنُهُم؟ فأوحى الله سبحانه وتعالىٰ إليه: تقول: حصَّنتُكم بالحيِّ القيُّومِ الذي لا يموت أبداً، ودفعتُ عنكم السُّوءَ بلا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله العليِّ العظيم[5].

= أن سرد الأسماء في هذا مُدرجٌ فيه، أي إنهم جمعوها من القرآن. ويردُّ هذا أن الإمام النووي ذكر الحديث في الأذكار وحسّنه.

(١) الأذكار ١٢٢ قبل كتاب تلاوة القرآن.

(٢) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٢٠٨ عن سعيد بن حكيم بلفظ: «اللهم بارك فيه، ولا تضرّه».

(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٢٠٧ عن أنس.

(٤) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٢٠٥ عن سهل بن حنيف.

(٥) ذكره النووي في الأذكار صفحة ٣٥٨.

قال المُعلِّقُ عن القاضي حسين رحمه الله: وكان عادةُ القاضي إذا نظرَ إلى أصحابه فأعجبَهُ سمتُهم وحُسنُ حالهم حصَّنهم بهذا المذكور.

* ومن ذلك ما رووا عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، أنَّ رجلاً شكا إلى رسولِ الله ﷺ أنّه تُصيبه الآفاتُ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «قل إذا أصبحت: بسم الله على نفسي [وأهلي] ومالي، فإنَّه لا يذهبُ لك شيءٌ». فقالهن الرَّجلُ فذهبت عنه الآفات[1].

* وعنه أيضاً قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قال إذا أصبح: اللَّهُمَّ، إنِّي أصبحتُ منكَ في نعمةٍ وعافيةٍ وسترٍ، فأتمَّ نعمتَكَ عليَّ وعافيتَكَ وسترَكَ في الدُّنيا والآخرة. ثلاث مرّات إذا أصبح، وإذا أمسى، كان حقًّا على اللهِ تعالىٰ أن يتمَّ عليه نعمته»[2].

* وعن أبي الدَّرداء رضي الله عنه: «من قالَ في كلِّ يومٍ حينَ يُصبحُ وحين يُمسي: حسبي اللهُ الذي لا إله إلا هو، عليه توكَّلتُ، وهو ربُّ العرشِ العظيم، سبع مرات، كفاه الله تعالىٰ ما أهمَّهُ من أمرِ الدُّنيا والآخرة»[3].

* ومن ذلك ما رووا أنَّه جاءَ رجلٌ إلى أبي الدَّرداء، فقال: يا أبا الدرداء، احترقَ بيتُكَ. فقال: ما احترق، لم يكنِ اللهُ عزَّ وجلَّ ليفعلَ ذلك، بكلماتٍ سمعتُهنَّ من رسولِ الله ﷺ من قالها أوَّلَ نهارهِ لم تُصبْهُ مُصيبةٌ حتى يُمسي، ومن قالها آخرَ النَّهار لم تُصبْهُ مُصيبةٌ حتى يُصبح: «اللَّهُمَّ، أنتَ ربِّي لا إلهَ إلاَّ أنتَ، عليكَ توكَّلتُ، وأنتَ ربُّ العرش العظيم، ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لم يشأْ لم يكن، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيمُ، أَعْلَمُ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ اللهَ قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من شرِّ نفسي، ومن شرِّ كلِّ دابَّةٍ أنتَ آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربِّي على صراطٍ مستقيم»[4].

وفيه زيادةٌ ذكر الرَّاوي في آخرها: أنَّه قال: انهضوا بنا، فقامَ، وقاموا معه، فانتهوا إلى دارِهِ وقد احترقَ ما حولها ولم يصبْها شيءٌ[5].

---

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٥١) بإسناد ضعيف.
(٢) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٥).
(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٧١).
(٤) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٧).
(٥) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٨).

ورووا غير ذلك ممَّا لا يَتسعُ له هذا الموضع.

* وقال الشيخ أبو زيد القُرطبي رضي الله عنه: سمعتُ في بعضِ الآثار أنَّ من قال: لا إله إلاَّ الله سبعينَ ألف مرَّةٍ كانت فداءَهُ من النار، فعملتُ على ذلك رجاءَ بركةِ الوعد، فعملتُ منها لأهلي، وعملتُ منها أعمالاً ادّخرتُها لنفسي، وكان إذ ذاك يبيتُ معنا شابٌّ كان يُقال عنهُ إنَّهُ يُكاشفُ في بعضِ الأوقاتِ بالجنَّة والنار، وكانت الجماعةُ ترى له فضلاً على صغرِ سنِّهِ، وكان في قلبي منه شيءٌ، فاتَّفقَ أن استدعانا بعضُ الإخوان إلى منزله، فنحن نتناولُ الطَّعامَ والشابُّ معنا، إذ صاحَ صيحةً مُنكرةً، واجتمعَ في نفسه، وهو يقول: يا عمِّ، هذه أُمّي في النار، وهو يصيحُ بصياحٍ عظيمٍ، لا يشكُّ من سمعه أنَّه عن أمرٍ، فلمَّا رأيتُ ما به من الانزعاج، قلتُ في نفسي: اليوم أجرِّبُ صدقَهُ، فألهمني اللهُ تعالىٰ السبعين الألف، ولم يطَّلعْ على ذلك أحدٌ إلاَّ اللهُ، فقلتُ في نفسي: الأثرُ حقٌّ، والذين رووه لنا صادقون، اللَّهُمَّ، إنَّ السبعين الألف فداءُ هذه المرأة أمِّ هذا الشاب [من النار]، فما استتممتُ الخاطرَ في نفسي إلى أن قال: يا عمّ، ها هي أُخرجتْ، الحمدُ لله. فحصلتْ لي فائدتان، إيماني بصدقِ الأثرِ، وسلامتي من الشابِّ، وعلمي بصدقه[1].

* وقد قال بعضهم: رأيتُ الجُنيد في المنام بعد موته، فقلت: كيف حالُكَ يا أبا القاسم؟ فقال: طاحتْ تلك الإشارات، وبادتْ تلك العبارات، وما نفعنا إلاّ تسبيحاتٌ كنَّا نقولها بالغدوات.

وفي روايةٍ: إلاّ رُكيعات كنَّا نركعُها في السحر.

* ورأى بعضُهم في يده سبحةً في حياته، فقالَ له: أنتَ مع شرفِكَ تأخذُ في يدك سبحةً؟! فقال: طريقٌ وصلْتُ به إلى ربِّي لا أُفارقه.

* قلتُ: ولم يزلِ الأكابرُ من شيوخ الطريق السالكين أولي التحقيق، والأخيار من المُريدين والناسكين أُولي التوفيق يَستحسنون اتِّخاذ السُّبحة. وقد رأيتُ في بعضِ المنامات سُبحتين عند النبيِّ ﷺ بعد ما رأيت كأنِّي في جمعٍ من الصَّالحين والأخيار، وفيهم شيخُنا ومولانا وبركتنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبيّ رضي الله عنه، وشيخُنا وسيِّدُنا الشيخ

(١) روض الرياحين ٣٨٩ (الحكاية ٣٤٨).

مسعود الجاوي[1] رضي الله عنه، وإذا قد أقبلَ النبيُّ ﷺ كأنَّه البدرُ الطالع، وهو يحملُ في ردائه شيئاً قاصداً ذلك الجمع، فأتى إلى يتيم ذي فاقةٍ، فأعطاه الذي في ثوبه، وإذا هو شيءٌ أخضرُ من ثمارِ الفواكه، فقلتُ: يا رسولَ الله، نصيبي. فأشار إليَّ أنْ أمشي بعده، فمشيتُ بعده، فدخلَ بيتاً، ثم صعِدَ غرفةً، فصعدتُ بعده، وإذا في زاويةِ الغرفةِ من تلك الفاكهةِ المذكورة، فغرفَ لي منها بكفَّيه الكريمتين مرَّتين، ورأيتُ في الغَرْفتين السُّبحتين المذكورتين.

* وذكرَ بعضُ النِّساءِ الديِّنات الخيِّرات: أنَّها رأتِ النبيَّ ﷺ في النوم، فأطالتْ معه الكلام، ثم قالت: ما أشتهي أُفارقُكَ يا رسولَ الله. فأخذ ﷺ تُراباً أبيضَ من جدارِ القبلةِ، ووضعه في كفِّهِ اليُسرى، ثم بحثَ في الأرضِ بكفِّه اليُمنى مرةً فنبعَ ماءٌ، فغرفَ منه غَرْفَةً بكفِّه اليُمنى، وعجنَ بها التُّرابَ الذي في كفِّه اليُسرى، وأخذَ سُبحةً كانت معها، ولطَّخها بذلك الطين، ثم وضعَ السُّبحة على جسمِهِ المُبارك الكريم، أحدُ طرفيها على صدره، والطَّرفُ الآخر على وجهه، ليطبع بها من بركته ﷺ، ثم أعطاها إياها، وقال: إن أردْتِ أنْ لا تُفارقيني فلا تُفارقي هذه السُّبحة، ثم استيقظتْ وأثرُ الطين في السُّبحة.

وأخبرني بعضُ الإخوان الأخيار، وهو زوجُ المرأةِ المذكورة: أنَّه رأى أثرَ الطِّينِ المذكور في السُّبحة المذكورة عقبَ المنام المذكور.

قلت: والظَّاهرُ واللهُ أعلمُ أنَّه أرادَ ﷺ بملازمة السُّبحةِ مُلازمةَ التَّسبيحِ بها.

* والسُّبحةُ على ثلاثة أقسام: مسبحة بالسين المهملة، وهي التي يُسبَّحُ بها، ومشبحة بالشين المُعجمة وهي البطالة، ومَذبحة وهي التي يُديرها صاحبها، وهو يغتابُ الناس، ويذبحهم ويأكلُ لحومهم، وفي ذلك أقول:

وكم مِنْ مُشبحاتٍ عُلِّقتْ في ... حُلوقٍ مُذْبحاتٍ للرِّقابِ
لقذفي غيبةٍ عمَّتْ وطمَّتْ ... مُصيباتٍ بها كم من مُصابِ
بمقراضٍ من النِّيرانِ قرِّضْ ... لساناً ذات قرضٍ واغتيابِ

* * *

---

(١) مسعود بن عبد الله الجاوي شيخ كبير مشهور بمدينة عدن، كانت له صحبة لأكابر المشايخ، انتفع به مؤلفنا اليافعي، وهو أول من ألبسه الخرقة. طبقات الخواص للشرجي ١٥٦.

الباب السادس

في فضل الحمد والشكر لله تعالىٰ

قال الله تعالىٰ: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

والآياتُ في ذلك كثيرةٌ معروفة، وكذلك الأحاديث، وقد قدّمنا شيئاً منها في الأذكار[١]، وهذه خمسةُ أحاديث منها على جهةِ البركةِ والتّذكرة في هذا الباب:

الحديث الأول: روينا في «سنن أبي داود» عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ أنّه قال: «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه بالحمدِ لله فهو أقطع».

وأخرجه ابنُ ماجه، وأبو عوانة الإسفراييني في «مسنده» المخرَّج على «صحيح مسلم»[٢].

وفي رواية: «فهو أجذم» وفي روايات غير ما ذكرنا.

الحديث الثاني: روينا في «سنن أبي داود» أيضاً بإسنادٍ لم يضعِّفْهُ، عن عبد الله بن غنَّام ـ بالغين المعجمة، والنون المشدَّدة ـ الصَّحابي رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من قالَ حينَ يُصبح: اللَّهُمَّ، ما أصبحَ بي من نعمةٍ [أو بأحدٍ من خلقك، فإنَّها منك] وحدَك،

---

(١) انظر صفحة ١٦٨.

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٩٤) في النكاح، باب خطبة النكاح، وأبو داود (٤٨٤٠) في الأدب، باب الهدي في الكلام بلفظ: «كل كلام لا يُبدأ فيه بالحمد...».

لا شريكَ لك، لك الحمدُ ولك الشُّكر. فقد أدّى شُكرَ يومه، ومن قالَ مثلَ ذلك حين يُمسي فقد أدّى شُكرَ ليلته»[1].

الحديث الثالث: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن معاذ بن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من أكلَ طعاماً فقال: الحمدُ لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غيرِ حَولٍ منّي ولا قوة، غُفر له ما تقدَّمَ من ذنبه»[2].

وروي نحوه فيمن لبسَ ثوباً جديداً[3].

الحديث الرابع: روينا في «صحيح مسلم» عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله ليرضى عن العبدِ أن يأكلَ الأكلَةَ فيحمَدَهُ عليها، ويشربَ الشربة فيحمدَه عليها»[4].

الحديث الخامس: روينا في «سنن أبي داود» وكتابي «الجامع» و«الشمائل» للترمذي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا فرغَ من طعامِهِ قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وجعلنا من المسلمين»[5].

والأحاديثُ في الحمدِ والشُّكر كثيرةٌ جداً لا نستطيعُ لها عدّاً، وقد قال المتأخِّرونَ من أصحابنا الخُراسانيين: لو حلفَ إنسانٌ ليحمدنَّ الله تعالىٰ بمجامع الحمد. وقال بعضُهم: بأجلِّ التَّحاميد، فطريقه في برِّ يمينه أن يقولَ: «الحمدُ لله حمداً يُوافي نعمَه ويُكافئُ مزيده» قالوا: ولو حلف ليُثنينَّ على الله تعالىٰ أحسنَ الثَّناءِ، فطريقُ البرِّ أن يقول: «لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك».

وزاد بعضُهم في أوّله: «سبحانك» وزاد بعضُهم في آخره: «فلك الحمدُ حتَّى ترضى».

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٣) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٥٤) في الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، وأبو داود (٤٠٢٣) في اللباس، في فاتحته.

(٣) هو الحديث السابق، زاد فيه أبو داود: «ومن لبس ثوباً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه. .».

(٤) رواه مسلم (٢٧٣٤) في الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالىٰ بعد الأكل.

(٥) رواه الترمذي (٣٤٥٣) في الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، وفي الشمائل ١٩٣، وأبو داود (٣٨٥٠) في الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طَعِم.

* وعن أبي نضرة التمَّار رحمه الله، عن محمد بن النضر رضي الله عنه قال: قال آدمُ صلوات الله عليه: يا ربِّ، شَغلتني بكسبِ يدي، فعلّمني شيئاً فيه مجامعُ الحمد والتَّسبيح. فأوحى اللهُ تعالىٰ إليه: يا آدمُ، إذا أَصبحتَ فقلْ ثلاثاً، وإذا أَمسيتَ فقلْ ثلاثاً: الحمدُ لله ربِّ العالمين، حمداً يوافي نعمَهُ، ويُكافئ مزيده، فذلك مجامعُ الحمدِ والتسبيح.

* وقال الشيخ أبو عثمان: الشُّكرُ معرفةُ العجزِ عن الشُّكر.

* وقيل: قال داود عليه السلام: إلٰهي، كيفَ أشكرُكَ وشُكري لكَ نعمةٌ من عندك. فأوحى الله إليه: الآن قد شكرتني.

* ويقال: الشُّكرُ على الشُّكرِ أتمُّ من الشُّكر، وذلك أَنْ ترى شكرَكَ بتوفيقه، ويكون ذلك التَّوفيقُ من أجلِّ النِّعم عليك، فتشكرُهُ على الشُّكر، ثم تشكرُهُ على شُكرِ الشُّكر إلى ما لا يتناهى.

* والشُّكرُ يكون بالقلب، وباللِّسان، وبالجوارح على حسبِ ما يليقُ بكلِّ واحدٍ منها من الطاعة، من الاعتراف بالنِّعمِ والذكر والعمل.

وبينَ الشُّكرِ والحمد عمومٌ وخصوصٌ، وقيل: هما بمعنىً واحدٍ، وحقيقةُ الحمدِ لله: أن يُطاعَ فلا يُعصى، وأن يُذكرَ فلا يُنسى، وأن يُشكرَ فلا يُكْفَر.

* قلت: وليس مقصودُنا تتبُّعُ الأذكارِ في الأوقات والأحوال المختلفات، وإنَّما قصدُنا أولاً وضعُ وردٍ بعد صلاةِ الصُّبحِ، والعصرِ، والمغرب لراغبٍ في الخيرِ على جهة الاختصارِ خوفاً من المللِ في الإكثار.

* * *

الباب السابع

في فضلِ الصلاة على النبي ﷺ والحث عليها، وفي مدحه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

والأحاديثُ في فضلها والأمرِ بها مشهورةٌ غيرُ محصورة، ونذكرُ عشرةَ أحاديث منها في هذا الباب، تذكرةً وبركةً:

الحديث الأول: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من صلَّى عليَّ واحدةً صلَّى اللهُ عليه عشراً»[1].

الحديث الثاني: روينا في «كتاب الترمذي» عن عبدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أولى النَّاسِ بي يومَ القيامة أكثرُهم عليَّ صلاةً»[2]. قال الترمذي: حديثٌ حسن.

الحديث الثالث: روينا في «سنن أبي داود» و«النسائي» بالأسانيد الصَّحيحةِ عن أوسِ بن أوس رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ من أفضلِ أيامكم يومَ الجمعةِ [فيهِ خُلقَ آدمُ، وفيه قُبضَ، وفيه النَّفخةُ، وفيه الصَّعقةُ]، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإنَّ صلاتَكم معروضةٌ عليَّ» فقالوا: يا رسول الله، كيفَ تُعرضُ عليكَ صلاتُنا، وقد أَرِمْتَ؟ - قال: يقولون: بليت - قال: «إنَّ اللهَ حرَّمَ على الأرضِ [أن تأكل] أجسامَ الأنبياء»[3].

---

(١) رواه مسلم (٤٠٨) في الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد.

(٢) رواه الترمذي (٤٨٤) في الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

(٣) رواه أبو داود (١٠٤٧) في الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، والنسائي ٣/ ٩١، ٩٢ في الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة.

قوله: «أرمت» بفتح الراء، وسكون الميم، وفتح التاء المخففة.

الحديث الرابع: روينا في «سنن أبي داود» بالإسناد الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتَكم تَبلُغُني حيثُ كنتم»[1].

الحديث الخامس: روينا في «سنن أبي داود» أيضاً بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما من أحدٍ يُسلِّمُ عليَّ إلاَّ ردَّ اللهُ عليَّ روحي حتَّى أردَّ عليهِ السَّلام»[2].

* قلت: آمنَّا وصدّقنا أنَّه ﷺ يردُّ السلام على المُسلِّمِ عليه، وقد سمعَ منه ذلك كثيرٌ من الصَّالحين في اليقظة، بل رأوه ﷺ يخرجُ للقاءِ الزوّار، كما روينا ذلك عن غيرِ واحدٍ، بعضُهم رأى ذلك في اليقظةِ بطريقِ الكشفِ، وبعضُهم في النَّومِ.

ومن المنامات الغريبةِ العجيبةِ الدالَّةِ على حُسْنِ مكارمِ أخلاقهِ ﷺ، وجميلِ سيرتهِ، وشدَّةِ محبَّتهِ للفقراءِ ورأفتهِ لأمَّتِهِ، واهتمامهِ بالصَّلاةِ، وسائرِ سُننه، والأدبِ مع الكبيرِ في مجالسته ومخالطته، واحترامهِ في حضورهِ وغيبته، وزيارة الكبيرِ للصغيرِ، وتلقّيه إذا همَّ بزيارته، وحُسن معاملة الله سبحانه لمن نوى طاعةً وعجزَ عنها، ومكافأته على مجرَّدِ نيَّتِهِ، والوصيةِ بتقوى الله والدُّعاء بالتوفيق، والإعانةِ على طاعته، ما رأى بعضُ السَّاداتِ الصَّالحين، وذلك أنَّ بعضَ النَّاسِ زارَ بيتَ المقدس، ثم رجعَ إلى الحجاز، فلمَّا قربَ من بدرٍ أحبَّ أن يدخلَ المدينةَ المشرَّفة لزيارةِ النبيِّ المُكرم ﷺ، قبل أن يزورَ البيتَ المُعظَّم، وحرصَ على ذلك، فلم يُمكنه لضيقِ وقتِ الحجِّ، وعُسرِ الطريق، فسلَّمَ على النبيِّ ﷺ من هناك مع التأسُّفِ على تعذُّرِ زيارته، والمجاوزةِ عنه إلى غيره، فرأى السيدُ الصالح المذكورُ في النوم ليلةَ الاثنين المُباركة في آخر ذي القعدة المحرم في بدرٍ الشريفة، كأنَّ ذاك الشخصَ الذي همَّ بالزيارة على سريرٍ، في قصرٍ عالٍ مليحٍ غالٍ، فيه أنهارٌ وأشجارٌ وأطيارٌ، وبقربه الشيخُ الكبير العارف بالله سهلُ بنُ عبد الله رضي الله عنه في القصر المذكور على سريرٍ أيضاً، وبيده مُصحفٌ، قال الرائي: فجئتُ أنا وصاحبٌ لي إلى الشيخ سهلٍ، وطلبنا

---

(1) رواه أبو داود (٢٠٤٢) في المناسك، باب زيارة القبور.

(2) رواه أبو داود (٢٠٤١) في المناسك، باب زيارة القبور.

منه الدُّعاء. فقال: قدِّموا العمل أولاً، ثم اطلبوا الدُّعاء، ثم قال سهل: هذا القصرُ للشيخ فلان ـ يعني الشخص المذكور ـ وإنَّما جئتُ لزيارته، وكانَ الشَّخصُ المذكور قد مدحَ النبيَّ ﷺ في تلك السَّفرةِ بقصيدتين، ومدحَ الصَّالحين رضي الله عنهم بقصيدتين، وذكرَ سهلَ بنَ عبد الله باسمه في إحداهما، قال الرائي للمنام المذكور: ثم رأيتُ إنساناً قد أتى إلى الشَّخصِ المذكورِ بأربعِ خِلَعٍ خضرٍ، فأشارَ إليه ذلك الشَّخصُ أن يبدأَ بخلَعٍ على سهلٍ، ثم عليَّ وعلى صاحبي، ففعل، ثم خلعَ عليه الخلعةَ الرابعة، وأراد أن أجلسَ أنا وصاحبي معه على سريره، فامتنعنا، وقلنا: ما نشاركُكَ فيما أعطاك الله؛ ولكن ادعُ الله أن يُعطينا. قال: فدعا، فطلع كرسيان من تحتِ الأرضِ من بين السَّريرين المذكورين، فجلستُ على كرسيٍّ، وصاحبي على كرسيٍّ. ثم أذَّنَ سهل وأقامَ الصلاة، وقالَ للشَّخص المذكور: تقدَّمْ صلِّ بنا، فقال: معاذ الله أن يتقدَّمَ مثلي على مثلك، فتقدَّمَ سهلٌ وصلّى بنا، قال: ثم سألتُهُ أنا وصاحبي أن يدعو لنا، فقال: السَّاعةَ يجيءُ النبيُّ ﷺ. ثم رجعَ كلُّ واحدٍ منَّا إلى مكانه، وإذا به ﷺ قد دخلَ، ومعه جماعةٌ من أصحابهِ رضي الله عنهم أجمعين، وأولُ شيءٍ بدأ به الصلاةَ، تقدَّمَ وصلّى بالجميع بعد أذانٍ وإقامةٍ، فلمّا فرغ من الصلاة واستقبلَ الجماعةَ بوجهِهِ الكريم، جاءَ سهلُ بنُ عبد الله وجثا بين يديه على ركبته ـ أو قال: على ركبتيه ـ فقال له ﷺ: طلبَ أصحابُنا الفقراءُ منك الدُّعاء، فامتنعتَ، ولكنَّكَ لزمتَ الأدبَ معنا، ويحقُّ لك ذلك، ثم قال ﷺ: أين الشيخ فلان؟ ما جئنا إلاَّ لزيارته ـ يعني الشخص المذكور الذي شقَّ عليه تعذُّرُ الزيارة ـ قال: فنزلَ من السريرِ، وجاءَ إلى النبيِّ ﷺ، وجلسَ بين يديه وهو يبكي، فمسح ﷺ بيدِهِ الكريمةِ على رأسه، وقال: وفَّقَكَ الله لطاعته، وأعانك عليها، قالها ثلاثاً، ثم قال له: أوصني. فقال: أُوصيك بتقوى الله وطاعته، قالها ثلاثاً، قال: ثم قلت له أنا وصاحبي: أوصنا. قال: أوصيكم بما أَوصيتُ به إمامَكم، ثم جاء إنسانٌ يحملُ فاكهةً على رأسِهِ، ووضعها بين يديه ﷺ، فأخذ بيده الكريمةِ حبَّةَ رمانٍ منها، وأطعمَ من تلك الحبَّةِ المباركةِ جميعَ من في ذلك المجلس الشريف، زاده الله شرفاً وفضلاً، وجزاه عنَّا أفضلَ الجزاء.

الحديث السادس: روينا في «كتاب الترمذي» عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «البخيلُ من ذُكرتُ عنده فلم يُصلِّ عليَّ». قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

ورويناه في «كتاب النَّسائي» من رواية الحسين بنِ عليٍّ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ[1].

الحديث السابع: روينا في «كتاب الترمذي» أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رغِم أنفُ رجلٍ ذُكرتُ عنده فلم يُصلِّ عليَّ». قال الترمذي: حديث حسن[2].

الحديث الثامن: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» و«النسائي» عن فَضَالة بن عُبيد رضي الله عنه، قال: سمع رسولُ الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاتهِ، لم يحمدِ الله تعالىٰ، ولم يُصلِّ على النبيِّ ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عَجِل هذا» ثم دعاه؛ فقال له أو لغيْرِه: «إذا صلَّى أحدُكم فليبدأْ بتحميدِ الله سبحانه، والثَّناءِ عليه، ثم يُصلِّي على النبيِّ ﷺ، ثم يَدعو بعدُ بما شاء»[3]. قال الترمذي: حديثٌ حسن صحيح.

الحديث التاسع: روينا في «كتاب الترمذي» عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه قال: إنَّ الدُّعاءَ مَوقوفٌ بين السَّماءِ والأرض، لا يصعدُ منه شيءٌ حتى تُصلِّي على نبيِّكَ ﷺ[4].

الحديث العاشر: روينا في الصحيحين عن أبي محمد كعبِ بنِ عُجْرة رضي الله عنه قال: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيفَ نُسلِّمُ عليك، فكيف نُصلّي عليك؟ قال: «قولوا: اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ، وعلى آل محمد، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيد. اللَّهُمَّ باركْ على محمد، وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيم، إنَّك حميدٌ مَجيدٌ»[5].

وفي الصحيحين عن غيرِ كعبٍ ما يُقاربُ هذه الكيفية، ووجهُ الجمع بينهما على

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٠) في الدعوات، باب (١١٠) والنسائي في الكبرى ٥/ ٣٤ (٨١٠٠).
(٢) رواه الترمذي (٣٥٣٩) في الدعوات، باب (١١٠).
(٣) رواه الترمذي (٣٤٧٣) في الدعوات، باب (٦٦) وأبو داود (١٤٨١) في الصلاة، باب الدعاء، والنسائي ٣/ ٤٤ في السهو، باب التمجيد والصلاة على النبي ﷺ في الصلاة.
(٤) رواه الترمذي (٤٨٦) في الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ.
(٥) رواه البخاري ١١/ ١٢٨ في الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، ومسلم (٤٠٦) في الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد.

ما ذكره الإمامُ النَّواويّ[1] رضي الله عنه، قال: الأفضلُ أن يقولَ: «اللَّهُمَّ صلِّ على محمد عبدِك ونبيِّك ورسولِكَ النبيِّ الأميِّ، وعلى آلِ محمدٍ وأزواجِهِ، وذريَّتِهِ، كما صلَّيتَ على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارِكْ على محمدٍ النبيِّ الأميِّ وعلى آلِ مُحمدٍ وأزواجِهِ، وذريَّتِهِ، كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيم في العالمين، إنَّكَ حميدٌ مجيد».

* قلتُ: واختلفَ أصحابُنا في أفضلِ الصلاةِ على النبيِّ ﷺ، فقال بعضُهم: أفضلُها الذي أمرَ به ﷺ المذكور في الصحيحين: «اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آلِ محمدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيم. . » الحديث.

وقال بعضُهم: أفضلُها أن يقول: اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آلِ محمد كلَّما ذكره الذَّاكرون، وكلَّما سها عنه الغافلون.

وقال بعضهم: أفضلُها أن يقولَ: اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آلِ محمدٍ أفضلَ صلواتك، وعددَ معلوماتك.

قلتُ: فينبغي للإنسانِ أن يجمعَ بين هذه الكيفيات الثلاث، فيقول: اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آلِ محمد، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ، وبارِكْ على محمد وعلى آلِ محمد، كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيم، إنَّك حَميدٌ مجيد، أفضلَ صلواتك، عددَ معلوماتك، كلَّما ذكرَه الذَّاكرون، وكلَّما سها عنه الغافلون.

عليكَ صلاةُ اللهِ يا أكرمَ الوَرَى ... ومن هو في الدَّارينِ للخَلْقِ نافعُ
له المجدُ نَعْلٌ والمعالي شِراكُها ... وبحرُ النَّدى كفٌّ ونهرٌ أصابعُ
وفي الحشرِ حوضٌ والشَّفاعةُ واللُّوى ... فللرُّسلِ مِقدامٌ وللخَلْقِ شافعُ
رؤوفٌ رَحيمٌ مُشفقٌ مُتعطِّفٌ ... حليمٌ كريمٌ خاضعٌ مُتواضعُ
بخَلْقٍ وخُلْقٍ كاملين فخَلْقُهُ ... علاه إليها والخُلْق للخَلق واسعُ
غياثٌ لملهوفٍ وغيثٌ لناجعٍ ... لدينِ الهُدى بانٍ وللكُفْرِ قالعُ
مُحمَّدٌ المُختارُ من آلِ هاشمٍ ... له نسبٌ في ذروةِ المجدِ نابعُ
سلالةُ مجدٍ من لؤيِّ بنِ غالبٍ ... إلى أصلِهِ الفخرُ المؤثَّلُ راجعُ

(1) الأذكار صفحة ٨٧ باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد.

مقرُّ النَّدى مُفني العِدا عَلَمُ الهُدى جلاءُ الصَّدى من وجهِهِ النُّورُ لامعُ
أضاءتْ به الظَّلماءُ وافتخرَ الوَرَى طـرازُ جمـالٍ للمحـاسـنِ جـامـعُ

وممَّا قلتُ أيضاً في مدحه ﷺ، هؤلاء القصيدات الثلاث.

الأولى من القصائد: المدنية الشريفة الرضية.

والثانية من القصائد: المكية الفاضلة الزكية.

والثالثة من القصائد: السنية المنشأة في السفرة القدسية.

القصيدة الأولى المدنية، وهي: بهجة الأنوار في مدح النَّبيِّ المختار ﷺ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ السَّادات الأخيار:

بشـرَاكَ بشـراكَ هـذا الـرَّبـعُ والـدَّارُ وهمُ إلى الوصلِ بعد الهجرِ قد داروا
ودارتِ الكأسُ في شربِ الهوى وبها مـن خمـرةِ الحـبِّ للعُشَّـاقِ إسكـارُ
وليس أسما ولا سلمى هناك ولا نُعمـى ونعمـانُ أو نجـدٌ وأغـوارُ
لكنْ شموسٌ بدت من نحو كاظمةٍ بجنـحِ ليـلٍ وأنـوارٌ وأقمـارُ
سارتْ قلوبٌ حداها الشَّوقُ رائدةً لحُسنِهَـا ركبُهـا فـي نـورِهـا سـاروا
ما حارَ في نورِها ركبٌ فتاه بلى في حُسنها ركبُها يا حارِ قد حاروا
حارتْ عقولُ الوَرى في حُسنها وسَبَتْ منهـم قلـوبـاً ثَـوتْ فيهـا لهـا زاروا
يا مسكناً للأحبّا في الفؤادِ وما ذاقَ الكَـرَى نـادِ حِيْنـاً نـامَ سمّـارُ
يا جيرةَ الحيِّ قلبي في جوارِكُمُ والجارُ في حفظِهِ قد أُوصيَ الجارُ
أنتـم نَـدبتُـم إلـى هـذا مكـارمَكُـم عنها أتى نحونا في ذاك أخبارُ[1]
لم أُوصكُم خوفَ إخلافٍ بذاكَ سوى إنِّـي مُنـاجـاتَكُـم أهـوى وأختـارُ
واقرا السَّلامَ على الأحبابِ من شَجَنٍ لأجـلِ بعـد ولا عـاقَتْـهُ أعـذارُ
إلاّ حيـاءً لتقصيـري وسُـو أدبـي وكُثـر ذنبـي أنـا مـن ذاكَ فـرَّارُ
في القلبِ عن لمحِ عالي منزلٍ لهُمُ مـن أجـلِ إجـلالِهِـمْ نهـيٌ وإنـذارُ

(١) من هنا يبدأ خرم في نسخة (ب) حتى الصفحة (٢٥٢).

لا أستطيعُ أمدُّ الطَّرفَ نحوَهُمُ ... سوى الحمى فيه لي قد لذَّ إبصارُ
هـذي ديارُ الأحبّا قـد أضاءَ بهـا ... مـن حُسنهـم بهجـةٌ تَـزهـو وأَنـوارُ
فانظرْ إليها ترى غالِ الجمالِ بها ... واشتـمّ للطيـبِ فـالحسنـاءُ مِعْطـارُ
والثمْ ثراها وصُبَّ الدَّمعَ مُنتحباً ... يشجوك شوقٌ وللأحبابِ تذكارُ
وبـثَّ مـن قلبـكَ العـانـي صبابَتَـهُ ... وبُـحْ بحـبٍّ عَـداك اللَّـومُ والعـارُ
ومـتْ قتيـلاً بهـا كـي يجعلـوكَ غـدا ... تحت اللّوى عندما أَهلُ الثرى ثاروا[1]
ولا تسلْ قطُّ في قتلِ الهوى دِيةً ... فحكمُهُـم فـي دمِ العشّـاقِ إهـدارُ
واخلعْ ثياباً على البُشرى بنشرِ شذاً ... تُهديه منهم لكي يشفيكَ إسحارُ
مع الصَّبـا ثـم ابشـرْ بـالمُنـى فلقـدْ ... فـي طـابـةٍ لاحَ لـلأحبـابِ آثـارُ
هـذا المُصلّـى وذا سَلـعٌ وذاك قبـا ... وذاك أحـدٌ وغيـرٌ هـذهِ الـدَّارُ
هـذي ريـاضُ جنـانِ الخُلـدِ بـاهيـةٌ ... ومسجـدُ أسَّـه للخيـر أخيـارُ[2]
هذي قبابُ البها غالي الجمال بها ... للقلـبِ فـي تلـك أشجـانٌ وأوطـارُ
هذا الذي قلَّ مشيٌ بالوجوهِ له ... أو خطوةٌ جابَه العشاقُ أو طاروا
هذا الحبيبُ الذي للحُسْنِ جامعُهُ ... فـي حُسنِـهِ نـاعـمٌ قلـبٌ وأبصـارُ
بالسَّعدِ في طلعةِ الغرّا وزهرتِها ... ورونـقُ الحُسـنِ فيهـا فـازَ نظّـارُ
هـذا النبيُّ الـذي سُرُّ الـوجـودِ بـه ... هذا الذي من جميعِ الخَلْقِ مُختارُ
هذا الذي قد سَرَى فوقَ البُراقِ له ... وَصْلٌ وقد أُسبلتْ بالليلِ أستارُ
في حضرةِ القُدسِ للمحبوبِ حين خلا ... مـع المُحـبِّ مَسـرّاتٌ وأَسـرارُ
قد باتَ يُسقى وعينُ الهجرِ نائمةٌ ... شـرابَ وصـلٍ صفـا مـا فيـه أكـدارُ
مقـرَّبـاً فـي بسـاطِ الأنـسِ نـائيـةٌ ... عنه مقاماتُ أهلِ القُرب قد صاروا
أصحـابُ بعـدٍ إليـه نسبـةٌ فلَـهُ ... فوقَ الجميعِ على الأطوارِ أطوارُ
محمَّـدٌ سيِّـدٌ للخلـقِ قـاطبـةً ... بـلا افتخـارٍ لأهـلِ الفَخـرِ فَخّـارُ
غوثُ الورى ذو اللّوى والحوضِ شافعُهم ... يُـولـي أمـانـاً إذا مـا خِيفَـتِ النّـارُ

---

(١) في هامش (أ): أي أرض المحشر.

(٢) في المطبوع: ومسجد الله للخيرات أخيار.

يا واحدَ الدَّهرِ لم ثانٍ يلذه ولم ... تسمحْ بمثلٍ له في الخَلْقِ أعصارُ
هـذا الفقيرُ الحقيرُ اليافعيُّ لكم ... عبـدٌ مُحـبٌ وضيـفٌ مـادحٌ جـارُ
عـديـمُ زادٍ مـن التَّقـوى وذو سَفَرٍ ... صَعـبُ المـرامِ بعيـدٌ فيـهِ أخطـارُ
وقد عمى قلبيَ القاسي ولي غَلَبَتْ ... نفسـي وقـد أثقلـتْ للظَّهـرِ أوزارُ
وغـرَّنـي طـولُ آمـالـي فضـاعَ بهـا ... عُمـري ولـم أَدْرِ أَنَّ الـدَّهـرَ غـدَّارُ
وها أنا في حماكم والنزيلُ وكم ... يُحمى بكم من مَخوفٍ منه مِذْعارُ
بـالجاه مُستشفـعٌ بـالظُّلـمِ مُعتـرفٌ ... للـذَّنـبِ مُستغفـرٌ والـربُّ غفَّـارُ
وأنـتَ بـرٌّ رحيـمُ القلـبِ ذو ألـمٍ ... بـالشـوك فينـا فكيـفَ النَّـارُ والعـارُ
جـزاك عنَّـا إلـهُ الخلـقِ خيـرَ جـزا ... يَعلـو بـه منـكَ تَشـريـفٌ ومِقـدارُ
فهـــذه بهجـــةُ الأنـــوارِ بـــاهيـــةٌ ... سبعـونَ بيتـاً علتهـا منـكَ أنـوارُ
فيهـا غـوالـي حُـلاك الغـرُّ طـائعـة ... قد زنْت للشِّعرِ ما زانَتْكَ أشعارُ
عليـكَ أزكـى صـلاةِ اللهِ دائمـةً ... والآلِ والصَّحبِ منها المِسكُ مِدْرارُ
علـى أبـي بكـرِ الصِّـديـقِ فـائحـةً ... بـالنَّشـرِ مـن تلـك آصـالٌ وأبكـارُ
تُجلى له مُسفراتٌ عن مَحَاسِنِها ... بيضُ العُلى غالياتُ الحُسنْ أَبكارُ
شيخُ الوقارِ وثاني الغارِ شاهدةٌ ... فـي مجـدهِ القبَّـةُ الحسنـاءُ والغـارُ
مقـدَّمُ الفضـلِ والعليـا لـه شـرفٌ ... في ذكره كُبِتتْ أعداءٌ له غاروا[1]
ومُظهـرُ الـدِّيـن فـي إعـزازه عُمـر ... مُـذلِّـلُ الكفـرِ قـد هـابتـه كفَّـارُ
سـراجُ جنَّـاتِ عـدنٍ منـه بـاهجـةٌ ... ريـاضُهـا الغـرُّ بـالأنـوارِ زُهَّـارُ
والصَّائمُ القائمُ المحمودُ مَشهدُهُ ... عثمانُ ذو النُّورِ من في قتله جاروا
أشـرارُ قـومٍ مـن الأرذالِ فـي دمِـهِ ... فـي مُصحـفٍ ظـلَّ للفجَّـارِ فجَّـارُ
ورابعُ السَّادةِ المولى أبي حسنٍ ... سيفُ القضا ثم بحرُ العلم زخَّارُ
ومعـدنُ الجـودِ والـدُّنيـا مُطلِّقُهـا ... بتـاً ثـلاثـاً فتـىً بـالفضـلِ مِشهـارُ
وبـاقـي العشـرةِ الغُـرِّ الكـرامِ أُولـي ... فضـلٍ إذا كـاثـرَ الحصبـاءَ كثَّـارُ

(١) في (أ): في ذكره كُتُبُ أعداءٍ له غاروا.

ثمَّ القراباتُ من أدلوا بمَكرمةٍ ... أنهارُ مجدِ الورى من تلك تَنهارُ
عمامةُ المجدِ في العمّين مُعلمَةٌ ... والفخرُ زاهٍ على الزَّهراءِ مِثْمَارُ
سبطَيْنِ داسا بساطَ المجدِ جدُّهما ... عليهما فخرُهُ الفخَّارُ نثّارُ
والغرُّ أعني بها الزَّوجاتِ أجمعَها ... فيها عن الرِّجسِ والأدناسِ طهَّارُ
مخصصاً لابنةِ الصِّديقِ عائشةٍ ... من سورةِ النُّورِ تعلو تلكَ أنوارُ
وباقي الآلِ والصَّحبِ الكرامِ معاً ... مُهاجريهم ومن للدِّينِ أنصارُ
تبوؤا الدَّارَ والإيمانَ قبلهم ... مع الخصاصاتِ فيهم شاعَ إيثارُ
إنْ يُجْهَلَ القومُ فالهيجاءُ تَعرِفُهُم ... هم هم لهم هانَ إيرادٌ وإصدارُ
راحوا ببدرِ الهُدى الوهَّاجِ مغنمُهُم ... والغيرُ راحوا لهم شاةٌ ودينارُ
والحمدُ لله قد تمَّتْ وخاتمها ... غفرانَكَ اللهُ يا غفَّارُ ستَّارُ

القصيدة الثانية المكّية، وهي: شهدُ الشُّفا في مدح المصطفى ﷺ وشرَّف وكرَّم، وهي هذه:

قفا حدّثاني فالفؤادُ غَليلُ ... عسى منه يَشفى بالحديثِ عَليلُ
أحاديثُ نجدٍ علّلاني بذكرِها ... فقلبي إلى نجدٍ أراهُ يَميلُ
بتذكارِ سُعدى أسعداني فليسَ لي ... إلى الصَّبرِ عنها والسُّلوّ سَبيلُ
ولا تذكرا لي العامريةَ إنَّها ... يُولِّهُ عقلي ذكرُها ويُزيلُ
ولكنْ بذكري عرِّضا عندها فإنْ ... تقلْ كيفَ هو قولا بذاك عليلُ
علاه اصفرارٌ مُدنفٌ والهٌ له ... أنينٌ سقيمٌ جسمُهُ ونحيلُ
فإن تعطفي تشفي وإنْ تُتلفي ففي ... هواكِ المُعنّى المُستهامُ قَتيلُ
سقى اللهُ يوماً جامعاً شملَنا ولا ... سقى يومَ بينٍ جَدَّ فيه رحيلُ
بخودٍ لها شَعرٌ إذا هي أرسلتْ ... كسا البدرَ جعدٌ كالظّلام رجيلُ
وأنفٌ وثغرٌ كالقَضيبِ وخاتمٌ ... به الشَّهدُ والوجهُ الأغرُّ صقيلُ
وصوتُ رَبابٍ ثم عينُ المها لها ... وجيدُ غزالٍ كاللُّجينِ طَويلُ
وخصرٌ دقيقٌ غصنُ بانٍ شبيهُها ... وساقٌ صَقيلٌ كالرُّخامِ جَليلُ

وحُقَّانِ مَخروطانِ من عاجٍ لونِها وكفلٌ بمنعٍ للنُّهوضِ كفيلُ[1]
ولمَّا تَوادعنا بوادي النَّقا وقد علانا على بُعدِ اللِّقاءِ عويلُ
بَدَا بردٌ قد عضَّ عُنّابَ سندسٍ وفي الوردِ درُّ البحرِ صارَ يَسيلُ
فها جَرَتِ العنَّابُ وجداً من النَّوى[2] ومن بعدهِ البلورُ عنه بَديلُ
ولمَّا تفرَّقنا تناحَتْ[3] قلوبُنا بنا ما به الصَّبرُ الجميلُ يعيلُ
فلا يصحبِ العشَّاقَ عند فراقٍ من يحبُّون طرفٌ بالدُّموع بخيلُ
وبانتْ وبي منها على البَينِ لذعةٌ لهيبٌ لها بين الحشا وشعيلُ
فإنْ لا أَمُتْ منها قتيلاً فإنَّني لمن حلَّ في وادِ العَقيقِ قَتيلُ
إلى كم على ليلى وسُعدى وفي النقا ونجدٍ ونُعمانٍ هوايَ أُحيلُ[4].
وليسَ دمي في بطنِ نُعمان سائلاً ولكنْ له وادي العقيقِ مَسيلُ
رَمَتْ مَقتلي ريمٌ لها بين رامَةٍ وبين المُصلّى مُسمرٌ ومَقيلُ
بسهمٍ له نصلٌ وفي النَّصلِ جمرةٌ وفي الجمرِ سُمٌّ ليس قطُّ يُقيلُ
غزالٌ له طرفٌ به السَّفكُ زانَهُ فتورٌ وغضٌّ أدعجٌ وكحيلُ[5].
لها بين سِلعٍ والبقيعِ حِذا قُبا قبابٌ أحاطتْ بالقِبابِ نَخيلُ
ومن حولِها نورٌ يلوحُ ومَندلٌ يفوحُ على ذاتِ الجمالِ دَليلُ
وحولي للومي عاذلاتٌ وسرُّنا فشا ومَشى في النَّاسِ قالَ وقيلُ
يَقولونَ يَهواها ويَهذي بذكرِها فتىً يافعٌ أصلٌ له وقَبيلُ
فلاهم ولاها بهجرٍ وهجرةٍ سَبَاهُ جمالٌ عندها وجميلُ
وقالوا عزيزاً كان بين قبيلةٍ حُماةٍ بأيديها الكميُّ صَقيلُ
وها هو قد أَمسى غريباً ببلدةٍ وليسَ بها حامٍ له وحَميلُ

---

(١) الحق: وعاء من خشب شبه به الثدي، والكَفَلُ: العَجزُ.
(٢) في (أ): فهاجرتْ العُنّابَ.
(٣) في المطبوع: تناجت.
(٤) في المطبوع: أجيل.
(٥) الدَّعَجُ: سواد العين مع سعتها.

فقلـتُ لهـم حـاشـا وكـلاً وإنَّنـي لغوثُ الورى حامِ الذِّمارِ نزيلُ
مقرُّ النَّدى مُفني العِدا عَلَمُ الهُدى جلاءُ الصَّدى مَجلي الرَّدى ومُزيلُ
محمَّدٌ المَخصوصُ بالحوضِ واللِّوى شفيـعُ البـرايـا بـالأمـانِ كفيـلُ
غيـاثٌ لملهـوفٍ وغيـثٌ لنـاجـعٍ وظـلٌّ لكـلِّ العـالميـن ظَليـلُ
مـلاذٌ لكـلِّ الخلـقِ ظهـرٌ ومَلجـأٌ وذخـرٌ وفخـرٌ ليـس عنـه بَـديـلُ
وحيدٌ وجودٍ راجحٌ بـالورى فلا يُعـادلُـهُ فـي الفضـلِ قـطُّ عَـديـلُ
له في ذُرى العلياءِ مجدٌ وسؤدَدٌ جـديـدٌ علـى مـرِّ الجـديـدِ أثيـلُ
سـراجُ ظـلامِ للضَّـلالـةِ مُـذْهِـبٌ ويـــدرُ تمـــامٍ للهُـــداةِ دَليـــلُ
نفى الشِّركَ أعلا الحقَّ فالغيُّ والهُدى عـــزيـــزٌ بـــه هـــذا وذاك ذَليـــلُ
لـه البيضُ والبِيْضُ العوالي لهـا وللقنا السُّمر في نحرِ العدوِّ صليلُ
وغرٌّ تَسلُّ البيضَ والبيضُ فوقهم ومـن تحتهـم بُلـقٌ لتلـكَ صهيـلُ
صناديدُ عبَّادٌ يُصلُّون في الدُّجى يَصولونَ في الهيجا لأحمدَ جِيلُ
إذا ما رأيتَ القومَ في معركِ الوغى تَقلْ هُـمُ وبيضٌ والعجاجُ وخيلُ
أُسودٌ علتْ ما حطَّهُ السَّيلُ من علٍ علتْهـا النُّجـومُ الـزَّاهـراتُ وليـلُ
نجومُ الهُدى في وسطها البدرُ فوقها نجـومٌ وبـرقٌ فـي الأكـفِّ تُجيـلُ
كـإكليلِ نـورٍ وسطه البـدرُ إنْ دنا إلـى ذاكَ طـرفٌ عـادَ وهـو كليـلُ
بـأنفسِهـا تفـدي النُّجـومُ لبـدرهـا وفـي حـقِّ ذاكَ البـدرِ ذاك قليـلُ
فُـديـتُ لمفـدوٍّ وفـادٍ وليتنـي لأقـدامهـم فـوقَ التُّـرابِ نُعيـلُ
ألَا يـا رسـولَ الله يـا أكـرمَ الـوَرَى ومـن جـودِهِ خيـرُ النَّـوالِ ينيـلُ
ومـن كفِّـه سيحـونُ منهـا ودجلـةٌ وجيحونُ منها[1] والفُراتُ ونيلُ[2]
مَدَحتُكَ أرجو منك ما أنتَ أهلُهُ وأنتَ الذي في المَكرماتِ أَصيلُ

---

(١) في (أ): وجيحون يجري.

(٢) في هامش (أ): مسألة: «في الأرض خمسة أنهرٍ من الجنة؛ سيحون، وجيحون، والفرات، ودجلة، والنيل» أخرجه مسلم. وفي روايةٍ: «سيحون وهو نهر الهند، وجيحون نهر بلخ، والنيل وهو نهر مصر، والفرات ودجلة وهما نهرا العراق» أخرج ذلك الواحدي بسنده في تفسير الوسيط.

تُعاملُ بالحُسنى كما أنتَ أهلُها — لمـن هـو للسُّـوءِ القبيـحِ أهيـلُ
وإنّـي لمسبـوقٍ وغيـري سـابـقٌ — بمـدحِـك مفضـولٌ وذاكَ فَضيـلُ
وليسَ هجينُ الخيلِ ساوى عتيقَها — ولا بـازلٌ[1] سـاواه قـطُّ فَصيـلُ
ولكـنْ إذا مـا منـكَ جـاءَتْ عنـايـةٌ — إلى عـاجزٍ ساوى الفَضيـلَ رذيـلُ
فيـا خيـرَ مَمـدوحٍ أثِبْ شـرَّ مـادحٍ — عطـا مـانـحٍ منـه الجـزاءُ جـزيـلُ
أنلنـي مُنـائـي منـك مُـنَّ بنظـرةٍ — إلـى يُمـنِ وجـهٍ لـلأنـامِ وَسيـلُ
وكنْ شافعي فاليافعيُّ مُلزمٌ لكم — نـزيـلُ حمـاكـم للكـرامِ دخيـلُ
وأصلي وفَصلي والقريبُ وصاحبٌ — وشيـخٌ وأصهـارٌ كـذاكَ حليـلُ
فـإنَّـكَ ذو جـاهٍ عـريـضٍ وسيِّـدٌ — كـريـمٌ وللـربُّ الجليـلِ خليـلُ
عليـك صـلاةُ اللهِ مـا لاحَ بـارقٌ — ومـا دامَ للمُـزنِ الهَطـولِ هَطيـلُ
وأبيـاتُهـا ستُّـونَ مـع سبعـةٍ إلـى — حلا شهدها الشّافي النُّفوسُ تميلُ
وفا الألفَ ديواني بها وهي في البها — وحسـنِ الغنـا عنهـا الثّنـاءُ جَميـلُ
لهـا نَغْمَـةٌ قـد حيَّـرتهـا ربـابُهـا — ومِـزْمـارُ حسـنٍ للـرَّبـابِ رسيـلُ
وتمَّـتْ بحمـدِ الله مسـكُ ختـامهـا — ومـن ثغـرِهـا الشَّهـدُ الشفـاءُ يَسيـلُ

القصيدة الثالثة: وهي الثانيةُ من القصائد السنية المُنشأة في السفرة القدسية المخمَّسة في المدينة النبوية، المسماة: «ترياقُ العشاق في مدح حبيب الخلق والخلاق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، إلى يوم التَّلاق»:

من بانَ عن ربعِ مَنْ يهواه والطَّللِ — فقـد تعـرَّض للتُّهمـاتِ والعَـذالِ
لمّا نأيتُ عن الأحبابِ مع وَجَلي — أضحتْ تلومُ ذواتُ الحِجل والحَجَلِ[2]
مـن كـلِّ خـودٍ غـزالُ الغـزْلِ والغـزلِ
بعـذبِ لفـظِ عِتـابٌ لـم بـذاكَ تَـردْ — إلاّ لتـوردَ مـن لـم قبـل ذاك يَـردْ
بحرُ الغرام ولـم للعـومِ فيـه يَجدْ — حتى دَهشتُ فلمْ حالَ العتابِ أجدْ
عـذراً أُجيـبُ بـه مـن شـدَّةِ الخجـل

---

(١) البازل: الرجل الكامل في تجربته.
(٢) الحِجل: الخلخال، الحَجَل: جمع حَجَلَة موضع يزين بالثياب والستور للعروس.

لـم تتهمنـي بـأنّـي قـد مَللتُهُـم بـل رومَ إبداءَ عـذرٍ خـوف يتّهـم

ذو الجهلِ بالحالِ إنّي قد قليتُهُم قـالـتْ أجيرانَ سلـعٍ قـد سلوتهـم

بـالبيـن أم هـل سِـوى هـذاك مـن عِلَـلِ

هل رُمتَ خِلاً بديلاً أو هجرتَ حمىً بدرٌ أضاءَ الدّياجي عندما ابتسما

سمـا بنـورٍ بهـاءٍ فـوقَ بـدرٍ سمـا فقلتُ حاشا ولكنْ كي أعودُ كما

يعـودُ عطشـانُ بعـد النَّهـلِ للعَلَـلِ[1]

لرؤيةٍ بعد أُخرى حُسنُ نورٍ خبا من صارَ للحُسنِ والإحسانِ مُنتخبا

اعودُ أروي صدى الأشوَاقِ مُنتحباً أعفّـرُ الخـدَّ إنْ لاحـتْ قبـابُ قُبـا

أسقـي الـرُّبـى دمعـي المطلـول فـي الطَّلَـلِ

أشـاهـدُ القبّـةَ الغـرّا التـي حُظيـتْ وأدخلُ الرّوضةَ الزّهرا التي ارتُضيت

أقضي لباناتِ قلبٍ مُغرمٍ سلفتْ وأُكحِلُ العينَ بالأرضِ التي شَرُفت

بمشـي أقـدام معصـومٍ مـن الـزَّلـلِ

أطوفُ عمري بها مهما وجدتُ قوىً من بعد ما كفَّني عن ذاكَ كفُّ نوى

أهيمُ وجداً بذيّاكَ الحِمى وهوىً وألثمُ الرّبعَ مِنْ يمنٍ به وجوى

بـي مـن هـوى بـدرٍ تـمٌّ لـلأنـامِ جُلـي

في الخَلْقِ والخُلْقِ يُهوى حُسن منهجُهُ حُلـو الحلـى أزهـرٌ فـي اللَّـونِ أبهجُـهُ

طويلُ جيدٍ جليلُ الساقِ أدمجُهُ[2] باهي المُحيًّا كحيلِ الطَّرفِ أدعجُهُ

ازجٌ[3] أقنـى حُلـى كـلّ الجمـالِ جلـي

ما البدرُ ما السُّندسُ الغالي لمُحتشمٍ في اللّونِ واللّينِ من جسمٍ بلا نعم

لـذي قـوامٍ بـديـعِ الحُسـنِ مُنتظـمٍ ريّـاهُ كـالمِسْـكِ ذي لفـظٍ ومُبتسـم

كـالـدُّرّ والـرّيـقُ كـالتّـريـاقِ والعَسَـلِ

---

(١) في هامش (أ): العلل الشربُ الثاني.

(٢) أدمجه: ملفوفه.

(٣) الزّجج: دقّة الحاجبين في طول، والنعت أزج.

إن مدَّ كفاً وقد كفَّ السَّماءُ وهي لسُخطِها وجهُ كلِّ الأرضِ غيرُ زهي
تَرضى فترضيه يضحى ضاحكاً وبهي مباركُ الوجهِ يُستسقى الغَمامُ بهِ
بـالحُسـنِ واليُمـنِ والتَّـوفيـقِ مُشتمـلِ

لو يَرحلُ الحيُّ يوماً بالحبيبِ كوَوْا قلبـي بنـارِ بِعـادٍ بعـدَهُ وشـووا
يا حُرقتا إن به راموا النَّوى ونَووا من أَجلِهِ عن عُريبٍ خيَّموا وثووا
دون المُصلّـى أُسـائـلُ كـلَّ مُـرتحـلِ

حُـلاهُ تَسقـي البـرايـا مـن مُـدامتهـا فـي نجـدِهـا هيَّمتُهـم مـع تِهـامتِهـا
ونفسُـهُ تلـك تُفـدى مـن كـرامتِهـا وأرضُـهُ مـع عقيـقٍ ثـمَّ رامتِهـا
أُحبُّهـا حـبَّ صـبٍّ بـالغـرامِ بُلـي

كم ذا تَمنّى المُنى في ربَّما وعسى ممَّنْ إذا رمتُ منه اللِّينَ زاد قسا
دعْ حبَّ هذاك وادأبْ بكرةً ومَسا في حبِّ خيرِ حبيبٍ من بهاه كسى
للـدارِ ثـوبُ جمـالٍ لا تـراه بلـي

جمـالُهـا فـي رُبـاهـا لـلأنـامِ نَهـى عن حبِّ غيرٍ فحُسْنُ الغَيرِ ذاك لها
تختالُ في كلِّ غالٍ بالجمال زها كـأنَّهـا مـن سنـاً حُسْـنٍ بَهـا وبهـا
تكسـى غـوالـي الحُـلا والحُلـي والحلـل

تنفـي لكـلِّ خبيـثِ النَّفـسِ فـاجـرِهـا وتصنعُ الطِّيبَ للمُصْغِي[1] لزاجرِها
يقـولُ إن غـابَ يومـاً غيـرُ هـاجـرِهـا يا سعد إن جزت بالجرعى وحاجرِها
قـفْ وأنشـدِ الحيَّ عـن حـبٍّ هنـالـك لـي

واهجرْ إذا جئتَ ممنوحَ السَّنا وسنا واحفظْ مديحاً كساه حسنُهُ حُسنا
من سندسِ اللَّفظِ والمعنى[2] السَّني لسنا وأنشدِ القولَ عنّي في الحمى عَلَنا
فـي روضـةٍ مـن ريـاضِ الخُلـدِ لـم تـزلِ

---

(١) في (أ): الطيب المُصْفَىٰ.
(٢) في (أ) المبنى.

مُخاطباً للموالي قلْ لخدمتِكُم إنَّا عُبيدُ أيادي فضلِ نعمتِكُم
أقولُ إنْ قيلَ حِلْنَا عن محبَّتِكُم يا أهلَ طيبةَ قد طِبتم وحرمتِكم
إنِّي على العهدِ لمْ عَنْ حالِهِ أَحُلِ

جمالُكُم مُذهِشٌ نفسي مُحيِّرُها ونورُكم من دياجيها مُنيِّرُها
عن حبّكم لا يُرى شيءٌ يُغيِّرُها لو عن هوى عزّةٍ يَسلو كُثيِّرُها
وقيسُ ليلى لَمَا عنكم أنَا بسلي

إنْ عن حمى ربعِك العالي الأهيل يَبِنْ جسمي فقلبي إليه عندَ ذاكَ يحنْ
عن صدقٍ هذا له استنطقْ فذاكَ يُبِن يا أكرم الخلقِ يا حامي الذِّمارِ لئن
جسمي نأي القلب عن حبّي حماكَ سلي

حبَاكَ مولاكَ فضلاً للوجودِ ملا بذاكَ يومَ رهانٍ مع كرامٍ ملا
لما أستبقتُم جميعاً نحو مجدِ عُلا سبقتَ أنتَ جميعَ السَّابقين إلى
أعلى مقامٍ على كلِّ الأنام علي[1]

كسوتَ للكونِ من بعدِ الظَّلامِ ضيا بهاكَ يكسى جلالاً والجلال حيا
إن قلتَ فالفضلُ أو تسكتْ فغيرُ عيا يا نُخبةَ الكونِ ويا عين الوجودِ ويا
مخطوبَ حبٌ لربٌ العرشِ في الأزل

يا قالباً فيه كلُّ الحسنِ قد رُقِما من حُسنه نورُهُ الباهي أَزَالَ عمى
عن الورى ونَداه في الأنام همى لو كانَ لي السنُّ مع جدٌّ سعى هما
في العدِّ والعدوِ مثلُ الرَّمْلِ والرَّمَلِ

وعلمُ سرٌ لأهلِ الكشفِ فيَّ سَرَى مع ذاك أقلامُ كُتبٍ ما نما شجرا
وماء بحرٍ مداداً بالكتابِ جرى وعمر نوحٍ وكتَّابٌ جميع ورى
وكلُّ كَلٍّ من الأملالِ والمللِ

من بعد ما في كتابٍ للقلوبِ جلا مدحٌ كدُرٌّ به جيدُ الحِسانِ حلا
من دُرٌ عقدٍ عظيمٍ زانَهُ وغلا لم يكتبوا قطرةً من بحرِ مدحِ عُلا
ماحِ بملَّتِهِ الغرَّاءِ للمِلَلِ

---

(١) في المطبوع: على كل المقام.

لمّا علتْ في سما العليا جلالتُهُ   تواضَعَتْ عندما هالتْ شجاعتُهُ
للخِلِّ لينٌ وللأعدا صلابتُهُ   نافي الطُّغى أرعدتْ كسرى مهابتُهُ
فوق التُّرابِ مع المِسكينِ مُبتذل
بحضرةِ القُدسِ كاساتُ الوصالِ سَقَتْ   حبًّا وحُجبُ جلالٍ للخُطى خُرِقَتْ
سعادةٌ يا لها الحُسنى بها سبقتْ   راقٍ بُراقاً لأعلى رُتبةٍ خُلقتْ
لواحدِ الدَّهرِ ماثانٍ لتلك يلي
محمَّدٌ سيِّدُ السَّاداتِ سائلةٌ   منه البَرايا شفاعاتٍ فنائلةٌ
مُثبِّتُ القلبِ والنِّيرانُ صائلةٌ   ومُنقذُ الخلقِ والأهوالُ هائلةٌ
لكلِّ قلبٍ إلى الحُلقومِ منجفلِ
رامتْ فراراً وأنّى يَحصُلُ الهَرَبُ   يوماً دنا فيه كلُّ الخلقِ واقتربوا
لفصلِ حكمٍ لجبارٍ به غَضَبُ   وهم سُكارى ولا خمرٌ لها شربوا
يحكون في الحالِ حالِ الشَّاربِ الثَّمِلِ
راموا شفيعاً لخطبٍ للأنام دهى   وهمّ كلٌّ بنفسٍ عن سواه سها
لسادةِ الرُّسلِ قالوا من يقومُ بها   وقولُ كلِّ كرامِ الرُّسلِ لستُ لها
فكنتَ أهلاً لها يا أكرمَ الرُّسلِ
يا كعبةَ المجدِ بحرَ الجُودِ شمسَ هُدىً   يا مذهباً من كلا الدارين كلَّ ردا
يا مالِئَ الكونِ معروفاً وفيضَ ندىً   كنْ شافعاً للعُبيدِ اليافعيِّ غدا
مع الأحبَّاءِ يا غوثاً لذي أمَلِ
أنتَ الذي باللِّوى خصَّ الإلهُ إذا   ما تحتَهُ من كرامِ الرُّسلِ ذاك وذا
والنَّشرُ من طيبِكَ الزَّاكي الأنامُ حذا   صلاةُ ربٍّ وتسليمٌ عليك شذا
فاحا على خيرِ قبرٍ بالجَمالِ مُلي
في سَرْمَدِ الدَّهرِ تأبيداً بغيرِ مَدىً   مع ازديادٍ به قد زادَ رُغمَ عدا
نفسي لباهي محيَّاكَ الرَّضيِّ فدا   والآلِ والصَّحبِ من خيرٍ وبحرِ ندى
وراهبٍ في الدَّياجي في الوَغى بطلِ

أَعلَوْا هدىً بالعوالي دينَ خالقِهم ... وناضلوا دونَ خيرِ الخلقِ فائقهم

مهاجريهم وأنصارٍ ولاحقِهم ... مُخصّص السيِّدِ الصِّديقِ سابقهم

بكلِّ فضلٍ خليلٍ غيرِ ذي خلل

في ردَّةٍ لم يَقُمْ في مثلِ مَنصبِهِ ... إلاّ نبيٌّ بتأييدٍ لمُنتبه[1]

في كلِّ مجدٍ علتْ راياتُ موكبِهِ ... والسيِّدِ الضَّيغمِ الفاروقِ عُزَّ به

دينُ الهدى ذلَّلَ الطُّغيانَ بالأسل

لسانِ حقٍّ بلا ريبٍ وسامعِهِ ... وواضعِ الكفرِ والإسلامِ رافعِهِ

ذي هيبةٍ تحت دَلَقِ الزُّهدِ راقعِهِ ... والسيدِ التالي القرآنَ جامعِهِ

ذي النُّورِ والصَّائمِ القوَّمِ ذي الوجلِ

كراهبٍ قد تخلّى في صوامعهم ... إذِ البرايا هُجوعٌ في مضاجعِهِم

شهيدِهم مُقرئِ الأصحابِ خاشعِهم ... والسيِّدِ الحبْرِ سيفِ الله رابعِهِم

مُطلِّقِ دارَ دُنيا بالثَّلاثِ علي

سمحٍ بها حين أَهلِ الوفرِ ما سمحوا ... وطاعنٍ بالقَنَا حين العِدا سنحوا

وموضحٍ ما لغيرٍ ليس يتَّضحُ ... وعترةٍ ثم باقي عشرةٍ مُنحوا

مجداً أثيلاً بفضلِ الله مُتَّصل

في الحربِ أدهى ضراغيمٍ مُخدّرةٍ ... والعلمُ أبهى مصابيحٍ مُنوّرةٍ

وفي النَّدى وابلٌ دُرٌّ مُضمَّرةٍ ... والعزُّ مجموعُ أزواجٍ مطهّرة

وتابعيهم بإحسانٍ وكلِّ ولي

من كلِّ ذاتِ تُقىً دامتْ مُؤيّدةً ... وكلِّ ذي همَّةٍ تعلو مُسدّدةً

تلك الصَّلاةُ شذا فاحتْ مُجدّدةً ... ما غنّت الورقُ في أيكٍ مغرّدةً

تُغري شجياً وتُشجي قلبَ كلِّ خلي

والآنَ قد آن للتِّرياقِ حين شفت ... أن تختمَ القولَ أذكاراً بها شرفتْ

سُبحان من لا إلـه غيره وثنتْ ... والحمدُ لله تمَّت والعِنان ثنت

عن أربعينَ لأجلِ الحفظِ لم تطُلِ

---

(١) في المطبوع لمُشتبهِ.

الباب الثامن

في فضل الدُّعاء

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والآياتُ في ذلك كثيرةٌ شهيرة.

وأمَّا الأحاديثُ فلا يُمكنُ استقصاءُ عُشرِها، وها أنا أذكرُ خمسةَ عشرَ حديثاً في هذا الباب.

الحديث الأول: روينا بالأسانيد الصَّحيحة في «سنن أبي داود» و«الترمذي» و«النسائي» عن النُّعمان بنِ بشير رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «الدُّعاءُ هو العبادة»[1]. قال الترمذي: حديث حسنٌ صحيح.

الحديث الثاني: روينا في «كتاب الترمذي» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٤٤) في التفسير، باب ومن سورة المؤمن، وأبو داود (١٤٧٩) في الصلاة، باب الدعاء، والنسائي في الكبرى (١١٤٦٤) ٦/ ٤٥٠.

رسولُ الله ﷺ: «من سرَّهُ أن يَستجيبَ اللهُ له عند الشَّدائدِ والكُرَبِ فليكثِرِ الدُّعاء في الرَّخاء»[1].

الحديث الثالث: روينا في «صحيح مسلم» عن سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعةَ بنِ يزيدٍ، عن أبي إدريس الخَوْلاني، عن أبي ذرٍّ جُندبِ بنِ جُنادة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ فيما روى عن اللهِ تبارك وتعالىٰ أنّه قال: «يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي، وجعلتُهُ بينكم مُحرَّماً، فلا تَظَالموا. يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلاَّ من هديتُهُ، فاستهدُوني أهدِكُم. يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلاَّ من أطعمتُهُ، فاستطعموني أُطعمْكُم. يا عبادي كلُّكم عارٍ إلاَّ من كسوتُهُ، فاستكسُوني أَكْسُكُمْ. يا عبادي، إنّكم تُخطئون اللَّيلَ والنَّهار، وأنا أغفرُ الذُّنوبَ جميعاً، فاستغفرُوني أغفرْ لكم. يا عبادي إنّكم لن تَبلُغُوا ضَرِّي فتَضُرُّوني، ولن تَبلغوا نَفْعِي فتَنفعوني. يا عبادي، لو أَنَّ أوَّلكم وآخرَكُم، وإنْسَكُم وجنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم، ما زادَ ذلكَ في مُلكي شيئاً. يا عِبادي، لو أَنَّ أوَّلَكم وآخرَكم، وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ ما نقصَ ذلك من مُلكي شيئاً. يا عبادي، لو أَنَّ أوَّلكم وآخرَكُم، وإنْسَكم وجنَّكم قاموا في صَعيدٍ واحدٍ، فسألوني، فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَهُ ما نقصَ ذلك ممَّا عندي إلاَّ كمَا يَنقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدخلَ البحرَ. يا عبادي إنَّما هي أَعمالُكم أُحْصيها لكم، ثم أوفِّيكم إيَّاها، فمن وجدَ خيراً فليحمدِ الله، ومن وجدَ غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه».

قال سعيد: كان أبو إدريس إذا حدَّث بهذا الحديث جثا على ركبتيه[2].

وقال محيي الدِّين النَّواوي[3] رضي الله عنه: روينا عنِ الإمام أحمد بنِ حنبل رضي الله عنه قال: ليس لأهلِ الشام حديثٌ أشرفَ من هذا الحديث[4].

الحديث الرابع: روينا في «صحيح مسلم» عن ابنِ مسعود رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ، إنِّي أسألُكَ الهُدى والتُّقى، والعفافَ، والغنى»[5].

---

(١) الترمذي (٣٣٧٩) في الدعوات، باب (٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧) في البر والصلة، باب تحريم الظلم.

(٣) الأذكار صفحة ٤٦٢. آخر حديث في الكتاب.

(٤) قال النووي في الأذكار: ورجال إسناده مني إلى أبي ذر كلهم دمشقيون.

(٥) مسلم (٢٧٢١) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل.

قلت: الرَّاجحُ المُختار عند جمهور العلماء أَنَّ المُرادَ بالغِنى غنى النَّفسِ لا غنى المال.

الحديث الخامس: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» و«النسائي» عن بُريدة رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ سمعَ رجلاً يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ بأنِّي أَشهدُ أَنَّكَ أنت الله، لا إله إلاَّ أنتَ الأحدُ الصَّمدُ، الذي لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كُفُواً أحد. فقال: «لقد سأل الله بالاسم الذي إذا سُئل به أَعطى، وإذا دُعي به أجاب».

وفي رواية: «لقد سألتَ الله تعالىٰ باسمِهِ الأعظم»[1]. قال الترمذي: حديثٌ حسن.

الحديث السادس: روينا في «سنن أبي داود» و«النسائي» عن أنسٍ رضي الله عنه، أنَّه كان مع رسولِ الله ﷺ، ورجلٌ يُصلِّي ثم دعا: اللَّهُمَّ، إنِّي أسألُكَ بأَنَّ لكَ الحمدَ، لا إلهَ إلاَّ أنتَ المنَّان، بديعُ السَّموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيُّوم، فقال النبيُّ ﷺ [لأصحابه: «أتدرون بما دعا ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «والذي نفسي بيده] لقد دعا الله باسمِهِ العظيم، الذي إذا دُعي به أجابَ، وإذا سُئل به أعطى»[2].

الحديث السابع: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ، أصلحْ لي ديني الذي هو عِصمةُ أَمري، وأصلحْ لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لي من كلِّ شرٍّ»[3].

الحديث الثامن: روينا في «كتاب الترمذي» عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كان من دُعاءِ داودَ يقول: اللَّهُمَّ[4] إنِّي أسألُكَ حبَّك، وحبَّ من يُحبُّك، والعملَ الذي يُبلِّغني حبَّك، اللَّهُمَّ، اجعلْ حبَّك أحبَّ إليَّ من نفسي [ومالي] وأهلي، ومن الماءِ البارد»[5]. قال الترمذي: حديث حسن.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧١) في الدعوات، باب (٦٥) وأبو داود (١٤٩٣) في الصلاة، باب الدعاء، والنسائي في السنن الكبرى (٧٧٠١) ٤/ ٤٠٤.

(٢) رواه أبو داود (١٤٩٥) في الصلاة، باب الدعاء، والنسائي ٣/ ٥٢ في السهو، باب الدعاء بعد الذكر.

(٣) مسلم (٢٧٢٠) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل.

(٤) في (أ) والمطبوع: دعاء داود ﷺ: اللهم.

(٥) الترمذي (٣٤٨٥) في الدعوات، باب (٧٤).

الحديث التاسع: روينا في الصَّحيحين عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص، عن أبي بكر الصِّديقِ رضي الله عنهم، أنَّه قال لرسول الله ﷺ: علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «قل: اللَّهُمَّ، إنِّي ظلمتُ نفسي ظُلماً كثيراً، ولا يغفرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنت، فاغفرْ لي مَغفرةً من عندك، وارحمني إنَّك أنتَ الغفور الرحيم»[1].

وروي «كثيراً» و«كبيراً» بالمثلثة والموحَّدةِ، فينبغي الجمعُ بينهما.

الحديث العاشر: روينا في «سنن أبي داود» و«النسائي» بإسنادٍ صحيح عن مُعاذٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ أخذَ بيده وقال: «يا معاذ واللهِ إنِّي لأُحبُّكَ»، فقال: «أُوصيكَ يا مُعاذ: لا تدعنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ أن تقولَ: اللَّهُمَّ أعنِّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عبادتكَ»[2].

* قلتُ: ودعا لي ﷺ، فقال: وفَّقكَ اللهُ لطاعته، وأعانَكَ عليها، قالها ثلاثاً بعد ما مَسَحَ بيده الكريمةِ على رأسي في منامٍ رآه لي بعضُ الصَّالحين رضي الله عنه، والحمد لله على ذلك. ثم قلتُ له ﷺ: أوصني. فقال: أُوصيكَ بتقوى الله، وطاعتِهِ، قالها ثلاثاً، ثم قال له أصحابي: أوصنا. فقال ﷺ: أُوصيكم بما أَوصيتُ به إمامَكم. فسرَّني ذلك، وزادني سروراً أنِّي لم أكن إمامَهم في الصَّلاةِ، وهذا بعضُ المنام المذكور، وفيه أشياءُ كثيرةٌ غير ما ذكرتُ، كرهت أن أذكرَها؛ لكوني لستُ أهلاً لها، فالحمدُ لله الذي أظهرَ جميلَه، وستر قبائحنا، وجزى اللهُ سيِّدنا محمداً عنّا أفضلَ الجزاء.

فينبغي أن يُدعى بهذا الدُّعاءِ الشريف، أعني دعاءَه ﷺ لي المذكور.

* ورُويَ نحوه أيضاً عن الخَضِرِ أنَّه رآهُ بعضُهم، فقال له: ادعُ لي، فقال: حبَّبَ اللهُ إليكَ طاعتَه. فقال: زدني. فقال: ويسَّرها عليك، قال: زدني. فقال: وسترها عنك.

الحديث الحادي عشر: روينا في «سنن أبي داود» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: دخلَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ المسجدَ، فإذا هو برجلٍ من الأنصارِ يُقال له أبو

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٢٦٥ في صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام، ومسلم (٢٧٠٥) في الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

(٢) رواه أبو داود (١٥٢٢) في الصلاة، باب الاستغفار والنسائي ٣/ ٥٣ في السهو، باب نوع آخر من الدعاء.

أمامة، فقال: «يا أبا أمامة، ما لي أراكَ جالساً في المسجدِ في غيرِ وقتِ صلاةٍ؟» قال: همومٌ لزمتني، وديونٌ يا رسول الله. قال: «أفلا أُعلِّمُكَ كلاماً إذا قلتَهُ أذهبَ اللهُ همَّكَ، وقضى عنكَ دينَك؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: «قل إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ: اللَّهُمَّ، إنِّي أعوذُ بكَ من الهمِّ والحَزَن، وأعوذُ بكَ من العَجْزِ والكَسل، وأعوذُ بكَ من الجُبنِ والبُخل، وأعوذ بك من غلبةِ الدينِ وقهرِ الرجال». قال: فقلت ذلك، فأذهبَ اللهُ همِّي وقضى عنّي ديني[1].

الحديث الثاني عشر: روينا في «صحيح مسلم» و«سنن أبي داود» و«الترمذي» و«النسائي» عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، أنّه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «اللَّهُمَّ ربَّ السَّمواتِ وربَّ الأرض، وربَّ العَرْشِ العظيم، وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحبِّ والنَّوى، مُنزلَ التَّوراةَ والإنجيل والقرآن، أعوذُ بكَ من شرِّ كلِّ دابةٍ[2] أنتَ آخذٌ بناصيتها، اللَّهُمَّ أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظَّاهرُ فليسَ فوقكَ شيءٌ، وأنت الباطنُ فليسَ دونكَ شيءٌ، اقضِ عنَّا الدَّين، واغننا من الفقرِ»[3].

وفي روايةِ أبي داود: «أعنِّي واغنني».

الحديث الثالث عشر: روينا في «سنن أبي داود» بإسنادٍ لم يُضعِّفْه عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا أصبحَ أحدُكم فليقلْ: أصبحنا وأصبحَ المُلك لله ربِّ العالمين، اللَّهُمَّ، إنِّي أسألُكَ خيرَ هذا اليومِ؛ فتحَهُ، ونصرَهُ، ونورَهُ، وبركتَهُ، وهُداه، وأعوذُ بك من شرِّ ما فيه، وشرِّ ما بعده، ثم إذا أمسى فليقلْ مثلَ ذلك»[4].

الحديث الرابع عشر: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ، كان يقولُ: «دعوةُ المرءِ المُسلمِ لأخيهِ بظهرِ الغيبِ مُستجابةٌ، عند رأسِهِ

---

(١) أبو داود (١٥٥٥) في الصلاة، باب الاستعاذة.

(٢) في (أ) والمطبوع: كل شيء.

(٣) رواه مسلم (٢٧١٣) في الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، والترمذي (٣٣٩٧) في الدعوات، باب من الأدعية قبل النوم، وأبو داود (٥٠٥١) في الأدب، باب ما يقال عند النوم، والنسائي في الكبرى (٧٦٦٨) ٤/ ٣٩٥.

(٤) أبو داود (٥٠٨٤) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح.

مَلَكٌ مُوكَّلٌ كلَّما دعا لأخيهِ بالخيرِ، قال [الملكُ] الموكَّلُ به: آمين، ولك بمثْل»[1].

الحديث الخامس عشر: روينا في الصَّحيحين عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كانَ أكثرُ دُعاءِ النبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ، آتنا في الدُّنيا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنةً، وقنا عذاب النار».

زاد مسلم في روايته قال: وكان أنسٌ إذا أرادَ أن يَدعو بدعوةٍ دعا بها[2].

* وروى الحاكمُ أبو عبد الله عن ابنِ مَسعودٍ رضي الله عنه، قال: كان من دُعاءِ رسولِ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ، إنَّا نسألُكَ مُوجباتِ رحمتِكَ، وعزائمَ مغفرتك، والسَّلامةَ من كلِّ إثمٍ، والغنيمةَ من كلِّ برٍّ، والفوزَ بالجنَّةِ، والنَّجاةَ [بعونك] من النار»[3]. قال الحاكم: حديثٌ صحيح على شرطِ مُسلم.

* وروى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وابنُ ماجه عن عائشةَ رضي الله عنها، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال لها: «قولي: اللَّهُمَّ، إنِّي أسألُكَ من الخيرِ كلِّهِ، عاجلِهِ وآجلِهِ، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذُ بكَ من الشرِّ كلِّهِ، عاجلِهِ وآجلِهِ، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألُكَ الجنَّةَ وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عملٍ، وأعوذُ بك من النَّارِ وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عملٍ، وأسألُكَ خيرَ ما سألَكَ عبدُكَ ورسولُكَ محمدٌ ﷺ، وأعوذُ بك من شرِّ ما استعاذَكَ منه عبدُكَ ورسولُكَ محمدٌ ﷺ، وأسألُكَ ما قضيتَ لي من أمرٍ أن تجعلَ عاقبتَهُ رشداً». قال الحاكم أبو عبد الله: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح الإسناد[4].

* وهذا دعاءُ الفرج، ذكره الإمامُ الغزالي في «الإحياء»[5]، ويقال إنَّه عن الخضر، وذكر فيه فضائلَ كثيرةً لمن دعا به مساءً وصباحاً، وهو هذا: اللَّهُمَّ، كما لطفتَ بعظمتك دون اللُّطفاء، وعلوتَ بعظمتِكَ على العظماءِ، وعلمتَ ما تحتَ أرضِك كعلمِكَ بما فوقَ عرشِكَ، وكانت وساوسُ الصُّدورِ كالعلانيةِ عندك، وعلانيةُ القولِ كالسرِّ في علمك،

---

(١) مسلم (٢٧٣٣) في الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب.

(٢) رواه البخاري ١١/ ١٦١ في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنةً..» ومسلم (٢٦٩٠) في الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء.

(٣) الحاكم ١/ ٥٢٥.

(٤) رواه أحمد في المسند ٦/ ١٣٣، وابن ماجه (٣٨٤٦) في الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٢٢.

(٥) الإحياء ٢/ ٣٥٣ كتاب الأمر بالمعروف، الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف.

وانقادَ كلُّ شيءٍ لعظمتِكَ، وخضعَ كلُّ ذي سلطانٍ لسُلطانك، وصارَ أمرُ الدُّنيا والآخرةِ كلُّه بيدك[1]، اجعلْ لي من كلِّ همٍّ[2] أَمسيتُ فيه فرجاً ومخرجاً، اللَّهُمَّ، إنَّ عفوَكَ عن ذنوبي، وتجاوزَكَ عن خطيئتي، وسترَكَ على قبيحِ عملي، أَطمعني أنْ أسألَكَ ما لا أستوجبه ممَّا قصَّرتُ فيه، أدعوكَ آمناً، وأَسألُكَ مُستأنساً، وإنَّكَ لَلْمُحسنُ إليَّ، وإني للمسيءُ إلى نفسي فيما بيني وبينك، تتودَّدُ إليَّ بنعمك، وأتبغَّضُ إليك بالمعاصي، ولكنَّ الثِّقةَ بك حملتني على الجراةِ عليك، فعدْ بفضلِكَ وإحسانِكَ عليَّ، وتبْ عليَّ، إنَّكَ أنتَ التَّواب الرحيم.

* وقال بعضُهم: رأيتُ في منامي الإمام أحمدَ بنَ حنبل بعد موته، وهو يَتَبخترُ، فقلت: يا أبا عبد الله، أيُّ مشيةٍ هذه؟ فقال: مشيةُ الخُدَّامِ في دارِ السَّلام. فقلت: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: غفر لي، وتوَّجني، وألبسني نَعلين من ذهب، وقال: يا أحمد، هذا بقولك القرآنُ كلامي، ادعُني بتلك الدَّعوات التي بلغتك عن سُفيان الثَّوري، وكنتَ تدعو بها في دار الدُّنيا. فقلت: يا ربَّ كلِّ شيءٍ، بقدرتِكَ على كلِّ شيءٍ، اغفرْ لي كلَّ شيءٍ ولا تسألني عن شيء. فقال: يا أحمد، هذه الجنَّةُ فادخُلها. فدخلتُها.

* ومن دعاء بعضهم: اللَّهُمَّ، إنِّي أسألُكَ يا لطيف يا لطيف يا لطيف، يا مَنْ وَسِعَ لطفُهُ أهلَ السَّمواتِ والأرضين، أسألُكَ اللَّهُمَّ أن تلطفَ بي من خفي خفي خفي لُطفِكَ الخَفي الخفي الخفي، الذي إذا لطفتَ به لأحدٍ من عبادِكَ كُفي، فإنَّك قلتَ، وقولُكَ الحقُّ: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١٩].

* وقال بعضهم: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فقلتُ: ادعُ اللهَ لي أن لا يُميتَ قلبي، فقال: قل كلَّ يومٍ أربعين مرة: يا حيُّ يا قيومُ، لا إله إلا أنت.

* وينبغي للداعي أن يكرِّرَ الدُّعاء ولا يَستبطئَ الإجابة، فقد روينا في «كتاب الترمذي»[3] عن عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما على الأرضِ مُسلمٌ يَدعو الله تعالىٰ بدعوةٍ إلا آتاهُ اللهُ إيَّاها، أو صرَفَ [عنه] من السُّوءِ مثلَها، ما لم يَدْعُ

---

(١) في المطبوع: كله لك بيدك.
(٢) في المطبوع: كل هم أصبحتُ فيه أو أمسيت.
(٣) الترمذي (٣٥٦٨) في الدعوات، باب في انتظار الفرج.

بإثمٍ، أو قطيعةِ رحمٍ» فقال رجل من القوم: إذاً نُكثر. قال: «اللهُ أكثر». قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

ورواه الحاكم أبو عبد الله في «المستدرك على الصحيحين»[1] من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وزاد فيه: «أو يدَّخرُ له من الأجرِ مثلَها».

* وروينا في الصَّحيحين[2] عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «يُستجابُ لأحدِكم ما لم يعجلْ، فيقول: قد دعوتُ [ربيّ] فلم يَستجبْ لي».

* وقد رُوي عن بعض الأئمة أنّه قال: دعوتُ الله تعالىٰ بحاجةٍ ثلاثين سنة، وهي أن يتوبَ عليَّ توبةً نصوحاً، قلت: سبحان اللهِ، أو في ثلاثين سنةً أدعو الله بحاجةٍ واحدةٍ، ولا يُستجابُ لي!؟ فسمعتُ قائلاً في النَّومِ[3] يقول: أتستحقرُ هذه الحاجة، وهي تتضمَّنُ محبَّةَ الله ؟ أما سمعتَ الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ؟ وهذا معنى ما رُوي عنه، إن لم يكن لفظه بعينه.

* وقال بعضُ الأئمة: بلغنا عن إبراهيم بنِ أدهم رضي الله عنه، ونفع به، أنَّه قال: أتيتُ بعضَ البلاد، فنزلتُ في مسجدٍ، فلمَّا كان العشاءُ الآخرةُ وصلَّينا، أتى إمامُ المسجدِ بعد انصرافِ الناس، فقال: قمْ، فاخرج [متى] أُغلقَ الباب ؟ فقلت: أنا رجلٌ غريب، أبيت ههنا. فقال: الغرباءُ يَسرقون القناديلَ والحُصرَ، فلا نتركُ أحداً يبيتُ فيه [ولو كان إبراهيم بن أدهم]. فقلتُ: أنا إبراهيمُ بنُ أدهم، وكانت ليلةً شاتيةً، فقال: [كفى ما أنت فيه حتى تكذبَ. ثم قال]: أكثرتَ، وغدا على رجلي، فجرَّني على وجهي، حتى رماني على أَتُونِ حمَّامٍ ومضى، فقمتُ فرأيتُ الوقَّادَ يُوقدُ النَّارَ في المستوقد، فقلتُ: أبيتُ عنده، فنزلتُ فوجدتُ رجلاً عليه قطعتا خيشٍ، فسلَّمتُ [عليه]، فلم يردَّ عليَّ السلام، بل أشارَ أن اجلسْ، فجلستُ، وهو خائفٌ وجِلٌ ينظرُ تارةً عن يمينه، وتارةً عن شماله، فداخلني الخوفُ منه، فلمَّا فرغَ من وقودِهِ التفتَ إليَّ وقال: وعليك السلام، ورحمةُ الله وبركاته. فقلت: عجباً، لِمَ لم تُسلِّمْ عليَّ حين سلامي عليك ؟ فقال: يا هذا. كنتُ أَجيرَ قومٍ،

---

(١) المستدرك ١/٤٩٣.

(٢) رواه البخاري ١١/١١٩ في الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، ومسلم (٢٧٣٥) في الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالىٰ بعد الأكل والشرب.

(٣) في هامش (أ): وفي نسخة: قائلاً في القوم.

فخفتُ أن أُسلِّمَ عليك، فأشتغلُ بالسلام، فآثم وأخونُ. فقلتُ له: فرأيتك تنظرُ عن يمينك وشمالِك، أتخاف؟ قال: نعم. قلت: ممَّ ذا؟ قال: من الموت، لا أدري من أين يأتي؟ أمن يميني أم من شمالي؟ فقلت: فبكم تعملُ كلَّ يوم؟ قال: بدرهمٍ ودانق. قلتُ: فماذا تصنع به؟ قال: أتقوَّتُ بالدَّانقِ [أنا وأهلي]، وأُنفقُ الدِّرهمَ على أولادِ لأخي. قلت: أمن أُمِّك وأبيك؟ قال: لا، بل آخيتُه[1] في اللهِ عزَّ وجلَّ، ومات، فأنا أقومُ بأهله وأولاده. فقلت له: هل دعوتَ اللهَ في حاجةٍ فأجابك فيها؟ قال: لي حاجةٌ أنا مُنذ عشرين سنةً أدعو الله عزَّ وجلَّ وما قضاها. قلت: وما هي؟ قال: بلغني أنَّ في العربِ رجلاً تميَّز عن الزاهدين، وفاقَ العابدين يُقال له إبراهيمَ بنَ أدهم، دعوتُ الله عزَّ وجلَّ في رؤيته، وأموتُ [بين يديه]. فقلت: أَبشر يا أخي، قد قضى اللهُ حاجتك [وقبلَ دعوتك]، وما رضي لي أنْ آتي إليكَ إلاّ سحباً على وجهي. قال: فوثبَ من مكانه، وعانقني، وسمعتهُ يدعو ويقول: اللَّهُمَّ، قضيتَ حاجتي، وأجبتَ دعوتي، اللَّهُمَّ اقبضني. فأجابَ اللهُ تعالىٰ دعوته الثانية في الحال، وسقط ميتاً، رحمه الله ونفع به[2].

* وقيل: كان عامَّةُ دعاءِ إبراهيم بنِ أدهم: اللَّهُمَّ، انقلني من ذلِّ معصيتك إلى عزِّ طاعتك.

* وقال الأستاذ أبو عليٍّ الدَّقاق: ظهرتْ علَّةٌ بيعقوبَ بنِ الليث[3]، أعيتِ الأطباء، فقالوا له: في ولايتك رجلٌ صالحٌ يُسمّى سهلَ بنَ عبد الله، لو دعا لك، لعلَّ اللهَ يستجيبُ له. فاستحضرَهُ، وقال: ادعُ الله لي. فقال سهل: كيفَ يُستجابُ دُعائي فيك، وفي حبسكَ مظلومون؟! فأطلقَ كلَّ من في حبسه. فقال سهل: اللَّهُمَّ، كما أريتَهُ ذلَّ المعصية، فأره عزَّ الطاعة، وفرِّجْ عنه. فعُوفي، فعرضَ مالاً على سهلٍ، فأبى أن يقبله، فقيل له: لو قبلتَه ودفعتَه إلى الفقراء. فنظر إلى الحصى في الصحراء، فإذا هي جواهر، فقال: من يُعطَى مثلَ هذا، يحتاجُ إلى مالِ يعقوب بن الليث[4].

---

(١) في هامش (أ) وروض الرياحين ٣٧٨: أحببته.
(٢) روض الرياحين ٣٨٨ (الحكاية ٣٤٧) وما بين معقوفين مستدرك منه.
(٣) يعقوب بن الليث من أبطال العالم، وأحد الأمراء الدهاة، غلب على سجستان سنة (٢٤٧) وامتلك هراة، واعترض الترك فقتل ملوكهم، واستولى على فارس ونيسابور، مات سنة ٢٦٥.
(٤) روض الرياحين ٣٠٧ (الحكاية ٢٥٣).

* ومن دعاءِ بعضهم: يا واحدُ يا أحد، يا واجد يا جوادُ، انفحنا منك بنفحة خيرٍ.

* ومن حزبِ الشيخِ أبي العباس المُرسي رضي الله عنه: يا عليُّ يا عظيم، يا حَليمُ يا عليم، يا سميعُ يا بَصير، يا مُريدُ يا قدير، يا حيُّ يا قيّوم، يا رحمنُ يا رحيم، يا مَنْ هو هو هو، يا هو أسألُكَ بعظمتِكَ التي ملأتَ بها أركانَ عرشكَ، وبقدرتِكَ التي قدرتَ بها على خَلْقِك، وبرحمتِكَ التي وَسعتْ كلَّ شيءٍ، وبعلمِكَ المُحيط بكلِّ شيءٍ، وبإرادتِكَ التي لا يُنازعها شيء، وبسمعِكَ وبصرِكَ القريبِ من كلِّ شيءٍ، يا من هو أقربُ إليَّ من كلِّ شيءٍ، قد قلَّ حيائي، وعظمَ افترائي، وبَعُدَ مُنائي، واقتربَ شقائي، وأنت البَصيرُ بحيرتي ومحنتي وشهوتي وسوأتي، تعلمُ ضلالتي وعمايتي وفاقتي، وما قبحَ من صفاتي، آمنت بك وبأسمائكَ وصفاتك، وبمحمَّدٍ رسولِك، فمن ذا الذي يَرحمني غيرُك ؟ ومن ذا الذي يُسعدني سواك ؟ فارحمني وأرني سبيلَ الرُّشد، واهدني إليه سبيلاً، وأرني سبيلَ الغيِّ، وجنّبني إيّاه سبيلاً، وأصحبني منك الحقَّ والنورَ والحكمَ، والفَصْل[1]، والبيان، واحرسني بنورِكَ، يا الله، يا نورُ، يا حقُّ يا مُبين.

* ومن دعاء بعضهم: اللَّهُمَّ، عافني من الحقدِ ومن الحسد، ومن الرِّياء، ومن العُجْبِ ومن الكِبْر، ومن الكربِ ومن الأمل، ومن الغضب ومن الاستعجالِ ومن الغيبة، ومن النَّميمة ومن الكذب، ومن التَّصنُّع ومن السُّمعة ومن الخيلاء، ومن الشُّحِّ ومن النِّفاق، ومن خشيةِ الإملاقِ، اللَّهُمَّ، ارزقني قولَ الحقِّ، وقبولَ الحقِّ، والإصغاءَ إلى الحقِّ، والانتفاعَ بالحقِّ، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير، وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً.

* وقيل: تعلَّقَ شابٌّ بأستارِ الكعبة، وقال: إلـهي، لا لك شريكٌ فيُؤتى، ولا وزيرٌ فيُرشى، إن أطعتُكَ فبفضلكَ، ولكَ الحمدُ، وإنْ عصيتُكَ فبجهلي ولك الحجَّةُ عليَّ، فبإثباتِ حُجَّتك عليَّ، وانقطاعِ حجّتي لديك إلاّ غفرتَ لي. فسمع هاتفاً يقول: الفتى عتيقٌ من النار.

والحكاياتُ في ذلك تطول، وتُخرجنا عمّا نحن له قاصدون.

* * *

---

(١) في المطبوع: والفضل.

الباب التاسع

في فضل الاستغفار والندب إليه

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

وقال تعالىٰ إخباراً عن نوحٍ عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا...﴾ الآيات [نوح: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

والآياتُ في الاستغفار كثيرةٌ شهيرة.

وأمّا الأحاديثُ فخارجةٌ عن الحصرِ، ونذكرُ في هذا البابِ عشرةَ أحاديث، منها:

الحديث الأول: روينا في «صحيح مسلم» عن الأغرِّ المُزني الصَّحابي رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّه لَيُغَانُ على قلبي، وإنِّي لأستغفرُ الله في اليوم مئةَ مرَّة»[1].

---

(١) مسلم (٢٧٠٢) في الذكر، باب استحباب الاستغفار.

«ليغان»: ليغطى ويغشى، والمراد به السهو لأنه ﷺ كان لا يزال في مزيد من الذكر والقربة =

الحديث الثاني: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن ابنِ عمر رضي الله عنهما، قال: كنّا نعدُّ لرسولِ الله ﷺ في المجلسِ الواحدِ مئة مرّةٍ: «ربِّ اغفرْ لي وتبْ عليَّ، إنَّكَ أنتَ التَّوابُ الرحيم»[1]. قال الترمذي: حديثٌ صحيح.

الحديث الثالث: روينا في «صحيح البخاري» عن شدَّادِ بن أوس رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «سيِّدُ الاستغفار أن يقولَ العبدُ: اللَّهُمَّ، أنتَ ربِّي لا إله إلاَّ أنت، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِكَ ووعدك ما استطعت، أعوذُ بكَ من شرِّ ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتِكَ عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفرْ لي؛ فإنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلاَّ أنتَ، من قالها من النَّهارِ موقناً بها، فمات من يومه قبلَ أن يُمسي فهو من أهل الجنَّة، ومن قالها من الليل وهو مُوقنٌ بها، فماتَ قبلَ أن يُصبحَ فهو من أهلِ الجنة»[2].

قوله: «أبوء» بضم الباء، وبعد الواو همزةٌ ممدودة، ومعناه أقرُّ وأعترفُ.

الحديث الرابع: روينا في «سنن ابي داود» و«الترمذي» عن ابنِ مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قالَ: أستغفرُ اللهَ الذي لا إله إلاَّ هو الحيَّ القيوم وأتوبُ إليه، غُفرتْ له ذنوبُه، وإن كان قد فرَّ من الزحف»[3].

ورواه الحاكم أبو عبد الله، وقال: حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاريِّ ومسلم[4].

الحديث الخامس: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو لم تُذنبوا لذهبَ اللهُ تعالىٰ بكم، ولجاءَ بقومٍ يُذنبون، فيستغفرون الله تعالىٰ فيغفرُ لهم»[5].

= ودوام المراقبة، فإذا سها عن شيءٍ منها في بعض الأوقات أو نسي عده ذنباً على نفسه ففزع إلى الاستغفار.

(١) رواه الترمذي (٣٤٣٠) في الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه، وأبو داود (١٥١٦) في الصلاة، باب الاستغفار.

(٢) البخاري ١١/ ٨٣ في الدعوات، باب أفضل الاستغفار.

(٣) رواه الترمذي (٣٥٧٢) في الدعوات، باب في دعاء الضعيف، وأبو داود (١٥١٧) في الصلاة، باب في الاستغفار.

(٤) المستدرك ١/ ٥١١.

(٥) مسلم (٢٧٤٩) في التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار.

الحديث السادس: روينا في «كتاب الترمذي» عن أنسٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قالَ اللهُ تعالىٰ: يا ابنَ آدم، إنَّكَ ما دعوتني ورَجوتني غفرتُ لك على ما كانَ منكَ ولا أُبالي، يا بنَ آدم، لو بلغَتْ ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ، ثم استغفرتني غفرتُ لك [ولا أبالي] يا ابن آدم، لو أتيتني بقُرابِ الأرضِ خطايا، ثم لقيتني لا تُشركُ بي شيئاً لأتيتُكَ بقرابها مغفرةً»[1]. قال الترمذي: حديث حسن.

و«عَنان السماء» بفتح العَين، قيل هو السحاب، وقيل ما عنَّ لك منها، أي ظهر.

و«قُراب الأرض» بضم القاف، ورُوي بكسرها، والضمُّ أشهر: ما يُقارب مِلأها. هكذا ذكرهُ الإمامُ النواوي رضي الله عنه[2].

الحديث السابع: روينا في الصَّحيحين عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُكثرُ أن يقولَ قبلَ موتهِ: «سبحان الله وبحمده، أستغفرُهُ وأتوبُ إليه»[3].

الحديث الثامن: روينا في «صحيح مسلم» عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يا معشرَ النِّساءِ، تَصدّقنَ، وأكثرنَ من الاستغفار، فإنِّي رأيتُكنَّ أكثرَ أهلِ النار» قالتِ امرأةٌ: ما لنا أكثرُ أهلِ النار؟ قال: «تُكثرنَ اللَّعنَ، وتَكفرنَ العشير، ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلبَ لذي لبٍّ منكنَّ» قالت: ما نُقصانُ العقل والدين؟ قال: «شهادةُ امرأتين بشهادةِ رجل، وتمكثُ الأيامَ لا تُصلّي»[4].

قال العلماء: يعني بالعشير الزوج، والمُراد بالكفران جَحْدُ الإحسان.

الحديث التاسع: روينا في «كتاب الترمذي» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلسَ في مجلسٍ، وكثرَ فيه لغطُهُ فقالَ قبلَ أن يقومَ من مجلسهِ ذلك: سبحانكَ اللَّهُمَّ وبحمدِك، أشهدُ أنْ لا إله إلاَّ أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك، إلاَّ غُفِرَ له

---

(١) الترمذي (٣٥٣٤) في الدعوات، باب (١٠٦).
(٢) الأذكار ٤٥٣ في كتاب الاستغفار.
(٣) رواه البخاري ٨/ ٥٦٤ في التفسير، باب تفسير سورة إذا جاء نصر الله، ومسلم (٤٨٤) في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.
(٤) مسلم (٧٩) في الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقصان الطاعات.

ما كانَ في مجلسه ذلك»[1]. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

* وروينا نحوه في «سنن أبي داود» من رواية أبي برزة[2]، وروى نحوه الحاكمُ في «المستدرك»[3] من رواية عائشةَ رضي الله عنها، وقال: صحيحُ الإسناد.

الحديث العاشر: روينا في «سنن أبي داود» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لزمَ الاستغفارَ جعلَ اللهُ له من كلِّ ضيقٍ مَخرجاً، ومن كلِّ همٍّ فرجاً، ورزقَهُ من حيثُ لا يحتسب». ورواه ابنُ ماجه أيضاً[4].

* وكان الشيخُ أبو عبد الله القُرشي رضي الله عنه يقول: اللَّهُمَّ، إنَّا نستغفرُكَ من كلِّ ذنبٍ أذنبناهُ، استعمدناه أو جهلناه، ونستغفرُكَ من كلِّ ذنبٍ تُبنا إليكَ منه ثم عُدنا فيه، ونستغفرُكَ من الذُّنوبِ التي لا يعلمُها غيرُك، ولا يسعُها إلاَّ حلمُك، ونستغفرُكَ من كلِّ ما دَعَتْ إليه نفوسُنا من قِبَلِ الرُّخصِ، فاشتبه علينا، وهو عندك حرامٌ، ونستغفرُكَ من كلِّ عملٍ عملناه لوجهِكَ فخالطَهُ ما ليس لك فيه رضا، لا إله إلاَّ أنتَ يا أرحمَ الرَّاحمين.

* * *

(١) الترمذي (٣٤٢٩) في الدعوات، باب ما يقول الرجل إذا قام من مجلسه.

(٢) أبو داود (٤٨٥٩) في الأدب، باب في كفارة المجلس.

(٣) المستدرك ١/ ٥٣٧.

(٤) رواه أبو داود (١٥١٨) في الصلاة، باب في الاستغفار، وابن ماجه (٣٨١٩) في الأدب، باب الاستغفار.

الباب العاشر

في أحاديث في الترغيب والترهيب

وحقارةِ الدنيا، وفضلِ المساكين والفقراء، والاستعدادِ للموت، والصَّبرِ على البلاء، وغيرِ ذلك ممَّا يُناسبُ النَّاسكَ، وجملتها ثلاثةٌ وسبعون حديثاً:

الحديث الأول: روينا في «كتاب الترمذي» عن معاذ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، أخبرني بعملٍ يُدخلني الجنَّة، ويُباعدني من النار. قال: «لقد سألتني عن عظيمٍ، وإنَّهُ ليسيرٌ على من يسَّرَهُ اللهُ عليه؛ تعبدُ اللهَ ولا تُشركُ بهِ شيئاً، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتي الزَّكاة، وتصومُ رمضان؛ وتحجُّ البيتَ» ثم قال: «ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدقةُ تُطفيءُ الخطيئة كما يُطفيءُ الماءُ النَّارَ، وصلاةُ الرَّجلِ في جوفِ الليلِ ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦ـ١٧]، ثم قال: «ألا أُخبرُكَ برأسِ الأمرِ كلِّهِ وعمودِهِ وذروةِ سنامه؟» [قلت: بلى يا رسول الله. قال:] «رأسُ الأمرِ الإسلام، وعمودُهُ الصَّلاةُ، وذروةُ سنامه الجهاد» ثم قال: «ألا أُخبرُكَ بمِلاكِ ذلك كلِّهِ؟» قلت: بلى يا رسول الله. فأخذَ بلسانه، وقال: «كفَّ عليك هذا» فقلتُ: يا نبيَّ الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلَّمُ به؟ فقال: «ثكلتكَ أمُّكَ [يا معاذ] وهل يكبُّ الناسَ في النَّارِ على وجوههم ـ أو على مناخرِهم ـ إلا حصائدُ ألسنتهم»[1]. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

* وأنشدوا[2]:

احفظْ لسانَكَ أيُّها الإنسانُ لا يلدغنَّكَ إنَّهُ ثُعبانُ

---

(١) الترمذي (٢٦١٩) في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة.

(٢) في مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٨٧: قال الشافعي: كنت في اليمن، فقرأت على باب صنعاء أو عدن، وذكر البيتين.

كم في المقابرِ من قتيلِ لسانِهِ ... كانتْ تَهابُ لقاءَهُ الأقرانُ

الحديث الثاني: روينا في «كتاب الترمذي» أيضاً عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قال: كنتُ خلفَ النَّبيِّ ﷺ يوماً فقال: «يا غلامُ إنِّي أُعلِّمُكَ كلماتٍ، احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظِ الله تجدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنْتَ فاستعنْ بالله، واعلمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوكَ بشيءٍ، لم ينفعوكَ إلاَّ بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لكَ، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوكَ بشيءٍ، لم يضرُّوكَ إلاَّ بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليك، رُفعتِ الأقلامُ، وجفَّتِ الصُّحف»[1]. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

وفي رواية غيرِ الترمذي زيادةٌ: «احفظِ الله تجدْهُ أمامك، تعرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يعرفْكَ في الشدَّةِ، واعلمْ أَنَّ ما أخطأَكَ لم يكن ليصيبَكَ، وما أصابَكَ لم يكنْ ليُخطئَكَ، واعلمْ أَنَّ النَّصرَ مع الصَّبر، وأَنَّ الفرجَ مع الكرب، وأَنَّ مع العُسرِ يسراً».

* وأنشدوا:

مَتى ما يُردْ ذو العَرْشِ أمراً بعبدِهِ[2] ... يُصبْه وما للعبدِ ما يتخيَّرُ
وقد يَهلَكُ الإنسانُ في وسْطِ أمنِهِ ... ويَنجو بحمدِ اللهِ من حيثُ يَحذرُ

* وأنشدوا أيضاً[3]:

وكمْ للهِ من لُطفٍ خفيٍّ ... يَدُقُّ خَفاهُ عن فَهْمِ الذَّكيِّ
وكم يُسرٍ أَتى من بعدِ عُسرٍ ... ففرَّجَ كُربةَ القَلبِ الشَّجيِّ
وكم أمرٍ تُساءُ به صباحاً ... وتأتيكَ المَسرَّةُ بالعشيِّ
إذا ضاقتْ بكَ الأحوالُ يوماً ... فثقْ بالواحدِ الصَّمدِ العليِّ
تمسَّكْ بالنبيِّ وكلُّ صعبٍ ... يَهونُ إذا تُمسِّكَ بالنبيِّ[4]

الحديث الثالث: روينا في «صحيح البخاري» عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ بمَنْكبي وقال: «كنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غريبٌ أو عابرُ سبيل» وكان ابنُ عمر

---

(١) الترمذي (٢٥١٨) في صفة القيامة، باب (٦٠).

(٢) في الأصول والمطبوع: متى يرد، وأثبت ما يناسب الوزن.

(٣) الأبيات لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. الديوان ١٠٦ بزيادة بيت.

(٤) في الديوان: توسَّل بالنبي... تُوسِّلَ بالنبي.

يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصَّباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساء، وخذْ من صحَّتِكَ لمرضك، ومن حياتِكَ لموتك[1].

* قال العلماءُ رضي الله عنهم في شرحِ هذا الحديث: معناه لا تركنْ إلى الدُّنيا، ولا تتَّخذْها وطناً، ولا تحدِّثْ نفسكَ بطولِ البقاءِ فيها، وبالاعتناءِ بها، ولا تتعلَّقْ منها بما لا يتعلَّقُ به الغريبُ في غيرِ وطنه، ولا تشتغلْ فيها بما لا يَشتغلُ به الغريب الذي يُريدُ الذَّهاب إلى أهله.

* وأنشدنا بعضُ شيوخنا لبعضِهم رحمهم الله ورضي الله عنهم، ونفعَ بهم:

أَيَا فُرقَةَ الأحبابِ لابدَّ لي منكِ ... ويـا دارَ دُنيـا إنَّنـي راحـلٌ عنـكِ
ويـا قِصَـرَ الأيـامِ مـالـي وللمُنـى ... ويا سكراتِ الموتِ ما لي وللضَّحكِ
ومـا لـيَ لا أبكـي لنفسـي بعبَـرةٍ ... إذا كنتُ لا أَبكي لنفسي فمن يَبكي
ألا أيُّ حيٍّ ليسَ بالموتِ مُوقناً ... وأيُّ يقيـنٍ منـه أشبَـهُ بـالشـكِّ

الحديث الرابع: روينا في «كتاب الترمذي» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخلُ الفقراءُ الجنَّةَ قبلَ الأغنياءِ بخمس مئة عام»[2]. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

* وكان بعضُ الفقراء الواجدين، يُغنِّي ويبكي، ويقولُ في غنائه:

قـــال لنـــا حبيبُنـــا الـ ... ـيـــومُ لهـــم وغـــدٌ لنـــا

الحديثُ الخامس: روينا في «صحيح مسلم» عن جابرٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بالسُّوقِ، والنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فمرَّ بجدي أسكَّ ميِّتٍ، فتناوله، وأخذَ بأُذنهِ، ثم قال: «أيُّكم يحبُّ أنَّ هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحبُّ أنَّه لنا بشيءٍ، وما نصنعُ به؟ قال: «أتحبُّونَ أنَّه لكم؟» قالوا: واللهِ، لو كانَ حيّاً كان عيباً، لأنَّهُ أَسكُّ، فكيفَ وهو ميت؟! فقال: «واللهِ للدُّنيا أهونُ على الله من هذا عليكم»[3].

ومعنى «كنفته»: عن جانبيه. والأسكُّ: الصَّغيرُ الأُذن.

---

(١) أخرجه البخاري ١١/ ٢٠٢ في الرقاق، باب في الأمل وطوله، والترمذي (٢٣٣٥) في الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل.

(٢) الترمذي (٢٣٥٤) في الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم.

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٧) في الزهد والرقائق، أول له.

* وأنشدَ بعضُهم:

أمـا لـو بِيْعَـتِ الـدُّنيـا بفلـسٍ أَنِفْـتُ لعـاقـلٍ أنْ يَشتـريهـا

الحديث السَّادس: روينا في «كتاب الترمذي» عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «الكَيِّسُ من دانَ نفسَهُ، وعَمِلَ لما بعدَ الموت، والعاجِزُ من أَتْبَعَ نفسَهُ هَواها، وتمنَّى على الله»(1) قال الترمذي: حديثٌ حسن.

قال هو وغيرهُ من العلماء: معنى «دان نفسه»: حاسبها.

* وأنشدَ بعضُهم:

وسـائـلٍ عنهُـمُ مـاذا يُقـدِّمُهُـم فقلتُ فضلٌ به عن غيرِهِمْ بانوا

صانوا النُّفوسَ عن الفحشاءِ وابتذلوا منهنَّ في سُبُلِ العلياءِ ما صانوا

* وأنشد بعضُ العارفين:

على مثلِ حدِّ السَّيفِ نَسري(2) إلى العُلا فمـن زاغَ لا أرضٌ تُقِـلُّ ولا سمـا

فمـنْ فـازَ بـالتَّـوفيـقِ فـاللهُ صـانَـهُ ولولا جميلُ الصُّنعِ واللُّطفِ ما نجا(3)

الحديث السابع: روينا في الصَّحيحين عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قال رجلٌ: أيُّ الناسِ أفضلُ يا رسولَ الله؟ قال: «مؤمنٌ يُجاهدُ بنفسه وماله في سبيل الله». قال: ثمَّ من؟ قال: «رجلٌ يعتزلُ في شِعبٍ من الشِّعابِ، يَعبدُ ربَّه ـ وفي روايةٍ: «يتَّقي الله» ـ ويدعُ النَّاسَ من شرِّه»(4).

* وأنشدوا:

أخـصُّ النَّـاسِ بـالإيمـانِ عبـدٌ خفيـفُ الحـاذِ(5) مَسكنُـهُ القِفـارُ

لـهُ فـي اللَّيـلِ حـظٌّ مـن صـلاةٍ ومـن صـومٍ إذا طَلَـعَ النَّهـارُ

---

(1) الترمذي (2461) في صفة القيامة، باب (26).

(2) في المطبوع: تسري.

(3) المثبت في روض الرياحين 57: ما نما.

(4) رواه البخاري 6/4 في الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه، ومسلم (1888) في الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط.

(5) الحاذ: قليل المال والعيال.

وقوتُ النّفسِ يأتي في كفافٍ ... وكانَ لهُ على ذاكَ اصطبارُ
وفيهِ عفّةٌ وبهِ خُمولٌ ... إليه بالأصابعِ لا يُشارُ
وقلَّ الباكياتُ عليه لمّا ... قَضَى نحباً وليسَ لهُ يَسارُ
فذلكَ قد نَجَا من كلِّ شرٍّ ... ولم تَمَسّهُ يومَ البَعثِ نارُ[1]

الحديث الثامن: روينا في الصَّحيحين أيضاً عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «سبعةٌ يُظلّهُمُ اللهُ في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلاَّ ظلُّهُ: إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأَ في عبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ورجلٌ قلبُهُ معلّقٌ بالمسجد [إذا خرجَ منه حتى يعود إليه]، ورجلانِ تحابّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرّقا عليه، ورجلٌ دعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقال: إنِّي أخافُ اللهَ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالُهُ ما تُنفقُ يمينه، ورجلٌ ذكَرَ اللهَ خالياً ففاضت عيناهُ»[2].

الحديث التاسع: روينا في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ: من عادَى لي وليّاً فقد آذنْتُهُ بالحربِ، وماتقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُهُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتَّىٰ أُحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الذي يَسمعُ بِهِ، وبصرَهُ الذي يُبصرُ بِهِ، ويَدهُ التي يَبطشُ بها، ورجلَهُ التي يَمشي بها، وإنْ سألني أعطيتُهُ، ولئن استعاذني لأُعيذنَّهُ»[3].

روي: «استعاذني» و«استعاذَ بي» بالنون وبالباء.

و«آذنته»: أعلمتهُ، بأنّي مُحاربٌ له.

* وأنشدنا بعضُ شيوخنا لبعضهم:

مَن اعتزَّ بالمولى فذاكَ جَليلُ ... فمن رامَ عزًّا من سواهُ ذَليلُ
ولو أنَّ نفسي مُذْ بَراها مَليكُها ... مَضى عُمرُها في سجدةٍ لَقليلُ

---

(١) روض الرياحين صفحة ٣٣.

(٢) رواه البخاري ٢/١١٩-١٢٤ في الجماعة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ومسلم (١٠٣١) في الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة.

(٣) رواه البخاري ١١/ ٢٩٢ في الرقاق، باب التواضع.

أُحِبُّ مناجاةَ الحبيبِ بأَوجُهٍ   ولكنَّ لسانُ المُذنبينَ كَليلُ[1]

الحديث العاشر: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هُريرة أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ربَّ أشعثَ مَدفوعٍ بالأبواب، لو أقسمَ على الله لأبرَّهُ»[2].

وفيهم قلتُ في أرجوزةٍ مُثلَّثةٍ:

للهِ قومٌ في الحِمى كرامُ   مُستيقظونَ والورى نِيامُ
أولو مقاماتٍ علَتْ وأحوالْ

دارتْ عليهم في الهوى كؤوسُ   نورُ البَريا للهُدى شُموسُ
لَيسوا كشمسٍ في السما أفّالْ

خلعاتُ مولاهم عليهم زُهرُ   تزهو وبين الخلقِ شعثٌ غُبرُ
ما أحمرَّ الكبريتِ يَدْري جهالْ[3]

مع حبِّهِ أعطاهم المَعارفْ   إنْ أقسموا يوماً أبرَّ الحالفْ
أَحبَّةٌ أدلوا بكلِّ دلالْ[4]

الحديث الحادي عشر: روينا في الصَّحيحين عن سهلِ بنِ سعد السَّاعدي رضي الله عنه قال: مرَّ رجلٌ على النبيِّ ﷺ فقال لرجلٍ عنده جالسٍ: «ما رأيُكَ في هذا؟» فقال: هذا رجلٌ من أشرافِ النَّاس، هذا واللهِ حَريٌّ إن خطبَ أن يُنكح، وإن شَفَعَ أن يُشفَّعَ. فسكتَ رسولُ الله ﷺ، ثم مرَّ رجلٌ آخرُ، فقال لهُ رسول الله ﷺ: «ما رأيُكَ في هذا؟» قال: يا رسولَ الله، هذا رجلٌ من فقراءِ المسلمين، هذا حَرِيٌّ إنْ خطبَ أن لا يُنكَحَ، وإن شَفَعَ أن لا يُشفَّعَ، وإنْ قالَ ألاّ يُسمعَ لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثلِ هذا»[5].

---

(١) روض الرياحين ٣٢.

(٢) مسلم (٢٦٢٢) في البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين.

(٣) في هامش (أ): أحمرَ: معمول يدري، جهال: فاعل.

(٤) روض الرياحين: ٣٢.

(٥) رواه البخاري ٩/١١٧ في النكاح، باب الأكفاء في الدين وهذا الحديث لم يروه مسلم. وكأن منشأ الخطأ نقل المؤلف الحديث من جامع الأصول ٩/٢٣٠ (٦٧٢٥٠) فقد ذكره ابن الأثير وأشار إلى روايته في الصحيحين.

* وأنشد بعضهم:

لعمركَ ما الإنسانُ إلاّ ابنُ دينه ... فلا تَتركِ التَّقوى اتِّكالاً على النَّسبْ

فقد رفعَ الإسلامُ سلمانَ فارسٍ ... وقد وَضعَ الشِّركُ الحَسيبَ أبا لهبْ

الحديث الثاني عشر: روينا في الصَّحيحين أيضاً عن أُسامة بن زيد رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «قمتُ على بابِ الجنة، فكان عامَّةُ مَن دخلها المساكينُ، وأصحابُ الجَدِّ[1] مَحبوسون، غيرَ أنَّ أصحابَ النَّارِ قد أُمِرَ بهم إلى النَّارِ، وقمتُ على بابِ النَّارِ، فإذا عامَّةُ من دخلها النساءُ»[2].

وفي وعظِ النِّساءِ المذكوراتِ، ومدحِ الحور المليحات. قلتُ في بعض القصيدات:

إلى كم إلى ليلى ونعمانَ والنَّقا ... وبيضِ العوالي لا تزالُ مُشوَّقا[3]

تغَزَّلُ في غزلان روضٍ رضيَّةٍ ... بنظمِ القوافي مُطرباً مُتأنِّقا

وتُطري حماماً حامَ حول حمائهِ ... حمامٌ حمى ذاك الحِمى أن يُطرقا

وتمدحُ بدراً حلَّ في أيمنِ الحِمى ... بهِ القلبُ أمسى والهاً ومُعلَّقا

تُهيِّجُ أشجاناً وتَقتلُ مُغرماً ... وتدعو إلى بحرِ الهوى لتُغرَّقا

ألم تدرِ أنَّ الموتَ لا شكَّ نازلٌ ... وبين الأحبَّا لا يزالُ مُفرِّقا

دعِ القولَ في فانٍ وقُلْ في مُشوِّقٍ ... إلى جنَّةِ الفردوسِ والحورِ والبقا

ولُقيا حسانٍ ناعماتٍ مُنعَّمٍ ... بهنَّ سعيدٌ سَعدُ ذلكَ من لِقَا

كَواعبَ أترابٍ زَهتْ في خيامها ... بظلِّ نعيمٍ قطُّ ما مسَّها شقا

كدُرٍّ وياقوتٍ وبيضٍ نَعَامةٍ ... كساها البَها والنُّورُ والحُسنُ رونقا

مَليحاتِ أوصافٍ تَعالتْ صفاتُها ... عن الوصفِ فوقَ المُرتَقَى وصْفُها رُقِيْ

تُغنِّي بما لا يَسمعُ الخلقُ مثلَهُ ... وقد حُبرتْ صوتاً رخيماً مُشوِّقا[4]

---

(١) أصحاب الجَدِّ: أصحاب الغنى والوجاهة، وقيل أصحاب الولايات.

(٢) رواه البخاري ١١/ ٣٦١ في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٧٣٦) في الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء.

(٣) هنا ينتهي خرم نسخة (ب) الذي بدأ صفحة (٢٢٠).

(٤) هذا البيت واللذان يلياه من المطبوع فقط.

غناهُنَّ نحنُ الخالداتُ فقطُّ لا نَبيدُ ونحنُ النَّاعماتُ بلا شقا
ولا سُخْطَ والرَّاضياتُ بنا المُنى فطُوبى لمن كنَّا له من أُولي التُّقى[1]
وقلْ للغواني من أرادتْ سعادةً وتُوقَى عذاباً بالنِّسا صارَ مُحدقا
فأكثرُ أهلِ النَّارِ هنَّ حقيقةً رَوينا حديثاً فيه صِدقاً مُصدَّقا
تُخلِّي التَّباهي تُبدِلُ اللَّهوَ بالبُكا وتَبذُلُ كلَّ الجهدِ في الزُّهدِ والتُّقى
وتَعتاضُ عن لينٍ بدُنيا خشونةً وعن يابسٍ في الدِّينِ أخضرَ مُورقا
رَعَى اللهُ غزلاناً تَبيتُ قوانتاً ويُصبحُ منها القلبُ بالخوفِ مُحْرَقا
تظلُّ عن المَرعى الخَصيبِ صَوائماً ويُمسي سَمينُ البطنِ بالظَّهرِ مُلصَقا
ترى بين عينٍ والسُّهادِ تَواصلاً وبين الكَرَى والعِين منهَا تفرُّقا
وبين معاءٍ والغذاءِ تَقاطُعاً وبين الخُلُوفِ المِسكِ والثَّغرِ مُلتقى
تُرى ناحلاتٍ قارئاتٍ مَصاحفاً ولؤلؤُ بحرِ البدرِ في الوِردِ مُشرقا
فدتْها من الآفاتِ كلُّ نفوسِ من تخالفُها في الوصفِ غرباً ومشرقا[2]

الحديث الثالث عشر: روينا في الصحيحين أيضاً عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «إنَّ الأكثرينَ هم الأقلُّونَ يومَ القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا، عن يمينه وعن شمالِهِ وعن خلفِهِ، وقليلٌ ما هم»[3]. هذا بعضُ حديثٍ طويل.

الحديث الرابع عشر: روينا في «صحيح مسلم» عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، قال: كنَّا [جُلوساً] مع رسولِ الله ﷺ إذ جاءَهُ رجلٌ من الأنصارِ، فسلَّمَ عليه، ثمَّ أدبرَ الأنصاري، فقال رسول الله ﷺ: «يا أخا الأنصارِ، كيف [أخي] سعدُ بنُ عبادة؟» فقال: صالح. فقال رسول الله ﷺ: «من يعودُهُ منكم؟» فقام وقمنا معه، ونحن بِضعةَ عشر، ما علينا نِعالٌ ولا خفافٌ، ولا قلانسُ، ولا قُمص، نمشي في تلك السِّباخ[4] حتى جئناه، فاستأخرَ قومُه

---

(١) انظر حديث رسول الله ﷺ رقم عن علي رضي الله عنه صفحة ٢٧٦ رقم (٦٩).
(٢) روض الرياحين صفحة ٣٥.
(٣) رواه البخاري ١١/ ٤٦٠ في الأيمان، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، ومسلم (٩٩٠) في الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة.
(٤) السباخ: الأرض التي تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

من حوله، حتى دنا رسولُ الله ﷺ وأصحابُهُ الذين معه[1].

وأنشدَ لسانُ حالِ السادات ذوي الفضائلِ قولَ القائل[2]:

إذا المرءُ لم يدنسْ من اللُّؤمِ عِرضَهُ ... فكـلُّ رداءٍ يَـرتـديـهِ جَميـلُ

وإن هوَ لم يحملْ على النَّفسِ ضَيمَها ... فليـسَ علـى حُسـنِ الثَّنـاءِ سَبيـلُ

الحديث الخامس عشر: روينا في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّه مرَّ بقومٍ بين أيديهم شاةٌ مَصليَّة[3]، فدعوهُ، فأبى أن يأكلَ وقال: خرجَ رسولُ الله ﷺ من الدُّنيا ولَم يشبعْ من خُبزِ الشَّعيرِ[4].

الحديث السادس عشر: روينا في «كتاب الترمذي» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أَنعمُ وصاحبُ القَرْنِ قد التقَمَ القرنَ، واستمعَ الأذنَ متى يُؤمرُ بالنفخ فينفُخُ ؟!» فكأنَّ ذلك ثقلَ على أصحابِ رسول الله ﷺ، فقال لهم: «قولوا: حسبنا الله ونعمَ الوكيل [على الله توكّلنا]»[5] قال الترمذي: حديث حسن.

القَرْنُ: هو الصور.

الحديث السابع عشر: روينا في الصحيحين عن أنسٍ رضي الله عنه قال: خطبَ رسولُ الله ﷺ خطبةً ما سمعتُ مثلَها قطُّ، فقال: «لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتُم قليلاً، ولبكيتُم كثيراً» فغطّى أصحابُ النبيِّ ﷺ وجوهَهم لهم خنين[6].

الخنين: بالخاء المُعجمة: هو البُكاء مع غنَّةٍ، وانتشاق الصوت من الأنف.

---

(١) رواه مسلم (٩٢٥) في الجنائز، باب البكاء على الميت.

(٢) البيتان للسموأل. انظر الديوان.

(٣) مصلية: مشوية.

(٤) رواه البخاري ٩/ ٤٧٨ في الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون.

(٥) الترمذي (٢٤٣٣) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور.

(٦) رواه البخاري ٨/ ٢١١ في تفسير سورة المائدة، باب قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]. ومسلم (٢٣٥٩) في الفضائل، باب توقيره ﷺ

* ولله در القائل[1]:

وكيفَ قرَّتْ لأهلِ العلمِ أَعينُهم ... أو استلذُّوا لذيذَ النَّومِ إذ هجعوا[2]
والموتُ يُنذرُهم جهراً علانيةً ... لو كانَ للقومِ أسماعٌ لقد سمعوا
والنارُ ضاحيةٌ لابدَّ موردُها ... وليسَ يَدرون من ينجو ومن يَقَعُ

الحديث الثامن عشر: روينا في «كتاب الترمذي» عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون [وأسمع ما لا تسمعون]، أطَّتِ السماءُ، وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابعِ إلاَّ ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَهُ، ساجداً للهِ تعالىٰ، واللهِ لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتُم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذَّذتُم بالنِّساءِ على الفُرُشِ، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأَرونَ إلى اللهِ تعالىٰ»[3]. قال الترمذي: حديثٌ حسن.

«أطَّت»: بفتح الهمزة، وتشديد الطَّاءِ، و«تَئِطُّ»: بفتح التاء وبعدها همزةٌ مكسورة، والأطيطُ صوتُ الرَّحل والقتب، وشبههما، ومعناه: أَنَّ كثرةَ مَنْ في السماءِ من الملائكةِ العابدين قد أثقلتها حتى أطَّت.

و«الصُّعُدات»: بضم الصَّاد، والعين: الطرقات.

ومعنى «تجأرون»: تستغيثون. هكذا فسره العلماء.

الحديث التاسع عشر: روينا في «كتاب الترمذي» أيضاً عن أبي برزة نَضْلَةَ بنِ عُبَيْد الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يَسألَهُ اللهُ عن أربعٍ[4]: عن عُمُرِهِ فيم أفناه؟ وعن علمِهِ ما عملَ بهِ؟ وعن مالهِ من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه؟ وعن جسمِهِ فيم أبلاه»[5]. قال الترمذي: حديثٌ حسن صحيح.

وفي بعضِ النُّسخ: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسألَ عن عمره..» الحديث. وقال فيه: «وعن عمله فيما فعل» بدلاً من «وعن علمه ما عمل به».

---

(١) الأبيات لعبد الله بن المبارك. الديوان صفحة ٥٣.
(٢) في (أ): أو هجعوا.
(٣) الترمذي (٢٣١٣) في الزهد، باب قوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً».
(٤) في (أ): حتى يُسأل عن أربع.
(٥) الترمذي (٢٤١٩) في صفة القيامة، باب (١).

الحديث العشرون: روينا في «كتاب الترمذي» أيضاً عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خافَ أدلجَ، ومن أدلجَ بلغَ المَنزلَ، ألا إنَّ سِلعَةَ اللهِ غالية، ألا إنَّ سِلعةَ اللهِ الجنة»[1]. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ.

«أدلج»: بإسكان الدال، ومعناه سارَ من أوّلِ الليل، والمُرادُ التَّشميرُ في طاعةِ الله تعالىٰ.

الحديث الحادي والعشرون: روينا في «كتاب الترمذي» أيضاً، عن عمرَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لو أنَّكم [كنتم] تتوكَّلونَ على اللهِ حقَّ توكُّلِهِ لرزقكم كما يرزقُ الطَّيرُ، تغدو خِماصاً، وتروحُ بطاناً»[2]. قال الترمذي: حديثٌ حسن.

الحديث الثاني والعشرون: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «من نَفَّسَ عن مُؤمنٍ كُربةً من كُرَبِ الدُّنيا نَفَّسَ اللهُ عنهُ كُربةً من كُربِ يومِ القيامةِ، ومن يسَّرَ على مُعْسرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخرة، ومن سَتَرَ مُسلماً ستَرَهُ اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخيه، ومن سَلَكَ طريقاً يلتمسُ فيهِ علماً سهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يَتْلُونَ كتابَ اللهِ تعالىٰ ويتدارسونه بينهم إلاَّ نزلتْ عليهم السَّكينةُ، وغَشيتهم الرَّحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرَهمُ اللهُ فيمن عنده، ومن بطَّأَ بهِ عملهُ، لم يُسرع به نسبه»[3].

الحديث الثالث والعشرون: روينا في الصَّحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّما مَثَلُ الجليسِ الصَّالحِ والجليسِ السُّوءِ، كحاملِ المِسكِ ونافخِ الكير، فحاملُ المِسكِ إمَّا أن يُحذيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتاعَ منهُ، وإمَّا أن تجدَ منهُ ريحاً طيِّبةً، ونافخُ الكيرِ إمَّا أن يحرقَ ثيابكَ، وإمَّا أن تجدَ منهُ ريحاً مُنتنةً»[4].

ومعنى «يُحذيك»: يُعطيك.

---

(١) الترمذي (٢٤٥٢) في صفة القيامة، باب من خاف أدلج.

(٢) الترمذي (٢٣٤٥) في الزهد، باب (٣٣).
والخماص: الجياع الخاليات البطون.
والبطان: الشباع الممتلئات البطون.

(٣) مسلم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر.

(٤) رواه البخاري ٤/ ٢٧١ في البيوع، باب في العطاء وبيع المسك، ومسلم (٢٦٢٨) في البر، باب استحباب مجالسة الصالحين.

* وأنشد بعضُ الأخيار:

تجنَّبْ قرينَ السُّوءِ واصرِمْ حبالَهُ ... وإنْ لم تجدْ عنهُ مَحيصاً فدارِهِ
وأَحببْ حبيبَ الصِّدقِ واتركْ مِراءَهُ ... تنلْ منهُ صَفوَ الودِّ ما لم تُمارِهِ
وللهِ في عرضِ السَّمواتِ جنَّةٌ ... ولكنَّها محفوفةٌ بالمكارِهِ

الحديث الرابع والعشرون: روينا في «كتاب الترمذي» عن مُعاذ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال اللهُ عزَّ وجلَّ: المُتحابُّونَ في جلالي لهم منابرُ من نورٍ، يَغبطُهم النَّبيونَ والشُّهداء»[1]. قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

* وفي «موطأ الإمام مالك» رضي الله عنه بإسنادِهِ الصَّحيح: «يقولُ اللهُ تبارك وتعالىٰ: وجبتْ محبَّتي للمُتحابّينَ فيَّ، والمُتجالسينَ فيَّ، والمُتزاورينَ فيَّ، والمُتباذلين فيَّ»[2].

الحديث الخامس والعشرون: روينا في الصَّحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «المرءُ معَ من أحبَّ».

وفي روايةٍ قال: قيل للنبيِّ ﷺ: الرجلُ يُحبُّ القومَ ولمَّا يلحقْ بهم. قال: «المرءُ مع من أحبَّ»[3].

* وأنشدَ بعضُهم:

أحبُّ الصَّالحينَ ولستُ منهم ... لعلَّ اللهَ يَنفعني بذاكا

الحديث السادس والعشرون: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» بإسنادٍ صحيح عن أبي هُريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «الرَّجلُ على دينِ خليله، فلينظرْ أحدُكم من يُخالل»[4]. قال الترمذي: حديثٌ حسن.

---

(١) الترمذي (٢٣٩١) في الزهد، باب ما جاء في الحب في الله.

(٢) الموطأ ٢/ ٩٥٣ في الشعر، باب ما جاء في المتحابين في الله.

(٣) رواه البخاري ١٠/ ٤٦١ في الأدب، باب علامة حب الله عزَّ وجلَّ، ومسلم (٢٦٤٠) في البر والصلة، باب المرء مع من أحب.

(٤) الترمذي (٢٣٧٩) في الزهد، باب الرجل على دين خليله، وأبو داود (٤٨٣٣) في الأدب، باب من يؤمر أن يجالس.

الحديث السابع والعشرون: روينا في «كتاب الترمذي» عن أبي هُريرة رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ حُسنِ إسلامِ المرءِ تَركُهُ ما لا يعنيه»[1]. قال الترمذي: حديثٌ حسن. وأخرجَهُ ابن ماجه أيضاً[2].

الحديث الثامن والعشرون: روينا في الصَّحيحين عن النُّعمانِ بن بشير رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إنَّ الحلالَ بيِّنٌ، وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ، وبينهما [أمورٌ] مُشتبهاتٌ، لا يَعلمُهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتَّقى الشُّبهاتِ، فقد استبرأ لدينهِ وعرضهِ، ومن وقعَ في الشُّبهاتِ وقعَ في الحرامِ، كالرَّاعي يرعى حولَ الحِمى، يُوشِكُ أن يَرتع فيه[3]، ألاَ وإنَّ لكلِّ مَلِكٍ حِمىً، ألاَ وإنَّ حِمَى اللهِ تعالىٰ مَحارمُهُ، ألاَ وإنَّ في الجسدِ مضغةً، إذا صلحت صلحَ الجسدُ كلُّهُ، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّهُ، ألاَ وهيَ القلب»[4].

الحديث التاسع والعشرون: روينا في «كتاب الترمذي» عن أبي ذرٍّ ومعاذٍ رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقِ اللهَ حيثُ ما كنتَ، وأتبعِ السيِّئةَ الحسنةَ تَمحُها، وخالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حسنٍ»[5].

قال الترمذي: حديثٌ حسن. وفي بعض النُّسخ المُعتمدة: حسنٌ صحيح.

الحديث الثلاثون: روينا في «صحيح مسلم» عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحنُ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ ذات يوم إذ طلعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثِّيابِ، شديدُ سوادِ الشَّعرِ، لا يُرى عليهِ أثرُ السَّفرِ، ولا يعرفُهُ منَّا أحدٌ، حتى جلسَ إلى النبيِّ ﷺ، فأسنَدَ رُكبتيهِ إلى رُكبتيهِ، ووضعَ كفيَّهِ على فخذيهِ، وقال: يا مُحمَّد، أخبرني عن الإسلامِ، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ ﷺ، وتقيمَ الصَّلاةَ، وتُؤتيَ الزكاةَ، وتَصومَ رمضان، وتَحُجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليهِ سبيلاً». قال: صدقتَ يا محمد. فعجبنا له يسألُهُ ويصدِّقهُ، قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمنَ

---

(١) الترمذي (٢٣١٨) في الزهد، باب (١١).

(٢) سنن ابن ماجه (٣٩٧٦) في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة.

(٣) في المطبوع: يواقعه.

(٤) رواه البخاري ١/١١٧ في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم (١٥٩٩) في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٥) الترمذي (١٩٨٨) في البر، باب ما جاء في معاشرة الناس.

بالله، وملائكته، وكُتبهِ، ورُسُلهِ، واليومِ الآخر، وتؤمن بالقدرِ خيرهِ وشرِّه». قال: صدقتَ. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ، فإن لم تكنْ تراهُ فإنَّهُ يراك». قال: فأخبرني عن السَّاعة. قال: «ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السَّائل». قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: «أن تلدَ الأمَةُ ربَّتَها، وأن ترَى الحفاةَ العُراةَ العَالَةَ رعاءَ الشاة يَتطاولونَ في البُنيان». ثم انطلقَ، فلبثتُ ملياً، ثم قال: «يا عمر، أتدري من السائل؟». قلتُ: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «فإنَّهُ جبريلُ أتاكُم يُعلِّمُكم دينكم»[1].

ومعنى: «تلد الأمَةُ ربَّتها»: أي سيدتها. ومعناه: أن تكثرَ السَّراري حتَّى تلدَ الأمةُ السريّة بنتاً لسيِّدها، وبنتُ السيِّدِ في معنى السيد، وقيل غير ذلك.

و«العالة»: الفقراء.

وقوله: «مليًّا»: أي: زماناً طويلاً، وكان ذلك ثلاثاً.

الحديث الحادي والثلاثون: روينا في الصَّحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصَّادقُ المصدوق: «إنَّ أحدَكم يُجمعُ خَلْقُهُ في بطنِ أُمِّهِ أربعينَ يوماً نُطفةً، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثل ذلك، ثم يُرسلُ الملكُ، فينفخُ فيه الرُّوحَ، ويُؤمرُ بأربع كلماتٍ؛ بكتبِ رزقِهِ، وأجلِهِ، وعملِهِ، وشقيٌّ أو سعيد، [ثم يُنفخُ فيه الروح] فوالذي لا إلَه غيره، إنَّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ حتى ما يكونُ بينه وبينها إلاَّ ذراعٌ، فيسبقُ عليهِ الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ النَّارِ فيدخلَها، وإنَّ أحدَكم لَيعملُ بعملِ أهلِ النَّارِ، حتى ما يكونُ بينه وبينها إلاَّ ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ فيدخلها»[2].

الحديث الثاني والثلاثون: روينا عن أبي هُريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

---

(١) مسلم (٨) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان..

(٢) رواه البخاري ١١/٤١٧ في القدر، باب في القدر، ومسلم (٢٦٤٣) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

وللحديث رواية أخرى تبين معنى العمل، أخرج مسلم ٤/٢٠٤٢ (١١٢) عن سهل بن سعد الساعدي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الرجل ليعملُ عملَ أهلِ الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهلِ النار، وإنَّ الرجلَ ليعملُ عملَ أهلِ النارِ فيما يبدو للناس وهو من أهلِ الجنة».

«إيَّاكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ؛ ولا تحسَّسوا، ولا تجَسَّسوا[1]، ولا تَنافسوا، ولا تَحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تَدابروا، وكونوا عبادَ الله إخواناً كما أمركم اللهُ، المُسلمُ أخو المُسلم، لا يظلمُهُ، ولا يخذلُهُ، ولا يحقرهُ، التَّقوى ههنا، التَّقوى ههنا، التَّقوى ههنا ـ ويُشيرُ إلى صدره ـ بحسبِ امرئٍ من الشَّرِّ أن يحقِرَ أخاهُ المُسلمُ، كلُّ المسلمِ على المُسلمِ حرامٌ: دمهُ، وعرضُهُ، ومالُهُ، إنَّ الله لا ينظرُ إلى صورِكُم وأموالِكم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالِكُم»[2].

وفي روايةٍ: «لا تَحاسدوا، ولا تَباغضوا، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً».

وفي رواية: «لا تقاطعوا، ولا تَدابروا، ولا تَباغضوا، ولا تَحاسدوا، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً».

وفي روايةٍ: «ولا تَهاجروا، ولا يبعْ بعضُكم على بيعِ بعضٍ».

روينا جميعَ هذه الروايات في «صحيح مسلم» ورويناً أكثرَها في «صحيح البخاري»[3].

قلتُ: وجميعُ هذه المنهيات المذكوراتِ في هذه الروايات يجمعُها وغيرَها من سائرِ التبعات ما نقلَ الإمامُ الحافظ السمعاني في كتابه «الذيلُ على تاريخ بغداد» في ترجمةِ الشيخِ الإمام الشِّيرازي رضي الله عنه، أنَّ الشيخَ أبا إسحاق رأى النبيَّ ﷺ في النَّوم، فقال له: يا رسولَ الله، إنِّي أحبُّ أنْ أَروي عنكَ حديثاً بغيرِ واسطةٍ، أو كما قال. فقال له النبيُّ ﷺ: يا شيخُ، من أرادَ السَّلامةَ فليطلبْها في سلامةِ غيرهِ منه. وكان الشيخُ أبو إسحاق يفرحُ بقولِ النبيِّ ﷺ له: يا شيخ.

* قلت: أشهدُ أنَّ هذا لفظٌ نبويٌّ عزيزٌ بديعُ البلاغة، جامعٌ وجيز، لا يسمعُهُ لبيبٌ إلاَّ اعترف وسلَّم أنَّه من جوامعِ الكلم، التي أُوتيها ﷺ.

---

(١) التجسس بالجيم: طلب الخبر لغيرك، وبالحاء طلبه لنفسك. جامع الأصول ٦/ ٥٢٦ (٤٧٣١).

(٢) في الأصل والمطبوع: «لا ينظر إلى أجسامكم ولا صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» والمثبت من صحيح مسلم.

(٣) رواه البخاري ٩/ ١٧١ في النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع. ومسلم (٢٥٦٣) في البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس.

الحديث الثالث والثلاثون: روينا في الصَّحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما يُصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا همٍّ ولا حزنٍ، ولا أذىً ولا غمٍّ حتى الشَّوكة يُشاكها إلا كفَّر اللهُ بها خطاياه»[1].

الحديث الرابع والثلاثون: روينا في الصحيحين أيضاً عن ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عُرضتْ عليَّ الأممُ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرُّهيطُ، والنبيَّ معه الرَّجلُ أو الرجلان، والنبيَّ ليسَ معه أحدٌ، إذ رُفعَ لي سَوَادٌ عظيم، فظننتُ أنَّهم أمَّتي، فقيل لي: هذا مُوسى وقومُهُ؛ ولكنِ انظُرْ إلى الأُفُقِ، فنظرتُ، فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: انظُرْ إلى الأُفقِ الآخرِ، فإذا سَوادٌ عظيم، فقيل: هذه أُمَّتُكَ، ومعهم سَبعونَ ألفاً يدخلونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ». ثم نهضَ فدخلَ منزلَهُ، فخاضَ الناسُ في أولئك الذين يَدخلونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ، فقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين صحبوا رسولَ الله ﷺ. وقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين وُلِدوا في الإسلام، فلم يُشركوا باللهِ شيئاً، وذكروا أشياء، فخرجَ عليهم النبيُّ ﷺ فقال: «ما الذي تَخوضون فيه؟» فأخبروه، فقال: «هم الذين لا يَرقون، ولا يَسترقون، ولا يَتطيَّرون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون» فقام عُكَّاشةُ بن مُحصن فقال: ادعُ اللهَ أن يَجعلني منهم. فقال: «أنت منهم» ثم قامَ رجلٌ آخر فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم. فقال: «سبقك بها عكاشة»[2].

و«الرُّهيط»: تصغير الرَّهط، وهم دونَ عشرةِ أنفس.

و«الأُفقُ»: النَّاحية، والجانب.

و«عُكَّاشة»: بضم العين، وتشديد الكاف وتخفيفها، والتشديدُ أصحُّ.

وفي روايةٍ في «صحيح مسلم»: «سبعون ألفاً، مع كلِّ واحدٍ منهم سبعون ألفاً»[3].

---

(١) رواه البخاري ١٠/ ٩١ في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ومسلم (٢٥٧٣) في البر، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرضٍ.

النصب: التعب، والوصب المرض.

(٢) رواه البخاري ١٠/ ١٧٩ في الطب، باب من لم يرق، ومسلم (٢٢٠) في الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.

(٣) لم أجده في صحيح مسلم، وهو في شرح مسلم للنووي ٣/ ٨٩ وفي فتح الباري ١١/ ٤١٣ (٦١٧٦) في الرقاق، باب قوله: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب.

* قلت: فعلى هذا يكونُ عددُ من يدخلُ الجنة بغيرِ حسابٍ ولا عذاب أربعةَ آلاف ألف ألف وتسع مئة ألف ألف[1].

نسألُ الله الكريم من فضله العظيم لنا ولأحبابنا وللمسلمين، وأن يُعاملنا جميعاً بمحضِ الفضلِ، ولا يُعاملنا بما نحن له أهل، مع العفو والعافية في الدُّنيا والآخرة. آمين.

الحديث الخامس والثلاثون: روينا في «صحيح مسلم» أَنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أتى عليه أمدادُ أهلِ اليمن سألهم: أفيكم أُويس بن عامر؟ حتى أتى على أُويس رضي الله عنه، فقال: أنت أُويسُ بنُ عامر؟ قال: نعم. قال: من مُراد ثم من قَرَنَ؟ قال: نعم. قال: فكانَ بك بَرَصٌ، فبرأت منه إلاَّ موضعَ درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدةٌ؟ قال: نعم. قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أُويسُ بنُ عامر مع أَمْدَادِ أهلِ اليمن، من مُراد ثم من قَرَن، كان به بَرَصٌ، فبرأ منه إلاَّ موضعَ درهمٍ، له والدةٌ هو بها برٌّ، لو أَقسمَ على اللهِ لأبرَّهُ، فإنِ استطعتَ أن يستغفرَ لكَ فافعلْ» فاستغفرْ لي، فاستغفرَ له، فقال له عمر: أينَ تُريدُ؟ قال: الكوفةَ. قال: ألاَ أكتبُ لكَ إلى عاملِها؟ قال: لا، أكونُ في غَبْراء النَّاسِ أحبُّ إليَّ، فلمَّا كانَ من العامِ المُقبلِ حجَّ رجلٌ من أشرافِهم، فوافقَ عمرَ، فسألَهُ عن أُويس، قال: تركتُهُ رثَّ البيتِ قليلَ المتاع.

وهذا بعضُ الحديث، وفي آخره: ففَطِنَ له النَّاسُ، فانطلقَ على وجهِهِ.

وفي روايةٍ لمسلم عن عمر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ خيرَ التَّابعين رجلٌ يُقال له أُويس، وله والدةٌ، وكان به بياضٌ، فمروه، فليستغفرْ لكم»[2].

قوله: غَبْراء النَّاس: بفتحِ الغين المعجمة، وإسكان الباء الموحدة، وبالمد، وهم فقراؤهم وصعاليكُهم، ومن لا يُعرف عينه من أخلاطهم.

والأَمْدَاد: جمع مَدَد، وهم الأعوان، والناصر، والذين كانوا يمدُّون المُسلمين في الجهاد.

الحديث السادس والثلاثون: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن عمرَ بن خطاب

---

(١) أي أربع مليارات وتسع مئة مليون. وفي (أ) والمطبوع: تسع مئة ألف ألف وسبعين ألفاً.

(٢) مسلم (٢٥٤٢) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أويس القرني.

رضي الله عنه قال: استأذنتُ النبيَّ ﷺ في العُمرةِ، فأذِنَ لي، وقال: «لا تَنسنا يا أُخيَّ من دعائك» فقال كلمةً ما يَسرُّني أن لي بها الدنيا.

وفي رواية: قال: «أشركنا يا أُخيَّ في دُعائك»[1] قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح، وصحَّحه غيرُ الترمذي أيضاً.

الحديث السابع والثلاثون: روينا في «سنن أبي داود» عن أبي أُمامة الأنصاري الحارثي رضي الله عنه قال: ذكرَ أصحابُ رسول الله ﷺ يوماً عنده الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمعونَ، ألا تسمعون؟ إنَّ البَذَاذةَ من الإيمان، [إن البذاذة من الإيمان»][2] يعني: التَّقحُّل.

والبذاذةُ: بالباءِ الموحدة، والذالين المعجمتين، هي رثاثةُ الهيئةِ، وتركُ فاخرِ اللباس.

وأمَّا التَّقحُّل: فبالقاف، والحاءِ المهملة، قال أهلُ اللغة: المُتقحِّلُ هو الرجلُ اليابسُ الجلدِ من خشونةِ العيشِ، وترك الترفُّهِ.

الحديث الثامن والثلاثون: روينا في «صحيح مسلم» عن أنسٍ رضي الله عنه، قال:قال رسولُ الله ﷺ: «يُؤتى بأنعمِ أهلِ الدُّنيا من أهل النارِ يومَ القيامة، فيُصبغُ[3] في النارِ صبغةً، ثم يُقال: يا ابنَ آدم، هل رأيت خيراً قطُّ؟ هل مرَّ بكَ نعيمٌ قطُّ؟ فيقول: لا واللهِ يا ربِّ، ويُؤتى بأشدِّ النَّاسِ بُؤساً في الدنيا من أهلِ الجنة، فيُصبغُ صبغةً في الجنة، فيُقال له: يا ابنَ آدم، هل رأيتَ بُؤساً قطُّ؟ هل مرَّ بك شدَّةٌ قطُّ؟ فيقول: لا واللهِ، ما مرَّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدَّةً قطُّ»[4].

الحديث التاسع والثلاثون: روينا في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلكان ينزلان، فيقول أحدُهما: اللَّهُمَّ أعطِ مُنفقاً خلفاً، ويقولُ الآخرُ: اللَّهُمَّ أعطِ مُمسكاً تلفاً»[5].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٥٧) في الدعوات، باب (١٢١) وأبو داود (١٤٩٨) في الصلاة، باب في الدعاء.

(٢) أبو داود (١٤٦١) في الترجل، أوله.

(٣) يصبغ: يغمس في النار أو الجنة غمسةً، كأنه يدخل إليها إدخالة واحدة.

(٤) مسلم (٢٨٠٧) في صفات المنافقين، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار.

(٥) رواه البخاري ٣/ ٢٤١ في الزكاة، باب قول الله تعالىٰ: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾، ومسلم (١٠١٠) في الزكاة، باب في المنفق والممسك.

الحديث الأربعون: روينا في «كتاب الترمذي» عن كعبِ بنِ مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما ذئبانِ جائعانِ أُرسلا في زريبة غنم بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرف لدينه»(١). قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ(٢) صحيح.

الحديث الحادي والأربعون: روينا في الصَّحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ المِسكينُ الذي تردُّهُ التمرةُ والتَّمرتان، ولا اللُّقمةُ واللُّقمتان، وإنَّما المِسكينُ الذي يتعفَّفُ عن المَسألة».

وفي روايةٍ في الصَّحيحين: «ليس المِسكينُ الذي يطوفُ على الناسِ، تردُّهُ اللُّقمةُ واللُّقمتان، والتَّمرةُ والتمرتان، ولكنَّ المسكينَ الذي لا يجدُ غنىً يغنيه، ولا يُفطنُ به فيُتصدَّقُ عليه، ولا يقومُ فيسألُ الناسَ»(٣).

الحديث الثاني والأربعون: روينا في «كتاب الترمذي» عن أبي كَريمة المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنه، بحسبِ ابنِ آدمَ أُكلاتٍ يُقمنَ صلبه، فإنْ كانَ لا مَحالةَ، فثُلثٌ لطعامه، وثُلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسه»(٤). قال الترمذيُّ: حديثٌ حسن.

«أُكلات»: بضم الهمزة، أي لُقَم.

الحديث الثالث والأربعون: روينا في «كتاب الترمذي» أيضاً عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تكثروا الكلامَ بغيرِ ذكرِ الله؛ فإنَّ كثرةَ الكلامِ بغيرِ ذكرِ الله تعالىٰ قسوةُ القلبِ، وإنَّ أبعدَ الناسِ من اللهِ تعالىٰ القلبُ القاسي»(٥).

الحديث الرابع والأربعون: روينا في «كتاب الترمذي» أيضاً عن أُمِّ حبيبة رضي الله

---

(١) الترمذي (٢٣٦٧) في الزهد، باب (٤٣).

(٢) من هنا يبدأ خرم النسخة (ب) حتى الصفحة ٢٧٦.

(٣) رواه البخاري ٣/ ٢٦٩ في الزكاة، باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ وفي تفسير سورة البقرة، باب: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ومسلم (١٠٣٩) في الزكاة، باب المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفطن له.

(٤) الترمذي (٢٣٨١) في الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل.

(٥) الترمذي (٢٤١٣) في الزهد، باب (٦٢).

عنها، عن النبيِّ ﷺ قال: «كلُّ كلامِ ابنِ آدمَ عليه لا له، إلاَّ أمراً بمعروفٍ، أو نهياً عن مُنكرٍ، أو ذكر الله تعالىٰ» وأخرجه ابن ماجه أيضاً[1].

الحديث الخامس والأربعون: روينا في «كتاب الترمذي» أيضاً عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ما النَّجاة ؟ قال: «أمسكْ عليكَ لسانَكَ، وليسعْكَ بيتُكَ، وابكِ على خطيئتك»[2]. قال الترمذي: حديثٌ حسن.

الحديث السادس والأربعون: روينا في الصَّحيحين عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّما الأعمالُ بالنِّياتِ، وإنَّما لكلِّ امرىءٍ ما نوى، فمن كانتْ هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، فهجرتُهُ إلى الله ورسولِهِ، ومن كانتْ هجرتُهُ لدنيا يُصيبها، أو امرأةٍ يَنكحُها، فهجرتُهُ إلى ما هاجرَ إليه»[3].

الحديث السابع والأربعون: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استُشهدَ، فأُتي به، فعرَّفَهُ نعمَهُ، فعرفها، قال: فما عَمِلتَ فيها ؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُ. قال: كذبتَ، ولكنَّكَ قاتلتَ ليُقالَ جَريءٌ، فقد قيل؛ ثمَّ أُمِرَ بهِ فسُحبَ على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجلٌ تعلَّمَ العلمَ وعلَّمه، وقرأَ القرآنَ، فأُتي به، فعرَّفَهُ نعمَهُ، فعرفَها، قال: فما عملتَ فيها ؟ قال: تعلَّمتُ العلمَ وعلَّمتهُ، وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبتَ، ولكنَّكَ تعلَّمتَ ليقال عالمٌ، وقرأتَ [القرآن] ليُقالَ هو قارىءٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجلٌ وسَّعَ اللهُ عليه، وأعطاه من أَصنافِ المالِ [كلِّهِ]، فأُتي بهِ، فعرَّفهُ نعمَهُ، فعَرَفَها، قال: فما عملتَ فيها ؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تُحبُّ أن يُنفقَ فيها إلاَّ أنفقتُ فيها لك. قال: كذبتَ، ولكنَّكَ فعلتَ ليُقالَ هو جَواد، فقد قيل، ثم أُمِرَ بهِ فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار»[4].

قوله: «جريء»: بفتح الجيم، وكسرِ الراء، والمدِّ، أي شجاعٌ حاذق.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٤) في الزهد، باب (٦٣)، وابن ماجه (٣٩٧٤) في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة.

(٢) الترمذي (٢٤٠٨) في الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان.

(٣) رواه البخاري ١/٧ في بدء الوحي، وهو أول حديث في صحيحه، ومسلم (١٩٠٧) في الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنَّما الأعمال بالنية».

(٤) مسلم (١٩٠٥) في الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة.

الحديث الثامن والأربعون: عن ابنِ عباس رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بقبرين، فقال: «إنَّهما ليُعذَّبان، وما يُعذَّبانِ في كبير، بلى إنَّه كبير، أمَّا أحدُهما فكانَ يمشي بالنَّميمة، وأمَّا الآخرُ فكان لا يستبرىءُ من بولِهِ»[1].

رويناه في الصَّحيحين، وهذا لفظ إحدى روايات البخاري.

الحديث التاسع والأربعون: روينا في «سنن أبي داود» عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لما عُرِجَ بي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نُحاسٍ، يَخمشون وجوهَهم وصدورَهم، فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلونَ لحومَ الناس، ويقعونَ في أعراضهم»[2].

الحديث الخمسون: روينا في الصَّحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «من كان يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقُلْ خيراً أو ليصمتْ، ومن كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليُكرمْ جارَه، ومن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليُكرمْ ضيفَهُ»[3].

الحديث الحادي والخمسون: روينا في الصَّحيحين أيضاً عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمة ما يتبيَّنُ بها، يزلُّ فيها إلى النار أبعدَ ما بين المشرق والمغرب»[4].

ومعنى «يتبيَّنُ»: يفكِّر أنَّها خيرٌ أم لا.

الحديث الثاني والخمسون: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هُريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أتدرونَ ما الغِيبةُ؟» قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلم. قال: «ذِكرُكَ أخاكَ بما

---

(١) رواه البخاري ١/ ٢٧٣ في الوضوء، باب من الكبائر ألا يستتر من بوله، ومسلم (٢٩٢) في الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول.

(٢) أبو داود (٤٨٧٨) في الأدب، باب في الغيبة.

(٣) رواه البخاري ١٠/ ٣٧٣ في الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومسلم (٤٧) في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار.

(٤) رواه البخاري ١١/ ٢٦٦ في الرقاق، باب حفظ اللسان، ومسلم (٢٩٨٨) في الزهد، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار.

يكره» قيل: أفرأيتَ إنْ كانَ في أخي ما أقول؟ قال: «إنْ كانَ فيه ما تقولُ فقد اغتبتَهُ، وإنْ لم يكنْ فيه فقد بَهتَّهُ»(١).

الحديث الثالث والخمسون: روينا في «سنن أبي داود» و«الترمذي» عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قلتُ للنبيِّ ﷺ: حسبُكَ من صفيةَ كذا وكذا ـ قال بعض الرواة: تعني قصيرة ـ فقال: «لقد قلتِ كلمةً لو مُزجتْ بماءِ البحرِ لمزجَتْهُ». قالت: وحَكَيتُ(٢) له إنساناً، فقال: «ما أحبُّ أنِّي حكيتُ إنساناً وإنَّ لي كذا وكذا»(٣). قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

قوله: «مزجتْه»: أي خالطته مُخالطةً يتغيَّرُ بها طعمه أو ريحهُ لشدَّةِ نتنها وقبحها.

الحديث الرابع والخمسون: روينا في الصَّحيحين عن حُذيفة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ نمَّام»(٤).

* قال الإمامُ حجَّةُ الإسلام أبو حامد الغزالي(٥) رضي الله عنه: وكلُّ من حُملتْ إليه نميمةٌ، وقيل له: قالَ فيك فلان كذا، لزمَهُ ستَّةُ أمورٍ:

الأول: أنْ لا يصدِّقَهُ، لأنَّ النَّمامَ فاسقٌ، وهو مَردودُ الخبر.

الثاني: أن يَنهاهُ عن ذلك، وينصحَهُ، ويُقبِّحَ فعله.

الثالث: أن يُبغضَهُ في الله تعالىٰ؛ فإنَّه بغيضٌ عند الله تعالىٰ، والبُغضُ في الله تعالىٰ واجبٌ.

الرابعُ: أن لا يظنَّ بالمنقولِ عنه السُّوءَ، لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) مسلم (٢٥٨٩) في البر والصلة، باب تحريم الغيبة.

(٢) حَكَيْتُ: فَعَلْت مثْل فِعْلِهِ، أو قلت مثل قوله تنقصاً.

(٣) الترمذي (٢٥٠٣) في صفة القيامة، باب تحريم الغيبة، وأبو داود (٤٨٧٥) في الأدب، باب في الغيبة.

(٤) رواه البخاري ١٠/ ٣٩٤ في الأدب، باب ما يكره من النميمة، ومسلم (١٠٥) في الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة.

(٥) إحياء علوم الدين ٣/ ١٥٦.

الخامس: أن لا يحملَهُ ما حكي له على التَّجسُّسِ والبحثِ عن تحقيق ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

السادس: أن لا يرضى لنفسِهِ ما نَهى النَّمامَ عنه، فلا يحكي نميمته.

الحديث الخامس والخمسون: روينا في «صحيح البخاري»[1] عن سمرةَ بن جُندب رضي الله عنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ممّا يُكثر أن يقولَ لأصحابه: «هل رأى أحدٌ منكم رؤيا» فَيَقُصُّ عليه ما شاء الله أن يَقُصَّ، وإنَّهُ قال لنا ذاتَ غداة: «إِنَّهُ أتاني الليلةَ آتيان، وإنَّهما ابتعثاني، وإنَّهما قالا لي: انطلقْ، وإني انطلقتُ معهما، وإنَّا أتينا على رجلٍ مُضطجع، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بصخرةٍ، وإذا هو يَهوي بالصَّخرةِ لرأسِهِ، فيثلَغُ رأسَه، فيتدَهْدَهُ الحجرُ ههنا، فيتبعُ الحجرَ، فيأخذُهُ، فلا يرجعُ إليه حتى يصحَّ رأسُهُ كما كان، ثم يعودُ عليه، فيفعلُ به مثلَ ما فعلَ المرَّةَ الأولى، قال: قلت لهما: سُبحان الله، ما هذا[ن]؟ قالا لي: انطلقْ، انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على رجلٍ مُستلقٍ لقفاه، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكَلُّوبٍ من حديدٍ، وإذا هو يأتي أحدَ شقيّ وجهِهِ، فيُشَرْشِرُ شدقَهُ إلى قفاه، ومنخرَه إلى قفاه، وعينَهُ إلى قفاه، ثم يتحوَّلُ إلى الجانبِ الآخر، فيفعلُ بهِ مثلَ ما فعلَ بالجانبِ الأول، فما يَفرُغُ من ذلك الجانبِ حتى يصحَّ ذلك الجانبُ كما كان، ثم يعودُ عليه، فيفعلُ به مثلَ ما فعلَ في المرَّةِ الأولى، قال: قلتُ: سبحان الله، ما هذان؟ قالا لي: انطلقْ، انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على مثلِ التَّنُّورِ ـ فأحسبُ أنَّهُ كان يقول ـ فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ، فاطَّلَعْنَا فيه، فإذا فيهِ رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللَّهبُ ضَوْضَوا، قلت: ما هؤلاء؟ فقالا لي: انطلقْ، انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على نهرٍ ـ حسبتُ أنّه كانَ يقول ـ أحمرَ مثلِ الدَّمِ، فإذا في النهرِ رجلٌ سابحٌ يَسبح، وإذا على شطِّ النَّهرِ رجلٌ قد جمعَ عنده حجارةً كثيرةً، وإذا ذلك السَّابحُ يسبحُ ما يَسبحُ، ثم يأتي ذلك الرجلَ الذي قد جمعَ عنده الحجارةَ، فيفغَرُ له فاه، فيُلقمُهُ حجراً، فينطلقُ فيسبحُ، ثم يرجعُ كلَّما رجعَ إليه، فيفغرُ له فاه، فيلقمُهُ حجراً، قلت لهما: ما هذان؟ قالا لي: انطلقْ، انطلق.

---

(١) البخاري ١٢/ ٣٨٥ في التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

فانطلقنا، فأتينا على رجلٍ كريهِ المَرآةِ، أو كأكرهِ ما أنت راءٍ رجلاً مَرأىً، وإذا عنده نارٌ يَحشُّها ويسعى حولها. قلتُ: ما هذا ؟ قالا لي: انطلقْ، انطلقْ.

فانطلقنا، فأتينا على روضةٍ مُعْتَمَّةٍ، فيها من كلِّ نَوْرِ الرَّبيع، وإذا بين ظهرَي الرَّوضةِ رجلٌ طويلٌ لا أكادُ أرى رأسَهُ طولاً في السماء، وإذا حولَ الرَّجلِ من أكثرِ ولدانٍ رأيتُهم قطُّ، قلتُ: ما هذا، وما هؤلاء ؟ قالا لي: انطلقْ، انطلقْ.

فانطلقنا، فأتينا على دوحةٍ عظيمةٍ، لم أرَ دوحةً قطُّ أعظمَ منها ولا أحسنَ، قالا لي: ارقَ فيها. فارتقينا فيها، [فانتهينا] إلى مدينةٍ مَبنيةٍ بلبِنٍ ذهبٍ ولَبِنِ فضَّةٍ، فأتينا بابَ المدينة، فاستفتحنا ففُتحَ لنا، فدخلناها، فتلقَّانا رجالٌ شطرٌ من خَلقِهِم كأحسنِ ما أنتَ راءٍ، وشطرٌ منهم كأقبحِ ما أنتَ راءٍ، فقالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر. وإذا هو نَهَرٌ مُعترضٌ يجري كأنَّ ماءَه المحضُ في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا، فذهبَ ذلك السُّوءُ عنهم، فصاروا في أحسنِ صورةٍ.

قالا لي: هذه جنَّةُ عَدْنٍ، وهذاك منزلُكَ. فسما بصري صُعُداً، فإذا قصرٌ مثلُ الرَّبابةِ البيضاء، قالا لي: هذاك منزلُكَ. قلتُ لهما: باركَ اللهُ فيكما، فذراني فأدخلَهُ. قالا: أمَّا الآن فلا، وأنتَ داخلُهُ.

قلتُ لهما: فإنِّي رأيتُ منذ الليلةِ عجباً، فما هذا الذي رأيتُ ؟ قالا لي: أما إنَّا سنخبرُكَ، أمَّا الرَّجلُ الأوَّلُ الذي أتيتَ عليه يُثْلَغُ رأسُهُ بالحجرِ، فإنَّه الرَّجلُ يأخذُ القرآنَ، فيرفضُهُ، وينامُ عن الصَّلاةِ المكتوبةِ.

وأمَّا الرَّجلُ الذي أتيتَ عليه يُشَرْشَرُ شِدقُهُ إلى قفاه، ومَنخرُهُ إلى قفاه، وعينُهُ إلى قفاه، فإنَّه الرَّجلُ يَغدو من بيتِهِ، فيكذِبُ الكذبةَ تبلُغُ الآفاقَ.

وأمَّا الرِّجالُ والنِّساءُ العُراةُ الذين هم في مثلِ بناءِ التَّنُّورِ، فإنَّهم الزُّناةُ والزَّواني.

وأمَّا الرَّجلُ الذي أتيتَ عليهِ يَسبحُ في النهرِ، ويُلقَمُ الحجارةَ، فإنَّهُ آكلُ الرِّبا.

وأمَّا الرَّجلُ الكريه المَرآةِ الذي عنده النَّارُ يَحشُّها، ويسعى حولَها فإنَّهُ مالكٌ خازنُ جهنم.

وأمَّا الرَّجلُ الطويلُ الذي في الرَّوضةِ فإنَّهُ إبراهيمُ، وأمَّا الوِلدانُ الذين حولَهُ فكلُّ

مولودٍ ماتَ على الفِطرةِ». ـ وفي روايةِ البَرْقاني[1]: «ولد على الفطرة» ـ فقالَ بعضُ المسلمين: يا رسول الله، وأولادُ المُشركين؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «وأولادُ المُشركين، وأمّا القومُ الذين كانوا شطرٌ منهم حسنٌ، وشطر منهم قبيحٌ فإنَّهم قومٌ خلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً، تجاوز اللهُ عنهم».

* وفي روايةٍ للبخاري أيضاً: «رأيتُ اللَّيلةَ رجلين أَتياني، فأخرجاني إلى أرضٍ مُقدَّسةٍ..» ثم ذكره، وقال: «فانطلقنا إلى ثَقْبٍ مثلِ التَّنُّورِ، أعلاهُ ضيّقٌ، وأسفلهُ واسع، تتوقَّدُ تحته نارٌ، فإذا ارتفعتِ ارتفعوا، حتى كادوا أن يخرجُوا، فإذا أُخمدت رجعوا فيها، وفيها رجالٌ ونساءٌ عراة».

وفي الرواية المذكورة: «حتى أتينا على نهرٍ من دمٍ ـ ولم يشُكَّ ـ وإذا فيه رجلٌ قائمٌ على وسطِ النهر، وعلى شطِّ النهرِ رجلٌ، وبين يديه حجارةٌ، فأقبلَ الرجلُ الذي في النهر، فإذا أرادَ أن يخرجَ رمى الرَّجل بحجرٍ في فيه، فردَّهُ حيث كان، فجعلَ كلَّما جاءَ ليخرجَ رمى في فيه بحجرٍ، فرجعَ كما كان».

وفي الرواية المذكورة: «فصعِدَا بي إلى الشجرة، فأدخلاني داراً لم أرَ قطُّ أحسنَ منها، فيها رجالٌ وشيوخٌ، وشبَّانٌ ونساءٌ وصبيان، ثم أخرجاني منها، فصعِدا بي الشجرةَ، فأدخلاني داراً هي أحسنُ وأفضلُ، فيها شيوخٌ وشبَّان».

وفي الرواية المذكورة: «أمَّا الذي رأيتَهُ يُشَقُّ شدقُهُ فكذَّابٌ، يحدِّثُ بالكذبة، فتُحملَ عنه حتى تبلغَ الآفاق، فيُصنعُ به [ما رأيتَ] إلى يومِ القيامة».

وفيها: «وأمَّا الذي يُشدخُ رأسُهُ، فرجلٌ علَّمَهُ اللهُ القرآنَ، فنام عنه باللَّيلِ، ولم يعملْ فيه بالنهارِ، فيُفعلُ به إلى يوم القيامة، والدَّارُ الأولى التي دخلتَ دارُ عامَّةِ المؤمنين، وأمَّا هذه الدَّارُ فدارُ الشُّهداء، وأنا جبريلُ، وهذا ميكائيل، فارفعْ رأسَكَ. فرفعتُ رأسي، فإذا هو فوقَ رأسي مثلُ السَّحابِ، قالا: ذاك منزلُكَ. قلتُ: دعاني أدخلُ منزلي. قالا: إنَّهُ بقي

---

(1) البرقاني أحمد بن محمد بن أحمد أبو بكر (٣٣٦ ـ ٤٢٥ هـ) عالم بالحديث، من أهل خوارزم، استوطن بغداد ومات فيها، له مسند ضمنه ما اشتمل عليه البخاري ومسلم، وجمع أحاديث سفيان الثوري، وشعبة وآخرين.

ـكَ عُمرٌ، ولم تستكمِلْهُ، فلو استكملتَهُ أتيتَ منزِلَكَ». روينا ذلك في «صحيح البخاري» كما ذكرنا.

قوله: «يُثْلَغُ رأسه» وهو بالثاء المُثلّثة، والغين المعجمة: أي يشدخُهُ ويَشقُّهُ.

وقوله: «يتدَهْدَهُ» أي يتدحرج.

و«الكَلُّوب» بفتح الكاف، وضمِّ اللاَّمِ المُشدَّدة وهو معروف.

وقوله: «فيشرشر» أي يَقطع.

وقوله: «ضَوْضَوْا» بضادين مُعجمتين، أي صاحوا.

وقوله: «فيُفْغر» هو بالفاء، والغين المعجمة أي يُفتح.

وقوله: «المرآة» هو بفتح الميم، أي المنظر.

وقوله: «يحشُّها» هو بفتح الياء، وضمِّ الحاء المهملة، وبالشين المعجمة أي يوقدها.

وقوله: «روضة مُعْتَمَة» هو بضمِّ الميم، وإسكان العين المهملة، وفتح التاء المثنَّاة فوق، وتشديد الميم أي وافية النبات طويلتُهُ.

وقوله: «دَوْحة» بفتح الدَّال المهملة، وإسكان الواو، وبالحاء المهملة، وهي الشجرةُ الكبيرة.

وقوله: «المَحضُ» بفتح الميم، وإسكان الحاء المهملة، وبالضاد المعجمة وهو اللبن.

وقوله: «فسما بصري» أي ارتفع.

و«صُعُدا»: بضمِّ الصاد، والعين المهملتين، أي مُرتفعاً.

و«الرَّبابة»: بفتح الراء، وبالباء الموحدة مكررة وهي السَّحابة.

الحديث السادس والخمسون: روينا في «صحيح مسلم» عن ابنِ مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بجهنمَ يومئذٍ لها سبعونَ ألفَ زِمامٍ، مع كلِّ زِمامٍ سبعونَ ألفَ مَلكٍ يجرُّونها»[1].

---

(١) مسلم (٢٨٤٢) في الجنة وصفتها، باب في شدة حرّ نار جهنم.

الحديث السابع والخمسون: روينا في الصحيحين عن النُّعمان بنِ بشير رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أهونَ أهلِ النارِ عذاباً يوم القيامة لرجلٌ يُوضَعُ في أخمصِ قدميْهِ جمرتان يَغلي منهما دماغُهُ، ما يَرى أنَّ أحداً أشدُّ منه عذاباً، وإنَّه لأهونهم عذاباً»[1].

الحديث الثامن والخمسون: روينا في «صحيح مسلم» عن سَمُرَةَ بن جندب رضي الله عنه، أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «منهم من تأخذُهُ النَّارُ إلى كعبيهِ، ومنهم من تأخذهُ النَّارُ إلى رُكبتيه، ومنهم من تأخذُهُ النَّارُ إلى حُجْزَتِهِ، ومنهم من تأخذه النار إلى تَرْقُوَته»[2].

الحديث التاسع والخمسون: روينا في «صحيح مسلم» أيضاً عن المقداد رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشَّمسُ يومَ القيامةِ من الخلقِ حتّى تكونَ منهم كمقدارِ مِيلٍ» - قال الرَّاوي عن المقداد: فواللهِ ما أدري ما يعني بالمِيل، أمسافةَ الأرض، أم الميلَ الذي تُكْتَحَلُ به العين؟ - [قال]: «فيكون النَّاسُ على قدرِ أعمالِهم في العَرَقِ، فمنهُم من يكونُ إلى كعبيه، ومنهم من يكونُ إلى رُكبتيه، ومنهم من يكون إلى حَقْوَيه، ومنهم من يُلجمُهُ العَرَقُ إلجاماً». وأشارَ رسولُ الله ﷺ بيده إلى فيه[3].

الحديث الستون: روينا في الصحيحين عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُحشرُ النَّاسُ يومَ القيامة حُفاةً عُراةً غُرْلاً» قلتُ: يا رسول الله، النِّساءُ والرِّجالُ جميعاً، ينظرُ بعضُهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة، الأمرُ أشدُّ من أن يُهِمَّهم ذلك».

وفي روايةٍ: «أهمُّ من أنْ ينظرَ بعضُهم إلى بعض»[4].

---

(١) رواه البخاري ١١/ ٣٧٢ في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم (٢١٣) في الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً.

(٢) مسلم (٢٨٤٥) في الجنة وصفة نعيمها، باب في شدَّة حر نار جهنم.

و«حجزته»: هي معقد الإزار والسراويل.

و«ترقوته»: هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

(٣) مسلم (٢٨٦٤) في الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة يوم القيامة.

«حقويه»: وهما معقد الإزار، والمراد هنا ما يحاذي ذلك الموضع من جنبيه.

(٤) رواه البخاري ١١/ ٣٣٤ في الرقاق، باب الحشر، ومسلم (٢٨٥٩) في الجنة وصفة نعيمها، باب=

وقوله: «غُرْلاً» بضم الغين المعجمة، وسكون الراء أي غير مختونين.

الحديث الحادي والستون: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: كنّا مع رسولِ الله ﷺ فسمعَ وَجْبَةً. فقال: «تدرونَ ما هذا؟» قلنا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «هذا حَجَرٌ رُميَ به في النَّارِ من سبعين خريفاً، فهو يَهوي في النارِ الآن، حتى انتهى إلى قعرِها، فسمعتُمْ وجبَتَها»[1].

* وفي «كتاب الترمذي» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أَنَّ قطرةً من الزَّقُّومِ قُطِرَتْ في الدُّنيا، لأفسدتْ على أهلِ الدُّنيا معايشهم [فكيف بمن يكون طعامهم؟]»[2].

* وفيه عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُلقى على أهلِ النارِ الجوعُ، فيَعدِلُ ما هم فيه من العذابِ، فيستغيثونَ بالطَّعامِ، فيُغاثونَ بطعامٍ من ضريعٍ، لا يُسمنُ ولا يُغني من جوعٍ، فيَستغيثونَ بالطَّعامِ، فيُغاثون بطعامٍ ذي غُصَّةٍ، فيتذكَّرونَ أنَّهم كانوا يجيزون الغُصَصَ في الدُّنيا بالشَّراب، فيستغيثونَ بالشَّرابِ، فيُدفعُ إليهم الحميمُ بكلاليبِ الحديد، فإذا أُدنِيَ من وُجوههم شَوَتْ وجوهَهُم، فإذا دخلَ بطونَهم قطعَ ما في بطونهم» وهذا بعضُ حديثٍ طويلٍ، قال فيه: «فيقولون: يا مالكُ، ليقضِ علينا ربُّك. فيُجيبُهم: إنّكم ماكثون».

قال الأعمش[3]: نُبِّئتُ من ثَبَتٍ: أَنَّ بين دعائهم وإجابةِ مالكٍ لهم مقدارَ ألفِ عامٍ[4].

أجارنا الله والمسلمين من جميع عذابهِ، آمين.

الحديث الثاني والستون: روينا في الصَّحيحين عن أبي هُريرة رضي الله عنه، أَنَّ

= فناء الدنيا وبيان الحشر.

(١) مسلم (٢٨٤٤) في الجنة وصفة نعيمها، باب في شدّة حرّ نار جهنم.
«الوجبة»: السقطة.

(٢) الترمذي (٢٥٨٨) في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار.

(٣) سليمان بن مهران الأسدي الأعمش (٦١ ـ ١٤٨ هـ) تابعي، أصله من الري، ومنشؤه ووفاته في الكوفة، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، روى نحو ١٣٠٠ حديث. قال الذهبي: كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح.

(٤) الترمذي (٢٥٨٩) في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار. وإسناده ضعيف.

رسولَ الله ﷺ قال: «يعرقُ النَّاسُ يومَ القيامةِ، حتَّى يذهبَ عرقُهم سبعينَ ذراعاً، ويُلجِمُهم العرقُ حتى يبلغَ آذانَهم»[1].

الحديث الثالث والستون: روينا في الصَّحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلاَّ سيكلِّمُهُ ربُّهُ ليس بينه وبينه تَرْجُمان، فينظرُ أيمنَ منه فلا يَرى إلاَّ ما قدَّمَ، وينظرُ أشأمَ منه فلا يرى إلاَّ ما قدَّم، وينظرُ بين يديه فلا يرى إلاَّ النارَ تِلقاءَ وجهه، فاتَّقوا النَّارَ ولو بشقِّ تمرة»[2].

الحديث الرابع والستون: روينا في الصَّحيحين أيضاً عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالىٰ: أعددتُ لعبادي الصَّالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشر، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»[3].

الحديث الخامس والستون: روينا في الصَّحيحين أيضاً عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوَّلُ زُمرةٍ يَدخلون الجنَّةَ على صُورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، ثم الذينَ يَلونَهم على أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً، لا يَبولون ولا يتغوَّطون ولا يَتفُلون ولا يَمْتَخِطون، وأمشاطُهم الذَّهبُ، ورشحُهم المِسكُ، ومجامرُهم الألُوَّةُ، وأزواجُهم الحورُ العين، على خَلْقِ رجلٍ واحدٍ، على صورةِ أبيهم آدمَ ستونَ ذراعاً في السَّماء».

وفي رواية البخاري ومسلم: «آنيتهُم فيها الذَّهب، ورشحُهم المِسكُ، ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتان يُرى مخُّ سُوقهما من وراء اللَّحمِ من الحُسن، لا اختلافَ بينهم، ولا تَباغُضَ، قلوبُهم قلبٌ واحدٌ، يسبِّحونَ الله بكرةً وعشياً».

وفي رواية الترمذي: «على كلِّ زوجةٍ سبعون حلَّة، يُرى مخُّ ساقها من ورائها»[4].

---

(١) رواه البخاري ١١/ ٣٤١ في الرقاق، باب قوله تعالىٰ: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون﴾ ومسلم (٢٨٦٣) في الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة القيامة.

(٢) رواه البخاري ٧/ ٢٥٤ في التوحيد، باب كلام الرب عزَّ وجلَّ. ومسلم (١٠١٦) في الزكاة، باب الحث على الصدقة.

(٣) رواه البخاري ٦/ ٢٣٠ في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، ومسلم (٢٨٢٤) في الجنة وصفة نعيمها، في فاتحته.

(٤) رواه البخاري ٦/ ٢٣٢ في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة أهل الجنة، ومسلم (٢٨٣٤) في الجنة،=

قوله: «على خلق رجل واحد» روي بضم الخاء، وفتحها.

و«الحور» جمع حوراء[1]، وهي الشَّديدةُ بياضِ العينِ، الشديدةُ سوادها.

و«العين» بكسر العين، جمع عيناء، وهي الواسعة العين.

و«الألوة»: بفتح الهمزة، عودُ الطِّيب.

الحديث السادس والستون: روينا في الصَّحيحين أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ للمؤمنِ في الجنَّةِ لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوّفةٍ، طولُها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلونَ يَطوفُ عليهم المؤمنُ فلا يَرى بعضُهم بعضاً»[2].

الحديث السابع والستون: روينا في الصَّحيحين أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّةِ شجرةً يسيرُ الرَّاكبُ الجوادُ المُضمَّرُ السريعُ مئةَ سنةٍ لا يقطعها».

* ورويناه في الصَّحيحين أيضاً من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «يسيرُ الرَّاكبُ في ظلِّها مئة سنةٍ لا يقطعها»[3].

الحديث الثامن والستون: روينا في الصحيحين أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ أهلَ الجنَّةِ ليتراءَوْنَ أهلَ الغُرفِ من فوقهم، كما تتراءَوْنَ الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ في الأُفقِ من المشرقِ أو المغرب، لتفاضلِ ما بينهم» قالوا: يا رسول الله، تلكَ منازلُ الأنبياءِ لا يبلغُها غيرُهم؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده رجالٌ آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين»[4].

= باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر، والترمذي (٢٥٤٠) في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أهل الجنة.

(١) في (أ): جمع حورى.

(٢) رواه البخاري ٦/ ٢٢٩ في بدء الخلق، باب صفة الجنة، ومسلم (٢٨٣٨) في صفة الجنة، باب في صفة خيام الجنة.

(٣) رواه البخاري ١١/ ٣٦٦ في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٨٢٧) في صفة الجنة والنار، باب إنَّ في الجنة شجرة يسير الراكب.

ورواية أبي هريرة رواها البخاري ١١/ ٢٣٢، ومسلم (٢٨٢٦).

(٤) رواه البخاري ٦/ ٢٣٣ في بدء الخلق، باب صفة الجنة، ومسلم (٢٨٣١) في صفة الجنة، باب=

الحديث التاسع والستون: روينا في «صحيح مسلم» عن أنسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّة لسوقاً[1] يأتُونَها كلَّ جُمُعةٍ، فتهبُّ ريحُ الشَّمالِ، فتَحثو في وُجوههم وثيابهم، فيزدَادون حُسناً وجمالاً، فيَرجعونَ إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسناً وجمالاً، فيقولُ لهم أهلوهُم: واللهِ، لقد ازددتُم حُسناً وجمالاً. فيقولون[2]: أنتم واللهِ لقد ازددتُم بعدَنا حسناً وجمالاً»[3].

* وفي «كتاب الترمذي» عن عليٍّ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّةِ لمجتمعاً للحورِ العين، يَرفعنَ بأصواتٍ لم يَسمعِ الخلائقُ بمثلِها، يقلن: نحنُ الخالداتُ فلا نَبيدُ[4]، ونحنُ النَّاعماتُ فلا نبأسُ، ونحن الرَّاضياتُ فلا نَسخطُ، طوبى لمن كانَ لنا وكنَّا له»[5].

* وفيه أيضاً عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ أهلَ الجنَّةِ يُؤذنُ لهم في مقدارِ جمعةٍ من أيام الدنيا، فيزورونَ ربَّهم سبحانه، ويُبرزُ لهم عرشُه، ويتبدّى لهم في روضةٍ من رياضِ الجنة، فيُوضعُ لهم منابرُ من نور، ومنابرُ من لؤلؤٍ، ومنابرُ من ياقوت، ومنابرُ من زبرجد، ومنابرُ من ذهبٍ، ومنابرُ من فضةٍ، ويجلس أدناهم - وما فيهم دنيٌّ - على كُثبانِ المِسكِ والكافور، وما يرون أهل الكرسيِّ بأفضلَ منهم مجلساً»[6]. وهذا بعضُ حديثٍ طويل.

* وفي «كتاب الترمذي» أيضاً عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لو أَنَّ رجلاً من أهلِ الجنة اطَّلعَ، فبدا سِوارُهُ، لطمسَ ضوءَ الشَّمسِ كما تطمِسُ الشَّمسُ ضوءَ النجوم»[7].

= ترائي أهل الجنة أهل الغرف. وفي (أ) والمطبوع: عن أبي هريرة، والمثبت من الصحيحين.

(1) لسوقاً: المراد بالسوق مجمع لهم، يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق.
(2) هنا ينتهي خرم نسخة (ب) الذي بدأ صفحة ٢٦٤.
(3) مسلم (٢٨٣٣) في الجنة وصفة نعيمها، باب في سوق الجنة.
(4) في هامش (أ): فلا نبيد أي نهلك.
(5) الترمذي (٢٥٦٧) في صفة الجنة، باب ما جاء في كلام الحور العين.
(6) الترمذي (٢٥٥٢) في صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة.
(7) الترمذي (٢٥٤١) في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة نساء أهل الجنة.

الحديث السبعون: روينا في الصَّحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنّي لأعلمُ آخرَ أهلِ النارِ خروجاً منها، وآخرَ أهلِ الجنَّةِ دخولاً الجنَّةَ: رجلٌ يخرجُ من النار حَبواً[1]، فيقول اللهُ عزَّ وجلَّ له: اذهبْ فادخُلِ الجنَّةَ. فيأتيها، فيُخيَّلُ إليه أنّها مَلأى، فيرجعُ فيقول: يا ربِّ، وجدتُها ملأى. فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اذهبْ فادخلِ الجنَّةَ. فيأتيها، فيُخيَّلُ إليه أنّها ملأى، فيرجعُ فيقول: يا ربِّ وجدتُها ملأى، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اذهبْ فادخلِ الجنَّةَ، فإنَّ لكَ مثلَ الدُّنيا وعشرة أمثالِها - أو إنَّ لك مثلَ عشرةِ أمثالِ الدنيا - فيقول: أتسخرُ بي - أو تضَحكُ بي - وأنتَ الملك؟» قال: فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتّى بدتْ نواجِذُهُ، فكان يقول: «ذلكَ أدنى أهلِ الجنَّةِ منزلةً»[2].

* وروى الترمذيُّ عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أدنى أهلِ الجنَّةِ الذي له ثمانون ألف خادمٍ، واثنتان وسبعونَ زوجة، وتُنصبُ له قبةٌ من لؤلؤٍ وزبرجدٍ وياقوتٍ كما بين الجابية إلى صنعاء، وإنَّ أدنى لؤلؤةٍ من تيجانِ أهلِ الجنة تضيءُ ما بين المشرقِ والمغرب»[3].

قوله: «الجابية» بالجيم، وهي مكانٌ في الشام، بينها وبين المقدسِ نحو مَرحلتين.

صنعاء: معروفةٌ في أرضِ اليمن.

الحديث الحادي والسبعون: روينا في «صحيح مسلم» عن أبي سعيد الخدري، وأبي هُريرة رضي الله عنهما[4] أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، يُنادي مُنادٍ: إنَّ لكم أن تَحيوا، فلا تَموتوا أبداً، وإنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسقَموا أبداً، وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهرمُوا أبداً، وإنَّ لكم أن تَنعَمُوا فلا تبأسوا أبداً»[5].

---

(١) حبواً: المشي على اليدين والرجلين، وقيل: على اليدين والركبتين.

(٢) رواه البخاري ١١/ ٣٨٦ في الرقاق، باب في صفة الجنة، ومسلم (١٨٦) في الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً.

(٣) الترمذي (٢٥٦٥) في صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة.

(٤) هنا نهاية النسخة (ب).

(٥) رواه مسلم (٢٨٣٧) في الجنة وصفة نعيمها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، والترمذي (٣٢٤١) في التفسير، باب ومن سورة الزمر.

وقد أورد المؤلف رحمه الله رواية ابن الأثير في جامع الأصول ١٠/ ٥٣٠ (٨٠٨٦) فلفظ: «إذا=

الحديث الثاني والسبعون: روينا في الصَّحيحين عن جرير رضي الله عنه قال: كنَّا عند رسولِ الله ﷺ، فنظرَ إلى القمرِ في ليلةِ البدرِ، وقال: «إنَّكم ستَرون ربَّكم عَياناً كما تَرون هذا القمرَ، لا تضامُّونَ في رؤيته»[1].

الحديث الثالث والسبعون: روينا في «صحيح مسلم» عن صُهيب رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، يقولُ اللهُ تباركَ وتعالىٰ: تُريدونَ شيئاً أَزيدُكُم؟ فيقولون: ألَم تُبيِّضْ وجوهَنا؟ ألم تُدخِلْنا الجنَّةَ، وتُنَجِّنا من النار؟ فيكشِفُ الحجابَ، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النَّظرِ إلى ربِّهم»[2]. جعلنا اللهُ الكريم منهم، ومن الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩ـ١٠].

قلتُ: وها نحن نَختمُ الكتابَ بالقصيدةِ المَوعودةِ الجامعة، ونسألُ اللهَ الكريمَ أن يختمَ لنا وللمُسلمين برحمتِهِ الواسعة، وهذه تَرجمتُها لمن أرادَ أن يكتبَها وحدها، القصيدة المُسمَّاة «شمسُ الإيمان في توحيدِ الرَّحمن، وعقيدةُ أهلِ الحقِّ والإتقان، والتشويق إلى الجِنَان والحورِ الحسان، والتخويف من النيران، ووعظ الإخوان».

وهي الأُولى من قصائد كتاب «الدرر»[3] من نظم العُبيد المسكين الحقير، الفقيرِ إلى الله الغني الكريم سبحانه، عبدِ الله بن أسعدِ بن علي اليافعيِّ اليمني الشَّافعي، نزيلِ الحرمين الشريفين، حلأَّه اللهُ بحلية الإيمان، ونوَّرَ قلبَه بنورِ العرفان، ورفعَ درجتَهُ في

= دخل أهل الجنة الجنة» لم يروه مسلم ولا الترمذي.

(١) رواه البخاري ٢/٢٧ في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ومسلم (٦٣٣) في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر.

«لا تضامون»: روي بتخفيف الميم من الضيم: الظلم، والمعنى: إنكم ترونه جميعاً لا يُظلم بعضُكم في رؤيته، فيراه البعض دون البعض. وروي بتشديد الميم من الانضمام والازدحام، أي لا يزدحم بكم في رؤيته، ويضم بعضكم إلى بعض من ضيق. إذ يراه كل منكم موسعاً عليه، منفرداً به.

(٢) مسلم (١٨١) في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالىٰ.

(٣) هو كتابه: «الدرر في مدح سيد البشر، والغُرر في الوعظ والعبر».

الجِنان، وسلّمه من النيران، ووالديه وأحبابَهُ والمُسلمين والإخوان، إنّه الملكُ الوهّاب المنّان:

تباركَ مَنْ شُكرُ الوَرى عنه يَقصرُ ... لكونِ أيادي جودِهِ ليسَ تُحصرُ

وشاكرُها يَحتاجُ شُكراً لشُكرِها ... كذلك شُكرُ الشُّكرِ يَحتاجُ يُشكرُ

ففي كلِّ شُكرٍ نعمةٌ بعد نعمةٍ ... بغيرِ تناهٍ دونَها الشُّكرُ يَصغرُ

فمن رامَ يقضي حقَّ واجبِ شُكرِها ... تحمّلَ ضمْنَ الشُّكرِ ما هو أكبرُ

فسبحانَ من لا قطُّ يبلغُ مدحَه ... بليغٌ ومَنْ عنه الثَّنا مُتعذِّر

ففي العقلِ[1] فضلاً عن جميلِ صفاتِهِ ... وعن ذاتِهِ كلُّ البَرايا تَحيَّرُ

تُسبِّحُهُ الحيتانُ في المآ وفي الفَلا ... وحوشٌ وطيرٌ في الهواءِ مُسخَّرُ

وفي الفَلَكِ الأمْلاكُ كلٌّ مُسبِّحٌ ... نهاراً وليلاً دائماً ليسَ يَفترُ

تُسبِّحُ كلُّ الكائناتِ بحمدِهِ ... سماءٌ وأرضٌ والجبالُ وأبحرُ

جميعاً ومَنْ فيهنَّ والكلُّ خاضعٌ ... لهيبتِهِ العُظمى ولا يَتكبَّرُ

لهُ كلُّ ذرّاتِ الوجودِ شَواهدٌ ... على أنّه الباري الإلهُ المُصوِّرُ

دَحا الأرضَ والسَّبعَ السّمواتِ شادَها ... وأتقنَهَا للعالمينَ لينظروا

وأبدعَ حُسنَ الصُّنعِ في ملكوتِها ... وفي مَلكوتِ الأرضِ كي يَتفكَّروا

وأوتدَها بالرّاسياتِ فلم تَمِدْ ... وشقَّقَ أنهاراً بها تتفجَّرُ

وأخرجَ مَرعاها وبثَّ دوابَها ... وللكلِّ يأتي منه رزقٌ مُقدَّرُ

من الحَبِّ ثم الأبِّ والقَضبِ والكَلا[2] ... ونخلٍ وأعنابٍ فَواكهُ تُثمرُ

فأضحتْ بحُسنِ الزَّهرِ تَزهو رياضُها ... وفي حُللٍ نَسجُ الرَّبيعِ تبختَرُ

وزانَ سماها بالمصابيحِ أصبحتْ ... وأمستْ بباهي الحُسنِ تَزهو وتُزهرُ

تراها إذا جنَّ الدُّجى قد تقلَّدتْ ... قلائدَ دُرّيٍّ لدُرٍّ تحقِّرُ

فيا ناظراً زهرَ البَساتينِ دونَها ... أظنُّكَ أعمى ليسَ للحُسْنِ تُبصرُ

---

(١) في (أ): ففي الفعل.

(٢) الأبُّ: العشب رطبُهُ ويابسُهُ. القضب: كل شجرة بسطت أغصانها وطالت. الكَلاَ: الكَلأُ: العشب الرطب، كل ما يُرعى من بقل وشجر.

وبا مَنْ لَهَا إنَّ المَحاسنَ كلَّها بدارٍ بها ما لا على القلبِ يَخطرُ
ولا سَمعتْ أُذنٌ ولا العَينُ أبصرَتْ وما تَشتهيهِ النّفسُ في الحالِ يَحضرُ
تزيدُ بهاءً كلَّ حينٍ وعيشُها يَزيدُ صفاءً قطُّ لا يَتكدَّرُ
من الدُّرِّ والياقوتِ تُبنى قصورُها ومن ذهبٍ مع فضّةٍ لا تغيَّرُ
وما يُشتهى من لحمِ طيرٍ طعامُها وفاكهةٍ ممّا له يتخيَّرُ
ومشروبُها كافورُها ورحيقُها وتَسنيمُها والسَّلسبيلُ وكَوثرُ
ومن عسلٍ والخمرُ نهران جوفَها ونهران ألبانٍ وماءٌ يُفجَّرُ
وغالي حريرٍ فرشُها ولباسُها وحَصباؤها والتُّربُ مِسكٌ وجَوهرُ
ومن زَعفرانٍ نبتُها وحَشيشُها ومن جوهرٍ أشجارُها تلك تُثمِرُ
فواكهُ تَكفي حَبّةٌ لقبيلةٍ أُديمتْ أُبيحتْ لا تُباعُ وتُحجرُ
وأكوابُها من فضّةٍ لا كبيرةً على شاربٍ منها ولا هي تَصغُرُ
بها الكأسُ يَبقى ألفَ عامٍ على فمٍ فلا نافذٌ هذا ولا ذاكَ يَضجَرُ
ومن ذهبٍ زاهي الجمالِ صِحافُها يَلذُّ بها عَيشٌ بهِ العَينُ تقرُرُ
ومركوبُها خيلٌ من النُّورِ والبَهَا ومن جوهرٍ والبُختُ نورٌ تصوَّرُ[1]
ركابٌ من الياقوت والسَّرْجُ عَسجدٌ أَزِمّتُها درٌّ تطا حيثُ تَنظرُ
وأزواجُها حورٌ حِسانٌ كواعبٌ رعابيبُ أبكارٌ بها النُّورُ يزهرُ[2]
هراكيلُ خَوداتٌ وغيدٌ وخُرَّدٌ مدى الدَّهرِ لا تَبلى ولا تتغيَّرُ[3]
نَشتْ عُرباً أَترابَ سنٍّ قواصرٌ لطرفٍ كحيلٍ للمِلاحةِ يَفتُرُ[4]
غوالي الحلى والحلي عِيْنٌ فَواخرٌ زكتْ طهرتْ من كلِّ ما يُتقذَّرُ

---

(١) البخت: الإبل الخراسانية، وهي طويلة الأعناق.
(٢) رعابيب: الجارية البيضاء الحسنة القصيرة.
(٣) هراكيل: جمع هركلة: الحسنة الجسم والخلق والمشية. خَوْدات جمع خَوْد: الفتاة الحسنة الخلق الشابة. غيد: مفردها غيداء: الناعمة اللينة. خُرَّد: مفردها خريدة: البكر التي لم تمس قط، الحيية الطويلة السكوت.
(٤) في هامش (أ): لا ينظرن إلى أزواج غيرهن قط.

ثوتْ في خيامِ الدُّرِّ في روضةِ البَهَا ... على سُرُرِ الياقوتِ تُغذى وتُخبَرُ
وبينَ جواريها تَهادى إذا مَشَتْ ... على كُثبِ المِسكِ الذَّكيِّ تبختَرُ
ملاحٌ زهتْ في رونقِ الحُسْنِ والبَهَا ... وكلُّ جمالٍ دونَهُ المَدحُ يَقصرُ
وما المدحُ فيمنْ نَشرُها وابتسامُها ... يضيءُ الدَّياجي والوجودَ يُعطِّرُ
ومَنْ يَعذُبُ البَحرُ الأُجاجُ بريقِها ... ومَنْ حُسنُها للعالمينَ يحيِّرُ
ومَنْ لو بَدَتْ في مشرقٍ ضاءَ مَغرِبٌ ... وماتَ الورى من حُسنِها حينَ تَظهرُ
ومَنْ زوجُها يُغشى بأوَّلِ نظرةٍ ... إلى وجهِها لولا البَقَا كان يُقبرُ[1]
ومَنْ مُخُّها من خلفِ سبعينَ حُلَّةً ... يُرى كيف يقوى مَدحُ تلك ويُقدرُ
ومَنْ هي مِنْ نورٍ ومِسكٍ وجوهرٍ ... فماذا لسانُ المَدحِ عنها يُعبِّرُ
وما المدحُ إلاَّ أنْ يُشبَّهَ دانياً ... بأعلى فأمَّا العَكسُ ذاك يحقَّرُ
وليسَ لحورٍ والجِنانِ مُشابهٌ ... ولا عُشرُ مِعشارٍ ولا شيءَ يُذكرُ
فخيرٌ من الدُّنيا جميعاً خِمارُها ... فأحْسِنْ بمن تحتَ الخِمارِ مُخمَّرُ
وأحْقِرْ بربّاتِ المحاسنِ والتي ... لتشبيهِ أوصافِ الحِسانِ تصدَّرُ
فما الفضَّةُ البيضاءُ شِيبتْ بعَسْجَدٍ ... وما البيضُ مكنونُ النَّعامِ المُستَّرُ
بهاءً وحسناً ما اليواقيتُ في الصَّفا ... وفي رونقٍ ما اللؤلؤُ الرَّطبُ ينثرُ
وما الدُّرُّ ما الرُّمّانُ ما الرِّيمُ ما المَها ... وما البدرُ ما زبدٌ وشهدٌ وعَنبرُ
ثنايا وكعبٌ ثم جيدٌ ومُقلةٌ ... ولونٌ وليْنٌ رِيقُها والمُعطَّرُ
هل الرِّيمُ في جيدٍ من القدِّ والبَهَا ... كمن جِيدُها نورٌ ومِسكٌ وجَوهرُ
وهل للمَها عينٌ كبحرٍ مزاجُهُ ... مُدامٌ وشَهدٌ للمُشاهدِ يُسْكِرُ
وهل يُشبِهُ الرُّمَّانُ كعبينِ صوّرا ... منَ النُّورِ واللهُ العظيمُ المصوِّرُ
وما شبَّهَ الرَّحمنُ من بعضِ وصفِها ... ببيضٍ وياقوتٍ فذلكَ يُذكرُ
على جهةِ التَّقريبِ للذِّهنِ إذ لنا ... عقولٌ عليها فَهْمُ ما ثَمَّ يعسرُ
تباركَ مُنشي الخلقِ عن سرِّ حكمةٍ ... هو اللهُ مولانا الحكيمُ المُدبِّرُ

---

(١) في هامش (أ): لولا البقاء في الجنة لكان زوجها يموت في أول نظرة.

إذا ما تجلّى في جمالِ جلالِهِ ... تعالىٰ لكلّ المُؤمنين لينظروا
وقد زُيّنتْ جَناتُ عدنٍ وزُخرفت ... نسوا كلَّ ما فيها لما مِنهُ أَبصروا
جمالاً ووصفاً جلّ ليس كمثلِهِ ... وفضلاً وإنعاماً يجلُّ ويكبرُ
نعيمٌ ولذّاتٌ وعِزٌّ ورفعةٌ ... وقُربٌ ورِضوانٌ وملكٌ ومَفخرُ
بمقعدِ صدقٍ في جوارِ مَليكِهم ... هَنيئاً لمسعودٍ بذلك يَظفرُ
أيا ساعةً فيها السّعاداتُ تُجتَلى ... على وجهِها درُّ العناياتِ يُنثرُ
ويا ساحةً فيها المفاخرُ تُرتقى ... عُلاها وخلْعاتِ الكراماتِ تُنشرُ
سألتُكما باللهِ هل معْ أَحبّةٍ ... لنا فيكما يومَ التّزاورِ مَحضرُ
وهل أَنعمتْ نُعمى بنُعمانَ باللّقا[1] ... لنا أم نَوتْ في سَرمدِ الدّهرِ تَهجرُ
فإنْ واصلَتْنا فالمكارمُ وصفُها ... وإنْ قاطعتنا نحنُ أَدنى وأَحقرُ
أَلاَ عاشقاً يَشتاقُ مَنْ سَكَنَ الحِمى ... وعيشاً هنيئاً صافياً ليس يكدرُ
ألاَ مُشترٍ جناتِ خُلْدٍ وخيرَها ... وحوراً حساناً في المَلاحةِ تَفخرُ
ألاَ بائعاً فانٍ حقيراً بباقي ... خطيرٍ ومُلكٍ ليس يَبلى ويدمرُ
أَلاَ مُفتَدٍ من حرّ نارٍ عظيمةٍ ... أُلوفَ سنين تلكَ تُحمى وتُسْعَرُ
لها شَرَرٌ كالقَصْرِ فيها سلاسلٌ ... عِظامٌ وأَغلالٌ فغُلّوا وجُرجروا
عصاةٌ وفجّارٌ وسبعٌ طِباقُها ... وسبعينَ عاماً عُمقُها قد تهوّروا
وحيّاتُها كالبُختِ فيها عَقاربٌ ... بغالٌ وضربٌ والزبانيُّ يَنْهَرُ
غليظٌ شديدٌ في يديه مَقامعٌ ... إذا ضَرَبَ الصُّمَّ الجبالَ تكسَّرُ
ومطعومُهم زقّومُها وشرابُهم ... حميمٌ بها إمعاؤهم منه تَنْدَرُ
ويُسقونَ أيضاً من صَديدٍ وجيفةٍ ... تفجّرُ مِنْ فَرجِ الذي كانَ يَفجرُ
وقد شابَ من يومِ عبوسٍ شبابُهُم ... لهولٍ عظيمٍ للخلائقِ يُسكرُ
فيا عجباً ندري بنارٍ وجنّةٍ ... وليسَ لذي نَشتاقُ أو تلكَ نَحْذَرُ
إذا لم يكنْ خوفٌ وشوقٌ ولا حَيا ... فماذا بقي فينا من الخيرِ يُذكرُ

---

(١) في هامش (أ): نعمى اسم امرأة، والمراد هنا الله سبحانه وتعالى.

ولسنا لحَرٍّ صابرينَ ولا بلا ... فكيفَ على النِّيرانِ يا قومُ نَصيرُ

وفوتُ جنانِ الخُلدِ أعظمُ حَسْرةً ... على تلكَ فليَسْتَحْسِرِ المُتَحسِّرُ(1)

فأُفٌّ لنا أُفٌّ كلابُ مَزابلٍ ... إلى نَتْنِها نَغدو ولا نَتدبَّرُ

نبيعُ خَطيراً بالحقيرِ عَمايةً ... وليس لنا عَقلٌ وقلبٌ مُنوَّرُ

فطوبى لمن يُؤتى القناعةَ والتُّقى ... وأوقاتُهُ في طاعةِ اللهِ يَعْمُرُ

ومِنْ بعدِ حمدِ اللهِ هذي عقيدةٌ ... عن السُّنَّةِ الغرّاءِ والحقُّ تُسْفِرُ

وتَهدي إلى نهجِ الصَّوابِ مُتابعاً ... لها وعقيداتُ المذاهبِ تهجرُ

لها السُّبُلُ الوسطى الحميدةُ مَنهجٌ ... شعاراً لهدي الأشعريَّةِ تشعرُ

ولم في حضيضِ الحشوِ تَهبطْ لكونها ... طريقاً بها القطّاعُ تَسبي وتَأسِرُ

ولا ارتفعتْ عالي علوِّ اعتزالِهم ... ففيها ذئابٌ ثَم وعرٌ يكسرُ

مَشَتْ مع سوادٍ معظمِ أهلِ مذهبٍ ... عزيزٍ بحمدِ اللهِ ما زالَ يُنصرُ

له بيضُ راياتِ العُلا مع أئمةٍ ... شُموسِ الهُدى تِعدادُهم ليس يُحصرُ

فكمْ حَبْرِ تحقيقِ العلومِ وعارفٍ ... لأسرارِ غيبٍ والحقائقُ أبحرُ

وها هي لها أَلْفتُ في خمس عشرة ... من النَّظمِ تُجزي من لها يتدبَّرُ

علا ربُّنا عن كيفَ أو أينَ أو متى ... وعن كلِّ ما في بالنا يُتصوَّرُ

ونقصٍ وشبْهٍ أو شريكٍ ووالدٍ ... ووُلْدٍ وزوجاتٍ هو اللهُ أكبرُ

قديمُ كلامٍ حين لا حَرْفَ كائنٌ ... ولا عَرَضٌ حاشا وجسمٌ وجَوهرُ(2)

مُريدٌ وحيٌّ عالمٌ مُتكلِّمٌ ... قَديرٌ على ما شا سميعٌ ومُبصرُ

بسمعٍ وعلمٍ مع حياةٍ وقدرةٍ ... كذلك باقيها يلي الكلَّ مصدرُ

وليسَ عليه واجبٌ بل عقابُهُ ... بعدلٍ وعن فضلٍ يُثيبُ ويَغفرُ

محكَّمُ شرعٍ دون عقلٍ وقد قَضى ... بخيرٍ وشرٍّ للجميعِ مُقدَّرُ

ورؤيتُهُ حقٌّ كذاك شَفاعةٌ ... وحوضٌ وتَعذيبٌ بقبرٍ ومُنكرُ

---

(1) في الأصل: فليتحسر، وأثبت ما يصح به الوزن.

(2) في هامش (أ): العرض: ما لا يتقوم بنفسه؛ بل يتقوم بغيره، والجسم ما يتجزَّأ أي تنقسم أجزاؤه، والجوهر ما لا يتجزَّأ أي لا ينقسم.

وبعثٌ وميزانٌ ونارٌ وجنّةٌ وقد خُلقا ثم الصِّراطُ ويَصدرُ
عظيمُ كراماتٍ عن الأولياءِ وقد مَحَا شرعُنا العالي الزَّكيُّ المُطهَّرُ
شرائعَ كلِّ المُرسلينَ وأحمدٌ خيارُ الورى المَولى الشَّفيعُ المقدرُ[1]
وأصحابُهُ خيرُ القُرونِ وخيرُهم على وفقِ ما قد قدَّموا ثمَّ أخَّروا
نجومُ الهُدى كلٌّ عُدولٌ أولو النَّدى فضائلُهُم مَشهورةٌ ليسَ تُنكرُ
وأفضلُهُم صدِّيقُهم صاحبُ العُلى ورابعُهم في الفضلِ ذو الفضلِ حَيدرُ
وتخليدُ نارٍ ليسَ إلاّ لكافرٍ وقِبلتُنا من أمَّها لا نُكفِّرُ
فها هي حَوتٌ مع صِغَرِها ما عساهُ لا يُرى في كثيرٍ من عقائدَ تكبرُ
ويا أيُّها الإخوانُ من كلِّ سامعٍ لهُ فهمُ قلبٍ حاضرٍ يتذكَّرُ
ألاَ إنَّ تَقوى اللهِ خيرُ بضاعةٍ لصاحبِها ربحٌ بها ليسَ يَخسرُ
وطاعتُهُ للمُتّقي خيرُ حِرفةٍ بها يكسبُ الخيراتِ والسَّعي يُشكرُ
إذا أصبحَ البطَّالُ في الحشرِ نادماً يعضُّ على كفٍّ أسىً يتحسَّرُ
فطُوبى لمن يُمسي ويُصبحُ عاملاً على كلِّ شيءٍ طاعةَ اللهِ يُؤثرُ
بها يَعمرُ الأوقاتِ أيامَ عُمرِهِ يُصلّي ويَتلو للكتابِ ويَذكرُ
ويَأنسُ بالمولى ويَستوحشُ الوَرَى ويَشكرُ في السرَّا وفي الضُّرِّ يَصبرُ
ويَسلو عن اللذّاتِ بالدُّونِ قانعٌ تقيٌّ لهُ قلبٌ نَقيٌّ مُنوَّرُ
حزينٌ نَحيلٌ جسمُهُ ضامرُ الحَشا يَصومُ عن الدُّنيا على الموتِ يُفطرُ
ويَرتاحُ شوقاً للأحبَّةِ واللِّقا وخدَّيهِ من فَرْطِ الغَرامِ يعفِّرُ
إذا ذُكرتْ جَناتُ عدنٍ وأهلُها يذوبُ اشتياقاً نحوها ويُشمِّرُ
ويَعلو جوادَ العزمِ أدهمَ سابقاً وأبيضَ مجنوباً عن النُّورِ يُسفرُ
فأدهمُ يسقى ماءَ عينٍ وأبيضُ لصبرٍ على قطعِ الفيافي يضمَّرُ
ويركضُ في ميدانِ سبقٍ إلى العُلا ويَسري إلى نيلِ المعالي ويَسهرُ
فمجدُ العُلا ما نالَهُ غيرُ ماجدٍ يُخاطرُ بالرُّوحِ الخطيرِ فيظفرُ

---

(١) في المطبوع: المصدر.

وإني إلى أمرٍ أنا فيه آمرٌ ... لأحوجُ من غيري إليه وأفقرُ

فهذي قصيدي شمسُ إيمانٍ اسمُها ... مُوحّدةٌ عمّا سوى الحقّ تَزجرُ

مُشوّقةٌ نحو الجِنانِ وحورِها ... مُخوّفةُ النّيرانِ عنها تُنفّرُ

وواعظةُ الإخوانِ من كلّ مُسلمٍ ... لهم في التُّقى والدِّينِ نُصحاً تذكُّرُ

ولستَ تَراها أهلَ هذا وإنّما ... دَعاها إلى ذاكَ القَضاءُ المُقدَّرُ

لها من حُلى التّوحيدِ والنُّورِ حليةٌ ... ومن طيْبَةٍ طيبٌ به تُتعطّرُ(1)

وفَت مئةً أبياتُها حينَ جُمّلت ... وخمسينَ واللهُ الكريمُ المُيسِّرُ

سألتُ الذي عمَّ الوجودَ بجودِهِ ... ومَنْ منه فيضُ الفضلِ للخَلْقِ يَغمرُ

يَمُنُّ بخلْعاتِ القبولِ مُزيّناً ... لها وجزيلُ الأجرِ والنَّفعِ يُثمرُ

ويَرزقُنا التَّوفيقَ ثم استقامةً ... وغفرانَ زلّاتٍ وما فاتَ يَجبرُ

وفي روضةِ العِرفانِ يُحيي قلوبَنا ... ويُسكنُها روضَ اليَقينِ ويَجبرُ(2)

ولي مُشتكىً إن بُثَّ طالَ وإنْ يدع ... فأنتَ الذي بالحالِ يا ربُّ تُخبرُ

بحقّكَ عاملْنا بما أنتَ أهلُهُ ... فأنتَ الذي تَهدي وتُعطي وتغفرُ

وأحبابَنا والمسلمين جميعَهم ... ولا يا كريمَ العفوِ بالكُلّ تَمكُرُ

وصلِّ على الهادي النّبيّ وآلهِ ... وأصحابِهِ ما لاحَ في الأُفقِ نيِّرُ

صلاةً تُباري المِسكَ عرفاً مُسلّماً ... سلاماً لأكنافِ الوجودِ يُعطّرُ

وقد آنَ للشّمسِ الغروبُ وقاربَتْ ... وآنَ لكم تَستغفروا ثمَّ تَعذروا

لناظِمِها مَنْ في البلاغةِ قاصرٌ ... ومَنْ هو في كلِّ الحقوقِ مُقصِّرُ

مُسيءٌ جَريءٌ يافعيٌّ مُخلِّطٌ ... فباللهِ أدعوا الله يَعفو ويَسترُ

وتمَّتْ وفاحَ الحمدُ للهِ خَتمُها ... شذاً دونَه في العزِّ مِسكٌ وعنبرُ

* * *

(1) في المطبوع: به يُتعطَّرُ.

(2) في المطبوع: ويَخبِرُ.

الحمد لله وحده، وصلّى الله على محمد وآلِهِ، وقع الفراغ من نساخة هذا الكتاب[1] وقت الظهر يوم السبت في شهر جُمادى الأول سنة خمسة وتسعون وتسع مئة[2] من الهجرة النبوية المصطفوية، والحمد لله.

* * *

آخر النسخة المطبوعة:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

وصلَّى وسلَّمَ على سيِّدنا مُحمدٍ النَّبيِّ الكريم، وعلى جميع الآلِ والصَّحاب. سبحانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِك، أشهدُ أن لا إله إلاَّ أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك، فاغفرْ لي وتبْ عليَّ، إنَّكَ أنتَ الغفورُ الرحيم التواب.

تمت وعمَّت وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم كثيراً كثيراً.

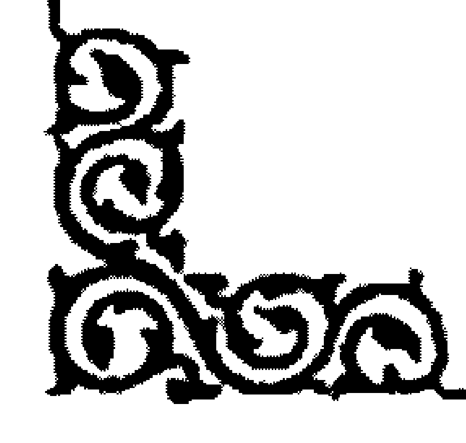
تم، والحمد لله أولاً وآخراً

٢١/١١/٢٠٠٠

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.



الفهارس العامة

فهرس الآيات

الفاتحة

البقرة

آل عمران

النور

الشعراء

النمل

القصص

العنكبوت

الروم

السجدة

* * *

فهرس الأحاديث

* * *

فهرس الأعلام

ـ ب ـ

ـ ت ـ

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ذ -

- ر -

ـ غ ـ

ـ ف ـ

- ن -

* * *

فهرس الجماعات والأقوام والمذاهب

* * *

فهرس الأماكن

* * *

فهرس الكتب

* * *

فهرس الأيام

* * *

فهرس الأمثال

* * *

فهرس القصائد

* * *

فهرس الشعر

- م -

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
ومن يحمد الدنيا لعيشٍ يسره	يلومُها	الطويل	/	٢	٥٨
أما والله لو علم الأنام	ناموا	الوافر	/	٥	١٢٨
أنا إن مت فالهوى حشو قلبي	الكرامُ	الخفيف	/	١	١٠٢
سألت زماني لم أراك عقيما	قديما	الطويل	اليافعي	٣	٥٣
على مثل حد السيف نسري إلى العلا	سما	الطويل	/	٢	٢٤٩
خمص البطون من الطوى وأعفة	حراما	الكامل	/	١	٦١
من العلم والتقوى غوالي المراهم	بالدراهم	الطويل	اليافعي	٣٣	٤٨
إلا إنما الدنيا كأحلام نائم	بدائمِ	الطويل	/	٢	٥٨
نهارك بطال وليلك نائم	البهائمِ	الطويل	/	١	٦١
بهند ودعد خوف واش وحاسد	سالمِ	الطويل	اليافعي	١	٨٣
والله لو علمت نفسي بمن علقت	القدمِ	البسيط	/	١	٨٧
أنعي إليك قلوباً طال ماهطلت	الحكمِ	البسيط	/	١	١٠٣

- ن -

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
وسائل عنهم ماذا يقدمهم	بانوا	البسيط	/	٢	٢٤٩
احفظ لسانك أيها الإنسان	ثعبانُ	الكامل	/	٢	٢٤٦
إذا سعدوا أصحابنا وشقينا	رضينا	الطويل	جوهر	١	٦٥
سألت طبيبي عن دوائي فقال لي	فتحزنا	الطويل	/	٤	٩٦
قال لنا حبينا الـ	لنا	مجزوء الرجز	/	١	٢٤٨
ومستخبر عن سر ليلى رددته	يقينِ	الطويل	/	٢	٨٤
أخي لن تنال العلم إلا بستَّة	بيانِ	الطويل	الشافعي	٢	١٥٤
يقولون زرنا واقض واجب حقنا	عنّي	الطويل	/	٢	٨٨
وقفت على التوباذ حين رأيته	رآني	الطويل	/	٣	٨٩
كأن رقيباً منك يرعى خواطري	لساني	الطويل	/	٦	١٥٢
ذكرتك لا أني نسيتك لمحة	لساني	الطويل	الشبلي	٤	١٧٥
قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم	للمجانينِ	البسيط	ابن المعتز	٢	٨٨
أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا	الدونِ	البسيط	/	٢	١٣٧
لكسرة من جريش الخبر تشبعني	ترويني	البسيط	/	٢	١٣٧

* * *

فهرس المثلثات

* * *

فهرس المخمسات

* * *

فهرس المصطلحات والحيوان والأشياء

* * *

فهرس أبواب الكتاب وفصوله

* * *